



الجامعة الإسلامية - غزة  
عمادة الدراسات العليا  
كلية الآداب  
قسم اللغة العربية

# النظم القرآني في سورة هود

## "دراسة أسلوبية"

إعداد الطالب

مجدي عايش عودة أبو لحية

إشراف

أ. د. : محمد شعبان علوان

قدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

في كلية الآداب - قسم اللغة العربية

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

## ملخص البحث

### النظمُ القرآنيُّ في سورة هود – دراسة أسلوبية

الحمد لله الذي خلق الإنسان، علمه البيان، وأطلق لفصاحته العنان، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد، نبي الرحمة والهدى، ومعلم الناس الخير والتقى، وخير من خطب الناس وخاطبهم، وعلى آله وصحبه الأبرار، وعلى من أتبع هديه، واستن سنته، وسار على دربه إلى يوم الدين. وصدق الله تعالى إذ يقول سبحانه وتعالى:

﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ بِهِ إِلَّا تُؤَدَّبُ وَرَتَّبُوا قُتُوبًا ۝ ۱۸۸ ﴾ [الإسراء: ٨٨].

أمَّا بعد:

يقوم هذا البحث على النظر في سورة كريمة من سور القرآن وهي؛ سورة هود عليه السلام، وما تضمنته هذه السورة من نظم قرآني بديع، وتناسق فني عجيب.

وقد تناول هذا البحث النظم في القرآن الكريم، ثم تحدث عن الأسلوب والأسلوبية وجذورهما في البلاغة العربية. وانتقل بعد ذلك إلى تناول الأساليب الإنشائية ودلالاتها الأسلوبية كالأمر، النهي، الاستفهام، التمني، والنداء، إلى جانب الظواهر البلاغية كالـحذف، والالتفات، والتقديم والتأخير، ودلالة الأفعال. وتعرض البحث إلى التصوير الفني المعتمد على الحقيقة، وكذلك الخيال؛ كالاستعارة، المجاز المرسل، التشبيه، الكناية، التعريض إلى جانب الفنون البديعية التي تزينت بها السورة. حتى وصل في النهاية إلى التناسق الفني في السورة الكريمة والحديث عن الحوار، والوحدة الموضوعية، والإيقاع الموسيقي.

وفي نهاية البحث توصلت إلى مجموعة من النتائج لعل أهمها أن سورة هود تعدُّ بحق موسوعة لغوية للأساليب، ومعجماً للمصطلحات البلاغية.

كما رصد البحث عدداً من التوصيات لعل أهمها؛ ضرورة توجيه الدارسين نحو البلاغة العربية خاصة بلاغة القرآن، ووضع معجم للمصطلحات البلاغية على غرار معاجم المصطلحات البلاغية الحديثة.

وأختم فأقول إنَّ هذا البحث هدف إلى إثبات شرعية دراسة البلاغة العربية، وصلاحيتها لكل عصر في الوقت الذي تحارب فيه اللغة العربية وعلومها خاصة علم البلاغة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إثراء الدراسات البلاغية خاصة حقل الدراسات القرآنية.

## **Abstract**

### **The Quranic Construction in Surat HUD An Stylistics Study**

All the praises and thanks belong to Allah who sent down to His slave, the Book and has not placed there in any crookedness. In a clear Arabic tongue, and preserved it from distortion and change. He challenged the eloquent Arabs by this Book and defeat them. We trust Allah of what He says.

Say: "If the whole of mankind and Jinns were gather together, To produce the like of this Qur-an. They Couldn't produce The Like thereof, even If They backed up each other with help and support"

This research plunges into a noble chapter of the Holy Quran, that is Surat HUD, and what this contains of verses and marvelous organizing.

The research deals with Quranic verses , and the structural roots in Arabic language. Later, I have dealt with command prohibitional wishing structure and others. Such as interrogative , emphasizes with verbs, present, past and command.

At this research, I have tried to focus upon portraying an art in Quran . Such as , resembles, metaphors which qualifies Surat HUD.

At the end , I dealt with the dialogue , the unity of subject and rhymes.

#### **Methods of Research**

Owing to the nature of this subject, the method adopted here is the analytic descriptive method.

**To sum up, I have got the following results by the end of my research.**

**Surat HUD, actually, is considered to be an encyclopedia of structural methods, and dictionary of eloquent artistries and terms. This is clearly shown at all books of commanteries.**

**In brief, I can say, with great confidence that Arabic eloquence is quite fit to any time and any age, at a time when we face a struggle against Arabic language especially rhetoric. On the other hand, it helps to enrich all rhetorical studies particularly, Quranic structural studies.** .

# الإهداء

إلى والدي رحمه الله تعالى، وأسكنه فسيح جناته

إلى والدتي الكريمة أبقاها الله، وأطال عمرها

إلى زوجتي وأبنائي الذين شاركوني رحلة العناء

إلى أخي ورفيق دربي رائد حفظه الله ورعااه

إلى إخوتي الأعمام الذين تفانوا في مساعدتي

إلى كل الذين تعلق قلوبهم بالقرآن الكريم

والبلاغة العربية

أقدم هذا العمل المتواضع سائلاً الله العلي العظيم القبول

# شكر وتقدير

أتقدم بخالص الشكر والتقدير لأستاذي الفاضل

الأستاذ الدكتور

محمد شعبان علوان

الذي منحني الثقة، ولم يدخر جهداً في مساعدتي على إتمام هذا

البحث، وكان خير الناصح الأمين، فتح لي بيته وقلبه، وأفاض

عليّ بعلمه، وشمّني بعطفه وسماحته، وأحسن التعامل معي من

وحي تدينه والتزامه، أبقاه الله ذخراً لطلبة العلم، وفتح أمامه

دروب النور، وسبل العلم، وجعل ذلك في ميزان حسناته،

وأرضاه بما قسم له.

## شكر وعرفان

الحمد لله ربّ العالمين، أحمد ربي الله ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك. وأصلي وأسلم على نبيه المختار، خير الأنام صلى الله عليه وسلم، أمرنا بالاعتراف للآخرين بفضلهم، وإنزال الناس منازلهم، وعلمنا شكر الناس على معروفهم .

ولست إذ أشكر من قدّموا لي العون، ودلّلوا لي الصّعاب بمستوفيهم حقّهم، بل هو أدنى واجب لهم عليّ.

وأستهل الشكر لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور محمد شعبان علوان الذي تكرّم بقبول الإشراف على الرسالة، وعلى ما قدّمه لي من العون والنصح والتّقبّل، بما لا أستطيع وصفه، وحسبي أن أمدحه بأنّه نعم الأستاذ، دمت الأخلاق، متفان في النصح والتعاون.

ثم شكري الجزيل للأستاذين الكريمين اللذين تحملا عبء مراجعة الرسالة وإضافة بصماتهما عليها لإخراجها في حال أحسن، ومظهر أروع، ولا شكّ أنهما بذلا من أجل ذلك جهداً عالياً، ووقتاً غالياً فجزاهما الله خير الجزاء؛ إنهما الأستاذ الدكتور/نعمان شعبان علوان، والأستاذ الدكتور/سليمان عبد الله أبو عزب.

وأخصُّ بجزيل الشكر والعرفان أستاذي الفاضل الدكتور فوزي فياض الذي غمرني بكرمه الفيّاض، فكان خير معين، وفتح لي أبواب مكتبته على مصراعها لانتقاء ما أحتاج من كتب نادرة كانت بمثابة العمود الفقري لمراجع هذه الرسالة. والدّاعم الأساس لإرساء قواعد البحث جزاه الله خير الجزاء، وجعل ذلك في ميزان حسناته. ولا أنسى أن أقدمّ عظيم الشكر والعرفان إلى الدكتور/يونس الأسطل الذي قدّم لي المعونة، وراجع كثيراً من مباحث الرسالة رغم الأعباء الجسام.

كما أقدمّ شكري للصرّح الشامخ، والبناء العظيم: الجامعة الإسلامية – بغزة التي يسّرت لنا فرصة إتمام دراسة الماجستير، وأخص بالذكر كلية الآداب، وقسم اللغة العربية بهيئتيه التدريسية والإدارية على حدّ سواء، كما أقدمّ شكري الجزيل إلى عمادة الدراسات العليا، ممثلة في عميدها الدكتور/زياد إبراهيم مقداد، ورئيس قسم اللغة العربية د.عبد الهادي برهوم، ومشرف الدراسات العليا د. كمال غنيم

وشكر وعرفان إلى من منوا علينا بأوقاتهم أساتذتي في مرحلة الماجستير أ.د أحمد شويح رحمه الله، أ.د محمود العامودي، د.محمد البع، د.عبد الخالق العف.

وأقدم شكري إلى العاملين في مكتبة الجامعة الإسلامية الذين يبذلون قصارى جهدهم لخدمة  
طلبة العلم.

كما أقدم الشكر للأخ/ سلام مصطفى العبادلة الذي تولّى عبء طباعة الرسالة، وإخراجها بهذا  
الشكل الرائع، وبذل في سبيل ذلك جهداً رائعاً، كما أقدم الشكر لإخواني الذين قدّموا لي العون  
كل العون، وأخص بالذكر أخي رائد، كما أخص بالذكر الأستاذ أحمد مصطفى العبادلة الذي  
سبقني إلى الدراسات العليا، وقد كانت رسالته نوراً أضاء لي الطريق، ورسم لي السبيل.

وشكر خاص إلى من وقفت بجانبني طيلة فترة الدراسة الجامعية في ليبيا الحاجة/ أم أمان  
حفظها الله، وأطال عمرها.

ولا أستثني من الشكر مدرسة القرارة الثانوية ومديريها الأستاذ الفاضل/ يحيى  
الفراء، والأستاذ الفاضل/ إياد أبو الكاس اللذين يسرا لي السبل طيلة فترة الدراسة، والشكر  
موصول إلى أعضاء الهيئة التدريسية والطلاب جميعاً.

ولا أنسى زملائي في الدراسات العليا جميعاً الذين استفدت من آرائهم ومشورتهم في  
أمور شتى الأستاذة/ عبد الفتاح بدوي، محمد صالح، غريب بربخ، أسامة حماد، عبد الحميد  
مرتجى، جميل عدوان وباسم البابلي.

وفي النهاية فإنّي أقدم شكري لكل من شارك أو ساهم، ولو بشطر كلمة في إنجاز هذا  
العمل المتواضع..... جزاهم الله جميعاً خير الجزاء.



## المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، علمه البيان، وأطلق لفصاحته العنان، والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد، نبي الرحمة والهدى، ومعلم الناس الخير والتقوى، وخير من خطب الناس وخاطبهم، وعلى آله وصحبه الأبرار، وعلى من أتبع هديه، واستن سنته، وسار على دربه إلى يوم الدين، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً.

الحمد لله الذي اختار محمداً صلى الله عليه وسلم من خير أمة في العالمين، وأنزل عليه الذكر الحكيم بلغة العرب، فهو معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الخالدة، وحجته البالغة، ودلالته القاطعة على صدق رسالته، وبيان دعوته، أنذر به قوماً في زمان هم فيه رؤساء صناعة الخطب والبلاغة، وعظماء قول الشعر والفصاحة، وأرباب السجع والكهانة، وحجته عليهم ما جاء به من البيّنات والبيّن، والحكمة البالغة والفرقان، بلسان مثل ألسنتهم، ومنطق لا تفترق معانيه عن معاني منطقهم، تحدّى به العرب العرباء، وقارع أئمة البلغاء، ونافس أعظم الفصحاء، فأعيت بلاغته أفصح الأدباء، وأعجزت حكمته أحكم الحكماء، وأبكمت فصاحته أعظم الخطباء. يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ آتَيْنَا الْبُرْجَانَدَةَ الْغَوَاظِ الْمَكِينِ حَمِيقًا مَبْنِيًّا وَرَدَّ الرِّيحَ حَمِيقًا مَبْنِيًّا وَتَنْزَلُ السُّحُبُ الْمَكِينِ﴾ [الإسراء: ٨٨]. أنزله عليه بلغة العرب فضمن لها القوة والخلود، فأبقت الحياة على الوجود، وظلّت هذه اللغة تاجاً على رأس كل اللغات، ونوراً يضيء السبل والطرق، وشدى يفوح في كل الجنبات.

### أمّا بعد:

يفرُّ كثير من الدارسين من البحث في بلاغة القرآن، وقد حاولوا جاهدين رسم معالم القطيعة بينهم وبين التراث البلاغي، ويتكرونها جاحدين لأصالة البلاغة القرآنية التي فاقت كل بلاغة، ونافست معظم الدراسات، متهمين تلك البلاغة بقلة النفع، وعدم الجدوى، بدعوى أنها لا تلامس حاجات مجتمع عصري، ولا تواكب أي تطوّر علمي، ولا تساير تقدم تقني، بل يتناول بعض الدارسين ويصف البحث البلاغي بالجامد الرجعي.

والحق كل الحق أنه يكفي الدراسات البلاغية، وغيرها من الدراسات التي تقوم على اللغة العربية شرفاً أنها ترتبط ارتباطاً مباشراً بديننا وعقيدتنا، ولا يقتصر ذلك على البلاغة، بل يتجاوز ذلك ليشمل الأدب والنقد والنحو والصرف، فقدرتنا على فهم قرآن ربنا سبحانه وتعالى، وأحاديث نبينا صلى الله عليه وسلم متوقفة على فهمنا للغة العربية – خاصة البلاغة – التي تحدّد المقاصد القريبة والبعيدة من النص، كما تبين الظاهر والخفي من اللفظ، فلو لم يدرك السامع مصطلحات البلاغة لما أدرك الصواب في كثير من الأحيان.

فعلوم البلاغة - حقيقةً - من أسمى العلوم مكانةً، وأعلى الدراسات قدراً، وأهم البحوث دوراً، لأنها تتعلق بأصدق الكلام، كتاب الله سبحانه وتعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فليتنافس الباحثون و الدارسون على درسه خدمة للغة العربية الخالدة، ودعماً للإسلام العظيم، أملاً في نيل رضا الله سبحانه وتعالى.

وعلم البلاغة - بلا شك - من العلوم الأساس التي قامت خدمة للغة العربية، وهو يحظى بمنزلة رفيعة من حيث الأهمية، وقد كثرت فيه المصنفات التي أصبحت نوراً يرسم لنا السبيل ويضيء لنا الطريق مثل (أسرار البلاغة)، (دلائل الإعجاز)، (الصناعتين)، (مفتاح العلوم)، (سر الفصاحة)، (الإيضاح)، إلى جانب الكثير من هذه المصنفات التي لا يمكن حصرها.

وإلى جانب هذه المصنفات تتعدد المصادر التي تناولت نظرية النظم بالدراسة والتحليل، سواء أذكر فيها مصطلح النظم، أم ألمح بإشارات متناثرة حول موضوعاته التي كانت بمثابة الإحياءات التي استوحى منها عبد القاهر الجرجاني فكرته في النظم. ومن هذه التأليف: معاني القرآن للفراء (ت ٢٠٧ هـ)، ومجاز القرآن لابن المثنى (ت ٢٠٨ هـ)، والبيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، الكامل للمبرد (ت ٢٨٥ هـ)، وثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني (ت ٣٦٨ هـ) والخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، وعبد القاهر الجرجاني، والصناعتين للعسكري (ت ٣٩٥ هـ)، وإعجاز القرآن للباقلاني (ت ٤٠٣ هـ)، والعمدة للقيرواني (ت ٤٦٣ هـ). ويتصدر جميع هذه المؤلفات كتاباً: دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٤ هـ).

### أولاً: أهمية البحث:

لعلَّ البلاغة القرآنية من العلوم التي تشرف البلاغة العربية بدراستها، وقد تناول كثير من العلماء البلاغة القرآنية، بينما أهملها آخرون طمعاً في صيت زائل، أو شهرة زائفة.

وتكمن الأهمية العلمية لهذه الدراسة في كونها أساساً ثابتاً في ترسيخ جذور قوية للبلاغة القرآنية، وإثبات حقيقة جليلة لا ينكرها إلا الحمقى وهي: أن القرآن الكريم هو المنهل العذب لاستقاء الثقافة، والورد الصافي لكثير من العلوم، والأرض الخصبة لبذرة طيبة أصلها ثابت، وفرعها في السماء.

وسيقوم الباحث بدراسة سورة هود عليه السلام دراسةً وافيةً من خلال الأساليب البلاغية، وطرح الظواهر اللغوية والأسلوبية، وبيان ما فيها من تصوير بياني بديع، وتناسق فني رائع.

### ثانياً: سبب اختيار الموضوع:

لمّا كانت البلاغة القرآنية من أشرف العلوم من ناحية، وأكثرها أهميةً من ناحية أخرى فقد اجتهد كثير من الباحثين في هذا المضمار، بيد أنهم ركزوا على بلاغة القرآن ككل، وقليلٌ تناول سورة بعينها، لذا رأى الباحث أن يركز جهده على هذه السورة، ويجمع الظواهر المتباعدة فيها، ويصنفها كما هو مبين في الخطة، كما يلجأ الباحث إلى توظيف النظم القرآني للوصول إلى أهداف السورة وأغراضها.

### ثالثاً: أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى:

- ١- التركيز على الدراسات المتعلقة بالبلاغة القرآنية.
- ٢- القرآن معجزة خالدة على مدى الأزمان والدهور، والدراسات البلاغية القرآنية تعكس هذا الإعجاز على مدى الأيام والعصور، وتصبّ جلّ الاهتمام لإثبات هذا الإعجاز.
- ٣- إثبات ما تفرّد به القرآن من ظواهر وأساليب خاصة في سورة هود عليه السلام.
- ٤- ترسيخ جذور قوية للبلاغة القرآنية في الدراسات العربية.
- ٥- إبطال مهاترات المتطاولين على البلاغة العربية الشامخة، اللاهثين وراء الثقافة الغربية الزائفة، المتلمسين دروب الحداثة المظلمة.

### رابعاً: الصعوبات التي واجهت الباحث:

لا يخلو أيُّ عملٍ من بعض الصعوبات، فقد واجهت الباحث عدة صعوبات، ولكن منّة الله الواسعة، وكرمه الفيّاض، ورحمته الغامرة بعباده، ومشيتته المطلقة – بلا أدنى شك – كانت العون الأول لي في تذليل هذه الصعوبات، ناهيك عن توجيه أستاذي الفاضل محمد شعبان علوان المشرف على هذه الدراسة، وكرم أستاذي الفاضل الدكتور فوزي فياض الذي لم يألُ جهداً في توفير المشورة، والدعم المعنوي، والعلمي. أكرم الله وفادتهما، وجعل الجنة مأواهما.

وأهمّ هذه الصعوبات:

- ١- اتساع موضوع الدراسة، وذلك أن سورة هود عليه السلام غنية بالظواهر اللغوية والبلاغية.
- ٢- ندرة الدراسات والبحوث في سورة هود عليه السلام.
- ٣- افتقار مكتباتنا في قطاع غزة إلى كثير من المصادر والمراجع التي يحتاج إليها البحث العلمي خاصة في ظل إغلاق المعابر، والحصار المتواصل والظالم، على قطاعنا الحبيب في هذا الوقت.

## خامساً: الدراسات السابقة:

لعل الدراسات التي تناولت القرآن الكريم ككل غنية، خاصة تلك الدراسات التي تناولت السور الطوال. بيد أن الدراسات التي تناولت سورة هود عليه السلام نادرة جداً، بحيث لم أجد إلا دراسة واحدة هي:

\* الفنون البلاغية في سورة هود: ماجد بن محمد الماجد، وقد تتبّع الباحث في هذه الدراسة الفنون البلاغية التي وردت في سورة هود عليه السلام وفق العلوم الثلاثة للبلاغة وهي: المعاني، والبيان، والبيدع.

## سادساً: خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث إلى أن ينقسم إلى مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول، وخاتمة على النحو الآتي:

\* **المقدمة:** وتمّ الحديث فيها عن أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وأهداف الدراسة، والصعوبات التي واجهت الباحث، وخطة البحث، ومنهج الدراسة.

\* **التمهيد:** وتناول فيه الباحث نظرات في سورة هود عليه السلام، وأسباب عزوف كثير من الدارسين عن البلاغة العربية، وانهارهم بالعقل الغربي ومنجزاته الأدبية والثقافية، ولهتهم وراء تلك الثقافة، وتلمسهم سبلها أملاً في شهرة زائفة، وطمعاً في ملك زائل.

\* **الفصل الأول:** النظم القرآني والأسلوبية وينقسم إلى أربعة مباحث هي:

المبحث الأول: النظم في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: جذور الأسلوبية في البلاغة العربية.

المبحث الثالث: النظر الأسلوبي في التراث العربي.

المبحث الرابع: الأسلوب والأسلوبية.

\* **الفصل الثاني:** الأساليب البلاغية في سورة هود وينقسم إلى مبحثين هما:

المبحث الأول: الجملة الإنشائية ودلالاتها الأسلوبية.

(الأمر، النهي، الاستفهام، التمني، النداء).

المبحث الثاني: التوكيد ودلالاته الأسلوبية.

\* **الفصل الثالث:** الظواهر البلاغية في سورة هود عليه السلام وينقسم إلى أربعة مباحث هي:

المبحث الأول: الحذف ودلالاته الأسلوبية.

المبحث الثاني: الالتفات ودلالاته الأسلوبية.

المبحث الثالث: التقديم والتأخير ودلالاته الأسلوبية.

المبحث الرابع: الأفعال ودلالاتها الأسلوبية.

\* **الفصل الرابع:** التصوير الفني في سورة هود عليه السلام، وينقسم إلى ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: التصوير الفني المعتمد على الحقيقة.

المبحث الثاني: التصوير البياني المعتمد على الخيال.

الاستعارة، المجاز المرسل، التشبيه، الكناية، التعريض.

المبحث الثالث: فنون البديع في سورة هود عليه السلام.

\* **الفصل الخامس:** التناسق الفني في سورة هود عليه السلام، وينقسم إلى خمسة مباحث هي:

المبحث الأول: التناسق بين سورة هود عليه السلام وما قبلها وما بعدها.

المبحث الثاني: التناسق بين فاتحة السورة وخاتمتها "براعة الاستهلال وحسن الانتهاء"

المبحث الثالث: الوحدة الموضوعية في سورة هود عليه السلام.

المبحث الرابع: لغة الحوار في سورة هود عليه السلام.

المبحث الخامس: التناسق في الإيقاع الموسيقي، و نظم الفواصل.

\* **الخاتمة:** وفيها نتائج البحث، ثم التوصيات.

**سابعاً: منهج البحث:**

تبعاً لطبيعة البحث فإن الباحث سيتبع المنهج الاستقرائي التحليلي الوصفي لمناسبته لموضوع الدراسة، ولاستخلاص الأهداف المرجوة منها إن شاء الله تعالى.

وأخيراً فهذا جهدٌ متواضع أقدمه للمكتبة العربية، وكلّي أمل أن يحظى بالقبول، فإن وفقت فيه فهو بتوفيق الله - جلّ وعلا - ومنته، وإن قصرت فإن سمة البشر النقص. وما من إنسان يبلغ الكمال وإن سعى تجاهه سعياً حثيثاً، وسار في دروبه سيراً جاداً.

والله ولي التوفيق، ومنه نستمد العون، فهو ولي ذلك ومولاه.









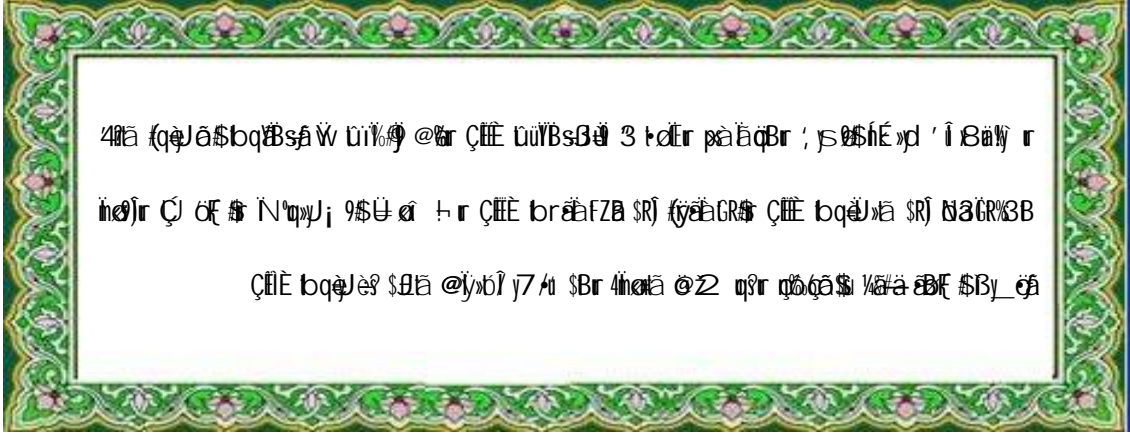




0aZB JS 89 (p jydE ' i BracB Vvr ©\$(q)?\$( N39 egDk Ed ' ASZY äw&pd Eqp)»f IAS%  
IAS% ÇDIE BafR; SB DæEG y7Rjr Om öB y7PszV ' i SZ9 SB MHEä 9) (q8% ÇDIE K<P S @\_u  
(y7 8) (pÄ f ` 9 y7 hi @B'a SR) apqef (q8% ÇDIE %f%© 9æ 4#) ú f#ä f# q8% N37 ' f b# q8  
SB SpÄ B ¼qr) (y7 9k D\$ äv) %0rk N3 ZB MjyGf Vvr EæS i B BÖEJ s feli Ió is  
\$g&hâ \$v&y\_ \$R&ä ä\$y\_ \$Eäü ÇDIE 5-f)Y B 6A 9\$JS 89 4B 6A 9\$ äd%ä qb b) 4 Nk\$1 &  
i B } ä \$Br (s hi %0Zä pBqj B ÇDIE Sq&DZB @SÉ Ä ` B äi f m \$g&hâ \$R&äBür \$g&hâ\$y<sup>m</sup>  
öB N3 9 SB ©\$(rBçä\$Eäq)»f IAS% 4\$8æ@ Oä% & UiröB 4#jr \* ÇDIE %<ÉV7 s uU&@9\$  
N3 æte \$% & pör 82 N3 1ü & pñ 4b#U& IAS& U&S (qÄ äZ9 Vvr (¼q&ä 89)  
(qY y 8 Vvr (Ä p&E& s #U& IAS& U&S (q&ä Dq)»f ÇDIE Y <IC Eäf >#k ä  
O&Z b) N3P&Z k \$BMSV ÇDIE UiröA qä Ç OF \$ + i (q&ä Vvr N&ä&ä) } SZ9\$  
B&äf SB B&ä b# s æ& s æ& & U&ä»f (q8% ÇDIE ä <Y2 N3ææ B \$Br 4UüZBsB  
Eäq)»f IAS% ÇDIE B&S©9\$ D&SÜ&S MRV s R) (æ&ä SB SV&ä b# ä&ä b# f# \$R&ä/#ä  
SB 4# N3Y&ä ä&ä B&f ä\$Br 4SZj m \$æä q&B Öj&ä»r ' fS ` B p&E 4#ä äZä b) O&ä&ä  
in&äf äV&ä&ä in&ä 4k \$ äv) p&Süq\$ \$Br 4#ä&ä&ä&ä&ä x&ä&ä (M&äv) B&f ä&ä) 4q&ä N3 9g&ä  
Sq&ä P&ä f# 3y&ä P&ä > \$1 & SB @WB N3 V&Ä ä&ä p&ä)© N3Y&ä&ä V Dq)»f ÇDIE U& S&ä  
b) 4in&ä) (p&ä ä&ä N3 Ä (f&ä&ä&ä ÇDIE %<ÉV7 N3 ZB D&ä ä&ä \$Br 4&ä)1 P&ä f#  
(SZ&äE SZ&ä y7 ä&ä SR) ä&ä \$EB #Z&ä 89 SB U&ä»f (q8% ÇDIE S&ä Ö&ä + hi  
k \$i B N3 æte ä&ä p&ä&ä ä&ä)»f IAS% ÇDIE 9Y&ä SZ&ä MR& \$Br (y7 »H&ä y7 ä&ä V&ä&ä  
4#ä (q&ä&ä Dq)»f ÇDIE ä&ä ä&ä ä&ä \$p1 ' hi z ) ( \$f&ä N&ä&ä q&ä&ä&ä&ä  
(ä&ä q&ä ä&ä Br in&ä ä&ä in&ä ` B s q&ä&ä \$S&ä (ä&ä) ä&ä N3 ä&ä&ä  
p&ä&ä ¼q&ä (q&ä&ä Uirö&ä \$æ&ä SZ&ä \$R&ä ä\$y\_ \$E9r ÇDIE ä&ä N3 p&ä ' ä (p&ä&ä&ä  
(q&ä&ä O&ä&ä ÇDIE s uU&ä N&ä&ä ' i (q&ä&ä ä&ä p&ä 9\$ (q&ä&ä Uirö&ä N&ä p&ä SZB  
ÇDIE ä&ä&ä 9&ä&ä&ä SZ&ä&ä&ä ä&ä q&ä SZ&ä&ä&ä 9r ÇDIE ä&ä&ä ä&ä&ä \$p&ä Uirö&ä #%æ&ä V&ä 3\$ä&ä



Pof %BQ% Bf% CDE %S%T% : qadl ad \$Br (bqadl rdk (qal? \$s %h/z-Br : qadl 4k  
4pudf\$Pofr zle9 %hÉ»d ' í (qalr CDE Braqu\$S Bc\$S \$ir (u \$Z9\$Bld\$u f\$u \$pudf\$S  
CDE WÄ»mir Öf\$ \$pB (s eä %A ar 3 t\$e\$ä\$Rä öB y7V% CDE Bqep\$B\$R\$S \$  
`B k \$ErB` B bqadl Öf\$ \$pB \$uä \$VZök \$yü (Nä) är (qB\$ `Ä»r NöVd\$S \$Br  
3 t\$e\$ \$ & \$E) y7hi ä f k s %x r CDE 5-S7G\$ ier NdrBly \$Br (y7hi ad äly \$e\$ö\$  
y7V% 4b+Ä \$y\$ > #k ä \$% öy) p\$y y7V% ' í b) CDE %f%ö% Ö\$% \$x f k b) 4pudf\$S } \$ir  
Nür Pof CDE SrBeb \$y\_ k zü \$y\$ \$Br CDE SqGöB Pof y7V% ä \$Y9\$ \$p\$ \$qB\$ Pof  
\$Zü \$uä \$Z9\$' Äu (qä) ur%\$ \$Br CDE WÄ»mir @A ÖG\$u 4%h\$öf zü) \$ \$R N\$ 9 V  
y7hi b) 4y7hi ä\$ \$B zü) \$ öf \$ Y' %k; 9\$MB\$ \$B \$Zü \$u ä i\$hyz CDE i <g\$er \$ü-  
Bly\$y; 9\$MB\$ \$B \$Zü ur\$hyz \$y\$ \$' Äu (rBeb' ur%\$ \$Br \* CDE Bf\$ \$y) A\$eü  
\$B 4häwäp \$e\$ \$eB p\$B ' í 7? Xü CDE Örag\$ ier ä\$üä (y7hi ä\$ \$B zü) \$ öf \$  
\$)9r CDE É qäZB ier NÄ-ÄR Ndq\$e\$9 \$R) 4e\$` B NÄ\$y#ä \$e\$ \$y\$ zü) : r\$e\$  
' Äö NÄ) 4Nä\$ ÖÄ\$9 y7Ic` B \$V) \$yü \$V\$ 4h\$ü # \$z \$u | =f\$ \$e\$ö\$ qä \$V-\$#ä  
CDE \$e\$z bqep\$ \$y) \$R) 4ÖG\$y äk y7hi NÄ\$y\$ \$e\$ \$x ä b) CDE 5-f\$ä \$ZB \$  
(qä) \$Vr CDE \$ÄV : qep\$ \$y) \$R) 4(qö\$ \$Vr y7pB > \$ \$` Br NÄ\$e\$y\$ NÄ\$e\$  
CDE : r\$Z\$eW Öe\$ö\$ \$öB k \$ErB` B NÄ 9 \$Br ä\$Y9\$ \$Z; yGü (qB\$ ur%\$' r)  
3 t\$e\$ y7V% 4N\$kh 9\$üe\$ö\$ \$M\$z; p\$ \$b) 4e\$ \$B \$Z9\$är í \$p)9\$ Qr\$ü \$e\$Ä 9\$ \$V\$ur  
`B \$r\$e\$z B b% \$V\$ CDE üZÄ \$B\$ö\$ B-Ä\$W \$B\$ü \$e\$ \$ CDE \$u ä i\$%  
y7V% 3ÖG\$ \$Z\$uä öB \$S\$ zü) \$ öf \$' í \$y) \$e\$ \$ä : q\$ p\$y (qre \$Z\$e\$  
3 t\$e\$ \$ \$gä \$ \$u b)\$ \$Br CDE \$u üB\$e\$ (qR\$ur inü) (qä\$e\$ \$B (qB\$ \$u ä \$  
bqep\$ \$Vr (q\$)h'r \$B\$} \$Z9\$ \$p\$ y7hi ä\$ \$ q\$ CDE : qB\$Ä \$ \$ge\$ur B\$  
i B Öygy\_ bV \$y y7hi \$yü \$V\$ 3ÖG\$ \$y y7V% \$r 4y7hi Mh\$` B zü) CDE \$u ä \$e\$  
4B\$#e\$ %h) \$V\$ \$B \$B`9\$ä\$Rä öB y7eä É \$R \$är CDE üe\$e\$ Ä \$Z9\$ \$yV\$ \$e\$



40ā (qā\$baqBsaŵ ūiŵ) @r ÇĪĒ ūiŵBsBŪ 3 ūdĒr pāĥqBr ; ŷBšĪÉ»d 'Ī Bāŷ r  
īnŵŷr Ç ūĒ \$ Nŵŷŷ; 9\$Ū ō Ĥ r ÇĪĒ brāfZB SRĪ ŷyāGR\$ ÇĪĒ bqŪ»ā SRĪ NāGR%B  
ÇĪĒ bqŪ»ā \$Bā @ŷ»bŷŷ7Aŷ \$Br Ĥīnā @Z ŷŷr ŷŷā\$ ŷāā BĒ \$By\_ĉā

# التمهيد

## وفيه

أولاً: عُزوف الدارسين عن البلاغة العربية

ثانياً: نظرات في سُورة هُود

## أولاً – عزوف الدارسين عن البلاغة العربية

يفرُّ كثير من الدارسين العرب عن البحث في بلاغة القرآن، وروعة أساليبه، وبهاء صورته وألفاظه، ويتلمسون دروب الحداثة المسخة، ويتتبعون خطى الغربيين، ويقتدون بلغة الحدائين البراقة التي تحمل في باطنها السموم، ويبحثون عن الثقافة المشروخة، ويتحلّقون حول موائد العلوم الفاسدة، ويدورون في حلقة مفرغة هم أول من يعرف أنهم لن يصلوا فيها إلى نهاية ناجعة، ويعبّرون عن ثقافة خاوية فقدت أبسط ملامح الثقافة الأصيلة، فلجأ هؤلاء إلى اللابلاغة، واللافصاحة، واللاأدب، واللاشعر، واللاشكل، واللامعنى، كما عبّر هؤلاء عن أفكار لا تحمل في مكنونها أي مفهوم فوضعوا اللارواية واللازمان واللامكان واللاشخصية، فكان أجمل حلم يراودهم هو الغموض الذي يعترى الواقع، وشعور الذات الإنسانية بالذوبان والتلاشي، وتفتيت القيم، واهتزاز الثوابت وتشتت الذات الجماعية، وتشظي المنطق المألوف، وتفسخ الأبنية المجتمعية، وتبعثر العادات واضطراب التقاليد، كما اجتهد هؤلاء للاحتجاج العنيف على كل ما هو مألوف، والرفض المطلق لكل ما هو متداول، وتجسيد لرؤية لا يقينية في العالم، من أجل ذلك كلّه أصبحت الحاجة ماسة لديهم إلى فعل إيداعي يعيد النظر في كل شيء، ويستند إلى جماليات التفكك والتشتت، وتفجير منطق الحبكة القائم على التسلسل والترابط فتعلقوا في أوهم الأسلوبية، وبريق مصطلحاتها الأخاذة، والتي حاولت جادة التخلص من البلاغة العربية وإزاحتها لتنبؤاً مكانها، لكنها جوبهت بشجرة راسخة أصلها ثابت وفرعها في السماء، كما انبرى عدد كبير من المخلصين للبلاغة العربية، المؤمنين بعظمتها يتصدّون بقوة لكل من حاول طمس البلاغة العربية العظيمة وتغيير ملامحها الجميلة، وتشويه قسماتها الأصيلة. وفي المقابل ظنّ هؤلاء الحدائون أنهم جاءوا بعلوم جديدة، أو ثقافات لم يسبق إليها أحد، ولعلهم لا يدرون أنّ كل مصطلح جديد يطرحونه لابدّ أن يقابله مصطلح أصيل سواء أكان ذلك في البلاغة أو الأدب.

إنّ انبهار هؤلاء الدارسين بالعقل الغربي ومنجزاته الأدبية، والثقافية. وفي المقابل احتقار العقل العربي ومنجزاته الأدبية والثقافية هو الذي أوقع هؤلاء الدارسين في هوة الحداثة، وسقم النهضة الغربية.

لقد غضّ هؤلاء الطرف عن إبداعات الجرجاني، والسكاكي، والقزويني، والقيرواني، وابن الأثير، والقرطاجني، وتلمّسوا سبل الغربيين، ومن أمثال هؤلاء: (علي أحمد سعيد. أدونيس)، و(كمال أبو ديب)، وغيرهما من الذين نهجوا نهج الغرب في القضاء على أصول البلاغة العربية أملاً في شهرة زائفة، ولهناً وراء ملك زائل.

وأعجب من هؤلاء العرب الذين يتكبرون لعروبتهم أمثال: (كمال أبو ديب) في كتابه: (جدلية الخفاء والتجلي) والذي يحتقر من خلاله إنجازات العقل العربي، ويستبيح عبقريته إلى حدٍّ غير متصور حيث يرى "أنَّ إبداعات العقل العربي خلال ما يسمى بعصر النهضة، بل خلال القرن العشرين بتمامه ليست سوى رقع متناثرة لا تتعدَّى محاولات الربط بينها عمليات ترقيع أو توفيق قسريَّة، وذلك انطلاقاً من موقفه المبدئي الذي يؤكِّده في أكثر من موقع"<sup>(١)</sup>.

ويزيد فيؤكِّد: "أنَّ الفكر العربيّ ما يزال عاجزاً عن التصور الكلّي المعقّد لحركة الإنسان في المجتمع، ولقوانين التطور الفنيّ، والاقتصاديّ والسياسي، والاجتماعي، والنفسيّ فيه، ولأنَّ الفكر العربيّ - أخيراً - ما يزال عاجزاً عن أن يبيلور تصوراً بنويّاً لمشروع سياسيّ أو اقتصاديّ، أو لدراسة قصيدة أو رواية، أو لإنشاء جامعة، أو مؤسسة تجارية، أو عسكرية"<sup>(٢)</sup>.

"ولا أعتقد أننا نستطيع العثور في قاموس احتقار العقل العربي، وإنجازاته الثقافية بل والسياسية، والاقتصادية، والتجارية على كلمات تقترب من تعميم وحدة كلمات أبي ديب في السياق السابق الذي يصل في تحامله على كلِّ ما هو عربيّ إلى ذروة غير مسبوقه"<sup>(٣)</sup>.

إنَّ المأساة الكبرى التي تعيشها لغتنا، وبلاغتنا، وأدبنا هي وجود شرذمة من الذين يصنّفون أنفسهم تحت راية الإسلام والعروبة، وهم من ذلك براء، بل ويعمّقون الفجوة أمام المثقف العربي. "ويزداد الشرخ اتساعاً عند المثقف العربيّ المهموم بواقعه الفكريّ واللغويّ، وهو يشاهد من حوله مثقفين ومفكرين يشعرون بدونية العقل العربي، فيرتمون في أحضان فكر الآخر، وينقلون عنه في لغة ركيكة تؤكِّد تلك الدونية"<sup>(٤)</sup>.

ويمكن القول إنَّ لغتنا العربية قد تعرضت للظلم على أيدي أبنائها، وأنَّ بلاغتنا أصبحت غريبة في موطنها، "وحقاً إنَّ هذه التجارب التي نشير إليها تكتب بلغتنا العربية ولكن لا نقرأ فيها حتى نشعر أنَّ الأعمدة التي تشدُّ بناء لغتنا قد سقطت وهوت من أيدي أصحابها فهم يكتبون بحروف وألفاظ يظنونها عربية أو هي كذلك ولكن ما أن نقرأ فيها حتى نحسَّ بالعجمة والشذوذ على ما ألفناه في أساليبنا وفي عربيتنا. وأكاد أقول إنهم يكتبون بلغة لا عربية، ولا غريبة. أما

(١) المرايا المقعرة - نحو نظرية نقدية عربية: عبد العزيز حمودة، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٧٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أغسطس ٢٠٠١م، ص ٤٦.

(٢) جدلية الخفاء والتجلي دراسات بنويوية في الشعر: كمال أبو ديب، دار العلم للملايين للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٨٤م، ص ٩.

(٣) المرايا المقعرة: ص ٤٦.

(٤) المصدر السابق: ص ٤٧.

إنها غير غريبة فذلك شيء واضح؛ لأنها لا تكتب بلغة الغرب. وأما إنها غير عربية؛ فلأنها لا تكتب باللغة العربية المألوفة لنا"<sup>(١)</sup>.

إنَّ ثنائية الانبهار بالعقل الغربيّ، ومنجزاته واحتقار العقل العربيّ، ومنجزاته تقع في قلب الشرخ الثقافيّ الذي يعيشه الإنسان العربي بدرجات متفاوتة .... فهناك من واجهوا التحديات القويّة ضد الارتواء الكامل في أحضان الثقافة الغربية. لكن تحذيراتهم على ما يبدو ذهبت أدراج الرياح، وهناك من رأى أن الحداثة لا تتمُّ إلا بتحقيق القطيعة المعرفية مع التراث، واحتقار العقل العربيّ، والتكثُر لمنجزاته، والتقليل الكامل من شأنها"<sup>(٢)</sup>.

والمحصلة النهائية كل هذه المعطيات بعضها إلى بعض من انبهار بالعقل الغربيّ، واحتقار للعقل العربي، والدعوة إلى القطيعة مع الماضي، وتعمد الغموض والإبهام والمرادفة، إما رغبة في إبهار المتلقي وإما عن عجز حقيقي في فهم النص الأجنبي المنقول عنه إلى العربية، إلى جانب الرغبة في التباهي بعمق المعرفة، ثم الانتماء الأكيد إلى نخبة اختارت عن وعي عدم مخاطبة الجماهير أو القارئ العادي، إذا أضفنا هذه العوامل بعضها إلى بعض أدت في نهاية الأمر إلى أن "ألح بعضهم على هذه المصطلحات، وطفق الكتاب يستخدمونها عن علم وعن غير علم، وبالغوا في الزجّ بها في كل مجال، واشتقاق الجديد منها حتى غدت عسيرة التناول صعبة الفهم، ودفعت بالكثير من شباب الدارسين إلى اليأس بعد أن حيرت الكبار، وأرهقتهم"<sup>(٣)</sup>.

إنَّ المأزق العظيم الذي وقع فيه علماءنا التتكرُّ الصريح للتراث العربيّ، والدعوة إلى القطيعة المعرفية مع الماضي كشرط لتحقيق التحديث، فإذا كانت هناك أصوات دعت إلى الانسلاخ الثقافي، والارتواء في أحضان الفكر الغربيّ، فإنه ظهر في المقابل تيار حقيقي للأصالة يعتمد على العودة إلى التراث، ورفض القطيعة غاضبي الطرف عن الحداثيين الذين اتهموا كل من يختلف معهم بالرجعية، والجهل، أو الأصولية والانعزالية، بيد أن بعض المثقفين في العالم العربي تنبهوا إلى الشعارات البرّاقة الخادعة، بينما صمت الكثيرون ممّا أغرى الحداثيين بتصديق أنفسهم في نهاية الأمر"<sup>(٤)</sup>.

(١) في الأدب والنقد: شوقي ضيف، دار المعارف - القاهرة ١٩٩٩م، ص ١١٢.

(٢) المرايا المقعرة: ٣٠، ٣١ بتصرف.

(٣) المصطلحات الأدبية الحديثة دراسة ومعجم إنجليزي - عربي: محمد عناني، الشركة المصرية العالمية للنشر - لوجمان، القاهرة ١٩٩٦م، ص ٩٨.

(٤) انظر المرايا المقعرة: ص ١٧١.



ويمكن القول هنا: "إنَّ التحوُّلَ في اتجاه الحداثة ثم ما بعد الحداثة الغربيتين خلق الفراغ بقدر ما أكَّده، فشعار القطيعة المعرفية مع التراث خلق فراغاً أدَّى إلى تبني الفكر الغربي كبديل لملء الفراغ الجديد. وفي الوقت نفسه، فإنَّ التحول الحداثيَّ كان يعني خلو الساحة العربية الثقافية من فكر لغوي ونقدي ناضج، ثم إنَّ الفوضى التي جاءت مع الحداثة وما بعد الحداثة، خلَّفت هي الأخرى فراغاً جديداً وأكَّدته"<sup>(١)</sup>.

ولعلَّ من أبرز الأسباب التي دفعت الكثير من هؤلاء إلى السقوط في أحضان الحداثة الغربية أنهم عجزوا عن فهم ملامح البلاغة العربية فهماً صحيحاً؛ إذ حاولوا تطبيق الدراسات الغربية على البلاغة العربية من جانب دون النظر إلى الجوانب الأخرى، وهنا يظهر السبب وراء عدم تبلور نظرية بلاغية عربية معاصرة، والسبب كامن في أن العديد من الدراسات التي مورست في حقلنا النقدي لم تراع في قراءتها الشروط البلاغية العربية، وإنما عمدت إلى النظرية النقدية الغربية متخذة منها عدسة واحدة للنظر إلى مختلف جوانب النص، الأمر الذي أسفر عن تغييب للعديد من خصوصياتنا في إجراء اللغة، وفي توظيف البلاغة العربية التي تحمل سماتٍ مفارقة.

إنَّ هذا الأمر يفتح باب مفارقة جديدة، وما أكثر المفارقات التي يضع الحداثيون العرب أنفسهم فيها. حتى اللحظة التي حاول فيها النقاد العرب دعم آرائهم بالعودة إلى التراث، فقد كان ذلك من باب تسويغ آرائهم، وأفكارهم بعيداً عن التواصل مع القديم رغم استنشاد النقاد الجدد بشذرات من النقد القديم وذكر اسم الجرجاني وغيره من علماء البلاغة كثيراً، ولكن المدقِّق في الأمور يدرك لأول وهلة أن هذه المحاولة تهدف إلى تسويغ آرائهم وأفكارهم أكثر من التواصل والتفاعل الجدي مع التراث النقدي، أو تطوير آراء الجرجاني بدليل أنهم لم يلتفتوا إلى تلك الشذرات إلا بعد احتكاكهم بآراء النقاد الغربيين، وهي مسألة تثير قضية مهمة وهي كيفية التعامل مع التراث النقدي، وكأنهم — فقط — لجأوا إلى التراث لهدف إضفاء شيء من الشرعية على كتاباتهم، بيد أنهم فقدوا الأهلية في كيفية التعامل مع التراث.

(١) المرايا المقعرة: ص ١٩٥.

## ثانياً - نظرات في سورة هود

القرآن الكريم عالمٌ واسع مترامي الأطراف، وبحرٌ خضمٌ في أحشائه الدرُّ كامن، ومنهلٌ عذب يرده كلُّ صاحب حاجة، وورد صافٍ يجد فيه الملهوف مراده، ويحقق هدفه، وحصناً دافئاً يرى فيه الكسير ملجأه، والمكروب مبتغاه.

إنَّ كلَّ سورة من سوره ترسم لنا سبيلاً مضيئاً، وكلَّ آية من آيه تخطُّ لنا درباً منيراً، وكلَّ كلمة من كلماته تنقش لنا زخرفاً عظيماً، وتضيء لنا سراجاً وهّاجاً، وكلَّ حرف من حروفه تقرُّ به عيوننا، وتطرب له أسماعنا، وتتغنّى به ألسنتنا، وتطمئن به قلوبنا، وتتّبت به أفئدتنا، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿لَا تَجْعَلْ لِحُكْمِكَ عَاداً يُحْذَرُ﴾ [هود: ١٢٠].

ولا تفترق سورة من سوره عن أخرى في سحر بيانها، ولا تتفاوت آية من آيه في عظمة بلاغتها، ولا تختلف كلمة من كلماته عن أختها في روعة رونقها، ولا تتباين حركة أو سكون من حركاته وسكناته عن أخرى من حيث سرُّ اختيارها، وسبب انتقائها.

وسورة هود عليه السلام كغيرها من سور القرآن الكريم، وهي وإن شبيبت الرسول صلى الله عليه وسلم تحمل بين طياتها الروعة والبهاء، وتخفي في باطنها البلمس والشفاء، ويستقر في أحشائها نور واضح، وبرهان ساطع، قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله! قد شبت قال: "شبيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، و﴿البقرة﴾" (١).

وفي رواية أخرى قيل يا رسول الله! قد شبت، قال: "شبيبتني هود وأخوانها" (٢). قال أبو عبد الله: فالفرع يورث الشيب؛ وذلك أن الفرع يذهل النفس فينشف رطوبة الجسد، وتحت كل شعرة منبع، ومنه يعرق، فإذا انتشف الفرع رطوبته يبست المنابع فيبس الشعر وبيض، كما ترى الزرع الأخضر بسقائه، فإذا ذهب سقاؤه يبس فابيض، وإنما يبيض شعر الشيخ لذهاب

(١) سنن الترمذي: الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب (١٢) من سورة هود. رقم الحديث (٣٢٩٧) - تعليق محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، د.ت، ص ٧٤٤.

(٢) مسند أبو يعلى الموصلي: للإمام الحافظ أحمد بن علي بن المثني التميمي، رقم الحديث (٨٨٠)، دار المأمون للتراث، دمشق - بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٠ م، ١٨٤/٢.

رطوبته وبيس جلده، فالنفس تذهل بوعيد الله، وأهوال ما جاء به الخبر عن الله، فتذبل، ويُشَفَّ ماءها، ذلك الوعيد والهول الذي جاء به فمنه تشيب" (١)

قال تعالى: ﴿ ۞ ﴾ [المزمّل: ١٧].

وسورة هود زاخرة بالفضائل، تنافس كثير من العلماء والمفسرين في ذكر مواطن الحسن، ومواضع الجمال فيها.

والسورة مزدانةً بالبلاغة، والمحسنات البديعية، فيها آية فاقت الفنون البلاغية التي جاء بها العرب في عدد كلماتها في إعجاز بلاغي رائع، ونظم بياني منقطع النظير، لا يدركه إلا رجلٌ رشيد، ولا يتذوقه إلا ذو عقلٍ سديد، ولا يتشربه إلا صاحب صبرٍ مديد، ولك أن ترتل قوله تعالى:

﴿ ۞ ﴾ [هود: ٤٤]؛ لتدرك أن هذا النظم الرائع، والبيان المعجز لا يستطيعه إلا الله المبدئ والمعيد، الفَعَّال لما يريد.

وهذه الآية تسع عشرة لفظة فيها أحد وعشرون نوعاً من البديع عدّها أبو حيان ثم قال: وروي أنّ أعرابياً سمعها فقال: هذا كلام القادرين.

وذكر الرماني عدّة من معانيها منها: "إخراج الأمر على جهة التعظيم لفاعله من غير معاناة ولا لغوب، ومنها حسن تقابل المعاني، ومنها حسن ائتلاف الألفاظ، ومنها حسن البيان في تصوير الحال، ومنها الإيجاز من غير إخلال، ومنها تقبل الفهم على أتم الكمال؛ والبلع: إجراء الشيء في الحلق إلى الجوف؛ والإقلاع: إذهاب الشيء من أصله حتى لا يبقى له أثر، والغيض: غيبة الماء في الأرض على جهة النشف، وإبراز الكلام على البناء للمفعول أدلّ على الكبرياء والعظمة للفاعل للإشارة إلى أنه معلوم؛ لأنّه لا يقدر على مثل هذه الأفعال غيره، ونقل الأصبهاني عن صاحب المفتاح فيها كلاماً أعلى من الجوهر" (٢).

وأورد صاحب الكشّاف بعضاً من محاسن قوله تعالى: ﴿ ۞ ﴾ قائلاً: "ولمّا ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية، ورقّصوا لها

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - ضبط وتعليق محمد إبراهيم الحفناوي - دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٦م، ٥/٩.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٩٩٥م، ٥٣٤/٣.

رؤوسهم، لا لتجانس الكلمتين؛ وهما قوله تعالى: ﴿ ۝١٤٥﴾ و﴿ ۝١٤٦﴾ - وذلك وإن كان لا يخلو الكلام من حسن فهو كغير الملتفت إليه بإزاء تلك المحاسن التي هي اللبّ وما عداها قشور" (١).

وقيل فيها أيضاً: "لو فتّش كلام العرب والعجم ما وجد فيه مثل هذه الآية على حسن نظمها، وبلاغة رصفها، واشتمال المعاني فيها" (٢).

أما صاحب بديع القرآن فقد نفى وجود مثلها قائلاً:

"وما رأيت ولا رويت في الكلام المنثور والشعر الموزون كآية من كتاب الله استخرجت منها أحداً وعشرين ضرباً من البديع، وعددها سبع عشرة لفظة" (٣).

وقد استطرد كثير من العلماء في ذكر غرائب هذه الآية التي أعجزت أرباب البلاغة وفصحاء البيان، وينقل لنا أبو حيان بعضاً من عظمتها قائلاً:

"في هذه الآية أحد وعشرون نوعاً من البديع المناسبة في قوله: ﴿ ۝١٤٥﴾ و﴿ ۝١٤٦﴾، والمطابقة بذكر الأرض والسماء، والمجاز في قوله:

﴿ ۝١٤٥﴾ المراد مطر السماء، والاستعارة في قوله: ﴿ ۝١٤٦﴾، والإشارة في قوله: ﴿ ۝١٤٦﴾ فإنها إشارة إلى معانٍ كثيرة، والتمثيل في قوله: ﴿ ۝١٤٦﴾ عبر بإهلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظة فيها بعد عن لفظه الموضوع له، والإرداف في قوله تعالى: ﴿ ۝١٤٦﴾ فقولهم: ﴿ ۝١٤٦﴾ كلام تام على الجودي مردفٌ قصداً للمبالغة في التمكن بهذا المكان، والتعليل في قوله: ﴿ ۝١٤٦﴾ فإن ذلك علة الاستواء وصحة التقسيم باستيعاب أقسام الماء في حالة نقصه إذ ليس إلا احتباس ماء السماء واحتقان ماء الأرض، وغَيْض الماء حاصل على ظهرها، والاحتراس في قوله: ﴿ ۝١٤٦﴾، وهو أيضاً ذم لهم ودعاء عليهم والإيضاح بقوله: ﴿ ۝١٤٦﴾ بيّن أنهم هم القوم الذين سبق ذكرهم في قوله:

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر

الزمخشري الخوارزمي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ٢٧٢/٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٤٣/٩.

(٣) بديع القرآن: ابن أبي الأصبع المصري - تحقيق حفني محمد شرف - نهضة مصر للطباعة والنشر

والتوزيع، القاهرة ١٩٥٧م، ص ٣٤٠.



"إني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قطُّ، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي، وخلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكوننَّ لقوله الذي سمعت منه نبأً عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزّه عزكم، وكنتم أسعد الناس به قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم"<sup>(١)</sup>.

وأكتفي في هذا الموطن بقول الباقلاني: "القرآن كتاب الله المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزّل من حكيم حميد، آيات وسور اشتملت على أمور الدين والدنيا، وانتظمت سعادة الأولى والآخرة ونزلت هدىً ونوراً للبشر كافة فقضت على الأوهام الباطلة والأساطير الكاذبة، والعبادات الضالة، والأديان المنحرفة، وأحالت الظلام ضياءً، والشقاء سعادةً واليأس أملاً، والضلال هدىً، والهمجية مدنية، والجهل علماً ومعرفةً وفناً وأدباً وثقافة"<sup>(٢)</sup>.

وقول الراجعي في وصف القرآن الكريم: "ألفاظ إذا اشتدت فأمواج البحر الزاخرة، وإذا هي لانّت فأنفاس الحياة الآخرة، تذكر الدنيا فمنها عمادها ونظامها وتصف الآخرة فمنها جنتها وصرامها، ومتى وعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك في وجوه الغيوب، وإن أوعدت بعذاب الله جعلت الألسنة ترعد من حمى القلوب. ومعانٍ بينا هي عذوبة ترويك من ماء البيان، ورقة تستروح منها نسيم الجنان، إذا هي بعد ذلك إطباق الحنان ونور تبصر به في مرآة الإيمان وجه الأمان، وبيننا هي ترف بندي الحياة على زهرة الضمير، وتخلق في أوراقها من معاني العبرة معنى العبير، وتهب عليها بأنفاس الرحمة فتتم بسر هذا العالم الصغير... ثم بينا هي تتساقط من الأفواه تساقط الدموع من الأجنان، وتدع القلب من الخشوع كأنه جنازة ينوح عليها اللسان، وتمثل للمذنب حقيقة الإنسانية حتى يظن أنه صنف آخر من الإنسان — إذا هي بعد ذلك إطباق السحاب وقد انهارت قواعده، والتمعت ناره، وقصفت في الجو رواعده، وإذا هي السماء وقد أخذت على الأرض ذنبها، واستأذنت في صدمة الفزع ربها، فكادت ترجف الراجفة تتبعها الرادفة: وإنما هي عند ذلك زجرة واحدة: فإذا الخلق طعام الفناء وإذا الأرض (مائدة). توهموا السحر ما توهموا فلما أنزل الله كتابه قالوا: هذا هو السحر المبين"<sup>(٣)</sup>.

(١) سيرة ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي — القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٥٥م، ٢٩٣/١، ٢٩٤.

(٢) إعجاز القرآن: للإمام القاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني — تحقيق السيد أحمد صقر، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ص ١٧.

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠٢م، ص ٢٨، ٢٩.

لقد بهر القرآن الكريم العرب ببلاغته، وأعجزتهم فصاحته وحكمته، ورأوا من خلاله النور مشرقاً وضياءً، وسمعوا السحر يهزُّ القلوب ويملأ الصدور، وعجبوا أيما عجب لأسلوبه الفذِّ الفريد، أسلوب جمع بين الجزالة، والسلاسة، والقوة، والعذوبة، وتدقيق البلاغة وحرارة الإيمان، وهو نمط فريد من البلاغة، والروعة، وجلالة الروح، وإشراق البيان، وجمال الديباجة، وقوّة المنطق، وعبقريّة التصوير والتعبير.

وعودة إلى سورة هود عليه السلام، فقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله أيضاً: "اقرأوا سورة هود يوم الجمعة"<sup>(١)</sup>، وقد قيل أيضاً: إنَّ الذي شَيَّب رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى:

﴿ نَبِيًّا نَذِيرًا ﴾ [هود: ١١٢].

قال ابن عباس: ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي أشدّ ولا أشقّ من هذه الآية عليه. وروي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا علي السري يقول: رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في المنام فقلت: يا رسول الله روي عنك أنك قلت: "شيبتي هود" فقال: "نعم" فقلت له: "ما الذي شيبك منها؟ قصص الأنبياء وهلاك الأمم! فقال: "لا" ولكن قوله: ﴿ نَبِيًّا نَذِيرًا ﴾ [هود: ١١٢]"<sup>(٢)</sup>.

وقد توقّف الإمام عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز عند قوله تعالى:

﴿ نَبِيًّا نَذِيرًا ﴾ [هود: ٤٤]. ثم أورد في الآية الكريمة قوله:

"وهل تشكُّ إذا فكرت في قوله تعالى: ﴿ نَبِيًّا نَذِيرًا ﴾ فتجلّى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع، أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وإن لم يعرض لها الحسن والشرف

(١) أخرجه الدارمي في كتاب فضائل القرآن، باب فضائل الأنعام والسور ٤٥٤/٢ .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ١١١/٩ .

إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة؟ وهكذا إلى أن تستقرّ بها إلى آخرها، وأن الفضل تتأتج ما بينها، وحصل من مجموعها"<sup>(١)</sup>.

ويواصل الجرجانيّ الحديث عن إعجاز النظم في هذه الآية الكريمة قائلاً:

"إن شككت فتأمل! هل ترى لفظةً منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها، وأفردت لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها من الآية؟ قل: ﴿OÉÀÇS﴾ واعتبرها وحدها، من غير أن تنظر إلى ما قبلها، وإلى ما بعدها وكذلك فاعتبر سائر ما يليها. وكيف بالشك في ذلك، ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض، ثم أمرت، ثم في أن كان النداء بـ (يا) دون (أي) نحو يأتيها الأرض، ثم إضافة الماء إلى الكاف دون أن يقال: ابلعي الماء، ثم أتبع نداء الأرض وأمرها بما هو شأنها، نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها، ثم أن قيل: وغيض الماء " فجاء الفعل على صيغة (فعل) الدالة على أنه لم يغيض إلا بأمر أمر، وقدرة قادر، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى: ﴿EÉF \$DÁÇE﴾ ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور وهو ﴿EÉA ÖNqFÇE﴾ ثم إضمار السفينة قبل الذكر كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن، ثم مقابلة ﴿@S%﴾ في الخاتمة بـ ﴿@S%﴾ في الفاتحة"<sup>(٢)</sup>.

ثم يلقي الجرجاني سؤالاً لا يحتمل إلا إجابة واحدة وهي: أننا لو قلبنا قواميس المعاني ومعاجم الألفاظ فإنه لا يمكن أن نلمح هذا الجمال البارع، والرونق الأخاذ خارج إطار القرآن الكريم. يقول:

"أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤها بالإعجاز روعة، وتحضرك عند تصورها هيبية تحيط بالنفس من أقطارها تعلقاً باللفظ من حيث هو صوت مسموع، وحروف تتوالى في النطق؟ أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب؟"<sup>(٣)</sup>.

(١) دلائل الإعجاز في علم المعاني: الإمام عبد القاهر الجرجاني - قراءة وتعليق محمود محمد شاكر - مكتبة

الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص ٤٥، ٤٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٦.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٦.



# الفصل الأول

## النظم القرآنيُّ والأسلوبية

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: النظم في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: جذور الأسلوبية في البلاغة العربية.

المبحث الثالث: النظر الأسلوبي في التراث العربي.

المبحث الرابع: الأسلوب والأسلوبية.

## المبحث الأول

### النظم في القرآن الكريم

تناولت كثير من المؤلفات القديمة والحديثة النظم، وتوسّعت هذه المؤلفات في طرح هذه النظرية، بيد أنه قبل التعرف إلى النظم وصوره في سورة هود عليه السلام نرى من الضروري أن نحدّد طبيعة النظم من الناحية النظرية، ويمكن تحقيق ذلك بتتبع الآراء التي وردت حول مفهومه في الدراسات اللغوية، والنقدية، والبلاغية، أضف إلى ذلك الآراء التي تناولت مهمته ووظيفته في الأساليب العربية عامة، وفي الأسلوب القرآنيّ خاصة. كذلك نرى في تحديد طبيعة النظم مفتاحاً مهماً للكشف عن أصول نظرية النظم في التراث العربي، ومصدراً حيويّاً يضع بين أيدينا مادة نستوحي من خلالها رؤية منهجية نختار وفقها المنهج الذي نتلمس من خلاله دراسة السورة الكريمة من الوجهة التطبيقية بين المناهج البلاغية المختلفة، كما أن ذلك يسهم مساهمة فعّالة في رصد الظواهر اللغوية، والأسلوبية، والبلاغية في هذه السورة.

#### مفهوم النظم في اللغة:

عُنيَت المعاجم اللغوية العربية أيّما عناية بأصل فكرة النظم، ومشتقاته، ودلالاته المعنوية، وهي الخيوط التي نسجت مفهومه العام، ورسمت معالمه، وساهمت في بلورة مفهومه الخاص المرتبط بالنقد والبلاغة.

فقد نقل لنا صاحب لسان العرب قوله: "النظم: التأليف، نظمُه ينظمه نظاماً ونظاماً، ونظمُه فانظم وتنظّم. ونظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك، والتنظيم مثله، ومنه نظمت الشعر ونظمته، ونظم الأمر على المثل. وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته. والنظم: المنظوم، وصف بالمصدر. والنظم: ما نظمته من لؤلؤ وخرز وغيرهما، واحدته نظمة. ونظم الحنظل: حبه في صيصائه.

والنظام: ما نظمت فيه الشيء من خيط وغيره، وكل شعبة منه وأصل نظام. ونظام كل أمر: ملاكه، والجمع أنظمة وأنظاميم ونظم. الليث: النظم نظمك الخرز بعضه إلى بعض في نظام واحد، كذلك هو في كل شيء حتى يقال: ليس لأمره نظامٌ أي لا تستقيم طريقته، والنظام: الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ، وكل خيط ينظم به اللؤلؤ فهو نظام. وجمعه نظمٌ؛ وقال: "مثل الفريد الذي يجري متى النظم"، وفعلك النظم والتنظيم، ونظمٌ من لؤلؤ، قال: وهو في الأصل مصدر، والانتظام: الاتساق. وفي حديث أشراف الساعة: "وآيات تتابع كنظامٍ بال قطع سلكه"، والنظام: العقد من الجواهر والخرز ونحوهما وسلكه خيطه.

والنظام: الهدية والسيرة. وليس لأمرهم نظام أي ليس له هدي ولا متعلق ولا استقامة. وما زال على نظام واحد أي عادة. وتناظمت الصخور: تلاحقت.

والنظامان من الضب: كشيئان منظومتان من جانبي كليتيه طويلتان، ونظاما الضبة وإنظاماها: كشيئاهما، وهما خيطان منتظمان بيضا يمتدان جانبيها من ذنبها إلى أذنها، ويقال: في بطنها إنظامان من بيض، وكذلك إنظاما السمكة، وحكي عن أبي زيد: أنظمتا الضب والسمكة، وقد نظمت ونظمت وأنظمت، وهي ناظم ومنظم ومنظم، وذلك حين تمتلئ من أصل ذنبها إلى أذنها بيضا. ويقال نظمت الضبة بيضا تنظيماً في بطنها، ونظمها نظاماً، وكذلك الدجاجة أنظمت إذا صار في بطنها بيض. والأنظام: نفس البيض المنظم كأنه منظوم في سلك. والإنظام من الخرز: خيط قد نظم خرزاً ويقال: جاءنا نظم من جراد، وهو الكثير. ونظم الحبل: شكّه وعقده. والنظام: شكائك الحبل وخله. وطعنه بالرمح فانتظمه أي اختله. وانتظم ساقيه وجانبيه كما قالوا: اختل فؤاده أي ضمها بالسنان؛ وقد روي: "لما انتظمت فؤاده بالمطرده" والرواية المشهورة اختلت فؤاده<sup>(١)</sup>.

أما الزمخشري فقد أورد في مفهوم النظم قوله: "نظمت الدرّ ونظّمته، ودرّ منظوم ومنظم، وقد انتظم وتنظّم وتناظم، وله نظمٌ منه، ونظام، ونظمٌ...."

وجاءنا نظم من جراد ونظام منه: صفّ. ونظمت الضبة والسمكة ونظمت فهي ناظم ومنظم: امتلأت من البيض، ونظمت النخلة: قبلت اللقاح، وخردلت: إذا لم تقبل<sup>(٢)</sup>.

ولم يبتعد الرازي عن ذلك يقول: "نظم اللؤلؤ جمعه في السلك وبابه ضرب (ونظّمه تنظيماً) مثله، ومنه نظم الشعر ونظّمه، والنظام الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ"<sup>(٣)</sup>.

وجاء في القاموس المحيط: "النظم: التأليف، وضم شيء إلى شيء آخر، والمنظوم والجماعة من الجراد وثلاثة كواكب من الجوزاء والثريا والدبران. ونظم اللؤلؤ ينظمه نظاماً ونظاماً ونظّمه: ألقه، وجمعه في سلك، فانتظم وتنظّم، وانتظمه بالرمح: اختله. والنظام: كل خيط يُنظّم به لؤلؤ ونحوه"<sup>(٤)</sup>.

(١) لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م، ٢٩٤/١٤.

(٢) أساس البلاغة: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ١٩٧٩م، ص ٤٦٣.

(٣) مختار الصحاح: الإمام أبو بكر بن عبد القادر الرازي، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة.

(٤) القاموس المحيط: الفيروز آبادي - تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، محمد نعيم العرقسوسي - مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة السادسة ١٩٩٨، ص ١١٦٢.

وأورد الجوهري: "نظمت اللؤلؤ، أي جمعته في السلك والتنظيم مثله. ومنه نظمت الشعر ونظّمته. والنظام: الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ. ونظم من لؤلؤ. وهو في الأصل مصدر. وجاءنا نظم من جراد، وهو الكثير. ويقال لثلاثة كواكب من الجوزاء نظم. والانتظام: الاتساق. وطعنه فانظّمه، أي اختله. والنظامان من الضب: كشيئان منظومتان من جانبي كليتيه طويلتان. وأنظمت الدجاجة: إذا صار في بطنها بيض"<sup>(١)</sup>.

أما صاحب المعجم الوسيط فأورد في معجمه قوله: "نظم الأشياء نظاماً: ألفها وضمّ بعضها على بعض، واللؤلؤ ونحوه: جعله في سلك ونحوه. ويقال: نظم الخواص الخوص: ضفره. وشعراً: ألف كلاماً موزوناً مقفياً. ويقال: نظم أمره: أقامه ورتبه. نظم الأشياء: نظمها، وانتظم الشيء: تألف واتسق، يقال: نظمته فانظّم. ويقال انتظم أمره: استقام. والأشياء: جمعها وضمّ بعضها إلى بعض"<sup>(٢)</sup>.

وتوسّع المعجم الوسيط في تحليل معنى النظم قائلاً: "يقال: رمى صيداً فانظّم ساقيه برمح، وهذان البيتان ينظّمهما معنى واحد. تناظمت الأشياء: تضامت وتلاصقت. يقال: تناظمت الصخور. تنظّم الشيء: انتظم. الإنظام: كل خيط نظم خرزاً. و- من البيوض: خيط في بطنها منظوم بيضاً. يقال: في بطن السمكة: إنظامان. و- البيض المنتظم نفسه. و- من الرمل: ما تعقد منه. الجمع أناطيم. النظام: الخيط ينظم فيه اللؤلؤ وغيره. و- الترتيب والاتساق ويقال: نظام الأمر: قوامه وعمارته. والطريقة. يقال: ما زال على نظام واحد. ومن البيوض: إنظامها. ويقال: جاءنا نظام من جراد: صف منه. و- من الرمل: إنظامه، والجمع نظم، وأنظمة. وأناطيم. النظم: المنظوم. يقال: نظم من لؤلؤ. ويقال: جاءنا نظم من جراد: صف منه. والكلام الموزون المقفّ، وهو خلاف النثر. ويقال: نظم القرآن: عبارته التي تشتمل عليها المصاحف صيغة ولغة. و- يطلق على بعض الكواكب المنتظمة، ومنها الثريا. النظيم: المنظوم. و- من كل شيء ما تناسقت أجزاؤه على نسق واحد. يقال: نظم من لؤلؤ. والجمع نُظْمٌ. والنظيمة من الحبل: إحدى طرائفه. والجمع نِظَامٌ. النُّظْمُ: كثير نظم الأشياء. والكثير الشعر"<sup>(٣)</sup>.

ولجأ بعض اللغويين - أحياناً - إلى التفريق بين التأليف والترتيب والتنظيم، فـ"التأليف يستعمل فيما يؤلّف على استقامة وعلى اعوجاج، والتنظيم والترتيب لا يستعملان إلا فيما يؤلّف على استقامة، ومع ذلك فإنّ بين الترتيب والتنظيم فرقاً هو أنّ الترتيب: هو وضع

(١) الصحاح. تاج العربية وصحاح العربية: إسماعيل بن حمّاد الجوهري - تحقيق أحمد عبد الرؤوف عطار -

دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٩٨٧، ٢٠٤١/٥ مادة "نظم".

(٢) المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس، محمد خلف الله أحمد وآخرون، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٢م، ١-٢/ ٩٧٣.

(٣) المصدر السابق: ١-٢/ ٩٧٣.

الشيء مع شكله، والتنظيم: هو وضعه مع ما يظهر به، ولهذا استعمل النظم في العقود والقلائد؛ لأنَّ خرزها ألوان يوضع كلُّ شيء منها مع ما يظهر به لونه"<sup>(١)</sup>.

وإذا أُنعمنا النظر في المعنى اللغوي للنظم يتضح لنا ارتباطه بدلالة مادية تطورت إلى دلالة معنوية، فنظم الخرز في السلك يحمل في طبيّاته جانباً جمالياً في حياة العربي، وطالما تغنى به الشعراء منذ العصر الجاهليّ، كما أن رؤية مشهد الكواكب التي تشبه الجواهر المنظومة في عقد تترك في النفس الراحة، والطمأنينة.

إنَّ نظم الشعر، ونظم الكلام له دلالة معنوية انبثقت من المعنى اللغويّ الماديّ، وقد أطلق النظم على نظم الشعر، ويورد الجوهري هذا المعنى في صحاحه قائلاً: "ومنه نظمت الشعر ونظّمته"<sup>(٢)</sup>.

أما ابن سيده فقد علّل سبب تسمية الشعر بالنظم بقوله: "قيل للشعر نظام لاتصاله واتساقه"<sup>(٣)</sup>. وتردّت عبارة (نظم القرآن) على السنة كثير من اللغويين كابن منظور، والجوهري، وابن سيده، والفيروز آبادي ... وغيرهم كثير .

ومن خلال هذه الرحلة القصيرة التي أبحرنا خلالها في مادة النظم في المعاجم العربية المشهورة، القواميس المعروفة يبدو أن المعنى في ظاهره متعدد، فقد ولد هذا الجنين ولادة مادية، ثم نما وترعرع ليحمل عدة دلالاتٍ معنوية منها نظم القرآن، ونظم الشعر، بيد أن المتأمل لهذه الدلالات والمعاني يجدها تدور في فلك واحد عند معظم اللغويين، وهو ضمّ الشيء إلى الشيء، مع مراعاة الائتلاف والتواؤم في هذا الضمّ، سواء أكان ذلك في ميدان الماديات، أم المعنويات.

### مفهوم النظم من الناحية السياقية:

قبل الغوص في بحار النظم في الاصطلاح يمكننا القول: إنَّ دراسة نظرية النظم في البلاغة العربية دراسة شريفة، وإنَّ دراسة النظم في القرآن الكريم — بالتأكيد — أعظم شرفاً؛ إذ تسهم هذه الدراسات في فتح آفاق جديدة لفهم القرآن الكريم من ناحية، وإدراك معانيه من ناحية أخرى، وسبر أغواره من ناحية ثالثة.

(١) الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري — تحقيق وتعليق محمد إبراهيم إسماعيل — دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٧م، ص ١٤٨، ١٤٩.

(٢) الصحاح: ٢٠٤١/٥.

(٣) المخصص: ابن سيده الأندلسي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت — لبنان، ٤٥٦/٢.

وقد تبحَّر كثير من العلماء في مناقشة مفهوم النظم معتمداً بعضهم على المعنى اللغويّ للإمام عبد القاهر الجرجانيّ، وقد أخذ النظم نصيباً وافراً على أيدي علمائنا قبل الإمام عبد القاهر الجرجانيّ، سواء على أيدي النحاة أو البلغاء أمثال ابن المقفّع، وسيبويه، والفراء، وبشر بن المعتمر، والجاحظ، وابن قتيبة، والسيرافيّ..... وغيرهم.

ولعلّ الإمام عبد القاهر الجرجانيّ من أبرز الذين تناولوا النظم معتمداً على المعنى اللغويّ، حيث ينتقل الجرجانيّ في تناوله النظم من معنى إلى معنى، فهو تارة يعني بالنظم تعليق الكلم بعضها ببعض، وتارة أخرى يرى أن النظم تأليف الكلام وفقاً لأبواب النحو المختلفة، ومعنى ذلك أننا حين ننطق بالكلمات والجمل. فلا بدّ أن تكون مرتبة ترتيباً مقبولاً ومعقولاً. وقد مهّد الجرجانيّ لذلك بالتفريق بين حروف منظومة، وكلم منظومة قائلاً: "وذلك أنّ نظم الحروف هو تواليها في النطق، وليس نظمها بمقتضى عن معنى، ولا الناظم لها بمقتضى في ذلك رسماً من العقل اقتضى أن يتحرّى في نظمها لها ما تحرّاه. فلو أن واضع اللغة كان قد قال (ربض) مكان (ضرب) لما كان في ذلك ما يؤدّي إلى فساد. وأما (نظم الكلم) فليس الأمر فيه كذلك؛ لأنها تقتضي في نظمها آثار المعاني، وترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس. فهو إذن نظمٌ يعتبر فيه حال المنظوم بعضه من بعض، وليس هو (النظم) الذي معناه ضمّ الشيء إلى الشيء كيف جاء واتّفق، ولذلك كان عندهم نظيراً للنسج، والتأليف، والصياغة، والبناء، والوشي، والتحبير وما أشبه ذلك، مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، حتى يكون لوضع كلّ حيث وضع، علّة تقتضي كونه هناك، وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح"<sup>(١)</sup>.

إنّ المتتبع للتفريق بين القولين السابقين: (حروف منظومة) و(كلم منظومة) يفيد من معرفة هذا الفرق. وينقل لنا ذلك الجرجانيّ قائلاً:

"والفائدة في معرفة هذا الفرق: أنك إذا عرفته عرفت أن ليس الغرض بنظم الكلم، أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها، على الوجه الذي اقتضاه العقل. وكيف يتّصور أن يقصد به إلى توالي الألفاظ في النطق، بعد أن ثبت أنه نظمٌ يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وأنه نظير الصياغة، والتحبير، والتفويف، والنقش، وكل ما يقصد به التصوير، وبعد أن كنا لا نشك في أن لا حال للفظ مع صاحبها تُعتبر إذا أنت عزلت دلالتها جانباً؟ وأي مساغ للشكّ في أن الألفاظ لا تستحق من حيث هي ألفاظ، أن تنظم على وجه دون وجه؟"<sup>(٢)</sup>.

(١) دلائل الإعجاز: ص ٤٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٩، ٥٠.

وتتوارد الأدلة عند الجرجاني على عدم إمكانية الفصل بين اللفظ والمعنى قائلاً:  
"لو كان القصد بالنظم إلى اللفظ نفسه، دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس، ثم  
النطق بالألفاظ على حذوها، لكان ينبغي أن لا يختلف حال اثنين في العلم بحسن النظم أو غير  
الحسن فيه؛ لأنهما يحسنان بتوالي الألفاظ في النطق إحساساً واحداً، ولا يعرف في ذلك شيئاً  
يجهله الآخر"<sup>(١)</sup>.

لقد ابتعد الجرجاني كثيراً في سبر أغوار النظم، وطرق أبواباً ربّما أوصدت في وجه  
غيره، وسلك سبلاً شتى حتى ليظن الدارس أنه لم يترك لغيره أي مجال يخوض فيه، ولم يدع له  
أيّ سبيل يسلكه، أو أيّ درب يقصده، أو أيّ أثر يقتفيه.

إنّ الجرجاني يرى أننا حينما ننطق بأية جملة فإنّ هذه الجملة تتركب من كلمات،  
وهذه التراكيب ناشئة عن المعاني التي تنتهي في نفوسنا وعبرنا عنها بهذه الألفاظ، والألفاظ لا  
تفيد حتى تولّف ضرباً خاصاً من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب  
والترتيب"<sup>(٢)</sup>.

ويستطرد الجرجاني في الحديث عن العلاقة بين المعاني، والألفاظ، واستحالة الفصل  
بينهما فـ "النظم الذي يتوآصفه البلغاء، وتتفاضل مراتب البلاغة من أجله، صنعة يستعان عليها  
بالفكرة لا محالة. وإذا كانت مما يستعان عليها بالفكرة، ويُستخرج بالرؤية فينبغي أن ينظر في  
الفكر، بماذا تلبّس؟ أبا المعاني أم بالألفاظ؟ فأيّ شيء وجدته الذي تلبّس به فكرك من بين المعاني  
والألفاظ، فهو الذي تحدث فيه صنعتك، وتقع فيه صياغتك ونظمك وتصويرك. فمحال أن تتفكر  
في شيء وأنت لا تصنع فيه شيئاً، وإنما تصنع في غيره. ولو جاز ذلك لجاز أن يفكر البناء في  
العزل؛ ليجعل فكره فيه وصلةً إلى أن يصنع من الأجر، وهو من الإحالة المفرطة، فإن قيل:  
النظم موجود في الألفاظ على كلّ حال، ولا سبيل إلى أن يعقل الترتيب الذي ترعّمه في  
المعاني، ما لم تنظم الألفاظ ولم ترتبها على الوجه الخاص"<sup>(٣)</sup>.

أعود وأقول: إنه لا بدّ للنظم من أمرين اثنين، وقد أقرّ ذلك القدماء والمحدثون،  
وتوسّعوا في تناوله، فلا تتصور الألفاظ دون المعاني، ولا العكس "فإن تصورت الأول فقل ما  
شئت، واعلم أن كل ما ذكرناه باطل، وإن لم تتصور إلا الثاني، فلا تخدعن نفسك

(١) دلائل الإعجاز: ٥١.

(٢) أسرار البلاغة: الإمام عبد القاهر الجرجاني - تحقيق محمد رشيد رضا والشيخ أسامة صلاح الدين

منيمنة - دار إحياء العلوم، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، ص ١٠.

(٣) دلائل الإعجاز: ٥١.

بالأضاليل، ودع النظر إلى ظواهر الأمور، واعلم أن ما ترى أنه لا بد منه من ترتب الألفاظ وتواليها على النظم الخاص، ليس هو الذي طلبته بالفكر، ولكنه شيء يقع بسبب الأول ضرورة، من حيث إن الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني، فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولاً في النفس، وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولاً في النطق. فأما أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب، وأن يكون الفكر في النظم الذي يتوآصفه البلغاء فكراً في نظم الألفاظ، أو أن تحتاج المعاني إلى فكر تستأنفه لأن تجيء بالألفاظ على نسقها، فباطل من الظن، ووهم يتخيل إلى من لا يوفي النظر حقّه. وكيف تكون مفكراً في نظم الألفاظ، وأنت لا تعقل لها أوصافاً وأحوالاً إذا عرفتّها عرفت أن حقّها أن تنظم على وجه كذا؟<sup>(١)</sup>.

ومن الأمور التي لا يمكن أن يتصورها صاحب لب؛ فصل اللفظ عن المعنى ويورد الجرجاني أنه "لا يُتصور أن تعرف للفظ موضعاً من غير أن تعرف معناه، ولا أن تتوحي في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبياً ونظماً، وأنت تتوحي الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك، فإذا تمّ ذلك أتبعته الألفاظ وقوت بها آثارها، وأنت إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني، وتابعة لها، ولاحقة بها، وأنّ العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق"<sup>(٢)</sup>.

وشارك كثير من المحدثين الجرجاني الرأي في أنه لا بد للنظم من أمرين اثنين: "والنظم إذن لا بد له من أمرين اثنين: المعنى الذي نريد التحدث عنه، ثم اللفظ الذي نعبر به عن هذا المعنى، فإذا اختلف المعنى الذي نريد التعبير عنه، فلا بد أن يختلف اللفظ، حتى إن كانت مادته واحدة، هناك إذن الصورة والمعنى الذي نعبر عنه بهذه الصورة"<sup>(٣)</sup>.

إنّ الحقيقة التي لا يمكن أن ينكرها أحد أن النظم يقتضي أن تسير الألفاظ والمعاني على خط واحد؛ لتوافق الألفاظ التي تنطق بها، وتعبر عنها المعاني التي تتوآها.

(١) دلائل الإعجاز: ص ٥٢، ٥٣.

(٢) المصدر السابق: ص ٥٣، ٥٤.

(٣) البلاغة فنونها وأفنانها — علم المعاني: فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان — الأردن،

الطبعة السابعة ٢٠٠٠م، ص ٨٧.



إنَّ النظم عملية فكرية لا بدَّ له من شيئين: "أولاً: ترتيب المعاني في النفس. ثانياً: ترتيب الألفاظ في النطق. ونذكر كذلك أنَّ النظم شيء غير اللفظ والمعنى"<sup>(١)</sup>.

وهذا ما نقرؤه في قول الإمام عبد القاهر الجرجانيّ في توضيح مفهوم النظم: "... والفائدة في معرفة هذا الفرق، أنك إذا عرفتَه، عرفت أن ليس الغرض بنظم الكلم أن توالى ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالاتها، وتلاقت معانيها، على الوجه الذي اقتضاه العقل"<sup>(٢)</sup>.

ولم يختلف محمد مندور عن سابقه عند تناوله فكرة النظم عند الإمام عبد القاهر وإن كان يرى: "أنَّ الفكرة ابتدأت عند الجرجاني بنظرة فلسفية في اللغة، حيث تحدّث عن دلالات اللفظ وحكمه في المواصفة، وتأثيره مفرداً ومركباً، ثم انتهى إلى الذوق الشخصي الذي هو المرجع الأخير لكلِّ باحثٍ ودارس"<sup>(٣)</sup>.

أما تمّام حسان فيطرح معنى النظم قائلاً:

"النظم — كما فهمه عبد القاهر — هو نظم المعاني النحوية في نفس المتكلم، لا بناء الكلمات في صورة جملة"<sup>(٤)</sup>.

إنَّ الإمام عبد القاهر الجرجانيّ نظر إلى البلاغة نظرة تخالف نظرة البلاغيين خاصة هؤلاء الذين قسّموا البلاغة إلى علوم ثلاثة هي؛ المعاني، والبيان والبديع. أما الجرجانيّ فقد كان ينظر إلى البلاغة على أنها علم واحد أساسه (النظم) الذي تتفرع منه مسائل المعاني؛ ومن هذه المعاني تتكون الصور البيانية الرائعة؛ من تشبيه، ومجاز، وكناية، واستعارة وتمثيل — على حدّ الاستعارة — متضمناً قيماً جمالية؛ راجعة إلى جمال المعاني قبل أن تكون زينة للألفاظ"<sup>(٥)</sup>.

وقبل أن يتطرق عبد القاهر الجرجانيّ إلى شرح نظريته في النظم قدّم لها بمقدمات تتلخص فيما يلي:<sup>(٦)</sup>

أولاً — أنه لا تفاضل بين كلمة وأخرى في الدلالة على المعنى قبل دخولها في نظم الكلام.

(١) إعجاز القرآن الكريم: فضل حسن عباس وآخرون، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان — الأردن ١٩٩١م، ص ٧١.

(٢) دلائل الإعجاز: ٤٩، ٥٠.

(٣) في الميزان الجديد: محمد مندور، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ١٩٧٧م، ص ١٩٣.

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٧٩م، ص ١٨٧.

(٥) النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق: حسن إسماعيل عبد الرازق، دار الطباعة المحمدية — القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٣م، ص ٨٤، ٨٥.

(٦) المصدر السابق بتصريف: ص ٨٣، ٨٤.

ثانياً – أن ترتيب الألفاظ في النطق يكون على حسب ترتيب المعاني في النفس، وذلك لا يتصور أن تعرف للفظ موضعاً من غير أن تعرف معناه، كما لا يتصور أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبياً ونظماً.

ثالثاً – لا نظم في الكلم حتى يعلق بعضها ببعض ويبني بعضها على بعض.

رابعاً – المزية في النظم للمعنى، وليست للفظ؛ ولهذا فإنه يرد على من يرجعون المزية في النظم إنما هي للمعنى وليست للفظ؛ حتى يتفرغ لتفصيل أمر هذه المزية، وبيان الجهات التي تعرض منها.

خامساً – ثمرة النظم هي: تصوير المعنى، وأن هذا التصوير إنما يتألق في أروع صورته إذا جاء عن طريق الصور البيانية الأخاذة، كالكنائية، والمجاز. وإذا أنعمنا النظر في حقيقة نظرية النظم عند الجرجاني وكنهها يبدو لنا – جلياً – أنها في أصل وضعها ما هي إلا نظرية في الإعجاز القرآني تولد عنها – بعد تطورها – ثالث أهم علوم البلاغة وهو؛ علم المعاني.

ويرسم لنا الإمام عبد القاهر الجرجاني أهم ملامح فكرة النظم، ففلسفة عبد القاهر البيانية تنهض على أساس فكرة النظم، والنظم عنده ما هو إلا مجموعة من العلاقات بين أفراد الكلم، ويورد الإمام هذا المعنى قائلاً: "معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها سبب من بعض، والكلم ثلاث: اسم، وفعل، وحرف، وللتعلق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بها"<sup>(١)</sup>. ثم يمضي في توضيح كلامه، والتمثيل له قائلاً: "فهذه هي الطرق والوجوه في تعلق الكلم بعضها ببعض، وهي معاني النحو وأحكامه"<sup>(٢)</sup>.

وعلى الرغم من مخالفة الإمام الجرجاني لبعض العلماء، إلا أنه لا يخرج عن خط هؤلاء العلماء في كون نظريته وليدة دافع ديني يتمثل في إثبات صفة الإعجاز للقرآن الكريم، وخاصة الإعجاز البلاغي، فردّ الشبه التي تعترض طريق هذا الإعجاز، ورفض بعض وجوه الإعجاز التي يتبرأ منها المسلمون كالقول بالصرفة.

لقد تميّز الجرجاني عن غيره، إلا أن ما يميّزه عن سابقيه في معالجة النظم؛ تحديد موضوعاته تحديداً دقيقاً، وكشف الغموض عن بعض المصطلحات في مباحثه، وجعله علماً قائماً بذاته بعد أن كان مزقاً، وشذرات متناثرة في مصادر مختلفة، وألبسه ثوباً قشيباً من بيانه الرائع، فخرج على يديه نظرية متكاملة.

(١) دلائل الإعجاز: المدخل، ص ٤.

(٢) المصدر السابق: المدخل، ص ٨.

كما أنّ من الأمور الجديرة بالتنبيه؛ أنّ عبد القاهر الجرجاني قد أفاض كثيراً في التطبيق على هذه النظرية، وأكثر من الأمثلة والشواهد عليها، حيث أفرغ في ذلك جهداً كبيراً، وعناءً متواصلًا؛ كي يوضحها للناس، ويقنعهم بصحتها، وهذا الأمر ضروري؛ لأنّ مسائل هذا العلم إن لم تؤيّد بالأمثلة والشواهد لا تتضح حقّ الوضوح، ولا تتمثّل في الأذهان تمام التمثّل.

لقد لجأ الإمام عبد القاهر إلى توضيح فكرة النظم عن طريق أبيات من نظمه؛ هي<sup>(١)</sup>:

وَيَواصِلُ قَائِلًا: إِنِّي أَقُولُ مَقَالًا لَسْتُ أَخْفِيهِ  
وَلَسْتُ أَرْهَبُ خَصْمًا، إِن بَدَأَ فِيهِ  
مَا مِنْ سَبِيلٍ إِلَى إِثْبَاتِ مُعْجَزَةٍ  
فِي النِّظْمِ، إِلَّا بِمَا أَصْبَحْتُ أَبْدِيهِ  
فَمَا لِنِظْمِ كَلَامِ أَنْتَ نَاظِمُهُ  
مَعْنَى سِوَى حُكْمِ إِعْرَابِ تَرْجِيئِهِ

ثم هو قصدي أن يقال لهم وَلَيْسَ مِنْ مَنْطِقٍ فِي ذَلِكَ يَحْكِيهِ؟  
بِمَا يَجِيبُ الْفَتَى خَصْمًا يُمَارِيهِ  
وَقَدْ عَلِمْنَا بِأَنَّ النِّظْمَ لَيْسَ سِوَى  
حُكْمٍ مِنَ النِّحْوِ نَمُضِي فِي تَوْخِيئِهِ

لقد دار خلاف كبير بين النقاد حول اللفظ والمعنى، حيث تعددت أقوالهم، وتباينت آراؤهم، وانقسموا في ذلك إلى طوائف، فمنهم من انتصر للفظ، فيرجع مقومات الفصاحة والبلاغة إليه، وطائفة ثانية انتصرت للمعنى، وثالثة تسوّي بين اللفظ والمعنى معاً، أما عبد القاهر الجرجاني فقد ألغى هذه الثنائية بين اللفظ والمعنى، فلم يرجع الفصاحة إلى أحد منهما، وإنما أرجع الفصاحة والبلاغة والإعجاز القرآني إلى النظم. فالألفاظ المنفردة من وجهة نظره، لا توجب فضيلة ولا إعجازاً للقرآن؛ لأنها ليست من الأمور المستحدثة على العرب، بل كانوا يستخدمونها ويعبرون بها قبل نزول القرآن، وأقصى ما يكون التفاضل بين اللفظين أن يكون أحدهما مألوفاً متداولاً، والآخر غريباً وحشياً، وإنما يكون التفاضل عند تضام الألفاظ وتآلفها وتناسقها. ويورد الجرجاني ذلك قائلاً: "وهل يقع في وهم وإن جهّد، أن تتفاضل الكلمتان المفردتان، من غير أن يُنظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم، بأكثر من أن تكون هذه مستعملة مألوفة، وتلك غريبة وحشية وأن تكون حروف هذه أخفّ، وامتزاجها أحسن، ومما يكُدُّ اللسان أبعد؟"<sup>(٢)</sup>، ويواصل فيقول: "وهل تجد أحداً يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلا وهو يعتبر

<sup>(١)</sup> دلائل الإعجاز: المدخل، ص ١٠ .

<sup>(٢)</sup> المصدر السابق: ص ٤٤ .

مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها وفصل مؤانستها لأخواتها؟<sup>(١)</sup> ثم ينتهي بعد أن يأتي بالأمثلة الموضحة والشواهد الكاشفة إلى أنه "قد اتضح اتضاحاً لا يدع للشك مجالاً، أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلمٌ مفردة، وأن الفضيلة وخلافها، في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك، مما لا تعلق له بصريح اللفظ."<sup>(٢)</sup>، فالنصوص السابقة تظهر — بلا أدنى شك — أن الكلمة ليس لها قيمة قبل دخولها النظم وضمها إلى أخواتها، وبينني على ذلك أن الكلمة لا يحكم عليها خارج النص.

لقد شنَّ الجرجاني هجوماً عنيفاً على من يقدّم الشعر بسبب معناه، ويقصد بالمعنى هنا: ما يقابل اللفظ، وقد نفى أن يكون الإعجاز في معاني الألفاظ المفردة، ويصرح قائلاً: "واعلم أن الداءَ الدوي، والذي أعيب أمره في هذا الباب، غلط من قدّم الشعر بمعناه، وأقلّ الاحتفاظ باللفظ، وجعل لا يعطيه من المزية إن هو أعطى إلا ما فضل عن المعنى يقول: ما في اللفظ لولا المعنى؟ وهل الكلام إلا بمعناه؟ فأنت تراه لا يقدّم شعراً حتى يكون قد أُودع حكمةً وأدباً، واشتمل على تشبيه غريب، ومعنى نادر"<sup>(٣)</sup>.

إنَّ حروف الكلمات في القرآن الكريم لم تكن جديدة على العرب، بل هي نفسها التي كانوا يستعملونها، ويركّبون منها كلامهم، كما تحمل الصفات عينها، وعلى هذا لا يمكن أن تحمل سرّاً بلاغياً للإعجاز؛ لأنَّ ذلك "يؤدي إلى المحال وهو أن تكون الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة، قد حدثت في مذاقة حروفها وأحداثها أوصاف لم تكن؛ لتكون تلك الأوصاف فيها قبل نزول القرآن، وتكون قد اختصت في أنفسها بهيئات وصفات يسمعها السامعون عليها إذا كانت متلوّة في القرآن، لا يجدون لها تلك الهيئات والصفات خارج القرآن"<sup>(٤)</sup>.

ونفى الجرجاني كذلك أن يكون الإعجاز بالحركات، والسكنات، ويتضح ذلك لنا إذا أنعمنا النظر في قوله: "ولا يجوز أن يكون هذا الوصف في ترتيب الحركات والسكنات، حتى كأنهم تحدّوا إلى أن يأتوا بكلام تكون كلماته على تواليه في زنة كلمات القرآن، وحتى كأن الذي بان به القرآن من الوصف في سبيل بينونة بحور الشعر بعضها من بعض؛ لأنّه يخرج إلى ما تعاطاه مسيلمة من الحمافة في: (إنّا أعطيناك الجماهر، فصلٌ لربك وجاهر). (والتاحنات طحناً)"<sup>(٥)</sup>.

(١) دلائل الإعجاز: ص ٤٤.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٦.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٥١، ٢٥٢.

(٤) المصدر السابق: ص ٣٨٦.

(٥) المصدر السابق: ص ٣٨٧.

كما أنكر الجرجاني أن يكون الوصف بالإعجاز حاصلًا عن طريق المقاطع والفواصل، وذلك؛ "لأنه ليس بأكثر من التعويل على مراعاة وزن، وإنما الفواصل في الآي كالفوافي في الشعر، وقد علمنا اقتدارهم في الشعر كيف هو"<sup>(١)</sup>.

وإلى جانب ذلك رفض الجرجاني أن يكون الإعجاز في الاستعارة، والكناية، "ولا يمكن أن تجعل (الاستعارة) الأصل في الإعجاز وأن يقصر عليها؛ لأن ذلك يؤدي إلى أن يكون الإعجاز في أي معودة في مواضع من السور الطوال مخصوصة، وإذا امتنع ذلك فيها، ثبت أن (النظم) مكانه الذي ينبغي أن يكون فيه"<sup>(٢)</sup>.

ولا تطرد الاستعارة والكناية في جميع الآيات، مما يؤدي إلى حصر الإعجاز في مساحة ضيقة محدودة، وإنما جعل الصور من مؤكّدات النظم وشواهد، وقد ابتعد الجرجاني كثيراً عن الغريب، فلم يعترف بالغريب من الكلمات ليكون وجهاً للإعجاز، فالغريب قليل وروده في القرآن، والدليل أنك تقرأ السورة من السور الطوال فلا تجد فيها من الغريب شيئاً. ثم إنه لو كان أكثر ألفاظ القرآن غريباً، لكان محالاً أن يدخل ذلك في الإعجاز، وأن يصح التحدي به، ذلك؛ لأنه لا يخلو إذا وقع التحدي به من أن يتحدّى من له علم بأمثاله من الغريب، أو من لا علم له بذلك. فلو تحدّى به من يعلم بأمثاله، لم يتعذر عليه أن يعارضه بمثله"<sup>(٣)</sup>.

والسؤال الذي يطرح هنا: إذا كان إعجاز النص أو فصاحته لا تأتي من قبل حروفه، ولا من قبل ألفاظه، ولا معانيه، ولا في ترتيب حركاته وسكناته، ولا في مقاطعه وفواصله، ولا في الغريب فيه، بم يكون الإعجاز؟ وكيف يكون؟

يجيب الإمام الجرجاني: بأنه يكون بالنظم. ولكن كيف يكون هذا النظم معجزاً؟

لقد سعى الجرجاني سعياً حثيثاً إلى سبيل توضيح نظريته في النظم، إذ ربط بين البلاغة باعتبارها فناً قولياً، وبين بقية الفنون الجميلة، كالرسم، والنحت، والتصوير، والنقش، وصناعة الحلي، بجامع أن كلاً منها بحاجة إلى دقّة صنع وإحكام نسج، وذوق رفيع يتحلّى به الصانع، ويمكن إدراك ذلك إذا دققنا النظر في قول الإمام عبد القاهر الجرجاني:

(١) دلائل الإعجاز: ص ٣٨٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٩١.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٩٧.

"وكذلك كان – يقصد نظم الكلم – عندهم نظيراً للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتعبير، وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، حتى يكون لوضع كلِّ حيثٍ موضعٌ علّةٌ تقتضي كونه هناك، وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح"<sup>(١)</sup>.

لقد أصاب الجرجانيّ الهدف بهذه الموازنة بين النظم وبين تلك الفنون ، فوجه الشبه بينهما – كما هو ظاهر – التآلف والتناسق والانسجام، وحاجة الأجزاء لبعضها البعض، واعتبار الموقع في كلِّ جزئية من جزئيات الإطار العام، بحيث لو تغيّر مكانها بحذف أو تقديم أو تأخير اختلَّ النظم أو تغيّر معناه، أو فسد وضع ذلك الفن الجميل.

إنَّ أحدًا لا يستطيع أن ينكر الجهود الجبّارة التي بذلها الجرجانيّ، بيد أن من أهم الجهود المحمودة له أن حدّد – بعقليته الفذة – موضوعات النظم الذي هو أصل علم المعاني تحديداً دقيقاً حتى إن من تبعه لم يضيف إلى تلك الموضوعات أيّ جديد، وتتجلى مباحث النظم وأبوابه في قوله:

"واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمت فلا تخلّ بشيء منها. وذلك أنا لا نعلم شيئاً يقصده الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيد منطلق، وزيد ينطلق... إلخ، وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك: إن تخرج أخرج، وإن خرجت خرجت...، وفي الحال الوجوه التي تراها في قولك: جاءني زيد مسرعاً، وجاءني زيد يسرع... فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويجيء به حيث ينبغي له.

وينظر في الحروف التي تشترك في معنى واحد ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيضع كلاً من ذلك في خاص معناه... وينظر في الجمل التي تُسرد فيعرف موضع الفصل منها من موضع الوصل.... ويتصرف في التعريف والتتكير، والتقديم والتأخير في الكلام كلاً، وفي الحذف والتكرار والإضمار والإظهار، فيصيب بكل من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له. هذا هو السبيل، فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً، وخطؤه إن كان خطأً إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم؛ إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه، أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما وضع له."<sup>(٢)</sup>.

(١) دلائل الإعجاز: ص ٤٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٨١ – ٨٣.

وتتبع أهمية النص السابق؛ لأنَّ الجرجانيّ جمع فيه مباحث علم المعاني، ولم ينقص من هذه المباحث إلا صور الإنشاء (الطلب) رغم أنَّ مباحثه منشورة في إبداعه: (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة).

ويظهر لنا من خلال تتبُّع نظرية النظم عند الجرجاني أن النظم عنده يقوم على ثلاثة عناصر: المعاني النحوية أو معاني النحو، والاختيار، والتأليف.

أمَّا الاختيار فيكون على مستوى الأداة، وعلى مستوى الكلمة، ويقصد به على مستوى الأداة أنَّ في اللغة أدوات كثيرة ومتنوعة، وهذه الأدوات تساعد في أداء المعنى، ومنها أدوات النفي، والاستفهام، والتوكيد، وغيرها، وتختلف معانيها وفقاً لاختلاف أنواعها. بل يوجد هناك في النوع الواحد منها، ينتج عنه فروق دقيقة في معانيها، ولا يعرف هذه الفروق إلا من يتعمَّق في دراسة اللغة وأصولها. وحين يريد الإنسان بناء عباراته فعليه أن يختار من الأدوات ما يناسب المعنى الذي يريد التعبير عنه بدقَّة متناهية<sup>(١)</sup>.

أمَّا الاختيار على مستوى الكلمة فهو من الأمور الهامة في بناء الأسلوب؛ لأنَّ الأسلوب ما هو إلا كلمات مجموعة بطريقة معينة لأداء فكرة معينة، ويكون الأداء على مستوى الكلمة بمعناها النحويّ الذي يناسب المعنى المراد توصيله للآخرين، أي هل هذه الكلمة اسم أو فعل؟، وإذا كانت اسماً فمن أيّ أنواع الأسماء؟ وإن كانت فعلاً فمن أيّ أنواعه؟ وهكذا<sup>(٢)</sup>.

والعنصر الثالث من عناصر النظم هو التأليف ويراد به: "وضع كلِّ كلمة في مكانها المناسب من العبارة وفقاً لمعناها النحوي"<sup>(٣)</sup>.

إنَّ توفر الأداة والكلمة لا يكفيان لبناء الأسلوب، بل لابدَّ من التأليف والتنسيق فيما بينهما، فهما يشكّلان المواد الخام للبناء الفنيّ، وعن طريق التأليف القائم على معاني النحو يتمُّ التوفيق بين المعاني النفسية المراد التعبير عنها، وطريقة الأداء اللغويّ.

ويكون التّأليف على مستوى الجملة، ومن مباحثه التقديم والحذف، ويكون على مستوى الجمل ويدخل تحته مبحث الفصل والوصل<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث: أحمد درويش، مكتبة الزهراء - القاهرة، ص ٢٤.

(٢) المصدر السابق: ص ٦٦، ٦٧.

(٣) المصدر السابق: ص ٤١.

(٤) المصدر السابق: ص ١٢٠ - ١٤٦.

وبهذه الآراء يتكشف الغطاء عن نظرية النظم عند شيخ البلاغة الإمام عبد القاهر الجرجاني، وهذه النظرية التي تكمن أهميتها في صلاحيتها لتفسير إعجاز القرآن الكريم، وتطرد في كلِّ سورة من سوره، بل في كل آية من آياته الكريمة.

ولا يتوقّف الأمر عند هذا الحدّ في كشف الإعجاز القرآني و إظهاره، بل يتجاوز ذلك فيضطلع بالكشف عن جماليات الإبداع الأدبي في النصوص العربية الأخرى شعرها ونثرها. ويؤيد ذلك مئات الأمثلة المثبتة في كتب الإمام عبد القاهر الجرجاني .

إنّ مفهوم النظم عند النقاد والبلاغيين اختلف باختلاف مواقف هؤلاء العلماء، وتتوّع مشاربهم، وافتراق أدواقهم، ومعالجتهم لأساليب الكلام، غير أنّ الظاهر أنّ معظم هؤلاء يقترب تناولهم للنظم من معناه المعجمي الذي ينطلق منه، أو يتكى عليه.

وقد ترددت كلمة النظم على ألسنة البلغاء، وتقلت على أقلام النحاة قبل الإمام عبد القاهر الجرجاني، ولم يكن للإمام عبد القاهر الجرجاني السبق في النظم، ولكن يرجع الفضل له في إحالة مفهوم النظم إلى نظرية بلاغية كبرى، وأكاد أجزم – ويشاركني في ذلك الكثير – إنّ الإمام عبد القاهر لم يضيف إلى مفهوم النظم شيئاً جديداً، ولكنه جعل هذا المفهوم إطاراً عاماً تدور حوله البلاغة برمتها.

إنّ الأدلّة على شيوع النظم قبل الإمام الجرجاني كثيرة وخاصة على ألسنة النحاة، ولعلّ أول الإشارات إلى النظم وردت على لسان الكتّاب من الأدباء عبارة ابن المقفع (ت ١٤٢هـ) التي عقد فيها مقارنة بين الماديات، والمعنويات، أو بمعنى أدقّ بين عمل الأديب، وعمل الصايغ، فالأول ينظم أجود الكلام، والثاني ينظم الزبرجد والياقوت في قلائد وسموط، يقول: "فإذا خرج الناس من أن يكون لهم عمل أصيل، وأن يقولوا قولاً بديعاً، فليعلم الواصفون المخبئون أن أحدهم، وإن أحسن وأبلغ، ليس زائداً على أن يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتاً، وزبرجداً، ومرجاناً، فنظمه قلائد، وسموطاً، وأكاليل، ووضع كلّ فصّ موضعه، فسمي بذلك صائغاً رقيقاً، وكصاغة الذهب والفضة، صنعوا فيها ما يعجب الناس من الحلي والأنية، وكالنحل وجدت ثمرات أخرجها الله طيبةً، وسلكت سبلاً جعلها الله ذللاً، فصار ذلك شفاءً وطعاماً وشراباً منسوباً إليها، مذكوراً به أمرها وصنعتها"<sup>(١)</sup>.

والظاهر من هذا الحديث انسجام نظرة ابن المقفع مع المدلول اللغويّ لكلمة (نظم). ولعلّ كثيراً من البلاغيين تمثّلوا رأي ابن المقفع، وتداولوه في كتاباتهم دون الإشارة إلى ذلك.

(١) الأدب الكبير والأدب الصغير: عبد الله بن المقفع، دار صادر بيروت، ١٩٦٤م، ص ١٢٨، ١٢٩.



وقد استطرده سيبويه (ت ١٨٠هـ) في لفظ البناء الذي يدلُّ على معنى النظم، فالجمل عندما تنتظم كلماتها تكون بناءً متراصاً، وجسداً متماسكاً، ورباطاً مشدوداً، وقد طرح ذلك في أبواب كثيرة، ففي باب المسند والمسند إليه يطرح ذلك قائلاً:

"وهما لا يغني واحدٌ منهما عن الآخر، لا يجد المتكلم منه بدءاً، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه، وهو قولك: عبد الله أخوك، وهذا أخوك، وقبل ذلك: يذهب عبد الله، فلا بدّ للفعل من الاسم، كما لم يكن للاسم الأول بدءٌ من الآخر في الابتداء"<sup>(١)</sup>.

ويحسب لسيبويه السبق في الوقوف عند الجملة، وما يحدث فيها من تقديم وتأخير، أو حذف وذكر، أو فصل ووصل، ونقل عنه النحاة والبلاغيون والنقاد أصوله، وبنوا عليها نظرياتهم، "غير أن سيبويه والنحاة لم يسموا ذلك نظماً، وإنما هي قواعد تسير عليها العرب في كلامها أو إنشائها، ولا يعني هذا أن ننسب إلى سيبويه والنحاة نظرية النظم التي يريد بعض المعاصرين ربطهم بها ربطاً يجرّد البلاغيين — وعلى رأسهم الإمام عبد القاهر الجرجاني — من الأصالة والتجديد"<sup>(٢)</sup>.

ولم يقف سيبويه عند علم المعاني، فقد تناول في علم البيان؛ التشبيه، والاستعارة، والكناية والمجاز، وفي البديع تناول تأكيد المدح بما يشبه الذم.

وما تناوله سيبويه يعدُّ لبنةً من اللبنة الأولى في مسيرة النظم، والتي تدرجت في مستواها حتى بلغت ذروتها الجمالية، وغايتها الفنية عند الإمام عبد القاهر الجرجاني.

وبسبب هذه الإسهامات البلاغية الوفيرة بالغ بعض الباحثين حين عدّ سيبويه واضعاً لعلمي المعاني، والبيان؛ وذلك حين طرح مبحثاً بهذا العنوان مستنداً إلى الأدلة والشواهد من كتاب سيبويه<sup>(٣)</sup>.

ويمكن الردّ على ذلك وحسب وجهة نظر الكثيرين أنّ هذا التعميم غير دقيق، وإطلاق من غير تمحيص، ولكننا لا ننكر فضل سيبويه في هذا الميدان، ولا نخفل أثره في هذا المضمار، غير أنّ كثرة الأمثلة التي ذكرها المؤلف من إشارات سيبويه البلاغية لينصبها أدلة على مقولته تلك؛ وهي أن سيبويه واضع لعلمي المعاني والبيان، لا تعدو أن تكون شذرات

(١) الكتاب: سيبويه (عمرو بن عثمان بن قنبر) — تحقيق عبد السلام هارون — ط١، دار الجيل، بيروت — لبنان، ٢٣/١.

(٢) عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده: أحمد مطلوب، ط١، وكالة المطبوعات، الكويت، ص ٥٢.

(٣) انظر تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها: أحمد مصطفى المراغي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٥٠م، ص ٤٣.

متناثرة، ونسمات متفرقة هنا وهناك، تداخلت مع مسائل النحو والصرف، ولكنها لم ترق لتأخذ صفة القواعد العلمية الدقيقة المدعمة بما يثبت صحتها.

أمّا أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧ هـ) فقد عني في كتابه (معاني القرآن) بشرح آيات القرآن الكريم، وبسط الكلام في التراكيب، وتأويل العبارات، وأوجه الإعراب، وتطرّق فيه لبعض مباحث النظم كالنقديم والتأخير، والإيجاز، والإطناب، والمعاني التي يخرج إليها بعض الأدوات كأدوات الاستفهام، كما أشار إلى بعض الصور البيانية<sup>(١)</sup>.

ويجد الباحث في كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٨ هـ) بعض الأساليب البلاغية في علم المعاني المنبثق من نظرية النظم، وقد اختار معمر بن المثنى الآيات التي تصوّر طرقاً مختلفة في الدلالة والصيغة، متمثلاً بما يشبهها من أشعار العرب وأساليبهم، وكان يتحدث — أحياناً — عمّا في هذه الآيات من تقديم وتأخير، وحذف وتشبيه واستعارة إلى غير ذلك من عناصر النظم وقد نقل ابن المثنى في مقدمة كتابه: "ومن مجاز المقدم والمؤخر: ﴿ ۞ ﴾ [فصلت: ٣٩]. أراد ربت واهتزت"<sup>(٢)</sup>.

لقد تطرّق بعض العلماء إلى العلاقة بين الألفاظ والمعاني، وقد أوماً بشر بن المعتمر (ت ٢١٠ هـ) في صحيفته إلى الملاءمة بين الألفاظ والمعاني، فإنّ موضع المعنى الشريف في اللفظ الشريف حيث يقول: "ومن أراغ معنى كريماً فليلتمس له لفظاً كريماً، فإنّ حقّ المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عمّا يفسدهما ويهجنهما"<sup>(٣)</sup>.

أمّا الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) (ت ٢٥٥ هـ) فقد برع في تناول النظم وأبدع في طرح موضوعاته، كما أشار إلى أهميّة النظم، وعلو قدره، وسمو منزلته خاصة في كتابه المشهور (البيان والتبيين)، أمّا كتابه (نظم القرآن) فقد سقط في يد الزمن، وهذا الكتاب قد حرّمنا منه، ولم تسعد به المكتبة الإسلامية. وكل ما وصلنا منه شذرات وبعض عبارات ذكرها هو في كتبه المتفرقة<sup>(٤)</sup>.

وقد وصف الجاحظ كتابه (نظم القرآن) قائلاً:

(١) انظر معاني القرآن: أبو زكريا الفراء — تحقيق محمد علي النجار — الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٥٢، ٣١٧، ٦٨/٣.

(٢) مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي — تحقيق وتعليق محمد فؤاد سزكين — مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٥٤م، ١٢/١.

(٣) البين والتبيين: الجاحظ — تحقيق عبد السلام هارون — دار الجيل، بيروت — لبنان، ١٣٦/١.

(٤) إعجاز القرآن: فضل حسن عباس ص ٤٠.

"ولي كتاب جمعت فيه آيات من القرآن؛ لتعرف فضل الإيجاز والحذف، وفرق ما بين الزوائد، والفضول، والاستعارات، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز، والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، وعلى الذي كتبه لك في باب الإيجاز وترك الفضول منها قوله تعالى: ﴿ وَالْقَلِيلَ وَالْكَثِيرَ ﴾ [الواقعة: ٣٣]. وقد جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني، وهذا كثير دلتك عليه، فإن أردته فهو مشهور"<sup>(١)</sup>.

ويحسب للجاحظ سبق في القول بنظم القرآن، وقد أسهم في وضع اللبنة الأولى لنظرية النظم، بيد أنه لم يتوسع في شرح فكرته، وتفصيلها.

وكغيره فرّق الجاحظ بين نظم القرآن، ونظم سائر الكلام، "وقد عرف الجاحظ النظم، وفرّق بين نظم القرآن ونظم سائر الكلام، ودعا إلى دراسة الأدب العربي بعامة وفنونه وضروبه وأغراضه؛ لكي يعرف الدارس الفرق بين النظمين: نظم القرآن، ونظم سائر الكلام"<sup>(٢)</sup>.

أما رأي الجاحظ في الإعجاز فقد أثير حوله جدل كبير، وخلاف ليس باليسير، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل الإعجاز عنده بالصرفة، أم بالنظم، أم بهما معاً؟

وقد تعددت آراء العلماء حول الإعجاز عند الجاحظ، فيرى بعض الباحثين أن الإعجاز عند الجاحظ في النظم فقط، وكلنا لا ينكر مكانة الجاحظ في تاريخ الأدب العربي، فهو أديب ذوّاق لا يخفى عليه أي موطن من مواطن البلاغة القرآنية وقد شاركه هذا الرأي الباقلاني والجرجاني.

وذهب فريق آخر إلى قول الجاحظ بالإعجاز بالصرفة، لكن بعد تحليل هذه الآراء يتضح لنا مخالفة الجاحظ لشيوخه المعتزلي (إبراهيم بن سيار النّظام) الذي قال بإعجاز القرآن بالصرفة، وهي (أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها، فكان هذا الصرف خارقاً للعادة، وبهذا يكون الصرف هو المعجز لا القرآن نفسه) ومعنى ذلك: أن الله صرف الكفار عن معارضة القرآن الكريم، ولولا هذه الصرفة لأتوا بمثل القرآن وبما هو أحسن منه نظاماً، وأعظم تأليفاً. وهذا يتناقض مع قوله تعالى:

﴿ وَالْقَلِيلَ وَالْكَثِيرَ ﴾ [الواقعة: ٣٣].

﴿ وَالْقَلِيلَ وَالْكَثِيرَ ﴾ [الإسراء: ٨٨].

(١) البيان والتبيين: الجاحظ ٣ / ٧٦.

(٢) من بلاغة النظم العربي - المعاني: عبد العزيز عرفة، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، الطبعة الأولى

١٩٨١م، ص ١٣.

أما عند الجاحظ فالصرفة من باب التدبير الإلهي، والعناية الربانية، ولولاها لطمع المتناولون في الإتيان بمثله، وكان ذلك لمصلحة المسلمين لدفع الشبه والشكوك التي يمكن أن تنتشر بينهم بسبب هذه المعارضة.

وقد ربط الجاحظ بين اللفظ والمعنى، فالشريف من الألفاظ مشاكل لشريف المعاني والعكس، "إنه ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا أنق، ولا أذ في الأسماع، ولا أشد اتصالاً بالعقول السليمة، ولا أفتق للسان، ولا أجود تقويماً للبيان، من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء، والعلماء البلغاء. وقد أصاب القوم في عامة ما وصفوا، إلا أنني أزعم أن سخيْف الألفاظ مشاكل لسخيْف المعاني، وقد يحتاج إلى السخيْف في بعض المواضع وربما أمتع بأكثر من إمتاع الجزل الفخم من الألفاظ، والشريف الكريم من المعاني"<sup>(١)</sup>.

ويؤكد الجاحظ على قوة الصلة بين النظم والإعجاز فيرى "أن الإعجاز متصل بالنظم وحده بصرف النظر عما يحويه القرآن من المعاني، إذ طلب الله تعالى إليهم أن يأتوا بعشر سور مثله في النظم والروعة في التأليف، حتى ولو حوى التأليف الرائع كل باطل ومفترى لا معنى له"<sup>(٢)</sup>.

وقبل أن نرتحل بعيداً عن الجاحظ وآرائه يمكن القول:

إن ضياع كتاب (نظم القرآن وغريب تأليفه) أدى إلى غموض نظريته، وعدم معرفتها بوضوح، غير أن إعجابه ببلاغة القرآن الكريم وروعة نظمه كان واضحاً في مواضع كثيرة من مؤلفاته، فالإعجاز عند الجاحظ إعجاز بالنظم والصرفة معاً.

ولم يبتعد ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم) (ت ٢٧٦هـ) في تناوله النظم عن البلاغة، فاهتماماته بالعلاقات النحوية بين ألفاظ العبارة ظاهرة.

ومن الظاهر أن فكرة النظم لديه بلاغية وقد عالج في مؤلفه: (تأويل مشكل القرآن) بعض قضايا من علم المعاني كالنقد والتأخير<sup>(٣)</sup>، كما تحدت عن المجاز وتوسّع فيه، ورد شبهة الطاعنين فيه؛ الذين زعموا أن المجاز كذب<sup>(٤)</sup>، وعرض لصور قرآنية مما يدخل فيها المجاز

(١) البيان والتبيين: ١/١٤٥.

(٢) التعبير الفني في القرآن: بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط ١٩٩٤م، ص ١٥٤.

(٣) انظر تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) - تحقيق السيد أحمد صقر - مكتبة دار

التراث ١٩٧٣م، ص ٢٢٨.

(٤) المصدر السابق: ص ١٦٩-١٧١.

المرسل، والاستعارة، وقد تحدّث عن الاختصار، والحذف، وتكرار الكلام والزيادة فيه، إلى غير ذلك من عناصر النظم<sup>(١)</sup>.

أما أبو هلال العسكريّ (ت ٣٩٥ هـ) فقد عقد باباً من كتابه الصناعتين عنونه  
بـ (حسن النظم وجودة الرصف والسبك).  
ويورد العسكريّ هذا المعنى قائلاً:

"وحسن الرصف أن توضع الألفاظ في مواضعها، وتمكّن في أماكنها، ولا يستخدم فيها التقديم والتأخير والحذف والزيادة إلا حذفاً لا يفسد الكلام ولا يعمي المعنى ويضمّ كلّ لفظة منها إلى شكلها وتضاف إلى لفقها [ما يلائمها]، وسوء الرصف تقديم ما ينبغي تأخيره منها وصرّفها عن وجوهها وتغيير صيغتها ومخالفة الاستعمال في نظمها"<sup>(٢)</sup>.

إنّ حسن التّأليف يزيد المعنى وضوحاً، ويكسب اللفظة جمالاً، ويضفي عليهما روعة، فيصبح بمثابة عقدٍ رائعٍ يبهر الألباب ويدهش العقول، و"حسن التّأليف يزيد المعنى وضوحاً وشرحاً. ومع سوء التّأليف، ورداءة الرصف والتركيب شعبة من التعمية، فإذا كان المعنى سبياً، ورصف الكلام ردياً، كان أحسن موقفاً، وأطيب مستمعاً. فهو بمنزلة العقد إذا جعل كل خرزة منه إلى ما يليق بها كان رائعاً في المرأى وإن لم يكن مرتفعاً جليلاً، وإن اختلف نظمته فضمت الحبة منه إلى ما لا يليق بها اقتحمته العين وإن كان فائقاً ثميناً"<sup>(٣)</sup>.

أما أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) فقد أورد النظم بمعنى التنسيق والائتلاف، وهذا ظاهر في قوله عن القرآن الكريم: "إنّه بديع اللفظ عجيب التّأليف"<sup>(٤)</sup>.  
كما تحدّث الباقلاني عن نظم القرآن الكريم ومخالفته لأساليب العرب قائلاً:  
"إنّ نظم القرآن على تصرف وجوهه وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم"<sup>(٥)</sup>.

إنّ حسن النظم وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم فهو "بديع النظم، عجيب التّأليف، متناهٍ في البلاغة إلى الحدّ الذي يعلم عجز الخلق عنه.... إنّ نظم القرآن على تصرف

(١) انظر تأويل مشكل القرآن: ص ١٧٢، ٢٣١، ٢٤٨، ٢٥٥، ٢٨٢.

(٢) الصناعتين الكتابة والشعر: أبو هلال العسكري - تحقيق مفيد قميحة - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨١م، ص ١٧٩.

(٣) الصناعتين: ص ١٧٩.

(٤) إعجاز القرآن: ص ٣٥.

(٥) المصدر السابق: ص ٣٥.

وجوهه، وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد"<sup>(١)</sup>.

إنَّ النظم القرآني حسب وجهة نظر كثير من العلماء ومنهم الباقلاني يحمل طابعاً مميزاً يفترق عن كافة الأساليب، وبمعنى أدقّ أننا لو تتبعنا أدب بعض الشعراء أو الكتاب؛ لوجدنا هؤلاء يجيدون في جانب دون آخر، فالنظم القرآني "عجيب نظمه، وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين، على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها من ذكر قصص ومواضع واحتجاج، وحكم وأحكام، وإعذار وإنذار، ووعد ووعيد، وتبشير وتخويف، وأوصاف، وتعليم أخلاق كريمة، وشيم رفيعة وسير مأثورة. وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها ونجد كلام البليغ الكامل، والشاعر المفلق، والخطيب المصقع يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور"<sup>(٢)</sup>.

إنَّ الشاعر المفلق، والكاتب المبدع، فإنَّك إن نظرت إلى كتاباتهما - حتماً - ستجد التفاوت في أدبهما على حسب الأحوال التي يتصرفان فيها، فكلُّ منهما بيدع في جانب دون آخر. "ومتى تأملت شعر الشاعر البليغ، رأيت التفاوت في شعره على حسب الأحوال التي يتصرف فيها، فيأتي بالغاية في البراعة في معنى فإذا جاء إلى غيره قصر عنه، ووقف دونه، وبان الاختلاف على شعره .... ومن الناس من يجود في الكلام المرسل، فإذا أتى بالموزون قصر ونقص نقصاناً عجيباً. ومنهم من يوجد بضدَّ ذلك"<sup>(٣)</sup>.

أما القرآن الكريم في نظمه فإنَّه بعيد كلَّ البعد عن التفاوت، فإنَّ جميع ما يتصرف فيه من الوجوه على حدٍّ واحد، "وقد تأملنا القرآن، فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها على حدٍّ واحد، في حسن النظم، وبديع التأليف والرصف، لا تفاوت فيه، ولا انحطاط عن المنزلة العليا، ولا إسفاف إلى الرتبة الدنيا. وكذلك قد تأملنا ما يتصرف إليه وجوه الخطاب، من الآيات الطويلة والقصيرة، فرأينا الإعجاز في جميعها على حدٍّ واحد لا يختلف"<sup>(٤)</sup>.

إنَّ النظم القرآني معجز كلَّ الإعجاز، تحدَّى الله سبحانه وتعالى به أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء و "الذي تحدَّاهم به أن يأتوا بمثل الحروف التي هي نظم القرآن، منظومة

(١) إعجاز القرآن: ص ٣٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٦.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٧.

(٤) المصدر السابق: ص ٣٧.

كنظمها، متتابعة ككتابتها، مطّردة كاطّرادها؛ ولم يتحدهم إلى أن يأتوا بمثل الكلام القديم الذي لا مثل له"<sup>(١)</sup>.

ويمكن القول: إنّ الباقلائيّ قد حصر ما يشتمل عليه بديع نظم القرآن المتضمن للإعجاز من وجوه، منها ما يرجع إلى جملمته، ومنها ما يرجع إلى أساليبه حتى اشتمل القرآن على كل الأساليب البلاغية، أضف إلى ذلك ما يرجع إلى مفرداته بابتعاده عن الألفاظ المستكرهة الثقيلة على السمع، ومنها ما يرجع إلى حروفه كما ذكرنا آنفاً.

ويورد الباقلائي في الوجه الثالث من وجوه إعجاز القرآن قوله:

"إنّه بديع النظم، عجيب التآليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه.... ذلك أنّ نظم القرآن على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه، خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد.... فليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة، والغرابية، والتصرف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة، على هذا الطول، وعلى هذا القدر، وإنما تنسب إلى حكيمهم كلمات معدودة، وألفاظ قليلة، وإلى شاعرهم قصائد محصورة، يقع فيها ما نبينه بعد هذا من الاختلال، ويعترضها ما نكشفه من الاختلاف، ويشملها ما نبديه من التعمل، والتكلف، والتجوز، والتعسف. وقد حصل القرآن على كثرتة وطوله متناسباً في الفصاحة على ما وصفه الله تعالى به. فقال عزّ من قائل:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الزمر: ٢٣]. وقوله تعالى كذلك:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [النساء: ٨٢]... فعجيب نظمه، وبديع تأليفه، لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها، من ذكر قصص ومواظ واحتجاج، وحكم وأحكام، وإعذار وإنذار، ووعد ووعيد، وتبشير وتخويف.... وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها، ونجد كلام البليغ الكامل، الشاعر المفلق، والخطيب المصقع، يختلف على حسب هذه الأمور....

(١) إعجاز القرآن : ص ٢٦٠.

وقد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها، على حدٍّ واحد في حسن النظم وبديع التأليف، والرصف الذي لا تفاوت فيه، ولا انحطاط عن المنزلة العليا، ولا إسفاف فيه إلى المرتبة الدنيا<sup>(١)</sup>.

إنَّ نظرية النظم كانت ولا زالت ميداناً رحباً لكثير من العلماء، وقد عدَّ الرُّمانيّ (أبو الحسن علي بن عيسى) (ت ٣٦٨ هـ) أعلى مراتب البيان ما اکتملت فيه البلاغة، من جمال التعبير، وروعة الأداء، من تعديل النظم حتى يحسن في السمع، ويسهل على اللسان، "والتصوير في مفهوم النظم عنده أنه اعتبره طريقاً إلى البلاغة، التي هي أحد وجوه الإعجاز، وبذلك غفل عن حالات النظم باعتبار صلته بالنحو، وما يستتبع ذلك من الغفلة عن كثير من فنون علم المعاني"<sup>(٢)</sup>.

ويرى الرمانيّ أنّ وجوه الإعجاز تظهر في سبع جهات: "ترك المعارضة مع توفّر الدواعي، وشدة الحاجة، والتحدّي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، ونقص العادة، وقياسه بكلّ معجزة"<sup>(٣)</sup>.

وقد ركّز الرمانيّ جهده من أجل توضيح وجوه إعجاز القرآن، واعتبر البلاغة أحد هذه الوجوه، وهي حسب وجهة نظره "على ثلاث طبقات: منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة، فما كان في أعلاها طبقةً فهو معجز، وهو بلاغة القرآن، وما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس"<sup>(٤)</sup>.

والبلاغة من وجهة نظر الرمانيّ؛ إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ، "وليست البلاغة إفهام المعنى؛ لأنه قد يفهم المعنى متكلمان أحدهما بليغ والآخر عي؛ ولا البلاغة أيضاً بتحقيق اللفظ على المعنى؛ لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غثّ مستكره ونافر متكلف. وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ، فأعلاها طبقة

(١) انظر إعجاز القرآن للباقلاني: ص ٣٥ - ٣٧ ، لغة القرآن الكريم: عبد الجليل عبد الرحيم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان - الأردن، الطبعة الأولى ١٩٨١م، ص ٢٥٤، ٢٥٥.

(٢) فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم: فتحي أحمد عامر، المجلس العلمي للشؤون الإسلامية - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٥م، ص ١١٢.

(٣) النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: أبو الحسن علي بن عيسى الرماني - تحقيق محمد خلف الله، محمد زغلول سلام - ط ٤، دار المعارف، القاهرة، ص ٧٥.

(٤) المصدر السابق: ص ٧٥.



في الحسن بلاغة القرآن، وأعلى طبقات البلاغة للقرآن خاصّة، وأعلى طبقات البلاغة معجز للعرب والعجم كإعجاز الشعر المفحم، فهذا معجز للمفحم خاصة كما أن ذلك معجز للكافة<sup>(١)</sup>.

والبلاغة من وجهة نظر الرماني على عشرة أقسام: "الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان"<sup>(٢)</sup>.

أما الخطابي (ت ٣٨٨ هـ) (أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم) فقد طرح في رسالته (بيان إعجاز القرآن) نظرية النظم، وقد أرجع فيها الإعجاز إلى البلاغة وذهب الخطابي إلى "أن أجناس الكلام مختلفة، ومراتبها في نسبة التبيان متفاوتة، ودرجاتها في البلاغة متباينة غير متفاوتة؛ فمنها الرصين البليغ الجزل، ومنها الفصيح القريب السهل، ومنها الجائر الطلق الرسل. وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود دون النوع الهجين المذموم. الذي لا يوجد في القرآن شيء منه البتة"<sup>(٣)</sup>.

والقرآن عند الخطابي معجزة؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، متضمناً أصح المعاني، فالإعجاز عنده بثلاثة أشياء: الألفاظ والمعاني والنظوم، فهو معجز بمفرد ألفاظه التي منها يتركب الكلام، وبودائعه التي هي معانيه، ومنظوم تأليفه، والكلام عنده: إنما يقوم بهذه الأشياء الثلاثة: "لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم"<sup>(٤)</sup>.

وإذا أنعمنا النظر في القرآن، وتدبرنا في آياته أدركنا غاية الشرف، وقمة الفضيلة، وأورد الخطابي ذلك قائلاً:

"وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح، ولا أجزل، ولا أعذب من ألفاظه. ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً، وأشدّ تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها"<sup>(٥)</sup>.

(١) النكت في إعجاز القرآن: ص ٧٥، ٧٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٧٦.

(٣) بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم

الخطابي - تحقيق محمد خلف الله، محمد زغلول سلام - ط ٤، دار المعارف، القاهرة، ص ٢٦.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٧.

(٥) المصدر السابق: ص ٢٧.

إنَّ المعاني الغزيرة التي جمعها القرآن في نظم رائع، واتَّسق منقطع النظير هو الذي أعجز المعاندين، وألجم المعارضين، وكبح جماح المتطاولين، "ومعلوم أنَّ الإتيان بمثل هذه الأمور، والجمع بين شتاتها حتى تنتظم وتتَّسق أمر تعجز عنه قوى البشر، لا تبلغه قدرهم، فانقطع الخلق دونه، وعجزوا عن معارضته بمثله، أو مناقضته في شكله"<sup>(١)</sup>.

إنَّ عمود البلاغة الشامخ، وأساسها الراسخ وبنيانها العظيم أن تضع الألفاظ في موضعها الأخصَّ الأشكل به؛ إذ لا يمكن تغيير المواضع عشوائياً، وهذا ما أورده الخطابي قائلاً:

"ثم اعلم أنَّ عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كلِّ نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخصَّ الأشكل به، الذي إذا أُبدل مكانه غيره جاء منه: إمَّا تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإمَّا ذهب الرونق الذي يكون منه سقوط البلاغة، ذلك أنَّ في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر، والبخل والشح، وكانعت والصفة، وكقولك: اقعِد واجلس، وبلى ونعم، وذلك وذاك، ومن وعن، ونحوهما من الأسماء، والحروف، والصفات"<sup>(٢)</sup>.

وفي جانب الإعجاز القرآني تناول الخطابي ميزة تأليف القرآن، وتركيبه على الأدب العربيِّ وبلوغه حدَّ الإعجاز يقول:

"فتفهَّم الآن واعلم أنَّ القرآن إنَّما صار معجزاً؛ لأنَّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصحَّ المعاني، من توحيد له عزَّت قدرته، وتنزيه له في صفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان بمنهاج عبادته من تحليل وتحريم، وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق، وزجر عن مساوئها، واضعاً كلَّ شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه، لا يرى في صورة العقل أمر أليق منه، مودعاً أخبار القرون الماضية وما نزل من مثلات الله بمن عصى وعاند منهم، منبئاً عن الكوائن المستقبلية في الأعصار الباقية من الزمان، جامعاً في ذلك بين الحجة والمحتج له، والدليل والمدلول عليه؛ ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه، وإنباء عن وجوب ما أمر به، ونهى عنه. ومعلوم أنَّ الإتيان بمثل هذه الأمور، والجمع بين شتاتها حتى تنتظم وتتَّسق أمر تعجز عنه قوى

(١) المصدر السابق: ص ٢٨.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٨.

البشر، ولا تبلغه قدرهم، فانقطع الخلق دونه، وعجزوا عن معارضته بمثله، أو مناقضته في شكله"<sup>(١)</sup>.

لقد حلقَّ العديد من العلماء في دنيا الإعجاز، وارتقوا سلم المجد في عالم النظم، ومن هؤلاء ابن عطية الذي يقول:

"الصحيح والذي عليه الجمهور والحدائق في وجوه إعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه، وتوالي فصاحة ألفاظه، وذلك أن الله أحاط بكل شيء علماً، فإذا أراد ترتيب اللفظة من القرآن، علم بإحاطته أي لفظه تصلح أن تلي الأولى، وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر محل الجهل والنسيان والذهول، ومعلوم ضرورة أن أحداً من البشر لا يحيط بذلك، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة، وبهذا يبطل قول من قال: إنَّ العرب في قدرتها الإتيان بذلك، فصرفوا عن ذلك، والصحيح أنه لم يكن في قدرة أحد قطُّ.

ولهذا ترى البليغ ينقح القصيدة أو الخطبة حولاً، ثم ينظر فيها، فيغيّر فيها وهلمَّ جراً، وكتاب الله تعالى لو نزعته منه لفظه، ثم أدير لسان العرب على لفظه أحسن منها لم يوجد، ونحن يتبين لنا البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذٍ في سلامة الذوق، وجودة القريحة"<sup>(٢)</sup>.

وإذا انتقلنا إلى القاضي عبد الجبار الأسدآبادي (ت ٤١٥ هـ)؛ نجد أنه يذكر أن

الفصاحة في التركيب لا في اللفظ يقول:

"اعلم أنَّ الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنما تظهر في الكلام بالضمِّ على طريقة مخصوصة، ولا بدَّ مع الضمِّ من أن يكون لكلِّ كلمة صفة، وقد يكون في هذه الصفة أن تكون بالمواضع التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع، ليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع؛ لأنه إما أن تعتبر فيه الكلمة أو حركاتها أو موقعها، ولا بدَّ من هذا الاعتبار في كلِّ كلمة، ثم لا بدَّ من اعتبار مثله في الكلمات إذا انضم بعضها إلى بعض؛ لأنه

(١) انظر: بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٢٧، ٢٨ .

(٢) الإنتقان في علوم القرآن: للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي - تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم - مكتبة دار التراث - القاهرة. د.ت. ، انظر البرهان في علوم القرآن: الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ١٠٧/٢ - تقديم وتعليق محمد عبد القادر عطا - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٨م، ٨/٤، ٩٠.

قد يكون لها عند الانضمام صفة، وكذلك لكيفية إعرابها وحركاتها وموقعها، فعلى هذا الوجه الذي ذكرناه، إنما تظهر مزية الفصاحة بهذه الوجوه دون ماعداها"<sup>(١)</sup>.

كما نجد أنه تحدّث عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم، ويرى الأسدآبادي "أنّ نظم الكلام يقع فيه التفاوت بحسب علم الناس بمواصفات اللغة، ثم بما في نفوسهم من استعدادات ذاتية موهوبة غير مكتسبة"<sup>(٢)</sup>.

ويقدّم عبد الكريم الخطيب تلخيصاً لوجه نظر القاضي عبد الجبار في أوجه الإعجاز بشيء من الإيجاز، وهذا التلخيص يتمثل في قوله:

"إنّ النظم القرآنيّ قد جاء على هذا الاتجاه الذي يتفاضل فيه الكلام ويتقدّم بعضه على بعض .. ثم حيث انتهت غايات البيان العربي وحيث لم يكن للبلغاء والفصحاء مذهب وراء هذا – أخذ القرآن الكريم راية البيان وسار بها أشواطاً بعيدة، وأرباب البلاغة والبيان واقفون مشدوهين مأخوذون، كأنما أمسكت الأرض بهم لا يتحركون قيد أنملة يدخلون بها على هذا الحمى، الذي لا تقوم بينهم وبينه حواجز، أو حوائل"<sup>(٣)</sup>.

"ويعقد القاضي عبد الجبار فصلاً طويلاً يحاول أن يجيب فيه عن هذا السؤال: هل يصلح الكلام أن يكون مادةً للتحدّي؟ وإذا صلح فهل يتسع هذا التحديّ لقيام معجزة؟. وكانّ عبد الجبار يريد أن يكشف شبهة ربما قامت في بعض العقول وهي: (الإعجاز بالكلمة)؛ إذ ما عرف من المعجزات قبل القرآن كان يقوم على أشياء مادية محسوسة، تتحدّى قوى الناس جميعاً. فتبهرهم بأفَاعيلها وتخرسهم بآثارها وأعاجيبها .. أما أن يكون الكلام مادةً للتحدّي فهذا ما لم يعده الناس قبل القرآن، ولم يتصوروا وقوعه في الحياة يوماً من الأيام"<sup>(٤)</sup>.

يقول عبد الجبار الأسد آبادي: "إنّ الكلام الفصيح مراتب، ومهايات، وإنّ جملة الكلمات – وإن كانت محصورة – فتأليفها يقع على طرائق مختلفة من الوجوه.... فتختلف

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل: القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمداني الأسد آبادي – تحقيق محمود الخضيرى ومحمود محمد قاسم – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٩/١٦.

(٢) الإعجاز في دراسات السابقين: عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٩٧٤م، ص ٢٣٣.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٣٣، ٢٣٤.

(٤) الإعجاز النحوي في القرآن الكريم: فتحي عبد الفتاح الدجني، مكتبة الفلاح، الكويت، ط ١، ١٩٨٤م، ص ٧٨.

لذلك مراتبه في الفصاحة فيجب ألا يمتنع أن يقع فيه التفاضل، وتبين مراتبه من بعض، ويزيد عليه قدراً يسيراً أو كبيراً<sup>(١)</sup>.

وهنا يريد عبد الجبار أن يقول:

"إنَّ الكلام الفصيح مراتب، يعلو بعضها بعضاً أشبه بالمقادير المحسوبة يزيد بعضها في جنسه على بعض وهي بهذا صالحة لأن يُتحدَّى بها ، وذلك كأن يكون المعتاد أن يحمل الناس ما وزنه قنطار أو قنطارين"<sup>(٢)</sup>

لقد خطا القاضي عبد الجبار بالنظم خطوةً أوسع من سابقه: الرماني، والخطابي والباقلاني، وقد أوضح القاضي مفهوم النظم وهو عبارة عن ضمّ الكلمات على نحو معين، وأنَّ الأساس في ذلك هو المواضعة، واتفاق أعضاء الجماعة اللغوية على أنَّ التركيب المعين يؤدي إلى معنى معين بوساطة ما يسمى بالقرائن اللفظية التي تعمل على توضيح المعنى، وهذه القرائن الضمّ على طريقة مخصوصة، وهذا الكلام قريب جداً من كلام عبد القاهر الجرجاني، ومتفق كثيراً مع آرائه مما يدلُّ دلالة قاطعةً على تأثره به، وأخذه عنه.

لقد حاول بعض الدارسين – ومنهم عبد الرؤوف مخلوف – المقارنة بين الباقلاني والقاضي عبد الجبار في أوجه الإعجاز قائلاً:

"إنَّ الفرق بين كتاب الباقلاني وبين كتاب عبد الجبار هو أنَّ كتاب الباقلاني قصر على قضية الإعجاز من الناحية الفنية، بينما كتاب عبد الجبار يتناول طائفةً من قضايا التوحيد والعدل، ويناقش كثيراً من القضايا المتصلة بالقرآن وإن لم تكن من الإعجاز الفني من الصميم"<sup>(٣)</sup>.

ويبدو لنا أنَّ فكرة النظم كانت واضحة عند كل من أبي هلال العسكري، والرماني، والباقلاني، وكانت عند عبد الجبار أشدَّ وضوحاً، وأقرب صلة من منهج عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم.

(١) الإعجاز النحوي في القرآن الكريم: ص ٧٨، ٧٩.

(٢) الإعجاز في دراسات السابقين: ص ٢٣٥.

(٣) الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن دراسة تحليلية نقدية: عبد الرؤوف مخلوف ، دار مكتبة الحياة ، بيروت –

لبنان ١٩٧٣م، ص ٤٧٥.

## أهميّة النّظم:

عند حديثنا عن نظرية النظم ينبغي ألا نغفل أهميّة النظم؛ إذ يعدُّ من أكثر العلوم العربية عناية، وأعظمها اهتماماً بكتاب الله العزيز، وتتجلّى تلك العناية، ويظهر ذلك الاهتمام في الكشف عن إعجازه وأسرارهِ اللغوية، ومكوناتهِ البلاغية، وأبرز ما فيه من قيم جمالية، ودلالات فنية، وبيان ما يحمله القرآن من إشارات إبداعية، وعلامات بيانية، لذا فإنه يمكننا القول – مطمئنين – : "إنّ بلاغة القرآن الكريم ترجع إلى النظم، ويصبح بذلك النظم الوجه العام أو المرآة التي تعكس وجوه البيان، والمعاني، والبديع إذا كان عفو الخاطر"<sup>(١)</sup>.

إنّ ميدان النظم عالمٌ رحبٌ من الجمال، ودنيا واسعة من البهاء، ومنهل عذب يفيض بالحسن والصفاء، فالنظم لا يقتصر على علم المعاني – كما ينقل ذلك بعض الباحثين – وإنما هو إطار عام ينضوي تحت لوائهِ علوم البلاغة الثلاثة؛ المعاني والبيان والبديع، ولو قصدنا – مثلاً – إغفال صور البيان وتناولها بعيداً عن جوهر النظم لفقدت الصور البيانية دلالاتها الخالدة، "فلو لم ندخل صور البيان في جوهر النظم الذي يتعلق به إعجاز القرآن لجرّدنا كثيراً من الصور البيانية عن دلالاتها الخالدة، وفي القرآن ألوان من التشبيهات، والاستعارات، والكنائيات تتضاءل أمامها قدرة التعبير عند الإنسان المتمرس البليغ"<sup>(٢)</sup>.

وكيف نغفل صور البيان ونبعدها عن مباحث النظم مع أنّ: "التصوير هو الأداة المفضّلة في أسلوب القرآن"<sup>(٣)</sup>.

وتوسّع بعض الباحثين المحدثين في هذا الميدان، وأبحروا في أعماق شتّى، فذهبوا إلى القول إنّ ظواهر الأسلوب كلّها نتاج النظم، فكلُّ خصائص التراكيب مما يبحث في علم المعاني، وكلُّ طرق الإيراد التي تبحث في علم البديع، وهذه جميعاً مقتضيات النظم، وهي بجمالها تدخل فيما يقابل عند عبد القاهر الجرجاني مقتضى الحال في البلاغة المتأخّرة، ولهذا يمكننا أن نؤكد – واثقين – "أنّ التصوير القرآني لون من ألوان النظم لا يخرج عنه؛ لأنّه لا يستقيم بدونه، ولا يقبل أن يتمّ رسم مشهد من مشاهد القرآن المتنوعة في سحرها إلا في إطار منظوم"<sup>(٤)</sup>.

(١) فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم: ص ١١٢.

(٢) المصدر السابق: ص ١١٣.

(٣) التصوير الفني في القرآن: سيد قطب، دار الشروق – القاهرة، ط ١٦، ٢٠٠٢م، ص ٣٦.

(٤) فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم: ص ١١٦.



إنَّ صور البيان لا تطرّد في جميع آيات القرآن الكريم، بيد أن ذلك لا ينبغي أن يكون مسوغاً لإبعادها من عناصر النظم، لاسيّما وأنّ هذه الصور البيانية فيها من الدقّة في التنسيق، والروعة في التّأليف، والإبداع في التشخيص والتجسيم، وبعث الحركة في الجمادات، وبعث الحياة في عناصر الطبيعة، والدقّة في اختيار الألفاظ والتراكيب.

وقد استطرّد كثير من العلماء في الإشارة إلى أهمية النظم، وعلوّ قدره، وسموّ منزلته، وارتفاع مكانته، وقد عدّوه ملمحاً مميزاً من ملامح الإبداع، واعتبروه وجهاً بارزاً من أشهر وجوه الإعجاز القرآنيّ وأعمّها، وعلى رأس هؤلاء الجاحظ في مؤلفه المشهور (البيان والتبيين)<sup>(١)</sup>. وقد ألف كتاباً أسماه (نظم القرآن) إلا أنه سقط من يد الزمن، ولا يعرف عنه إلا اسمه<sup>(٢)</sup> وقد اعتلى الجرجاني القمّة، واستقرّ على كرسي الملك في هذا المجال فهو "الذي يعتبر خير من كتب فأجاد، وأبدع فأفاد"<sup>(٣)</sup>.

وقد نوّه الإمام الجرجاني بعظيم شأن النظم، وعلوّ مكانته عند العلماء في قوله: "وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن النظم، وتقخير أمره، والتتويه بذكره أن لا فضل مع عدمه"<sup>(٤)</sup>.

وقد أشاد الزمخشري إشادةً عظيمةً بالنظم، فهو بمثابة أمّ الإعجاز، ودرب التحدّي قائلاً: "النظم هو أمّ إعجاز القرآن، والقانون الذي وقع عليه التحدّي، ومراعاته أهم ما يجب على المفسر"<sup>(٥)</sup>.

أما صاحب الطراز فقد ارتضى (الإعجاز بالنظم) حيث أورد أنّ القرآن يختصُّ بجودة نظمه، وحسن سياقه، وفصاحته، وبلاغته قائلاً: والذي نختاره في ذلك ما عولّ عليه الجهابذة من أهل الصناعة الذين ضربوا فيها بالنصيب الوافر، واختصوا بالقدح المعلّى والسهم القاهر، فإنهم عولّوا في ذلك على خواص ثلاثة هي الوجه في الإعجاز وهي: الفصاحة في ألفاظه، والبلاغة في المعاني، وجودة النظم، وحسن السّياق<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر البيان والتبيين: ٦٧/١ .

(٢) انظر البلاغة تطور وتاريخ: شوقي ضيف، ط٦، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٥م، ص ٥٢.

(٣) لغة القرآن الكريم: ص ٢٣٥.

(٤) دلائل الإعجاز: ص: ١٢٤.

(٥) الكشّاف: ٥٣٦/٢.

(٦) انظر كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب

العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، ص ٥٨٦، ٥٨٧.

ولم يغفل العلماء المحدثون الإشادة بنظرية النظم، فقد أشاد بها محمد مندور، ورفعها إلي مصاف النظريات الحديثة في علم اللغة حيث يقول:

"إنَّ منهج عبد القاهر يستند إلي نظرية في اللغة، أرى فيها، ويرى فيها كل من يعنى النظر أنها تماشي ما وصل إليه علم اللسان الحديث من آراء"<sup>(١)</sup>.

أما فضل حسن عباس فقد أجاد في بيان أهمية النظم، فيرى فيه معينا ثرياً لا تتضب كنوزه، ومنهلاً قيّماً لا تتقضي عجائبه، ونبراساً يهتدي به السائرون في دروب البحث في دلائل الإعجاز، ونهجاً يقتدي به الباحثون عن جماليات البلاغة العربية وإبداعاتها حيث يقول: "إنَّ علم المعاني أو نظرية النظم الذي لا ينضب معينه سيظلُّ ويبقى النور الذي يهتدي به السائرون؛ ليكتشفوا ويكتشفوا كثيراً من أسرار الإعجاز التي لا زالت مصنونة مكونة إضافة إلي ما اكتشفوه وهو كثير"<sup>(٢)</sup>.

ويسلك ( شفيح السيّد ) السبيل نفسه حيث يعدُّ النظم درباً إلي إثبات الإعجاز البلاغي للقرآن، ويورد ذلك قائلاً: "وهكذا اتسعت آفاق نظرية النظم التي رآها عبد القاهر أول الأمر طريقاً إلي إثبات الإعجاز البلاغي للقرآن، لتصبح دراسة أسلوبية واسعة النطاق لأنساق التراكيب في العربية على اختلافها وتنوعها، وكانت أولى ثمارها تفسير الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) للقرآن الكريم الذي يعد بحق نموذجاً تطبيقياً رائعاً لها"<sup>(٣)</sup>.

ويبدع محمد عبد الله دراز في حديثه عن تفرد القرآن روعة النظم قائلاً:

"والجديد في نظم القرآن أنه في كلِّ شأن من شؤون القول يتخيَّر له أشرف المواد، وأمسّها رحماً بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد وأقبلها للامتزاج، ويضع كلَّ منقال ذرّة في موضعها الذي هو أحقُّ بها وهي أحقُّ به، بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة، وصورته الكاملة، ولا يجدُّ اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين وقراره المكين، لا يوماً ولا بعض يوم، بل على أن تذهب العصور وتجيئ العصور، فلا المكان يريد بساكنه بدلاً، ولا الساكن يبلغ عن منزله حولاً... ولا الجملة تجيئ من هذا الأسلوب بما هو المثل الأعلى في صناعة البيان"<sup>(٤)</sup>.

وإلي جانب الاهتمام بالنظم كأداة طيِّعة للكشف عن مواطن الإعجاز، هناك جانب آخر لا يقلُّ أهمية عن سابقه، وهو أثر النظم في إبراز جماليات العمل الأدبي شعراً ونثراً، وإمطة اللثام

(١) في الميزان الجديد: ص ١٧٦.

(٢) البلاغة فنونها وأفانها: ص ٤٠٦.

(٣) البحث البلاغي عند العرب: شفيح السيّد، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية ١٩٩٦م، ص ٦٣.

(٤) النبأ العظيم: محمد عبد الله دراز، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع - الكويت، ١٩٥٧م، ص ٨١، ٨٢.

عن القيم الفنية، وإرشاد المتلقي إلى أسباب الحسن والروعة التي يتجلى بها ذلك النص من تقديم وتأخير، وتعريف وتكبير، وحذف وذكر، إلى غير ذلك من عناصر النظم المختلفة. كما يعتني بالكشف عن أسرار اللغة العربية الثرية، وكنوزها الدفينة، فيه يستطيع الباحث أن يقف على معرفة ما لهذه اللغة الشريفة من خصائص تميّزت بها على سائر اللغات فأهلّتها لنزول القرآن العظيم بها.

ولهذا كانت الحاجة لدراسة هذا العلم ماسة جداً، وما أظنُّ الباحث الجاد يعتزُّ بشيء اعتزازه بإدراك ما حواه كتاب الله من عظمة وإعجاز، وما حوته هذه اللغة الكريمة من روائع وأسرار، وبيانٍ ساحرٍ، وبديعٍ معجزٍ.

وقد أشاد العلماء على اختلاف أذواقهم وتنوع مشاربهم بأهمية النظم. وارتفعوا به إلى أسمى الدرجات، وارتقوا إلى أعلى المكانات، وقد أبدع مصطفى صادق الرافعي في هذا الميدان وتفرد بين المحدثين بأراء ذات طابعٍ فريدٍ، فإذا نظرنا إلى البلغاء في الأساليب العربية رأينا هؤلاء "يتوخون إليها في تصارييف الألفاظ، وتمكين الأسلوب، وإرهاف الحواشي، واجتتاب ما عسى أن تبعث عليه رخاوة الطبع وتسمح النفس، من حشو أو سفساف أو ضعف أو قلق ثم التوكيد للمعني بالمترادفات المتباينة في صورها، ثم بالاستعانة بالمعطوفات على النسق، وبالأسجاع على الأسلوب وبوجوه الصنعة البيانية على كل ذلك، فلا تقرأ سطرًا من كلامهم إلا أصبت ماءً ورونقاً، ولا تمرُّ فيه حتى يُقبل عليك بالصنعة من وجهها المصقول"<sup>(١)</sup>.

ولا نعجب ونحن نجد عبد القاهر الجرجاني يربط بين القدرة على إدراك الإعجاز البياني للقرآن. وهو نقطة انطلاق دلائل الإعجاز، والقدرة على تذوق الشعر، كيف لا؛ والقرآن يعدُّ نقطة رئيسة لفهم كل شيء، ومنطلقاً لفهم الإعجاز، "وذاك: أننا إذا كنا نعلم أن الجهة التي قامت منها الحجة بالقرآن وظهرت، وبانت وبهرت، هي أن كان على حدٍّ من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر، ومنتهاً إلى غاية لا يطمح إليها بالفكر، وكان محالاً أن يعرف كونه كذلك، إلا من عرف الشعر الذي هو ديوان العرب، وعنوان الأدب، والذي لا يشكُّ أنه كان ميدان القوم إذا تجاروا في الفصاحة والبيان، وتنازعوا فيها قصب الرّهان، ثم بحث فيها عن العلل التي بها كان التباين في الفضل، وزاد بعض الشعر على بعض، كان الصادُّ عن ذلك صادّاً عن أن تُعرف حجة الله تعالى، وكان مثله مثل من يتصدى للناس فيمنعهم من أن يحفظوا كتاب الله تعالى

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص ١٤٦.

ويقوموا به، ويتلوه، ويقرعه، ويصنع في الجملة صنيعاً يؤدي إلى أن يقلَّ حفاظه، والقائمون به، والمقرئون له" (١).

إنَّ الحديث عن مفهوم النظم القرآنيِّ عالمٌ مترامي الأطراف، والخوض في ثناياه بحر خضم زاخر متنوع الأطياف، والبحث في جوانبه دنيا واسعة يصعب بل يستحيل الوقوف على كل شيء فيها، وقد توسَّع العلماء منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا في تناول النظم القرآني حتى يمكن القول هنا إنهم فتحوا لمن بعدهم مجالاً خصباً للحديث فيه، فمن البدهي أنَّ معجزات القرآن منهلاً يستحيل أن يجفَّ، ونهراً لا يمكن أن ينضب، ومن هنا ينقل لنا الدكتور محمد بركات أبو علي قوله: "يتشكَّل الحديث عن مفهوم النظم القرآني، من اللفت إلى الإعجاز في نظم القرآن، ويتناول ذلك بعض الحديث عن التراكيب في الآية القرآنية، وعن الوحدة بين الآيات في السورة الواحدة، وعن الوحدة بين سور القرآن" (٢).

ويعدُّ نظم القرآن أمراً فريداً، فمن "أظهر الفروق بين أنواع البلاغة في القرآن، وبين هذه الأنواع في كلام البلغاء يقتضي كل ما فيه منها اقتضاءً طبيعياً بحيث يبني هو عليها؛ لأنها في أصل تركيبه، ولا تبنى هي عليه؛ فليست فيها استعارة، ولا مجاز، ولا كناية، ولا شيء من مثل هذا يصح في الجواز أو فيما يسعه الإمكان أن يصلح غيره في موضعه إذا تبدلته منه، فضلاً عن أن يفني به، وفضلاً عن أن يربى عليه، ولو أدت اللغة كلها على هذا الموضع" (٣).

ونظم القرآن — بلا شك — مباين لكلام البلغاء، "فكأنَّ البلاغة فيه إنما هي وجه من نظم حروفه بخلاف ما أنت واجد من كلام البلغاء، فإنَّ بلاغته إنما تصنع لموضعها وتبني عليه، فربَّما وفَّت، وربما أخلفت، ولو هي رفعت من نظم الكلام ثم نزل غيرها في مكانها لرأيت النظم نفسه غير مختلف، بل لكان عسى أن يصح ويجود في مواضع كثيرة من كلامهم، وأن نعرف له بذلك مزية في توازن حروفه، وائتلاف مخارجها وتتاسب أصواتها، ونحو هذا مما هو أصل الفصاحة، ومما لا تغني فيه استعارة ولا مجاز ولا غيرها" (٤).

إنَّ إعجاز القرآن يبدأ من الحروف، "فالحرف الواحد من القرآن معجز في موضعه؛ لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة. وهذا هو السرُّ في إعجاز جملته

(١) دلائل الإعجاز: ص ٨، ٩.

(٢) البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل: محمد بركات أبو علي، دار البشير، عمان — الأردن، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، ص ٨٥.

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص ١٤٩، ١٥٠.

(٤) المصدر السابق: ص ١٥٠.

إعجازاً أبدياً، فهو أمر فوق الطبيعة الإنسانية، وفوق ما يتسبب إليه الإنسان إذ هو يشبه الخلق الحيّ تمام المشابهة، وما أنزله إلا الذي يعلم (السرّ) في السموات والأرض" (١).

وإذا كانت اللغة العربية بعظمتها وجلالها تتطلق بدايةً من الحروف، فإنّه لا يتذوق القرآن إلا من حذق اللغة العربية، "ومن هذا فلا يتذوق معنى القرآن وحلوته، ولا يحسُّ بلاغته وفصاحته، ولا يشعر بمتانة أسلوبه، وسلامة بيانه، وحسن تركيبه، وسلامة بنيانه إلا من حذق اللغة العربية، ودرس أسرار البلاغة والفصاحة، وعرف أساليب الكلام، فمن كان ذا دراية وعلم بكل ذلك، أدرك أنّ القرآن قد احتلَّ أرفع مناصب الإعجاز" (٢).

إنّ صفات الحروف ومخارجها في ألفاظ القرآن ضرب من الإعجاز لم يسبق إليه أحد، "وهذه المخارج وهذه الصفات إنما أخذ أكثرها من ألفاظ القرآن، لا من كلام العرب وفصاحتهم؛ لأنّ ههنا موضع القول فيه، فإنّ طريقة النظم التي اتسقت بها ألفاظ القرآن، وتألفت لها حروف هذه الألفاظ، إنما هي طريقة يتوخى بها إلي أنواع من المنطق، وصفات من اللهجة لم تكن على هذا الوجه من كلام العرب، ولكنها ظهرت فيه أول شيء على لسان النبي صلي الله عليه؛ وسلم فجعلت المسامع لا تتبو عن شيء من القرآن، ولا تلوّي من دونه حجاب القلب، حتى لم يكن لمن يسمعه بدٌّ من الاسترسال إليه، والتوفّر على الإصغاء، لا يستمهله أمر من دونه وإن كان أمر العادة، ولا يستنسه الشيطان، وإن كانت طاعته عندهم عبادة؛ فإنما يسمع ضرباً خالصاً من الموسيقى اللغوية في انسجامه واطراد نسقه، واتزانه على أجزاء النفس مقطعاً مقطعاً، ونبرة نبرة كأنها توقّعه توقيعاً، ولا تتلوّه تلاوة" (٣).

وإذا تنقلنا بين آراء الذين كتبوا في الإعجاز القرآني، ودققنا النظر فيها نلاحظ أنها تدور في فلك واحد، وتتناول فكرة واحدة وهي: "أنّ القرآن معجز بأسلوبه الفريد، ونظمه البديع الذي هو فوق طاقة البشر، إذن فهذا الأسلوب هو (مادة الإعجاز) وإذا كان كذلك؛ فلا بدّ للباحث في هذا المجال من نظرة في أسلوب القرآن الكريم يتعرف بها إلى خصائص هذا الأسلوب، ومميزاته، ومن هذه الخصائص أنّه يجري على نسقٍ بديعٍ خارج عن المعروف من نظام جميع كلام العرب. ويقوم في طريقته التعبيرية على أساس مبادئ للمألوف من طرائقهم. بيان ذلك أنّ جميع الفنون التعبيرية عند العرب لا تعدو أن تكون نظماً أو نثراً، وللنظم أعاريض، وأوزان محددة ومعروفة، والقرآن ليس على أعاريض الشعر في رجزه ولا في

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص ١٥٠.

(٢) البيان في إعجاز القرآن: محمد محمد السباعي الدّيب، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة ١٩٦٠م،

ص ١٧.

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص ١٥٠، ١٥١.

قصيده، وليس على سنن النثر المعروف في إرساله ولا في تسجيعة، إذ هو لا يلتزم الموازين المعهودة في هذا ولا ذاك"<sup>(١)</sup>.

ومن السمات التي تفرّد بها القرآن الكريم في نظمه؛ الاستواء وعدم التباين أو التفاوت، حيث إنّ "طريقة نظم القرآن تجري على استواء واحد في تركيب الحروف باعتبار من أصواتها ومخارجها، وفي التمكين للمعنى بحسّ الكلمة وصفتها ثم الافتنان فيه بوضعها من الكلام، وباستقصاء أجزاء البيان وترتيب طبقاته على حسب مواقع الكلمات، لا يتفاوت ذلك ولا يختل، فمن أين يدخل على قارئه ما يكدّ لسانه، أو ينبو بسمعه، أو يفسد عليه إصغاءه، أو يرده عما هو منه بسبيله؛ أو يتقسم إحساسه ويتوزع فكره، أو يورده الموارد من ذلك كله أو بعضه، إلا أن يكون هذا القارئ ربيّضاً لم تفلح فيه رياضة البلاغة، ولا أجدى عليه التمرين والدربة، فخرج ألف لسان، بليد الحس، مترجع الطبع، لم يبلغ مبلغ الصبيان في إحساس الغريزة، وصفاء هذه الحاسة، وأطراد هذا الصفاء"<sup>(٢)</sup>.

وإذا ما قلّبنا مفردات اللغة العربية عن بكرة أبيها، فإننا لن نجد كلمة أبلغ من كلمة الإعجاز لوصف القرآن الكريم بها، و"إنك لتحار إذا ما تأملت تركيب القرآن، ونظم كلماته في الوجوه المختلفة التي يتصرف فيها، وتقع بك العبارة إذا أنت حاولت أن تمضي في وصفه حتى لا ترى في اللغة كلها أدلّ على غرضك، وأجمع لما في نفسك، وأبين لهذه الحقيقة، عبر كلمة الإعجاز"<sup>(٣)</sup>.

إنّ معالم الإعجاز تبدو في استحالة إحلال لفظة محلّ أخرى وإن تولّى ذلك أبلغ البلغاء، وأفصح الفصحاء، و"إن من أعجب ما يحقق الإعجاز أنّ معاني هذا الكتاب الكريم لو ألبست ألفاظاً أخرى من نفس العربية، ما جاءت في نمطها وسمتها والإبلاغ عن ذات المعنى لا في حكم الترجمة، ولو تولّى ذلك أبلغ بلغائها ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً؛ فقد ضاقت اللغة عنده على سعتها، حتى ليس فيها لمعانيه غير ألفاظه بأعيانها وتركيبها، ومتى كانت المعارضة والترجمة سواء إلا في المعجز الذي يساوي بين القوي في المعجز وهي بعد في ذات بينها مختلفات؟"<sup>(٤)</sup>.

(١) الإعجاز في نظم القرآن: محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٧٨م، ص ٦٦.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص ١٧٠.

(٣) المصدر السابق: ص ١٧٤.

(٤) المصدر السابق: ص ١٧٥، ١٧٦.



إنَّ النظم القرآنيَّ لا يقتصر على مجال الحقيقة، وإنَّما يشمل الحقيقة والمجاز، "إذ القرآن الكريم: هو الحجة البالغة، والمعجزة الخالدة للأسلوب العربيّ، في فصاحته وبلاغته، وقد زخر بالحقائق اللفظية، وعبرَ بها في كثير من الآيات، واشتمال القرآن على الحقيقة لم ينكرها أو يختلف فيها أحد من العلماء الذين تناولوا القرآن بالدراسة من نواحيه كافة؛ وإنَّما اختلفوا في المجاز ووقوعه في القرآن. ولو كان التعبير بالحقيقة أقلّ بلاغة من التعبير بالمجاز لخلا القرآن كليةً من الحقيقة، وفضل التعبير بالمجاز في جميع المواقف والأحوال في تشريعه وتعليمه، كما في ترهيبه وترغيبه، ولسار على نمط واحد من التخيل والتأويل، لكي يترك أثره الذي لا يتركه التعبير المجدد الدقيق، ولكن ذلك ناءٍ عن الصواب، فأيات القرآن العديدة أمام الأبصار، واستخراج الآيات التي عبرَ فيها بالحقيقة ولم يتجوّز فيها لا يحصرها عدّ، وتفتقر إلى جهد كبير فوق الطاقة والاحتمال. ونصل من ذلك إلى أنّ الحقيقة لا تقلُّ في قيمتها البلاغية عن المجاز"<sup>(١)</sup>.

وقد توصلَ بعض العلماء إلى العلاقة المنطقية بين القرآن الكريم وأسلوبه، فأسلوب القرآن يفوق كلَّ الأساليب المعهودة، "وإذا كان القرآن الكريم هو كلام الله الذي ليس كمثلته شيء. تبيّننا أنّ أسلوب القرآن ليس كمثلته شيء من بين جميع أنواع الأساليب المعروفة"<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان هذا الأمر واضح الدليل، بيّن البرهان إلا أنّ الدكتور عبد الجليل عبد الرحيم ضرب لنا مثلاً ينقل من خلاله مفارقة أسلوب القرآن لكافة الأساليب بقوله:

"أما أنّ لغاية الكاتب ومقصده من كلامه أثراً في اختلاف الأسلوب، فواضح أنّ أسلوب من يقصد إلى بثّ الحماس في النفوس، وإلهاب المشاعر، ومن يقصد إلى إثارة العواطف، وإظهار إعجاب السامعين له، غير أسلوب من يقصد إلى الإقناع، وشرح دقائق العلم وخفاياه، والقرآن الكريم قد جاء بأجلّ المقاصد وأسماها تلك التي لم تجتمع في كتاب آخر سواه، فترتّب على ذلك أن يكون أسلوبه مخالفاً لأسلوب أيّ كلام سواه"<sup>(٣)</sup>.

ولم يبتعد الرافعي كثيراً عن هذا المقصد، وإنَّما دار في نفس الدائرة فقد أورد قائلاً: "إنّ القرآن الكريم إنّما ينفرد بأسلوبه؛ لأنّه ليس وضعاً إنسانياً البتّة، ولو كان من وضع إنسان لجاء على طريقة تشبه أسلوباً من أساليب العرب، أو من جاء بعدهم إلى هذا العهد... ولقد

<sup>(١)</sup> مع القرآن في بلاغته وإعجازه: عبد القادر حسين، مطبعة الأمانة، القاهرة ١٩٧٥م، ص ١٦١، ١٦٢.

<sup>(٢)</sup> لغة القرآن الكريم: ص ٢٩٠.

<sup>(٣)</sup> المصدر السابق: ص ٢٩٠.

أحسَّ العرب بهذا المعنى واستيقنوه بلغاؤهم ولولاه ما أفحموا ولا انقطعوا من دونه؛ لأنَّهم رأوا جنساً من الكلام غير ما تؤدِّيه طباعهم، وكيف لهم في معارضته بطبيعة غير مخلوقة؟<sup>(١)</sup>.

ويذهب بعض العلماء مذهباً عجيباً عندما يقررون أنَّ أدب الجدل من وجوه النظم القرآنيّ التي ترسم الطريق للدارسين، ومن المعلوم أنَّ الجدل نوعان: محمود ومذموم، ويراد هنا - بلا شكَّ - الجدل المذموم لا المذموم، ولعلَّك تعجب عندما تعرف أنَّ أدب الجدل من وجوه النظم القرآنيّ؛ إذ ورد في القرآن الكريم أساليب للجدل الذي ينبغي أن يكون هادياً للدارسين لهذا الفن في أيّ لغة من لغات الناس. ومن ذلك: أن يجعل المجادل قصده الحقَّ وبغيته الصواب، وأن لا تحمله قوَّة إن وجدها في نفسه، وصحة في تمييزه وجودة خاطره، وحسن بديهته، وبيان عارضته، وثبات حجته، على أن يشرع في إثبات الشيء ونقضه، ويشرع في الاحتجاج له ولضدّه، فإن ذهب مما يذهب ببهاء علمه، ويطفئ نور بهجته، وينسبه به أهل الدين والورع إلي الإلحاد، وقلة الأمانة<sup>(٢)</sup>.

ولا نعجب إذا علمنا أنَّ النظم القرآنيّ كان له عامل السحر في نفوس الأدباء، وطباع البلغاء، ومنطق الشعراء، فصنع فيهم الأعاجيب، وحسَّن منهم الأدواق، ولقد كان هذا النظم عينه هو الذي صفَّى طباع البلغاء بعد الإسلام، وتولَّى تربية الذوق الموسيقي اللغوي فيهم، حتى كان لهم من محاسن التركيب في أساليبهم - مما يرجع إلى تساوق النظم، واستواء التأليف - ما لم يكن مثله للعرب من قبلهم، وحتى خرجوا عن طرق العرب في السجع والترسل على جفاء كان فيهما، إلى سجع وترسل تتعرف في نظمهما آثار الوزن والتلحين، على ما يكون من تفاوتهم في صفة ذلك ومقداره، ومبلغهم من العلم وتقدمهم في صنعته. ولولا القرآن وهذا الأثر من نظمته العجيب، لذهب العرب بكل فضيلة في اللغة، ولم يبق بعدهم للفصحاء إلا كما بقي من بعد هؤلاء في العامية، بل لما بقيت اللغة نفسها<sup>(٣)</sup>.

إنَّ النظم القرآنيّ يعلو كلَّ نظمٍ، ويرقى فوق كلِّ لغةٍ، في حروفه، وكلماته، وتراكيبه، والقرآن في نظمه نمط واحد في القوة والإبداع، لا نقع منه على لفظ واحد يخلُّ بطريقته، وروح التركيب لم تعرف في كلامٍ عربيٍّ غير القرآن الكريم؛ لذا عجز العرب عن الإتيان بمثله لأسباب:

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص ٣٣٢.

(٢) البرهان في وجوه البيان: الحسن بن وهب الكاتب - تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي - مطبعة

العاني، بغداد ١٩٦٧م، ص ٢٣٥.

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص ١٥٢، ١٥٣.

"إنما تعذر على العرب الإتيان بمثله لأمر منها؛ أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وبألفاظها التي هي ظروف المعاني والحوامل لها، ولا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ. ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظم التي بها يكون ائتلافها بعضها ببعض، فيتوصلوا باختيار الأفضل عن الأحسن من وجوهها إلي أن يأتوا بكلام مثله، وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم.

وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح، ولا أجزل، ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً، وأشدّ تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه"<sup>(1)</sup>

---

(1) بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ص ٢٦، ٢٧.

## المبحث الثاني

### جذور الأسلوبية في البلاغة العربية

وفي تراثنا العربي الأصيل تظهر ملامح الأسلوبية، وتتضح هذه الملامح جلية من خلال التعريف المتداول للبلاغة وهو: "مطابقة الكلام لمقتضي الحال مع فصاحته"<sup>(١)</sup>. فمقتضي الحال يدلُّ علي تعدُّد وتنوُّع في الأساليب المستخدمة بين المتكلم والمتلقي، بمراعاة وضع المتلقي الثقافي، والاجتماعي، وحالته الصحية والنفسية، وغير ذلك، مع الأخذ بعين الاعتبار المناسبة التي يقال فيها أي: مراعاة أدقّ الجزئيات حتى إنّ العرب قالت: (لكل مقام مقال).

إذا فالأسلوبية والبلاغة تنظران بأنّ في اللغة طرقاً متعددة للتعبير، والقائل أو الكاتب يختار منها ما يراه مناسباً ومؤدياً للغرض الذي قيل من أجله.

فالأسلوب في العربية مقترن الصلة بالقرآن الكريم، فالقرآن الكريم – بالتأكيد – يمثّل الأسلوب الأمثل، والنموذج الأعلى، فقد جاء إلي العرب في فترة كانت تقتخر أكثر ما تقتخر بلغتها وبيانها وفصاحتها، فوقفوا أمامه منبهرين، حائرين، عاجزين لا يقدرّون علي مجاراته، بل لا عهد لهم بمثله من قبل، ويفعل في قلوبهم فعل السحر، هذا باعتراف أعداء القرآن من أهل الفصاحة والبيان، فإذا كانت الحروف هي الحروف، والألفاظ نفس الألفاظ، بل كثير منها مما تتداوله الألسن، واللغة هي اللغة، لكن ما الجديد في ذلك؟

الجديد في النسيج والتركييب وطريقة النظم (الأسلوب) وقد صدق فيهم قوله تعالى:

﴿لَقَدْ آتَيْنَا الْبَنِيَّانَ الْكِتَابَ فَكُنَّا لِيُحَدِّثُوا عَلَيْنا إِذْ جُمِعُوا لِلْحَكْمِ وَإِذْ طُغِيَا أَصْحَابُ السُّورِ إِذْ يَقُولُ أَإِذَا دُعُوا لِلْحُكْمِ يَكْفُرُوا بِهِمْ عَنِ رَبِّنا وَأَكْفُرُوا بِاللَّحْمِ إِذْ قُتِلُوا فَمَنْ حَمَلَ الْإِثْمَ﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ إِذْ رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْنَا بِنُورٍ﴾ [البقرة: ٢٣]. إلي جانب عدد كبير من الآيات التي تتحدّي العرب. ويلي القرآن الكريم أحاديث النبي صلي الله عليه وسلّم الذي بلغ الغاية من الفصاحة والبلاغة والبيان، وكان البيان العربي قد مخّضه الله تعالى، وألقى زبدته علي لسان سيدنا محمد صلي الله عليه وسلّم الذي أوتي جوامع الكلم فيقول: "أنا أفصح العرب بيدي أني من قريش"<sup>(٢)</sup>.

(١) الإيضاح في علوم البلاغة: للإمام الخطيب القزويني، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٧١م، ص ٨٠.

(٢) كشف الخفا: للعجلوني، رقم الحديث (٦٠٩) وقال: قال في اللآئ: معناه صحيح، ولكن لا أصل له كما قال ابن كثير وغيره من الحفاظ، ٢٠٠/١.

ويتجلى فهمه للأسلوبية والعلاقة بين المرسل والمتلقي في قوله: "أمرت أن أخطب الناس علي قدر عقولهم"، وتطبيقاً من خلال مخاطبته لأصحابه وتوجيههم، وضرب الأمثلة الواقعية المطابقة لحياتهم بطريقة جديدة سهلة مؤثرة أعجزت المتطاولين علي القرآن الكريم، وأبكمت الألسنة التي حاولت الطعن في إعجازه.

وأقوال العرب عن القرآن لا تحصى كثرةً، ويظهر أن زعماء المشركين لما رأوا شدة تأثير القرآن في نفوس سامعيه أخذوا يتجافون عن سماعه، ويمنعون ضعفاءهم وصغارهم من الإصغاء إليه، وينعتونه بصفات مختلفة، غرضهم منها أن يبيّنوا لهم أنه ليس من عند الله وإنما هو من صنع البشر؛ إنكاراً لفكرة الرسالة.

والأسلوبية مصطلح ظهر في العصر الحديث، وقد تعددت تعريفات الأسلوبية بصورة لم يستطع أنصارها وضع مصطلح محدد لها، وتقوم الأسلوبية على دراسة النص الأدبي دراسة لغوية؛ لاستخلاص أهم العناصر المكونة لأدبية الأدب إذ تجعل منطلقه الأساس النص الأدبي، أي أن الأسلوبية تنطلق من النص لتصب في النص أو كما يقال: "قراءة النص بالنص ذاته".

والأسلوبية أيضاً مصطلح يدع ما يحيط بالنص، ويلج إلى داخل مكنوناته، وعناصره الجوهرية، وذلك للوصول إلى فهم أعمق لحقيقة النص من خلال دراسة اللغة عبر الانزياحات اللغوية والبلاغية، فأمام المتحدث أو الكاتب مادة لغوية ضخمة ومتعددة يتكلم بها ويكتب فيها، فاختياره للكلمات والتراكيب مما يؤثره عما سواها؛ لأنه يجد فيها أكثر تعبيراً عن أفكاره ورؤاه، وأعمق تأثيراً في المتلقي، فالأسلوبية كيفية القول أو الطريقة التي استخدمت فيها اللغة، ومدى الأثر التي تركته في المتلقي، وهذا لا يبتعد كثيراً عن تعريف البلاغة العربية، ولكن بعض الذين انصهروا في بوتقة الحداثة أصرّوا على محاولة وضع مصطلحات جديدة، وتظهر ملامح الأسلوبية في تراثنا ظهوراً جلياً، وبداية من خلال التعريف المتداول للبلاغة بأنها "مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"، فمقتضى الحال يدل على تعدد وتنوع في الأساليب المستخدمة بين المرسل والمتلقي، بمراعاة وضع المتلقي الثقافي والاجتماعي، وحالته الصحية والنفسية وغير ذلك، مع الأخذ بعين الاعتبار المناسبة التي يقال فيها، أي مراعاة أدق الجزئيات حتى إن العرب قالت "لكل مقام مقال". وهذه إشارات واضحة لوجود وشائج بين البلاغة والأسلوبية، فالبلاغة والأسلوبية تتظران بأن في اللغة طرقاً متعددة للتعبير، والقائل أو الكاتب أو الأديب يختار منها ما يراه مناسباً ومؤدياً للغرض الذي قيل من أجله.

ولا يمكن الفصل مطلقاً بين اللغة العربية والقرآن الكريم، أو بين البلاغة العربية والقرآن الكريم، ومن ثم لا يمكن الفصل بين الأسلوب، والقرآن الكريم؛ فالأسلوب في العربية

مقترن الصلة بالقرآن الكريم، فهو يمثل الأسلوب الأمثل، والنموذج الأعلى. والشاهد الأقوى على الإطلاق والذي لا يمكن الإتيان بمثله. يقول تعالى:

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِن كُنَّا لَعَلِيمِينَ﴾ [الإسراء: ٨٨].

فقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم في فترة كانت العرب تفتخر بلغتها وبيانها وفصاحتها ويتبارون في ذلك، فوقفوا أمامه منبهرين حائرين عاجزين لا يقدرّون على مجاراته، بل لا عهد لهم بمثله من قبل، ويفعل في قلوبهم فعل السحر، هذا باعتراف أعداء القرآن من أهل الفصاحة والبيان.

لقد نشأت البلاغة العربية وكافة العلوم الأخرى لخدمة القرآن الكريم، بفهمه وإثبات إعجازه أسلوبياً، فالقدماء تحدّثوا عن الأسلوب حين عرضوا لقضايا كثيرة في الدراسات القرآنية والبلاغية والنقدية والشروح الشعرية مثل: تأويل مشكل القرآن (لابن قتيبة)، والكشاف (للزمخشري)، ومفتاح العلوم (للسكاكي)، وكذلك ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (للرمانى والخطابي والباقلاني)، بما فيها من موازات بين القرآن الكريم، وكلام الحكماء والبلغاء، وشعر أجلّ الشعراء، وبيان قصور ذلك، بل السخرية والتهكم منه — كما فعل الباقلائي — إذا قيس ذلك بالقرآن الكريم، وكل ذلك لإثبات إعجاز القرآن في نظمه، وتمييزه في جنسه، وانفراده في نسجه، المستقل عن غيره، وذلك من خلال تدقيق في المفردات من تقديم وتأخير، تعريف وتنكير، وتكرار وغير ذلك من تتبع لتفاصيل التركيب اللغوي (الأسلوب)، وما قام به القدماء من موازات بين الشعراء مثل: الوساطة بين المتنبي وخصومه (للقاضي الجرجاني)، والموازنة بين أبي تمام والبحتري (للأمدي)، وكذلك شروح الدواوين الشعرية، بل شرح الديوان الواحد من عدد من الشارحين مع اختلاف في المنهج، إضافة إلى المعارضات، والنقائض، والمختصرات الكثيرة في تراثنا، وهذا كله قراءات أسلوبية.

ومما يكاد يتصل بالأسلوبية الحديثة في تراثنا البلاغي؛ نظرية النظم التي فصل فيها الحديث الإمام عبد القاهر الجرجاني، وذلك من خلال دراسته للنحو دراسة جديدة، لا تقوم على الإعراب كما يفعل الآخرون، بل نظر إليه نظرة جديدة من حيث التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، وغير ذلك من تغيير في التركيب يتبعه طريقة جديدة في التعبير بأي أسلوب جديد، فالجملة الواحدة تنتقل من ضرب إلى ضرب. من إنشاء إلى خبر أو العكس، ومن استفهام إلى تعجب وغير ذلك. فتراثنا فيه من الإشارات والنظرات وبعض الدراسات مما يشكل نواة لأسلوبية عربية، وبذلك فالذهنية العربية متشعبة بروح التطبيق، والنص عندهم مصدر حركة في

التحليل والتأويل لا ينقطع، ومعين لا ينضب، فأهل العربية أصحاب تطبيق لا تتظير، فالإطار التطبيقيّ في الأسلوبية العربية واسع رحب ثري خصب، بيد أنّ المشكلة الكبرى من وجهة نظري الخطأ في التطبيق، إذ يلجا كثير من الدارسين إلى اتباع خطوات سلبية في التعامل مع ظاهرة الأسلوبية لكسب الشهرة والصيت، والخروج على تعاليم الدين الإسلاميّ في دراسة النصوص دراسة أسلوبية مسايرة للغرب في عاداتهم وتقاليدهم، والخروج على قاعدة الالتزام أو الأدب الملتزم، فيلجأ هؤلاء إلى تشتيت الدارس؛ كي لا يصل إلى نتيجة، أو طرف خيط يتمكن من خلاله فهم النصوص، وهذا أسمى هدف بيتغيه هؤلاء.

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن الأسلوبية أن نتناول أبرز روادها عريباً ومن هؤلاء الدكتور محمد الهادي الطرابلسي، والدكتور محمد عبد المطلب، والدكتور صلاح فضل، والدكتور شكري عياد، والدكتور عبد السلام المسديّ، ولعلّ أهم كتاب نظري تناول الأسلوبية بدقة هو كتاب (الأسلوبية والأسلوب) لعبد السلام المسديّ، وكتاب آخر أقل قيمة منه هو كتاب: (علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته) لمؤلفه صلاح فضل.

أما الكتاب الأول (الأسلوبية والأسلوب) فقد تناول فيه عبد السلام المسدي تطور هذا المصطلح عند النقاد والأسلوبيين في الغرب أمثال: (تشموسكي Noam Chomsky)، (وفردينان دي سوسير Ferdinand De Saussure)، و(رولان بارت Roland barthes)، و(رومان جاكسون Roman Jacobson)، وقد فسّم الكتاب إلى ستة فصول، ختمه بكشف كامل لأهم المصطلحات الأسلوبية في الغرب مثل: الانزياح، والانحراف، والمجاورة، والتناظر، والتضاد، والتوازي، والتماسك، والتكثيف، والازدواج، وغيرها من المصطلحات.....<sup>(1)</sup>

أما الكتاب الآخر (علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته)، فقد ركّز فيه (صلاح فضل) على أهم المدارس الأسلوبية في الغرب، وعلى أهم الإجراءات الواجب توفّرها أثناء دراسة النص الأدبيّ دراسة أسلوبية إلا أنّ ما يؤخذ على هذا الكتاب غموض منهجه، وصعوبة فهم مصطلحاته نتيجة غموض المناهج التي أخذ عنها.

أما محمد الهادي الطرابلسي فقد تناول في كتابه: (خصائص الأسلوب في الشوقيات) أشعار أحمد شوقي تحليلاً وتطبيقاً فبدأ بالإيقاع الذي تولده نصوصه الشعرية من قوافي وجناس وطباق وتقطيع، ثم تناول فن المقابلة وخصائصها كالمقابلة السياقية والتركيبية واللغوية.

(1) انظر الأسلوبية والأسلوب: ص ١٢٩ - ٢١١.



وإلى جانب هؤلاء هناك بعض الجهود الأسلوبية التي قام بها بعض الباحثين أمثال شكري عيَّاد، ومحمد حماسة عبد اللطيف، وسعد مصلوح، إلا أنها كانت مجرد اجتهدات أسلوبية بعضها وظَّف البلاغة وخطَّ بين المنهج الأسلوبيّ، والمنهج البلاغيّ.

ويعدُّ كمال أبو ديب ممن تناول الدراسات الأسلوبية في الوطن العربي خاصة في كتابه (جدلية الخفاء والتجلي) إذ انطلق فيه من بنية النصِّ الداخلية، وبالتحديد من ثنائياته الضديّة التي تؤدي إلى التوتر والانزياح في بنية نصوصه الشعرية، ورغم الإمكانيات الهائلة التي تمتع بها (أبو ديب) إلا أنه خرج كثيراً عن النصِّ الملتزم – كما أشرت آنفاً – وحاول جاداً التكرُّ لإبداعات العقليّة العربية الفذة، وجماليات البلاغة العربية الأصيلة.

ويجدد بنا ونحن نتناول الأسلوبية أن نسجّل أن هناك بعض الدارسين العرب من تناول الأسلوبية من منظور إسلاميٍّ ملتزم، مترفعاً عن بعض النقائص التي ركّز عليها بعض الدارسين العرب ومن هؤلاء؛ عدنان النحويّ في كتابه: (الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام)، وقد قسم النحويّ كتابه إلى خمسة أبواب، تناول في الأبواب الثلاثة الأولى مذاهب الحدائث كالبنوية، والتفكيكية، ثم تناول الأسلوب والأسلوبية في مذاهب الغرب من حيث المدارس والاتجاهات، أما الباب الرابع فقد تناول فيه الأسلوب والأسلوبية في الأدب الملتزم بالإسلام. مبيناً من خلاله تعريف الأسلوب، وأهم خصائص هذا الأسلوب، والعوامل الرئيسة التي تبني الأسلوب بتفاعلها مع غيرها، ثم ختم كتابه بأربعة نماذج تطبيقية متنوعة للأسلوبية.

ولا تزال الكتب التي تتناول الأسلوبية تظهر يوماً بعد يوم، كما تتعدد الدراسات والبحوث في هذا المجال، ورغم ذلك فقد واجهت الدراسات الأسلوبية في الوطن العربي مشكلات عديدة:

المشكلة الأولى – هي تنوع المدارس الأسلوبية ومناهجها والخلط فيما بينها جميعاً دون تحديد دقيق لهذه الدراسات، وتبني المنهج والإخلاص له، فأخذ صاحب المنهج اللسانيّ يمتدُّ إلى صاحب المنهج النحويّ أو البنيويّ وهكذا...

المشكلة الثانية – هي أن أغلب دراساتنا الأسلوبية تتبنى المنهج الإحصائيّ الذي يؤدي إلى عمليات حسابية غالباً ما تكون بعيدة عن شعريّة النصّ وفضائه النصّيّ، فتفقد هذه الدراسات قيمتها؛ لأنها تفقّت النصّ دون أن تستخلص قيمته الفنية أو وظيفته الجمالية.

المشكلة الثالثة – هي افتقار هذه الدراسات إلى التطبيق الأسلوبيّ المنهجيّ الدقيق، وقلمنا نجد دراسة أسلوبية تامة في التوليف بين الجانب النظري، والجانب التطبيقيّ في الوطن العربيّ.

المشكلة الرابعة – هي تركيز النقاد على ظواهر أسلوبية معدة مسبقاً عند الشعراء، ومن هذه الظواهر: التناص، والتضاد، والتوازي، والازدواج، والأسطورة، وغيرها من الظواهر الأسلوبية الأخرى. حتى ولو لم تكن هذه الظواهر متوفرة فعلاً عند هؤلاء الشعراء، مما يؤدي إلى غربة هذه الدراسات وعدم مصداقيتها بالنسبة للمتلقي القارئ والناقد.

المشكلة الخامسة – إهمال القرآن الكريم في جانب الدراسات الأسلوبية رغم أن القرآن الكريم يزرخ بالكثير من الظواهر التي تستحق تناولها أسلوبياً، إلا أن كثيراً من الدارسين أهملوا هذا الجانب ربما؛ لعجز هؤلاء عن تناول القرآن الكريم الذي يحتاج إلى قدرات هائلة من جهة، ورغبة هؤلاء إلى الصعود بسرعة بتناول ظواهر في مجالات بعيدة عن القرآن من جهة أخرى.

إن مثل هذه المشكلات لن نتغلب عليها إلا بإخلاصنا لمناهجنا، وسعينا الدؤوب إلى توظيف التراث بما يتواءم وواقع حياتنا، وموروثنا الثقافي، وواقع الحضارة، وثورتها العلمية؛ حتى نرتقي نقدياً وأسلوبياً على الصعيد العربي، وربّما العالمي على المدى الطويل.

وإذا عدنا إلى ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن)؛ فإننا "سنراه يتحدث في المقدمة عن أمرين فيهما الجواب عن كثير من التساؤلات، ومنها يستشف الواقع الذي حدا بالسلف إلى الانتقال بالبحث اللغوي من دراسة الجملة: نحواً، وصوتاً، وصرفاً، كما هي الحال في الدراسات اللسانية والنحوية مثلاً، إلى دراسات النص ومكوناته، كما هي الحال في الدراسات التي تقدّمها لسانيات النص حديثاً"<sup>(١)</sup>.

وقد تناول ابن قتيبة العديد من الظواهر الأسلوبية وهذه دلالة قاطعة على جذور الأسلوبية في الدراسات العربية، و"ينطلق ابن قتيبة من رصد بعض الظواهر الأسلوبية عند العرب عامة، وفي القرآن خاصة ليؤسس بهذا فرادة الكلام المدروس ضمن الظاهرة اللغوية. وهو إذ يفعل هذا، فإنما يريد أن يبيّن أن للكلام سماتٍ بها يتميز عن غيره، وأنه من غيرها يفقد خصوصيته التي بها صار مميزاً، ولتعزير مذهب في رصد فرادة الكلام، فإنه يركن إلى الترجمة؛ ليتخذ منها دليلاً. فهو يتكلم عن صعوبتها أولاً، ثم يؤكد استحالتها في نقل القرآن الكريم إلى لغة أخرى، كما تمّ ذلك بالنسبة إلى الإنجيل والتوراة والزبور. ونحن نعلم أن الترجمة بالإضافة إلى كونها عملاً لغوياً، فإنها أيضاً رؤية للعالم يتموضع فيها خطاب جديد استقلّ من خطاب سابق. وليس عبثاً أن قيل: (الترجمة خيانة)"<sup>(٢)</sup>.

(١) مقالات في الأسلوبية: منذر عياشي، منشورات اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٠م، ص ١٩٢.

(٢) المصدر السابق: ص ١٩٢.



﴿سِدَارِ الْفِرَاقِ﴾ [الفرقان: ٧٣]. "إن ترجمته

بمثل لفظه استغلق، وإن قلت: لم يتغافلوا أدت المعنى بلفظ آخر" (١).

ويعقب منذر عياشي على الأمثلة التي طرحها ابن قتيبة قائلاً:

"إن مثل هذه الملاحظات وأخرى غيرها، كانت بمثابة الخطوة الأولى للدرس العلمي الذي يبدأ بملاحظة الظواهر فيعدّها ويوبّئها، ثم يقوم بعد ذلك بوصفها، ويدلي في مرحلة ثالثة ببعض الفرضيات، ثم يقوم أخيراً بشرح الظواهر وإعطائها ما يناسبها من الحلول، معتمداً على ما قدمه من فرضيات" (٢).

والأمر الثاني، وهو الذي يبدو الدافع فيه واضحاً. فقد ذهب ابن قتيبة يردُّ عن القرآن ويدافع عنه، شأنه في ذلك شأن العلماء المسلمين الذين استحوذت عليهم هذه القضية، وسرت في عروقهم الدماء المسلمة الوفيّة، وفجرت طاقاتهم الإبداعية، وقدراتهم العلمية، فجاء الدرس اللغوي والعلمي عندهم صورة مثلى لعمل حضاري رصين. يقول ابن قتيبة: "وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه، وهجروا، واتبعوا ﴿أَلْ عَمْرَانَ: ٧﴾ بأفهامٍ كليلية، وأبصارٍ عليية، ونظرٍ مدخول، فحرفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سبله، ثم قصّوا عليه بالتناقض والاستحالة، واللحن، وفساد النظم، والاختلاف، وأدلو في ذلك بعقلٍ ربما أمالت الضعيف الغمُر، والحدث الغر، واعترضت بالشبه في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور. ولو كان ما نحلوا إليه على تقريرهم وتأولهم لسبق إلى الطعن به من لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلّم يحتج عليه بالقرآن، ويجعله العلم لنبوته والدليل على صدقه، ويتحدّاه في موطن بعد موطن على أن يأتي بسورة من مثله، وهم الفصحاء والبلغاء، والخطباء، والشعراء، والمخصوصون من بين جميع الأنام بالألسنة الحداد، واللدد في الخصام، مع اللبّ والنهي، وأصالة الرأي" (٣).

ثم ينهي كلامه فيقول مظهراً غاية عمله، وموضحاً طريقتة، ومنهجه:

"فأحببت أن أنضح من كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النيّرة، والبراهين البيّنة، وأكشف للناس ما يلبسون. فألفت هذا الكتاب، جامعاً لتأويل مشكل القرآن، مستتبّاً ذلك من التفسير بزيادة في الشرح والإيضاح، وحاملاً ما لم أعلم فيه مقالاً لإمام مطلع على

(١) المصدر السابق: ص ٨١.

(٢) مقالات في الأسلوبية: ص ١٩٣.

(٣) تأويل مشكل القرآن: ٨١، ٨٢.

لغات العرب؛ لأرى به المعاند موضع المجاز، وطريق الإمكان، من غير أن أحكم فيه برأي، أو أفضي عليه بتأويل"<sup>(١)</sup>.

هذه دلائل لبعض الظواهر الأسلوبية عند العرب، لذلك لا نستغرب إلى ذهاب بعض الباحثين إلى تعريف البلاغة بقوله:

"إبراز المقاييس الأسلوبية في النص الأدبي في مستوى بنيته الكلية"<sup>(٢)</sup>.

ويمكن القول هنا إنَّ هناك أهدافاً وغايات ترمي إليها مباحث الأسلوبية، وذلك إذا نظرنا لها باعتبارها عملية إثراء للأدب بكل فنونه، فلا يمكن لباحث، أو متذوق، أو ناقد أن يتصور وجود أدب بلا أسلوب. "وقد اتفق الشعراء والكتاب على أنَّ الأسلوب هو مجال التفرُّد والتميُّز؛ لأنَّه مزيج من الجمال الفني الذي يستطيع نقل الواقع وتصويره، كما أنَّه القادر - وحده - على التعبير عن الرؤية العميقة للعالم، وقد يشترط بعضُ توفر الموهبة في صاحب الأسلوب، وقد يتغاضى بعضُ عن هذا الشرط، لكنَّ هؤلاء وأولئك متفقون على وجوده بشكلٍ أو بآخر، ومتى تمَّ الاتفاق على هذا الوجود فإنَّ الأسلوبية هي ميدان التعامل معه، ومباحثها هي وسيلة إدراكه، والوصول إلى أبعاده اللغوية"<sup>(٣)</sup>.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل يمكن للأسلوبية أن تفرض نفسها كنظرية شاملة في الدرس الأدبي؟

"أفلا يكفي ذلك كَلِّه لتصبح الأسلوبية ذاتها نظرية نقدية فتكون بديلاً عن النقد الأدبي عامة؟"<sup>(٤)</sup>.

إنَّ مناهج البحث الجديدة في دراسة الأساليب "تعتمد - فيما يبدو - على مجموعة من التحديات التي لا تقبل كثيراً من الجدل والنزاع حولها، وعلى قمة هذه التحديات اعتبار الأسلوب وسيلة بيانية للكتابة، تتحقق على المستوى الفردي، كما تتحقق على المستوى الجماعي، بل تتمايز بتمايز المراحل التاريخية للفرد أو العصر"<sup>(٥)</sup>.

وقد حاول كثير من الدارسين إظهار محاسن الأسلوبية عن طريق الحديث عن بعض العثرات التي وقعت فيها البلاغة من وجهة نظرهم دون التعمُّق في دراسة البلاغة قبل اتهامها

(١) المصدر السابق: ص ٨٢.

(٢) التفكير البلاغي عند العرب: حمادي صمود، تونس ١٩٨١م، ص ١١٥، ١١٦.

(٣) البلاغة والأسلوبية: محمد عبد المطلب، الدار المصرية العالمية للنشر - لونجمان - الطبعة الأولى ١٩٩٤م، ص ٣٥١، ٣٥٢.

(٤) الأسلوبية والأسلوب: عبد السلام المسدي، ص ١١٨، دار سعاد الصباح، الكويت، الطبعة الرابعة ١٩٩٣م.

(٥) البلاغة والأسلوبية: ص ٣٥٢.

بالقصور، أو الجزئية. والأسلوبية – كعلم جديد نسبياً – حاولت تجنب المزالق التي وقعت فيها البلاغة القديمة من حيث إغراقها في الشكلية، ومن حيث اقتصرها على الدراسة الجزئية بتناول اللفظة المفردة، ثم الصعود إلى الجملة الواحدة، أو ما هو في حكم الجملة الواحدة. وهذه الدراسة البلاغية كانت – يوماً ما – أداة النقد في تقييم الأعمال الأدبية، وربما ساعدت هذه النقود البلاغية في خلق الأشكال الثابتة لمختلف الأنواع الأدبية، بما قدّمته من نصائح، وتوجيهات، وتقنيات صارمة وضعت بدقة بالغة.

وليس معنى ذلك أنه يمكن الفصل بين البلاغة والأسلوبية، إلا أن كثيراً من الدارسين يصرّون على الفصل بينهما، "فمن المؤكّد أنّه حدث تداخل بين اختصاصات البلاغة القديمة والأسلوبية الحديثة، غير أنّ البلاغة لم تعد قادرة على الاحتفاظ بكلّ حقوقها القديمة، التي كانت تناسب فترة معينة من ماضينا، والتي يجب على الباحث في الأسلوبية أن يضعها في اعتباره، وأن يحاول تعميقها على ضوء المناهج الجديدة، وبهذا يمكن للنقد أن يتصل بالأسلوبية في محاولة الكشف عن المظاهر المتعددة للنص الأدبي"<sup>(١)</sup>.

إنّ فهم الأسلوبية بصورة صحيحة بعيداً عن تفتيتها والعمل على اصطدامها بالبلاغة العربية يمكن أن يفتح مجالات واسعة للتعبير عن جماليات اللغة والنصوص وتشيدّ جسراً للتواصل بين البلاغة، واللغة، والأدب، "فقد أزلت الأسلوبية الحواجز بين اللغة وتاريخ الأدب، وهي بهذا أصبحت علماً شاملاً للدلالات المنبثقة من الأثر الأدبي"<sup>(٢)</sup>.

إنّ الأسلوبية علم قديم جديد ما فتئ يتطور جذرياً، وهذا ما أكده المسديّ قائلاً:

"إنّ الناظر في الأسلوبية إجمالاً منذ نشأتها إلى آخر مطاف تطورها في العصر الحديث يقف على حقيقتين اثنتين: أولاهما أنّ علم الأسلوب من حيث هو معرفة إنسانية قديم في تصوراته المبدئية، حديث في بلورة غاياته وتشكيل مناهجه، وثانيتها أنّ علم ما فتئ يتطور جذرياً غير أنّ الحدود الزمنية بين تحولاته مائعة جداً"<sup>(٣)</sup>.

إنّ التعامل مع الأسلوبية بنظرة فاحصة يسهم في صناعة روابط متينة بين علوم العربية المختلفة، وتشيدّ جسور بين فروعها المتعددة، ويجوز لنا القول هنا إنّ الأسلوبية أصبحت جسر النقد إلى نسيج العمل الأدبيّ، بتجاوزها عملية التحليل المحض إلى أن تكون أداة لكشف طبيعة العمل الأدبيّ بعلاقاته الداخلية، على أساس أنّ الدراسة اللغوية عندما تتجه إلى

(١) المصدر السابق: ص ٣٥٤.

(٢) الأسلوبية والأسلوب: ص ١١٨.

(٣) الأسلوبية والأسلوب: ص ١١٩، ١٢٠.

خدمة الأدب فإنها تتحول – بالضرورة – إلى أسلوبية؛ لأنّ البناء المعجمي – وحده – هو الذي يستطيع تقديم المعنى من خلال مستويات البناء، وما فيه من وحدات تكوينية يمكن اعتبارها بمثابة علاماتٍ أو رموز.

"والأسلوبية بإزالتها الحواجز بين اللغة والأدب أصبحت عاملاً فعّالاً في قراءة النص قراءة لغوية نقدية، بل يمكن القول بأنّ الغاية الحقيقية من وراء كل ذلك أن تصل إلى نقد الأدب؛ لأنّ الأدب قوام وجودها"<sup>(١)</sup>.

إنّ الأسلوب والأسلوبية يفتحان طرقاً كثيرةً في تناول النص الأدبي، "فالأسلوبية هي التي تعطي العمل الأدبي تفرّده بطرائقها المتجددة، وأدواتها البارعة في استخراج كنوز الآثار الأدبية من طريق اللغة دون تجاهل للموضوعية التي تقوم عليها"<sup>(٢)</sup>.

وربّما لكلّ هذا تهاوت الشكوك في أنّ الأسلوبية أصبحت بمثابة منهج علمي في دراسة الأسلوب الأدبي، فهي التي تحدّده، وتضبط الطرق العملية لتحليله وعليه "فإنّ أيّ نظرية نقدية في الأدب تقتضي بالضرورة الاحتكام إلى مقياس الأسلوب كمظهر للقدرة الإبداعية في النتاج الأدبي، من حيث كان الأثر المجسم له، والموضح لمميزاته وخصائصه"<sup>(٣)</sup>.

وبناءً على ما تقدّم نوّكد على أنّ الدراسة الأسلوبية لا تكتفي برصد هذه الأشكال التعبيرية – شأنها شأن البلاغة – بل إنها تتجاوز ذلك إلى عملية الكشف عن أفكار النصّ الأدبي وجمالياته.

(١) البلاغة والأسلوبية: ص ٣٥٧.

(٢) التركيب اللغوي للأدب: لطفي عبد البديع، مكتبة النهضة – القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٠م، ص ٩٣.

(٣) الأسلوبية والأسلوب: ص ١١٨.



## المبحث الثالث

### النظر الأسلوبي في التراث العربي

هناك أسئلة كثيرة تطرح نفسها في هذا المجال وهي: ما هي الأسلوبية؟ وهل لها جذور في تراثنا العربي؟ وما صلتها بالبلاغة؟ ولماذا يصرُّ كثير من الدارسين إلى إنكار فضل العرب في هذا المجال؟

لا شك أنَّ العلماء العرب سبقوا في هذا المجال – أعني الأسلوبية – ولا بدَّ أن نذكر هنا – وبكلِّ اعتزازٍ – آراء الباقلائي في كتابه (إعجاز القرآن)، وآراء الإمام عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم، وآراء حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) صاحب العديد من التصانيف البلاغية خاصة (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)، وهذه الآراء قلَّ أن نلاحظ نظيرها في كتابات البلاغيين، من قدماء، ومحدثين.

إنَّ الحقيقة التي لا يمكن أن ينكرها أيُّ إنسان أنَّ البلاغة العربية كانت القاعدة الثابتة التي انطلق من خلالها علماء الغرب في مصطلحاتهم الجديدة، بيد أنَّ علماءنا بُهروا ببريق الثقافات الغربية، ونظروا إلى الثقافة العربية بمنظور ضيق أسهم مساهمة كبيرة في إرساء قواعد للعلوم الغربية في بلداننا العربية، والطامة الكبرى أنَّ علماءنا أهملوا القرآن الكريم الذي يمتلئ بالإعجاز البلاغي، واللغوي، والأدبي، واندفعوا يلهثون وراء اللاتقافة، أو الثقافة التي حاولت تغريب العقلية العربية، ومسح الثقافة العربية الأصيلة التي سرقها الغرب، وغلَّفها بغلاف جديد محاولاً طمس معالمها، مستعيناً بمؤلفات العلماء العرب في الأدب والبلاغة، والمصيبة الكبرى أنَّ علماءنا لا يجهلون ذلك فحسب، بل ويسهمون في نسبة علومنا إلى الغرب إلا طائفة قليلة من العلماء انبرت تدافع عن البلاغة العربية، وجذورها الراسخة.

وثمة أمور كثيرة لا يمكن حصرها في المؤلفات العربية التي لا تدع مجالاً للشكِّ أنَّ الأسلوبية لها جذور راسخة في بلاغتنا العربية، ويمكن تناول مؤلفات كثيرة لإثبات ذلك منها: إعجاز القرآن (للباقلائي)، و(نظرية النظم) للجرجاني، والتماسك النصي عند حازم القرطاجني، إلى جانب ما تناولته – أنفاً – في كتاب تأويل مشكل القرآن (لابن قتيبة).

أما (الباقلائي) فقد أكدَّ من خلال كتابه إعجاز القرآن أنَّ الأسلوب القرآني مغاير لكافة الأساليب على الرغم من استعماله لألفاظ البشر وحروفهم وتراكيبهم وبلاغتهم من مجاز، واستعارة، وتشبيه، ومن إيجازٍ ومساواة، ومن تصريفٍ وتصريح، وتوشيح، ومن تفنُّنٍ وابتداع... والباقلائي في كتابه (إعجاز القرآن) "حريص على نفي التشبيه عن الله سبحانه وتعالى بنفي التشبيه عن كلامه، والإصرار على تفرد قرآنه بأسلوب ليس من كلام

الناس، وبجنس ليس من جنس كلام العرب، وقد اهتدى في تحليل هذا الرأي إلى القول بالأسلوب، واستخدم هذا اللفظ عانياً به الطريقة التي ينظم فيها الكلام نظماً يجعله على نمط واحد، ومن جنس واحد كيفما تصرف في الموضوعات، واختلف من موقع إلى آخر<sup>(١)</sup>.

واهتم الباقلائي بإيضاح فكرة الأسلوب من خلال الشعر والنثر، ثم انطلق إلى أسلوب القرآن الذي يعدُّ دليلاً قاطعاً على إعجازه، فالأسلوب يختلف من شاعر إلى شاعر، ومن كاتب إلى كاتب وهذا معناه أن: الأسلوب الشخصي للكاتب أو الشاعر يعكس صفاته الذاتية مثلما تعكس الخطوط مهاراته التي لا يشاكلة فيها أحد<sup>(٢)</sup>.

وهذا ما أورده الباقلائي في تباين الأساليب بين الشعراء قائلًا:

"فإنه لا يخفى على أحد أن يميّز سبك أبي نواس، ولا نسج ابن الرومي من نسج البحتري... وكذلك يميّز بين شعر الأعشى في التصرف، وبين شعر امرئ القيس... وكل له منهج معروف، وطريق مألوف"<sup>(٣)</sup>.

والقول السابق للباقلاني يحمل في طياته ملامح الأسلوبية، ومما لا شك فيه "أن ما قاله الباقلائي في القرن الرابع من وصف لطريقة الشاعر والناثر مقارب لما يقال في وصف الأسلوب"<sup>(٤)</sup>.

لقد استرسل الباقلائي في الحديث عن الأسلوب عند كثير من الشعراء والمقارنة بينهم. واللافت للنظر أن الباقلائي حين تناول الأسلوب الشخصي الذي يميز كاتباً عن كاتب، وشاعراً عن شاعر لم ينس أن بعض الشعراء أو الكتاب قد يتقاربون في الأساليب لذلك نجده يتناول ما يسمى بالأسلوب العصري، وهي الطريقة التي تميّز كتاب عصر من العصور قائلًا: "... فالكتاب قد يتدانون، بفضل التأثر والتأثير، وتبادل المعرفة والخبرة، فتصبح لكتاباتهم طريقة تميزها عن غيرها من كتابات الحقب الأخرى"<sup>(٥)</sup>.

إن إكثار الباقلائي من الحديث عن الأسلوب الشخصي له مغزاه، وهو أن يصل من خلال ذلك إلى أن لكل إنسان أسلوباً يميزه عن غيره، وأن أسلوبه يختلف ويتغير وفقاً للموضوع الذي يتناوله، "فإذا صحَّ هذا كله من خلال الأمثلة والشواهد فإن إعجاز القرآن يتجلى في خروجه على هذه المواصفات التي تميّز أساليب البشر، فالقرآن منفرد بأسلوب، وهو أسلوب يشهد بأنه

(١) الأسلوبية ونظرية النص: ص ٢٢، ٢٣.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٤.

(٣) إعجاز القرآن: الباقلائي ص ١٢١.

(٤) الأسلوبية ونظرية النص: ص ٢٤.

(٥) إعجاز القرآن: ص ١٢٢، انظر الأسلوبية ونظرية النص: ص ٢٥.

كلام ليس من جنس كلام العرب، وإن كان يستخدم ألفاظهم وحروفهم التي يستخدمونها في شعرهم، ونثرهم، وخطبهم، وكلامهم العادي، وهذا الاختلاف ينشأ من كون صاحب الكلام هو الله الذي ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا ۗ لَعَلَّ الْبَشَرَ إِنْ حَسِبُوا أَنَّ الْفِتْنَةَ الَّتِي كَانَتْ فِي الْأَرْضِ لَكِنَّا مُتَحَدِّثِينَ﴾ [الشورى: ١١] (١).

فإذا كان الكلام العادي ينبئ عن شخص المتكلم وصفاته فالأحرى بكلام الله سبحانه وتعالى أن ينبئ عن ذاته – سبحانه تعالى – ومن هنا فإن أسلوب القرآن هو مظهر تفرده وتمييزه عن جنس الكلام الإنسي، وهو سرٌ إعجازه، وسبب إخفاق القوم الفصحاء في معارضته، والإتيان بسورة، بل بآيةٍ من مثله.

إنَّ القرآن معجز في أسلوبه الذي يسير على سنن ونمط متجانس، دونما اختلال، أو اضطراب، أو تفاوت بين سورةٍ وسورة، أو آيةٍ وآية، أو موضوعٍ وموضوع، فهو على الدوام منفرد بذلك الأسلوب الذي يعجز عنه البشر. وهذا ما أورده الباقلائي قائلاً:

"وأسلوبه مباين لسائر كلامهم ثم بما يتضمن من تجاوزه في البلاغة الحدّ الذي يقدر عليه البشر" (٢).

والأسلوب ليس بالبلاغة قطعاً؛ لأنها صفة تدلُّ على تميز العبارة المنفردة بينما "الأسلوب يختص بمعنى آخر من الشرف، ثم الفواتح والخواتم، والمبادئ والمثاني، والطواع والمقاطع، والوسائط والفواصل، ثم الكلام في نظم السور والآيات في تفاصيل التفاصيل..... والجمع بين المؤتلف والمختلف، والمتفق والمتسق" (٣).

ويكرر الباقلائي الحقيقة الثابتة التي لا يمكن أن ينكرها أحد وهي:

"مباينة أسلوب نظم القرآن جميع الأساليب، ومزيته عليها في النظم والترتيب، وتقدمه عليها في كل حكمة وبراعة" (٤).

والأمر الذي لا يتصوره عاقل أن كثيراً من العلماء العرب يصرون على نسبة العلوم إلى غير أصحابها، وإحاق المصطلحات بغير واضعها ومنها مصطلح (الأسلوبية Stylistics). والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: "ما الذي عناه الباقلائي بالأسلوب؟ أهو المظهر اللفظي للنص أم ماذا؟ في كثير من النصوص التي استشهد بها الباقلائي كمعلقة امرئ القيس، وقصيدة

(١) الأسلوبية ونظرية النص: ص ٢٦.

(٢) إعجاز القرآن: ص ٢٨٦.

(٣) إعجاز القرآن: ص ٣٠٠.

(٤) المصدر السابق: ص ٢١٦.

البحتري، تناولها تناولاً قائماً على دراسة الجانب اللفظي، والتركيبية، وما يعرض للكلام من فنون التركيب والاتساق والتناسب. وهذا تقريباً ما يجري التركيز عليه الآن في معظم الدراسات الأسلوبية<sup>(١)</sup>. وهي دراسات تعتمد على معرفة الأسلوب الشخصي، والأسلوب العصري والملاءمة بين الألفاظ، والتناسب والوحدة في النص، وآية حرص الباقلاني على درس المظهر اللفظي التركيز على اختيار اللفظ، وإحلاله الموقع المناسب في السياق، هو أساس البلاغة والإحسان في البيان، وبيان ذلك يوضحه قول الباقلاني:

"إنَّ إحدى اللفظتين قد تنفر في موضع، وتزلُّ عن مكان لا تزلُّ عنه اللفظة الأخرى، بل تتمكن فيه، وتضرب بجرانها، وتراها في مظانها، وتجدها فيه غير مُنازعة إلى أوطانها، وتجده الأخرى - لو وُضعت موضعها - في محلِّ نَفارٍ، ومرمى شرادٍ، ونابيةً عن استقرار"<sup>(٢)</sup>.

إنَّ التعبيرات التي استخدمها الباقلاني منذ القرن الرابع هي نفسها ما يكررها الأسلوبيون، بيد أنهم يصرون على نسبتها إلى أنفسهم دون وازع من أمانة علمية ومنها: إنَّ دارس الأسلوب يحتاج إلى مقاييس غاية في الضبط والإتقان، فالبيان مرهون بأن يأتي كل شيء على قياس دقيق دون زيادة أو نقصان، و"عذوبة الشعر تذهب بزيادة حرف أو نقصان حرف، فيصير إلى الكزازة، وتعود ملاحظته بذلك ملحوظة، وفصاحته عيياً، وبراعته تكلفاً، وسلاسته تعسفاً، وملاسته تلويحاً وتعقداً"<sup>(٣)</sup>.

إنَّ الحقيقة التي يدركها كلُّ عاقل، ويعيها كلُّ صاحب ذوق أنَّ أسلوب القرآن مغاير لأساليب الناس، فالعاقل يدرك لأول وهلة هذا الأمر، فأسلوب القرآن يخالف الأساليب الوضعية كالشعر والنثر في كونه لا يتغير تبعاً للموضوع أو المناسبة، وقد رسم الباقلاني هذه المفارقة قائلاً: "ألا ترى أن الشاعر المفلق إذا جاء إلى الزهد قصر، والأديب إذا تكلم في بيان الأحكام، وذكر الحلال والحرام، لم يكن كلامه على حسب كلامه في غيره. ونظم القرآن لا يتفاوت في شيء، ولا يتباين في أمر، ولا يختل في حال، بل له المثل الأعلى، والفضل الأسنى"<sup>(٤)</sup>.

إنَّ الأسلوبية في القرآن تتفرد بمزايا لا نكاد نجدها مطلقاً في أدب من الآداب، وتختصُّ بسماتٍ يستحيل أن نراها في فن من الفنون، ويشير الباقلاني في غير موضع إلى ما يميِّز القرآن عن غيره من الكلام، ومن ذلك أنه: "لو أفرد جزء منه أو عشر أو آية أو كلمة لاحتفظ هذا

(١) الأسلوبية ونظرية النص: ص ٢٧.

(٢) إعجاز القرآن: ص ٢٢٠.

(٣) إعجاز القرآن: ص ٢٢٠.

(٤) المصدر السابق ص ٢٠٠.

المتفرد بمزايه الأسلوبية، ولو أعيد إلى ما يسبقه أو يلحقه من أجزاء لكان على ما هو من غاية الحسن وعظم الإعجاز، فهو وصف يطلق على القرآن كاملاً ومجزئاً، وكان التحدي للمشركين أن يأتوا بسورة ثم آية منه.

إنَّ الأسلوب – الذي هو المظهر اللفظي للكلام الإلهي – سمة لافتة للقرآن، ولا يشاركه فيه كلام، حتى إننا لو خططنا شيئاً من القرآن بكلام الشعراء، والبلغاء، والأبيات، برز من خلاله، وبن أنه من القرآن، وكان الشعراء قد دأبوا على تضمين أشعارهم بعض آياته، ومن المؤكد أن ذلك الاقتباس برهن دائماً على صحة القول بتفرد أسلوبه، وتميُّزه على غيره<sup>(١)</sup>.

ويؤكد الباقلائي القول السابق قائلاً: "ولولا ما أكره من تضمين القرآن في الشعر لأنتدتك ألفاظاً وقعت مضمّنة؛ لتعلم كيف تلوح عليه، وكيف ترى بهجتها في أثنائه، وكيف تتماز منه، حتى إنه لو تأمله من لم يقرأ القرآن لتبين أنه أجنبي عن الكلام الذي تضمنه، والباب الذي توسطه، وأنكر مكانه، واستكبر موضعه، ثم تناسبها في البلاغة والإبداع، وتمائلها في السلاسة والإغراب، ثم انفرادها بذلك الأسلوب، وتخصُّصها بذلك الترتيب"<sup>(٢)</sup>.

ولم يكتف الباقلائي بكل ذلك من أوجه التفرد والتميُّز، بل أرف ذلك قائلاً:  
"ونظم القرآن جنس متميز، وأسلوب متخصص، وقبيل عن النظير متخلص"<sup>(٣)</sup>.

تلك أدلة قاطعة لا يمكن أن ينكرها عاقل على سبق العرب في مجال الأسلوبية، وآراء الباقلائي تدلُّ دلالة قاطعة على أن للأسلوبية جذوراً في تراثنا الأدبي. "والواقع أن فكرة التفرد الأسلوبية، والربط بين أسلوب الكلام، والسمات الشخصية والذاتية للمتكلم من الأمور التي جاءت وليدة الفكر الكلامي لدى الباقلائي"<sup>(٤)</sup>.

ويمكن القول هنا أن دُعاة الأسلوبية خاصة العرب وعلى رأسهم (كمال أبو ديب) و(علي أحمد سعيد أدونيس)، وما يثيرونه من ادّعاءات باطلة هي مجرد افتراءات قصدوا من ورائها إرضاء الغرب؛ طمعاً في الصيت والشهرة.

وإذا انتقلنا إلى الإمام عبد القاهر الجرجاني؛ وجدنا نموذجاً آخر تثبت أفكاره وجود جذور للأسلوبية في تراثنا العربي، إذ "يتطابق الكثير من آراء عبد القاهر الجرجاني وأنظاره،

(١) الأسلوبية ونظرية النص: ص ٢٨.

(٢) إعجاز القرآن: ص ٢٠٥.

(٣) إعجاز القرآن: ص ١٥٩.

(٤) الأسلوبية ونظرية النص: ص ٢٩.

في وجوه النظم والأسلوب علاقة ذلك باللغة، والنحو، والبلاغة مع آراء البنيويين المعاصرين، والأسلوبيين المجددين في النقد الأدبيّ والبلاغيّ. ولو لم يكن لعبد القاهر من مآثرة غير اهتدائه لمرتكزات نظرية الأسلوب الأساسية – قبل تسعة قرون – لكفاه ذلك فخراً، فكيف إذا أدركنا أنه وضع علم البيان، والنظم في الموضوع الصحيح بعد أن كان السابقون قد وضعوه في المسار الخاطئ<sup>(١)</sup>.

إنّ قضية إدراك الصلة بين الاجتماعيّ والفرديّ في اللغة والتي تناولها (الجرجانيّ) أصبحت درباً سار فيه الأسلوبيون فيما بعد، و"حديث عبد القاهر عن أثر قواعد النحو في تشخيص المعاني، والخروج بالألفاظ عن مجرد الأصوات إلى أن تكون ألفاظاً متحدة بالمعاني، ردّده أيضاً علماء اللغة المعاصرون، والأسلوبيون الذين يتوكأون على هذا العلم الجديد، فقد ذكر (جيرو Guiroud) في كتاب (مقالات عن الأسلوبية) أنّ علم النحو يخترق النصّ مضيئاً بعداً ثالثاً إلى بعدي المعنى واللفظ، وهو العمق، مستقطباً عناية الأسلوبية على نحو ما"<sup>(٢)</sup>.

ويتفق كثير من الغربيين مع آراء الجرجانيّ ومنهم: (فينوجرادوف V.v Vinogradov) فقد أكّد في بحثه عن: (أهداف الأسلوبية) على أنّ الأسلوب "يتحدّد في النصّ بالعالم الأصغر للأدب ويعني به النصّ، وهذا العالم الأصغر يحدّده جهاز الروابط القائمة بين العناصر اللغوية المتفاعلة مع قوانين انتظامها"<sup>(٣)</sup>.

كما أنّ آراء الجرجانيّ تتفق مع آراء الشكليين الألمان... وآراء الأسلوبيين المعاصرين الذين يدعون إلى "قصر التفكير الأسلوبية نفسه على النصّ الأدبيّ في حدّ ذاته بعزل كل ما يتجاوزه من مقاييس تاريخية أو نفسية"<sup>(٤)</sup>.

وهنا لا يستطيع أحد أن ينكر أنّ أحدث مدارس النقد الغربيّ تنادي بما سبق أن نادى به الجرجانيّ في هذا الموضوع. إلا بعض أبواق الآراء الغربية التي تصرّ إصراراً أعمى على إنكار جهود العلماء العرب في ميدان الأسلوبية. والمتصفح مليّاً لكتب الغربيين يدرك أنّ ما فيها مجرد تكرار لآراء العلماء العرب، بيد أنّ هذه الآراء غلّفت بغلاف جديد لا يجهله إلا المنكرون لأصالة ثقافتنا العربية.

(١) المصدر السابق: ص ٤٩.

(٢) الأسلوبية والأسلوب: ص ٥١.

(٣) الأسلوبية والأسلوب: ص ٩١.

(٤) الأسلوبية والأسلوب: ص ٣٥.

ومن الأدلة التي استند إليها الأسلوبيون في نظرتهم إلى النصّ وقوف عبد القاهر الجرجانيّ عند كلمة ﴿ 0EAC ﴾ في قوله تعالى:

﴿ 0EAC ﴾ [هود: ٤٤]. فهي كلمة ماهرة، وإنما اكتسبت هذه المزية من تعلقها بالألفاظ التي سبقتها، وبالكلمة اللاحقة ﴿ 0EAC ﴾ وبعد أن يحلّل هذه الآية تحليلاً دقيقاً يكرّر ما سبق وأن أكّده من وجود حقيقة ثابتة وهي أن:

"الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة. بدليل أنّ اللفظة قد تروق لك في موضع، وتثقل عليك في موضع آخر، وهذا الدليل الذي استند إليه عبد القاهر في الردّ على من اعتبر للألفاظ قيمة في ذاتها – علاوة على أنّه دليل عقلي لا يقبل الدحض – فإنّه من الأدلة التي استند إليها الأسلوبيون في نظرتهم إلى النصّ"<sup>(١)</sup>.

ومن الأدلة التي استند عليها الأسلوبيون – أيضاً – توقّف الجرجانيّ عند قوله تعالى: ﴿ 0EAC ﴾ [مريم: ٤]. ويبيّن خطأ الاعتقاد بأنّ مزية الآية تتبدى في الاستعارة ﴿ 0EAC ﴾ بينما الفضل – في رأيه – نابع من السياق الذي وضعت فيه، كإسناد الاشتعال للرأس، وتأخير ﴿ 0EAC ﴾ لتتنصب في آخر الجملة على التمييز ولو أننا غيرنا ترتيب الألفاظ لتغيّر المعنى<sup>(٢)</sup>. وهذا الذي ذكره الجرجاني لا يختلف عما ذكره (كولردج) في حديثه عن لغة الشعر، أو ما ذكره عند الحديث عن البنية العميقة في الجملة الواحدة<sup>(٣)</sup>.

ومن الأدلة كذلك ما أكّده (مارسيل كروز Crossot) في كتابه (الأسلوب والتقنيات) على ما أكّده الجرجاني "من أنّ العناصر الجمالية التي يصطنعها الأديب في عمله الفني – كالمجاز والاستعارة – لا قيمة لها في ذاتها، ولا تعدو أن تكون جزءاً من الفحوى وقد عمّق عبد القاهر الجرجانيّ هذه الفكرة بأن تطرّق إلى دلالات الألفاظ اللغوية، ودلالاتها في الأدب"<sup>(٤)</sup>.

(١) الأسلوبية ونظرية النص: ص ٤٠ ، انظر دلائل الإعجاز: ص ٤٥ .

(٢) انظر دلائل الإعجاز: الجرجاني ص ١٠٠ ، ٣٩٣ .

(٣) انظر الأسلوبية ونظرية النص: ص ٤٣ ، ٤٤ .

(٤) المصدر السابق: ص ٤٥ ، ٤٦ ، دلائل الإعجاز: ص ٢٠٦ .



هذه بعض الأدلة التي تدلُّ دلالة قاطعة على تطابق الكثير من آراء البنيويين المعاصرين، والأسلوبيين المجددين في النقد الأدبيّ، والبلاغيّ. وهناك أدلة أخرى كثيرة لا يتسع المجال لحصرها.

## المبحث الرابع

### الأسلوبية والأسلوب

لتحديد مفهوم أيّ مصطلح ينبغي علينا أن نبحث أولاً في جذره اللغويّ في اللغة العربية أو في أيّ لغة من اللغات الأخرى. والأسلوبية وإن كان كثير من العلماء أثبت بداياتها للبلاغة العربية والنقد العربيّ القديمين، إلا أن آخرين رأوا أن الأسلوبية وليدة الدراسات النقدية الغربية الحديثة، وإن كانت له بدايات غير واضحة في النقد العربيّ القديم. وبعيدا عن هذا التباين أو ذلك الاختلاف يري اللغويون أن كلمة أسلوب (style) ترجع إلي الكلمة اللاتينية (stilitus) وتعني الريشة أو القلم أو أداة الكتابة، ثم انتقلت إلي الدراسات الأدبية لتعني طريقة الكتابة، ومنها جاءت (stylistics) علم الأسلوب، "وإذا حللنا هذا المصطلح نجد أنه مركب من جذر (style) أسلوب ولاحقه الذي يدل على النسب (stics) (ية)، وخصائص الأصل تتقابل انطلاقاً من أبعاد اللاحقة. فالأسلوب (style) ذو مدلول إنساني ذاتي، وبالتالي نسبي، واللاحقة تختص فيما تختص به بالبعد العلمانيّ العقليّ وبالتالي الموضوع، ويمكن في الحالتين تفكيك الدال الاصطلاحي إلى مدلوليه بما يطابق عبارة (science of style) علم الأسلوب، لذلك تعرف الأسلوبية بدهاءةً بالبحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب"<sup>(١)</sup>.

أما عدنان النحويّ فيرى أن الأسلوبية هي: "دراسة الأسلوب في النص الأدبي"<sup>(٢)</sup>، هذا من حيث المبدأ، أما من الناحية العملية فإنّ دراسة الأسلوب يجب أن تشمل "دراسة العناصر والقوى التي كان لها دور في بناء الأسلوب... ومن العبث محاولة دراسة الأسلوب دون اعتبار العوامل والقوى والعناصر التي بنته من ناحية، والتي وجهته من ناحية أخرى، ودون دراسة خصائصه التي يتميز بها هنا أو هناك"<sup>(٣)</sup>.

وكغيرها من النظريات والمذاهب مرّت الأسلوبية بعدة مراحل على يد عدد من العلماء، ففي بداية القرن العشرين نشأ نظامان عن تجديد المذاهب اللسانية، "فشكلاً باسم الأسلوبية دراستين منفصلتين وتميزتين، تطورتا تطوراً مساوياً لتطور النقد التقليدي للأسلوب... وهما أسلوبية التعبير من جهة أولى، وهي عبارة عن دراسة علاقات الشكل مع التفكير، أي التفكير

(١) الأسلوب والأسلوبية: بيرو جيرو، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت - لبنان د.ت، ص ٣٠، انظر الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام: عدنان النحوي، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، ص ١٤٥، الأسلوب والأسلوبية: ص ٣٤.

(٢) الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام: ص ٣١١.

(٣) المصدر السابق: ص ٣١٢.

عموماً، وهي تتناسب مع تعبير القدماء. كما سنتشأ من جهة أخرى أسلوبية الفرد، وهي في الواقع نقد للأسلوب، ودراسة لعلاقات التعبير مع الفرد والمجتمع الذي أنشأها واستعملها. وهي بهذا دراسة تكوينية إذن، وليست معيارية أو تقديرية فقط.

إنَّ أسلوبية التعبير لا تخرج عن إطار اللغة، أو عن الحدث اللساني المعبر لنفسه. بينما تدرس الأخرى هذا التعبير نفسه إزاء المتكلمين، .... وتتنظر الأولى إلى البنى ووظائفها داخل النظام اللغوي، وبهذا تعتبر وصفية، وتحدّد الثانية الأسباب، وبهذا تعتبر تكوينية. ولذا كانت الأولى أسلوبية للأثر وتتعلق بعلم الدلالة أو بدراسة المعاني، بينما الثانية أسلوبية للأسباب وتتنسب إلى النقد الأدبي<sup>(١)</sup>.

لقد ظهرت التعبيرية (Expressionism) وسط المذاهب الحديثة المتعددة، ويكاد ينحصر الاهتمام بالأسلوبية التعبيرية في (بالي Charles Bally). وإذا كانت وظيفة العالم اللغوي عند (بالي) هي البحث عن القوانين اللغوية التي تحكم عملية الاختيار فإن وظيفة المحلل الأسلوبي قد تطورت على أيدي تلاميذه لتصبح أكثر خصوصيةً، فتغدو البحث عن القوانين الجمالية التي تحكم عملية الإبداع الأدبي<sup>(٢)</sup>.

أما (تريفان تودوروف Tzvetan Todorov)<sup>(٣)</sup> فقد خطا بالأسلوبية خطوة كبيرة حين تجاوز حدودها اللغوية التي تتعامل مع الألفاظ والتركيبات بالسياق العام، وعلاقاته بالعالم الخارجي، والظروف القادرة على تفسير تلك التركيبات اللغوية.

وخلط كثير من الأسلوبيين بين ظروف قيام بعض أنواع الأسلوبية فـ "كسوف الأسلوبية التكوينية كان يقوم على طرفين: من جهة أولى على نهضة أسلوبية وظيفية، تتجه نحو غايات الأدب أكثر مما تتجه نحو أصله. وقامت من جهة ثانية، ضدّ نفور اللسانيات التاريخية من تمثيل المخططات البنوية، واستخدامها وابتعادها عن المعايير الجديدة التي كان بإمكانها أن تحملها إليها"<sup>(٤)</sup>.

ولا يمكن — أيضاً — أن نغفل دور (فردينان دو سوسير Ferdinand De Saussure)<sup>(٥)</sup> في هذا المضمار التي أسهمت دراساته مساهمة فاعلة في تابعيه، ويقال هنا: إذا "كانت ألسنيات

(١) الأسلوبية: بيرو جيرو، ترجمة منذر عياشي، بتصرف، مركز الإنماء الحضاري، دمشق، الطبعة الثانية ١٩٩٤م، ص ٤٥، ٤٦.

(٢) الأسلوبية والأسلوب: ص ٨٥.

(٣) تريفان تودوروف، بلغاري، ولد ١٩٣١م، أشهر أعماله (نظرية الأدب).

(٤) الأسلوبية: بيرو جيرو، ترجمة منذر عياشي، ص ١٢٧.

(٥) سويسري (١٨٥٧-١٩١٣)، له عدة دروس نشرها تلاميذه بعنوان "دروس في اللسانيات العامة" ١٩١٦م.

سوسير قد أنجبت أسلوبية (بالي)، فإن هذه اللسانيات نفسها قد ولدت البنيوية التي احتكت بالنقد الأدبي فأخصبا معاً شعرية (جاكسون) وإنشائية (تودوروف) وأسلوبية (ريفاتير). ولئن اعتمدت كل هذه المدارس على رصيد لساني من المعارف؛ فإنّ الأسلوبية معها قد تبوّأت منزلة المعرفة المختصة بذاتها أصولاً ومناهج<sup>(١)</sup>.

أما (سوسير Saussure) فقد اتبع منهاجاً وصفيّاً في دراساته الأسلوبية بيد أن تلاميذه من الألسنيين والأسلوبيين تفرّقوا في دربين: فمنهم من اتّبع خطاه، ونهج نهجه، ومنهم من اتّخذ طريقاً مستقلاً تباين فيه مع (سوسير) وهو (بالي)؛ فقام بدراسة الطرائق التي يتحوّل بها النظام اللغويّ العام إلى أسلوب خاص، ولذلك اهتمّ بالانحرافات عن القاعدة.

وإذا كانت الأسلوبية التعبيرية (Expressionism) تنشأ في مرحلة بحثها القصوى استجلاء أساليب التعبير، واستيضاح طرائقه، ورسم خارطة للإمكانيات الأسلوبية، والطاقت التعبيرية للغة ما بناءً على حصر (بالي Charles Bally) "مدلول الأسلوب في تفجّر الطاقات التعبيرية الكامنة في صميم اللغة"<sup>(٢)</sup>.

وإذا كانت الأسلوبية التكوينية تستنطق أسلوب الخطاب لتفجير الطاقات الإبداعية الكامنة؛ فإنّ الأسلوبية البنيوية تصبّ جلّ اهتمامها على الخطاب كموضوع للدراسة "الأسلوبية التكوينية تستنطق أسلوب الخطاب لمشاركة بؤرة الخلق، وبلوغ المنطقة القصوى المجمعمة والمولدة الصور والطاقت الإبداعية معلّقة بذلك الأسلوب بذات صاحبه؛ فإنّ الأسلوبية البنيوية لا تعني بغير الخطاب موضوعاً للدراسة والغاية المستهدفة من البحث"<sup>(٣)</sup> مسيجة بذلك وجودها، وحاصرة حدوده فيما يدعوه (جاكسون Roman Jakobson) "الوظيفة الإنسانية، أي تعبير النصّ حسب تعبير (المسدي): "خطاباً يركب لذاته وفي ذاته"<sup>(٤)</sup>.

وإذا تطرقنا إلى الحديث عن الأسلوبية البنيوية (Structuralism) ونظرية (مايكل ريفاتير Michael Riffaterre)<sup>(٥)</sup>، فإنّها تعتبر المرحلة الثالثة ومرحلة ما بعد الأسلوبية تمييزاً لها عن مرحلتها السابقتين.

(١) الأسلوبية والأسلوب: ص ٥١.

(٢) المصدر السابق: ص ٨٦.

(٣) المصدر السابق: ص ٩٠.

(٤) ولد في موسكو ١٨٩٦، من أبرز مصنفاته: (محاولات في اللسانيات العامة).

(٥) الأسلوبية والأسلوب: ص ٨٩.

(٦) أستاذ بجامعة كولومبيا، اختص بالدراسات الأسلوبية، أبرز مؤلفاته محاولات في الأسلوبية البنيوية،

انظر الأسلوبية والأسلوب: المسدي (تراجم الأعلام) ص ٢٤٧.

وينطلق (ريفاتير) من تعريف الأسلوبية بأنها: "علم يهدف إلى الكشف عن العناصر المميزة التي بها يستطيع المؤلف الباث مراقبة حرية الإدراك، والتي بها يستطيع أيضاً أن يفرض على المتقبل وجهة نظره في الفهم والإدراك، فينتهي إلى اعتبار الأسلوبية (لسانيات) تعنى بظاهرة حمل الذهن على فهم معيّن، وإدراك مخصوص"<sup>(١)</sup>. وهذا هو المنطلق للدراسة الأسلوبية التي تقتضي اتخاذ النصّ محوراً، والمبدع وسيلة، والمتلقي ناقداً ومحللاً ومعيداً لخلق النصّ. لكن ورغم تضافر هذه العناصر الثلاثة في الدراسة الأسلوبية، إلا أنّ النصّ (اللغة) يبقى المادة الخصبة التي تهب الحياة للمبدع، فتشكّل صورته الفردية، وتفرض على المتلقي نوعاً من الإحساس والإدراك، والمعلوم أنّ المتلقي يتوسّل باللغة (لغة النص) للوصول إلى البنية العميقة للنص. لذا فإنّه من البدهي أن يستعين الباحث الأسلوبية بمستويات اللغة الأربعة لتحليل أيّ نصّ، وهذه المستويات هي: التركيبية، والصوتية، والمعجمية، والدلالية.

ويرى (ريفاتير) كذلك أنّ الأسلوب إنّما هو "قوة ضاغطة تتسلط على حساسية القارئ بواسطة إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام، وحمل القارئ على الانتباه إليها، بحيث إن غفل عنها تشوّه النصّ، وإذا حلّ لها وجد لها دلالات تمييزية خاصة بما يسمح بتقرير أنّ الكلام يعبر والأسلوب يُبرز"<sup>(٢)</sup>.

وهناك وشائج قويّة بين مفهوم الأسلوب عند (ريفاتير) ونظرية التخيل الشعريّ عند العرب حسب وجهة نظر سعد مصلوح، وخالفه في هذه النظرة بعض الدارسين ومنهم (عدنان النحوي)، فقد أقرّ مصلوح بـ: "وجود وشائج قويّة بين مفهوم الأسلوب عند (ريفاتير) ونظرية التخيل الشعري التي استتبّطها العلماء المسلمون والتي وصلت ذروة نضجها عند العالم البلاغيّ المسلم حازم القرطاجنيّ صاحب كتاب (منهاج البلغاء وسراج الأدباء)"<sup>(٣)</sup>.

ويرى (ريفاتير) أنّ "موضوعية البحث الأسلوبية في نظره تقضي ألا ينطلق المحلّل الأسلوبية من النصّ مباشرة، وإنّما من الأحكام التي يبيدها القارئ حوله؛ ليربطها بالمنبهات المسببة لها والكافية في صلب النصّ"<sup>(٤)</sup>، ولعلّ هذا هو الذي دفعه للقول بأنّ الأسلوبية: "لسانيات تعني بظاهرة حمل الذهن على فهم معبر، وإدراك مخصوص"<sup>(٥)</sup>.

(١) الأسلوبية والأسلوب: ص ٤٩.

(٢) الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام: ص ١٧٢.

(٣) الأسلوب دراسة لغوية إحصائية: سعد مصلوح، عالم الكتب، الطبعة الثالثة ١٩٩٢م، ص ٤٢.

(٤) المصدر السابق: ص ٤٢.

(٥) الأسلوبية والأسلوب: ص ٤٩.

أما عدنان النحوي فقد رفض هذه النظرة التي ربط فيها سعد مصلوح بين مفهوم الأسلوب عند (ريفاتير)، وبين نظرية التخيل عند علماء المسلمين قائلًا: "لا نوافق الدكتور مصلوح على ما ذهب إليه من تشابه بين مفهوم الأسلوب عند (ريفاتير) وبين نظرية التخيل عند علماء المسلمين، وأبسط أنواع الخلاف أن أسلوبية (ريفاتير) لا تنطلق من النص، وإنما من أحكام القارئ حول النص، وحازم القرطاجني في كتابه المذكور يذكر التخيل أو المحاكاة أو الصدق أو الإغراء على معنى ومفهوم غير ما جاءت به الحداثة ومذاهبها والأسلوبية، فالتخيل في أصله ما كان يسمى المحاكاة، وكان مصدرها من الفكر اليوناني، وما أورده (أرسطو) في كتابه (نقد الشعر)"<sup>(١)</sup>.

بينما خالف بعض الدارسين رؤية النحوي مصرًا على أن النص كلاً هو موضوع البحث عند (ريفاتير): "فلقد صار النص كلاً هو موضوع البحث، ومن أجله قامت لسانيات النص فأحرزت بهذا تقدماً على نفسها بعد أن كانت حدود الدرس مقصورة على لسانيات الجملة. والأسلوبية مضطرة أن تماشي خطأ هذا التطور، وأن تكون الأسلوبية للخطاب، وأن تتعدد وفقاً للأجناس الأدبية نفسها، الرواية، والقصة، والشعر... إلى آخره. ويدل هذا أنها حين تدخل كل مجال من هذه المجالات فإنها ستقارب النص من خلال جنسه الأدبي... وهنا ستري أمامها أنواعاً أخرى من الدراسات ستتداخل معها كلسانيات النص، والشعرية، والتناص إلى آخره"<sup>(٢)</sup>.

ونحن بعض الأسلوبيين منحي آخر فركّزوا على الجانب الإحصائي كمنهج من مناهج الأسلوبية وهنا نستطيع القول: إنه إذا كان "الأسلوب انزياح بالنسبة إلى القواعد... فإن الإحصاء هو العلم الذي يدرس الانزياحات، والمنهج الذي يسمح بملاحظات، وقياسها، وتأويلها. ولذا فإن الإحصاء لا يتوانى عن فرض نفسه أداة من الأدوات الأكثر فاعلية في دراسة الأسلوب. وإن كانت الآراء تقف منه موقفين متعارضين، فالأسلوبية الوظيفية استعارت نماذجها من نظرية الاتصال، واستعانت بمفاهيم الإخبار، والتكرار والوضوء، وهذه أمور يستطيع الإحصاء أن يمنحها مضمونها الموضوعي الذي ينقصها"<sup>(٣)</sup>.

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن الأسلوبية أن نذكر الأسلوبية الإحصائية وبعض روادها. "ولقد تناول الأسلوبية الإحصائية الدكتور صلاح فضل في كتابه (علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته). والدكتور سعد مصلوح في (الدراسة الإحصائية للأسلوب) و(الأسلوبية دراسة

(١) الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام: ص ١٧٢، ١٧٣.

(٢) الأسلوب والأسلوبية: بيرو جيرو، ص ١٤٢، ١٤٣.

(٣) المصدر السابق: ص ١٣٤، ١٣٥.

بلاغية لغوية إحصائية)، وشفيق السيد في (الاتجاه الأسلوبي)، وغيرهم، وتعرض هؤلاء لمن وقف مع أو ضد الإحصائية والمميزات السلبية والإيجابية للإحصاء<sup>(١)</sup>.

أما تناول الأسلوبي فإنه ينصبُّ على اللغة الأدبية، وذلك؛ "لأنها تمثل التنوع الفردي المتميز في الأداء بما فيه من وعي واختيار، وبما فيه من انحرافات من المستوى العادي المألوف بخلاف اللغة العادية التي تتميز بالتلقائية، والتي يتبادلها الأفراد بشكل دائم وغير متميز، وعلى هذا يمكننا القول بأن علم اللغة هو الذي يدرس ما يقال، بينما الأسلوبية هي التي تدرس كيفية ما يقال، مستخدمة الوصف والتحليل في آن واحد"<sup>(٢)</sup>.

أما المشكلة التي تطفو على السطح – دوماً – وضع الأسلوبية في طريق مسدود بسبب التركيز على بعض الأمور، وإهمال أمور أخرى، لذا فإن "اقتصار الدراسات الأسلوبية على الظواهر اللغوية والبلاغية، وأنماط خرق الأسلوب العادي... إلخ قد أدى إلى وضع الأسلوبية في طريق مسدود... وذلك؛ لأن الأدب ظاهرة شمولية تجمع كل الظواهر الاجتماعية والثقافية والحضارية... إلخ، ولا سبيل بأدواتها اللغوية البحتة أن تطمح إلى إطلاق الأحكام الاجتماعية، والثقافية، أو سبر أغوار رؤى الكاتب الاجتماعية، وغيرها بأدواتها اللغوية الحزينة النهائية"<sup>(٣)</sup>.

لقد اتسعت الأسلوبية وتطوّرت حتى أصبحت عالماً مترامي الأطراف، والعلة في ذلك؛ "أن الأسلوبية لم تقف عند حدٍّ معين، بل أخذت في التطور في عدّة اتجاهات حتى وصلت إلى النسانية، فما النسانية إلا وليدة عنها، حيث لم يقف النقاد عند القوالب الجاهزة وتطبيقها على النصوص، كما لم يقصروا أنفسهم على بنية النص السطحية، ودراستها دراسة إحصائية أسلوبية، تكتفي بالإحصاء أحياناً، وبالدلالات الجزئية القريبة، والقائمة غالباً على محاور مبنية على ثنائيات، بل تطورت الأسلوبية ليتولد عنها ما أطلق عليه النسانية"<sup>(٤)</sup>.

(١) الخطيئة والتكفير والخلاص "الخطاب الشعري عند محمد حسيب القاضي – دراسة نسانية": مي عمر

نايف، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، غزة – فلسطين، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، ص ٤٠.

(٢) البلاغة والأسلوبية: ص ١٤٦.

(٣) الأسلوبية الحديثة: محمد عياد، ص ١٣٠، مجلة فصول، المجلد الأول، العدد الثاني، الجزء الأول ١٩٨١م.

(٤) الخطيئة والتكفير والخلاص: ص ٤١.



# الفصل الثَّانِي

## الأساليب البلاغية في سورة هود

### وفيه مبحثان

المبحث الأول: الجملة الإنشائية ودلالاتها الأسلوبية

(الأمر، النهي، الاستفهام، التمني، النداء)

المبحث الثاني: التوكيد ودلالاته الأسلوبية

## المبحث الأول

### الجملة الإنشائية ودلالاتها الأسلوبية

للجمال أفنان وألوان أبدعتها ذاكرة الأجداد، فالحسن لن يقف عند حدٍّ معين، وإنما يمتدُّ إلى آفاق إنسانية رحبة ومثيرة، فما خلفه لنا الأجداد من أساليب فنية وبلاغية إنما يدلُّ دلالةً قاطعة على مدى عشقهم للجمال، وولعهم بالحسن في كلِّ شيء. فالحسن الذي ترتاح إليه العين، وتطرب لسماعه الأذن، ويطمئن إليه القلب أصبح سمة في كلِّ أسلوب من أساليب الكلام. ولعلَّ الأساليب الإنشائية تتبوأ منزلةً كبرى بين الأساليب العربية، وتحلُّ مكانةً عليا في هذا الميدان الجمالي.

إنَّ الأساليب الإنشائية لا تكفي بأنَّها تجسِّم ظلال الجمال الأخاذ، وتمنح من فضاء النور رونقها، وتأخذ من وسط العقد جوهرته ودرته، وإنما تحقِّق للفكر عطشه إلى المعرفة وإدراك أسرارها، كما تحقِّق للذوق سبر أغوار الجمال، وطرق أبواب البهاء، واقتحام حصون الإبداع.

إنَّ أساليب الإنشاء بشتى أنواعها، وبكل إحياءاتها توضح لنا أنَّ البلاغيين العرب امتلكوا حسًّا جمالياً راقياً، وذوقاً فنياً رائعاً ربَّما لم يدركه أحدٌ من الشعوب الأخرى.

إنَّ مضمون الإنشاء يتوقف على النطق به، وطريقته تحدِّد نوع الطلب، واستدعاء ما هو غير حاصل، ومن ثم ينفذه المخاطب، مثال ذلك قوله تعالى في خطابه لموسى عليه السلام:

﴿ طه : ١٩ ﴾ فكان الجواب لهذا الأمر قوله تعالى:

﴿ طه : ٢٠ ﴾.

ويكاد يتفق معظم العلماء على تعريف الإنشاء، فالجملة الإنشائية عندهم هي: كلُّ كلام لا يصح أن يقال لصاحبه: إنه صادق فيه أو كاذب، أو كلُّ كلام لا يحتمل الصدق أو الكذب لذاته. وفي هذا يورد القزويني قوله: "وجه الحصر: أنَّ الكلام إما خبر أو إنشاء؛ لأنَّه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه. أو لا يكون لها خارج. الأول الخبر، والثاني الإنشاء"<sup>(١)</sup>.

ويقسم القزويني الإنشاء إلى قسمين: طلبي، وغير طلبي، والذي نحن بصدد تناوله هو الإنشاء الطلبي حيث يقول: "الإنشاء ضربان: طلب، وغير طلب. والطلب يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب؛ لامتناع تحصيل الحاصل"<sup>(٢)</sup>.

(١) الإيضاح: ص ٨٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٢٦.



﴿ سُرْبِ أَسْمَىٰ تَبَيَّنَ لَهَا الْفَرَىٰ ﴾ [هود: ٩٠].

وهكذا يتكرر فعل الأمر ﴿رَأَىٰ﴾ أربع مرات (٤) في سورة هود، وأتبع الأمر ﴿رَأَىٰ﴾ بالأمر ﴿رَأَىٰ﴾ في ثلاثة مواضع وبصيغة الجمع، وفي الآيات جميعها قدم الأمر ﴿رَأَىٰ﴾ على الأمر ﴿رَأَىٰ﴾.

وقيل: "إنما قدم ذكر الاستغفار؛ لأنَّ المغفرة هي الغرض المطلوب، والتوبة هي السبب إليها، فالمغفرة أول في المطلوب وآخر في السبب، ويحتمل أن يكون المعنى استغفروه من الصغائر، وتوبوا إليه من الكبائر"<sup>(١)</sup>.

وإذا كان الأمر هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، فإنه قد يستعمل لغيره كالتعجيز "وهو مطالبة المخاطب بعمل لا يقوى عليه، إظهاراً لعجزه وضعفه وعدم قدرته، وذلك من قبيل التحدي"<sup>(٢)</sup>.

ومنه قوله تعالى: ﴿رَأَىٰ﴾ [الرحمن: ٣٣].

ومثله قول الشاعر:

أروني بخيلاً طال عمراً ببخله      وهاتوا كريماً مات من كثرة البذل

وفي سورة هود يتمثل التعجيز بالأمر في قوله تعالى في شأن من يرتابون في نزول القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم:

﴿رَأَىٰ﴾ [هود: ١٣].

فالأمر هنا "للتعجيز، وفيه قمة التحدي"<sup>(٣)</sup>.

وأورد البقاعي في هذا الشأن قوله:

"البلاغة ثلاث طبقات فأعلاها معجز، وأوسطها وأدناها ممكن والتحدي وقع بالعليا، وليس هذا أمراً بالافتراء؛ لأنه تحدٍ فهو للتعجيز"<sup>(٤)</sup>.

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٧/٩، ٦٠، ٦١، ٩٤.

(٢) الكشاف: ٢٦٨/٢.

(٣) نظم الدرر: ٥١٠/٣، ٥١١، انظر البحر المحيط: ٢٠٨/٥.

(٤) نظم الدرر: ٥١١/٣.

ويدعم هذا الأمر قوله تعالى: ﴿لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ [هود: ٣٢].

وفي ذلك إشارة إلى عجزهم، وفي ذلك زيادة بيان، وتثبيت للدليل، فإنَّ كلَّ ظهير من سواهم دونهم في البلاغة، فعجزهم عجز لغيرهم بطريق أولى<sup>(١)</sup>.

ومن التهكم بالأمر: ﴿لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ في قوله تعالى:

﴿لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ [هود: ٣٢]،  
والأمر يراد به التهكم والاستهزاء<sup>(٢)</sup>.

وتتوالى أساليب الأمر في سورة هود عليه السلام في ﴿لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ في قوله تعالى:

﴿لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ [هود: ٣٧]. "فكأنَّ الله معه أعيناً تكلؤه أن يزيغ في صفته عن الصواب، وأن لا يحول بينه وبين عمله أحد من أعدائه"<sup>(٣)</sup>.

"والأمر في قوله تعالى: ﴿لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ للجوب لما يترتب على صناعتها من صيانة الأرواح من الهلاك"<sup>(٤)</sup>.

ويرى الفخر الرازي أنَّ الأمر في قوله تعالى: ﴿لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ هو "أمر إيجاب أو أمر إباحة"<sup>(٥)</sup>.

أما ﴿لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ في قوله تعالى:

﴿لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ [هود: ٤١] فهو:

"أمر بالركوب ويحتمل أن يكون من الله تعالى، ويحتمل أن يكون من نوح لقومه"<sup>(٦)</sup>.

(١) نظم الدرر: ٥١١/٣، انظر علم المعاني: عبد العزيز عتيق ص ٨٧.

(٢) صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، ١٧/٢.

(٣) الكشاف: ٢٦٨/٢.

(٤) معاني القرآن الكريم: إبراهيم عبد الله إرفيدة وآخرون، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس - الجماهيرية العظمى، الطبعة الأولى ١٩٨٩م، ١٦٤/٢.

(٥) تفسير الفخر الرازي: ٢٣٠/١١.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ٣٩/٩.



وقول حسّان بن ثابت في هجاء قيس بن الخطيم:

فَغَنَّ لَدَى الْأَبْوَابِ حُورًا نَوَاعِمًا      وَكَلَّ مَأْقِبِكَ الْحَسَانَ بِأَيْمِدٍ<sup>(١)</sup>.

ومن التهكم والسخرية بالأمر قوله تعالى: ﴿ ۝٥٤﴾ [هود: ٥٤].

ومثال التهكم بالأمر في الشعر قول جرير في هجاء الراعي النميري:

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِذْكَ مِنْ نُمَيْرٍ      فَلَا كَعَبًا بَلَغْتَ وَلَا كَلَابًا<sup>(٢)</sup>.

ومن المعاني التي يخرج إليها الأمر؛ التعجيز، ومنه: ﴿ ۝٥٥﴾ [هود: ٥٥] في قوله تعالى:

﴿ ۝٥٥﴾ [هود: ٥٥]، وهو "أمر بمعنى التعجيز"<sup>(٣)</sup>.

وأمر التّريغيب أحد مظاهر خروج الأمر عن معناه الحقيقي، وذلك إذا كان الأمر بالشيء

عقب النهي عن نقيضه، أو كما قيل: النهي عن النقصان أمر بالإيفاء ويبدو ذلك في

﴿ ۝٥٤﴾ و﴿ ۝٥٥﴾ في قوله تعالى: ﴿ ۝٥٤﴾ [هود: ٥٤].

﴿ ۝٥٥﴾ [هود: ٥٥].

﴿ ۝٥٤﴾ [هود: ٥٤].

[هود ٨٤ ، ٨٥].

ويورد صاحب الكشاف في هاتين الآيتين قوله:

"فإن قلت النهي عن النقصان أمر بالإيفاء، فما فائدة قوله أوفوا؟ قلت: نهوا أولاً عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان؛ لأنّ في التصريح بالقبيح نعيماً على المنهي وتعبيراً له، ثم ورد الأمر بالإيفاء الذي هو حسن في العقول مصرحاً بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه"<sup>(٤)</sup>. وهذا ما يطلق عليه علماء اللغة الأمر الصريح، ويرتبط به النهي الضمني، أو النهي

(١) البيت من الطويل لحسان بن ثابت في ديوانه: — تحقيق سيد حنفي حسنين — دار المعارف للنشر والتوزيع

— القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٣م، ص ١٣٤.

(٢) البيت من الوافر لجرير في ديوانه، ص ٩٧.

(٣) صفوة التفاسير: ٢٣/٢.

(٤) الكشاف: ٢٨٥/٢.



بمفهوم المخالفة ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ نَكحَ ٤٦ | ن#E (qB fō nr ﴾ [الأنفال: ١].

وقوله تعالى: ﴿ ٤٦ | =pōsr (qē qō (qā'zš vvr ﴾ [الأنفال: ٤٦]. ومثله كذلك قوله تعالى:

﴿ (qBšš vvr šy'ly\_ k šēq2 (qBĀ Gāš ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

والقرآن الكريم يتزَيَّن بمثل هذه النماذج.

أما قوله تعالى: ﴿ ٤٦ | بعد الأمر ﴾ ﴿ ٤٦ | Ašxō Uōš(qō# ﴾ فتأكيد للوفاء.

"فصار الوفاء مأموراً به في هاتين الجملتين مراراً تأكيداً له، وحرصاً عليه، وإظهاراً لعموم نفعه وشمول بركته"<sup>(١)</sup>، وعلى هذا يكون الأمر في قوله تعالى: ﴿ qō# ﴾ للوجوب.

وللتَّهْدِيد نصيب في أساليب الأمر في سورة هود. ومقام التهديد "إذا كان الأمر غير راضٍ عن الفعل، وكان في الامتثال للأمر ما يعود بالضَّرر على المخاطب"<sup>(٢)</sup>. أو يكون "باستعمال صيغة الأمر من جانب المتكلم في مقام عدم الرضا منه بقيام المخاطب بفعل ما أمر به تخويفاً وتحذيراً له، ويطلق عليه العلماء الوعيد"<sup>(٣)</sup>. ومنه قوله تعالى:

﴿ (qāgyš qō# | šz9š' #) Nāz ī-ĀB bīš ﴾ [إبراهيم: ٣٠].

ومثله في الشعر قول إيليا أبو ماضي<sup>(٤)</sup>:

كبلوا أقلامنا جهدكموا	وامنعوا الألسن والصحف الكلاما
وإذا عزَّ عليكم أننا	في وئام فانشروا فينا الخصاما
وإذا عزَّ عليكم أننا	في حياةٍ فابعثوا فينا الحماما
ينزع الأرواح من أجسادنا	أو فكونوا أنتم الموت الزؤاما

أما في سورة هود عليه السلام فيظهر التهديد بالأمر في ﴿ qēlōš ﴾ في قوله تعالى:

(١) نظم الدرر: ٥٦٥/٢.

(٢) علم المعاني تأصيل وتقييم: ص ٦٩.

(٣) علم المعاني: عبد العزيز عتيق ص ٨٧.

(٤) الأبيات من البحر الرمل لإيليا أبي ماضي في شرح ديوانه ، تقديم حجر عاصي، دار الفكر العربي، بيروت

— لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، ٣٥٥/١.

﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْلَمَ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّي وَمَا أَبْلِغُ مَا أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَسْتُ مَعْلُومًا بِمَا تُفَكِّرُونَ﴾ [هود: ٩٣] والأمر في قوله:

﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْلَمَ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّي وَمَا أَبْلِغُ مَا أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَسْتُ مَعْلُومًا بِمَا تُفَكِّرُونَ﴾ المراد به اعملوا على طريقتكم ومنهكم إننا عاملون على طريقتنا ومنهجننا، وهو "أمر ومعناه التهديد والوعيد"<sup>(١)</sup>.

وكذلك الأمر ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْلَمَ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّي وَمَا أَبْلِغُ مَا أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَسْتُ مَعْلُومًا بِمَا تُفَكِّرُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْلَمَ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّي وَمَا أَبْلِغُ مَا أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَسْتُ مَعْلُومًا بِمَا تُفَكِّرُونَ﴾ [هود: ٩٣] يحمل في طياته التهديد والوعيد أيضاً، فهو بمعنى انتظروا ما سيحقيق بكم من العذاب، أو بمعنى آخر "انتظروا ما يحلُّ بنا إننا منتظرون ما يحلُّ بكم من عذاب الله"<sup>(٢)</sup>، "والأسلوب يؤكد الوعيد الشديد للكافرين فالأمر للتهديد"<sup>(٣)</sup>.

وتتوالى أساليب التهديد بالأمر في ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْلَمَ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّي وَمَا أَبْلِغُ مَا أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَسْتُ مَعْلُومًا بِمَا تُفَكِّرُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْلَمَ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّي وَمَا أَبْلِغُ مَا أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَسْتُ مَعْلُومًا بِمَا تُفَكِّرُونَ﴾ [هود: ١٢١]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْلَمَ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّي وَمَا أَبْلِغُ مَا أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَسْتُ مَعْلُومًا بِمَا تُفَكِّرُونَ﴾ [هود: ١٢٢]. والأمر في ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْلَمَ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّي وَمَا أَبْلِغُ مَا أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَسْتُ مَعْلُومًا بِمَا تُفَكِّرُونَ﴾ و﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْلَمَ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّي وَمَا أَبْلِغُ مَا أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَسْتُ مَعْلُومًا بِمَا تُفَكِّرُونَ﴾ في الآيتين السابقتين فيه "تهديد ووعيد شديد للمشركين"<sup>(٤)</sup>.

وهذا نفسه ما ذكرته الآية الكريمة:

﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْلَمَ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّي وَمَا أَبْلِغُ مَا أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَسْتُ مَعْلُومًا بِمَا تُفَكِّرُونَ﴾ [هود: ٩٣]؛ ليكون من باب تأكيد التهديد، والوعيد.

وتتوالى أساليب الأمر في سورة هود في ثلاث آيات متتابعة وهي قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْلَمَ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّي وَمَا أَبْلِغُ مَا أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَسْتُ مَعْلُومًا بِمَا تُفَكِّرُونَ﴾ [هود: ١١٢]. وقوله:

﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْلَمَ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّي وَمَا أَبْلِغُ مَا أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَسْتُ مَعْلُومًا بِمَا تُفَكِّرُونَ﴾ [هود: ١١٤]. وقوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْلَمَ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّي وَمَا أَبْلِغُ مَا أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَسْتُ مَعْلُومًا بِمَا تُفَكِّرُونَ﴾ [هود: ١١٥].

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٩٥/٩، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي - تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٣، ٢٠٣/٣، صفوة التفسير: ٣٤/٢.

(٢) صفوة التفسير: ٣٤/٢.

(٣) المحرر الوجيز: ٢٠٣/٣، انظر معاني القرآن الكريم: ٢٩٣/٢.

(٤) المحرر الوجيز: ٢١٦/٣، معاني القرآن الكريم: ٢٨٠/٢.

والجامع في غرض أفعال الأمر ﴿ نَهَى ﴾ ﴿ أَمَرَ ﴾ ﴿ وَهَى ﴾ في الآيات السابقة هو الوجوب، وهو الغرض الذي يحمله الأمر من الله سبحانه وتعالى لعباده.

وقد توقفت عند قوله تعالى: ﴿ نَهَى ﴾ [هود: ١١٢]، وقد قال بعض العلماء: "إنَّ الذي شَيَّبَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من سورة هود قوله: ﴿ نَهَى ﴾"<sup>(١)</sup>.

وينقل صاحب البحر المحيط في هذه الآية قوله:

"والآية أمر بالاستقامة وهو عليها وهو أمر بالدوام والثبوت"<sup>(٢)</sup>.

وإذا كانت سورة هود عليه السلام قد افتتحت بالنهي عن عبادة غير الله في قوله تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْهِ يُرِيدُ لِيُخَلِّقَ لِلَّذِينَ هُمُ الْمُشْرِكُونَ خَلْقَ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَلَا يَخَافُ عِتَابَهُمْ ﴾ [هود: ٢]. فإنها أوصدت بالأمر بعبادة الله، والتوكُّل عليه في قوله تعالى:

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَارْتَبِعُوا صُلُوبَكُمْ فَآذِنُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُعَذِّبُوا مَن يُشَاءُونَ وَلَا يَحْسَبُوا عَذَابَ اللَّهِ كِبًا ﴾ [هود: ١٢٣].

وقد اشتملت الآية على فعلي أمر هما: ﴿ نَهَى ﴾ ﴿ أَمَرَ ﴾. وهذا بعينه مضمون قوله تعالى:

﴿ وَارْتَبِعُوا صُلُوبَكُمْ فَآذِنُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُعَذِّبُوا مَن يُشَاءُونَ وَلَا يَحْسَبُوا عَذَابَ اللَّهِ كِبًا ﴾ [هود: ١، ٢].

و"إنما قدّم الأمر بالعبادة على الأمر بالتوكُّل؛ للعلم بأنّه لا فائدة في التوكُّل على الله إلا بعد الإيمان الصادق"<sup>(٣)</sup>.

ومن خلال تتبعنا لأسلوب الأمر في سورة هود عليه السلام؛ نجد أنه ورد في ثلاثة وأربعين موضعاً (٤٣).

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن: ٦/٩ ، الكشاف: ٢/٢٩٥.

(٢) البحر المحيط : ٥/٢٦٨.

(٣) نظم الدرر: ٣/٥٩٣ ، انظر معاني القرآن: ص ٣٠٤ .

ويمكن بيان تمثيل أسلوب الأمر في السورة الكريمة من خلال الجدول الآتي:

الشاهد	رقم الآية	الآية
استغفروا، توبوا	٣	' Kly B @y_ & #n] SZlj m \$e»GB Na3eþj in0] (pqrè De 03/Ai (rày/af'0\$0\$0r
قل، فأتوا، ادعوا	١٣	QB (qāS\$ M»yill0B ¼kFVB 9uB' I0p] (qèu 0k(µill0S\$ qèqaf Pk
اعلموا	١٤	k \$Añé] ATRe\$JRK (pBæ\$ N39 (qSÉ Fp 0 Qñu
فأتنا	٣٢	zMYæ b] \$RIBè\$ \$p] \$N'Pai \$V9%0A INZæ rú \$VF0%0y_ %0\$ \$yqZf (qS\$
قل	٣٥	bqBtqè \$0B àu W \$0R ' G#_0] Ypèu ¼qçill0S\$ 0k(µill0S\$ qèqaf 0k
اصنع	٣٧	bqBt0B Nk] 4(pB\$S ur%\$ ' i 0[ç]»B Yvr \$V\$0nr sz'aa' y7 0pè\$700 \$
احمل	٤٠	\$Euz0\$Euy r# 0æ ` B \$Zü 0leq\$Sv0e aqZF9\$u \$ur \$Ræ0k àly #E] 0Lym
اركبوا	٤١	b'ims 0qab9 ' in b] 4\$g8y'0ar \$g1100 k \$E0p] \$Zü (qçZ 0\$A\$0r
اركب	٤٢	YvpeB = Z 0\$00qf B'æB ' i 0 %Z r ¼qçill0S\$ 3 \$0Rr
ابلعي، ألقني	٤٤	0Eñk àlyj; »fr B'æB 0Eñ0B] 0' » 0\$0r
اهبط	٤٨	\$ EB ` 0B 0Bè#0ar y7 0kà B'x t'fr \$ZB 0»j; i Y'Ve\$0yqZf 0%0
اصبر	٤٩	\$i uF0B0 p0pè\$0b] (Z0 \$i .....(y7 0) \$ZimqçÉ 0è\$0\$7Rk 0B \$ 0
اعبدوا	٥٠	Yqç0r 0»9] 0B Næ 9 \$B 0\$(rB00\$E0q) » IA\$% 4#Sqel Nè% & \$te 4»fr
استغفروا، توبوا	٥٢	#Yñ0B Næ 0te àlyj; 9\$0E'0ñ in0] (pqrè 0e N3/Ai (rày/af'0\$00q) »fr
اشهدوا	٥٤	bqal0è\$0B àu W ' in YvpeB \$ 0\$B'0è 0p0 IA\$% 3
كيدوني	٥٥	ÈràZe W 0e \$S\$0d ' IrB<0u (¼inR0B ` B
اعبدوا، استغفروا، توبوا	٦١	(¼qç0r 0»9] 0B /39 \$B 0\$(rB00\$E0q) » IA\$% 4\$Eñ] Nè% & \$qB0 4»fr in0] (pqrè 0e rày/af'0\$ \$Zü 0arye00\$ Ç 0E \$Z B Nà'tRk qel

ذروها	٦٤	k \$CJ ōi pi @2 ū \$prak ū p̄#hā Nāk 9 k \$p̄SR 3hē xp̄l Ōq̄) ʾfr
تمتعوا	٦٥	ḡr̄ %ōir š ʾʾE (E\$fa p̄l̄hā Nā2 l̄#š ' i (qāq̄y? A\$) ū \$dra) p̄s̄
أعرض	٧٦	NlZ?hā NāJr (y7 h̄ ad̄ h̄ly %% ʾqr̄) (#k xp̄l ōā ū f̄aā h̄b̄'ē) ʾfr
اتقوا	٧٨	p̄yq̄E ' i Brāḡ ʾvr ©\$(qā?)\$ (Nā9 ḡḡh̄ Eā ' l̄szl h̄lwāp̄d Ōq̄) ʾfr A\$%
أسر	٨١	ḡḡh̄ B Bōh̄l š h̄l̄l̄ l̄ōr̄s̄ (y7 ō) (p̄ā) ʾ 9 y7 h̄ ḡB'a SR̄ ḡq̄q̄r (q̄%)
اعبدوا	٨٤	ʾqr̄ ḡḡ) ḡB Nāk 9 SB ©\$(r̄zā\$ Ōq̄) ʾfr A\$% 4\$ḡp̄ā Ōd% & ūh̄B 4h̄r
أوفوا	٨٥	ʾ \$Z9\$(q̄y ʾ ʾvr (X̄ ḡḡh̄ ḡ #i-Ūḡh̄ A\$ḡḡ ᪄ḡ(q̄r̄ Ōq̄) ʾfr
استغفروا، توبوا	٩٠	šr̄Br Ōšm̄ + h̄i b̄) 4h̄ḡ) (p̄q̄r̄ ḡḡh̄ Nāk Aī fr̄yḡḡḡ
اعملوا، ارتقبوا	٩٣	ḡ\$% Nāk p̄B ' ḡ (p̄z̄) ḡḡh̄ (...@Ū)ā ' ḡ Nāk ḡR%3B 4h̄ā (q̄l̄ā\$ Ōq̄) ʾfr
استقم	١١٢	ʾqr̄) 4(q̄b̄) ʾvr y7 p̄B > \$ḡ ' Br  NēBēyJx Nḡḡḡ\$
أقم	١١٤	4Nšh̄ 9\$ḡḡḡḡMx̄l̄; p̄s̄b̄) 4ḡḡḡḡ B \$Z9ar l̄ \$p̄l̄9\$ḡḡḡḡ ḡḡḡ 9\$ḡḡḡḡ
اصبر	١١٥	ūūZĀ ḡBḡḡḡḡ B<Ā)ā ʾvr ©\$b̄iḡ ḡḡḡ \$
قل، عملوا	١٢١	bq̄l̄)ā SR̄) NāḡR%3B 4h̄ā (q̄l̄ā\$ bq̄Bḡā ʾvr ūi%ḡ) @vr
انتظروا	١٢٢	brāḡfZā SR̄) (yāḡR\$
اعبده، توكل	١٢٣	@2 ḡḡḡ ḡḡḡḡ %āā ḡḡ \$By_ ḡā h̄ḡ) ʾvr ḡ ḡE \$ N̄ḡḡḡ; 9\$ḡḡḡ ḡ r bq̄l̄)ḡ \$ḡā @j̄)ḡl̄ y7 h̄i \$Br 4h̄ā

## ثانياً - النهي:

يقع النهي بعد الأمر في الطلب، ويتفق معه من جهة الاستعلاء، وارتباطه بالمخاطب، والنهي نقيض الأمر وهو من أنواع الإنشاء الطلبي، والمقصود بالنهي: "طلب الكف عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام"<sup>(١)</sup>.

ويضيف بعض البلاغيين إلى التعريف السابق شرطاً، "ولا يتحقق ذلك إلا إذا كان النهي صادراً من الأعلى إلى الأدنى"<sup>(٢)</sup>.

وللنهي صيغة واحدة وهي المضارع المقرون بـ" (لا) الناهية الجازمة"<sup>(٣)</sup> كقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ فَتَفْسَدُوا دِينَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

إن أسلوب النهي لا يتصل بالبلاغة العربية وحدها، وإنما يتصل بالقرآن وعلومه. والقرآن الكريم يزدان بأساليب النهي، فما من سورة تقع بين دفتي القرآن إلا وتحمل بين صفحاتها عشرات الأساليب.

وإذا كان النهي يحمل المعنى السابق وهو "طلب الكف عن الفعل، أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام"، فإن الذي يتأمل هذه الصيغة يجد أنها قد تخرج - أحياناً - عن معناها الحقيقي للدلالة على معانٍ أخرى تستفاد من السياق، وقرائن الأحوال مثل الدعاء، الالتماس، التمني، النصح والإرشاد، التوبيخ، التحقير، التوبيخ، والتهديد.

أما أساليب النهي في سورة هود عليه السلام فقد وردت في عشرين موضعاً (٢٠)، وأول هذه الأساليب قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ فَتَفْسَدُوا دِينَكُمْ ﴾ [هود: ٢].

وتكرّر الأسلوب نفسه في قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ فَتَفْسَدُوا دِينَكُمْ ﴾ [هود: ٢٦].

والمعنى هنا: "اتركوا الأصنام فلا تعبدوها، وأطيعوا الله وحده"<sup>(٤)</sup>.

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيدع: السيد أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان،

الطبعة الأولى ١٩٩٩م، ص ٧٦، علم المعاني: عبد العزيز عتيق، ص ٩٠.

(٢) علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم: ص ٧٠.

(٣) الإيضاح: ص ٢٤٤، انظر علم المعاني: عبد العزيز عتيق، ص ٩٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٦/٩، ٢٥، البحر المحيط: ٢٠١/٥، الكشف: ٢٥٨/٢.

والنهي في الآيتين السابقتين للتحذير من عبادة غير الله من ناحية، ووجوب عبادته من ناحية أخرى.

أما النهي في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا نَحْنُ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٦]. فقد "نهاه الله تعالى عن أن يحزن حزن مستكين؛ لأنَّ الابتئاس حزن في استكانة. والبتئاس المستكين"<sup>(١)</sup>.  
أو "فلا تغتم بهلاكهم حتى تكون بئاساً أي حزيناً والبؤس الحزن"<sup>(٢)</sup>.

ويؤيد هذا المعنى قول الشاعر:<sup>(٣)</sup>

وكم من خليلٍ أو حميمٍ رُزئتُه  
ولم أبتئسْ والرُّزءُ فيه جليلٌ

أما النهي في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا نَحْنُ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٧]، فهو بمعنى "لا تطلب إمهالهم فإني مغرقهم"<sup>(٤)</sup>. "وقد أطبق علماء البلاغة على أنَّ هذه الآية الشريفة بالغة من الفصاحة والبلاغة إلى محلِّ يتقاصر عنه الوصف، وتضعف عن الإتيان بما يقاربه قدرة القادرين على فنون البلاغة، الثابتين الأقدام في علم البيان، الراسخين في علم اللغة، المطلَّعين على ما هو مدوَّن من خطب مصاقع خطباء العرب، وأشعار بواقع شعرائهم، المتراضين بدقائق علوم العربية، وأسرارها"<sup>(٥)</sup>.

ومن النهي ﴿قُلْ إِنَّمَا نَحْنُ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا نَحْنُ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٤٢]. "والنهي في الآية للنصح والإرشاد، فقد نهى نوح ابنه عن الكون مع الكافرين خارج السفينة، ويمكن أن يكون الكون معهم معناه الكون على دينهم"<sup>(٦)</sup>.

ومن النهي ﴿قُلْ إِنَّمَا نَحْنُ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في قوله تعالى:

(١) الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية: محمود السيد حسن مصطفى، مؤسسة شباب الجامعة، الطبعة الأولى

١٩٨١م، ص ٢٨٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٣٣/٩.

(٣) البيت من الطويل وهو غير منسوب لأحد.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٣٣/٩.

(٥) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار المعرفة

للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٩٧م، ١١/٦٢٦.

(٦) الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية: ص ٢٨٨.



﴿ ٧٧٩ ٧٩٩ ٧٩٩ ٧٩٩ ٧٩٩ ٧٩٩ ٧٩٩ ٧٩٩ ٧٩٩ ٧٩٩ ﴾

﴿ ٧٧٩ ٧٩٩ ٧٩٩ ٧٩٩ ﴾ [هود: ٤٦]. والمعنى هنا:

"فلا تلتمس مني ملتماً أو التماساً لتعلم أصواب هو أم غير صواب حتى تقف على كنهه"<sup>(١)</sup>.

أما النهي ﴿ ٧٧٩ ٧٩٩ ٧٩٩ ﴾ في قوله تعالى:

﴿ ٧٧٩ ٧٩٩ ٧٩٩ ٧٩٩ ﴾ [هود: ٦٤]. فإنَّ غرضه التحذير، والمعنى:

"احذروا أن تصيبوها بأيِّ أذى من ضربٍ أو طردٍ، فضلاً عن عقرها، وقتلها"<sup>(٢)</sup>.

وهذا ما أورده الفخر الرازيُّ بأنَّ في النهي "تحذيرٌ شديدٌ لهم من الإقدام على قتلها"<sup>(٣)</sup>.

وتظهر المبالغة في النهي في استخدام ﴿ ٧٧٩ ٧٩٩ ﴾، حيث "بولغ في التعرُّض لها بما

يضرُّها حيث نهى عن المسِّ الذي هو من مبادي الإصابة ونكر السوء، أي لا تضربوها، ولا تطردوها"<sup>(٤)</sup>.

ومن النهي كذلك ﴿ ٧٧٩ ٧٩٩ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ ٧٧٩ ٧٩٩ ﴾

﴿ ٧٧٩ ٧٩٩ ﴾ [هود: ٧٠].

"والمراد بالنهي في هذه الآية الإيناس، ورفع الهيبة"<sup>(٥)</sup>.

ومن النهي أيضاً ﴿ ٧٧٩ ٧٩٩ ﴾ في قوله تعالى:

﴿ ٧٧٩ ٧٩٩ ﴾ [هود: ٧٨].

(١) الكشاف: ٢٧٣/٢، انظر نظم الدرر: ٥٣٦/٣.

(٢) معاني القرآن الكريم: ٢٧٩/٢.

(٣) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب: الإمام فخر الدين الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨١م، ٢١/١٢.

(٤) تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ٤٧/٣.

(٥) الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية: ص ٢٩٤.

وفي هذه الآية الكريمة نوات أساليب الإنشاء الطلبي وهي: النداء: ﴿ ٥٥٥ ﴾، والأمر: ﴿ ٥٥٥ ﴾، والنهي: ﴿ ٥٥٥ ﴾، والاستفهام: ﴿ ٥٥٥ ﴾. واجتماع كل هذه الأساليب في هذه الآية يعدُّ ملمحاً من ملامح النظم البديع الذي يعجز عن الإتيان بمثله بشر.

أما النهي في قوله تعالى: ﴿ ٥٥٥ ﴾ [هود: ٨١]. فهو بمعنى: "لا تلتفت أنت، ولا تدع أحداً من أهلك يلتفت"<sup>(١)</sup>.

ومن النهي في سورة هود ﴿ ٥٥٥ ﴾ في قوله تعالى:

﴿ ٥٥٥ ﴾ [هود: ٨٤].

والملاحظ هنا أنّ النهي في هذه الآية تلا أسلوب النداء ﴿ ٥٥٥ ﴾، وأسلوب الأمر بعبادة الله ﴿ ٥٥٥ ﴾، وهذا أصل الصّلاح، وأساس الدّعوة إلى الله عزّ وجلّ. وهو ما تكرر في قصص الأنبياء في السورة الكريمة، أما النهي هنا فالمراد به: "لا تنقصوا المكيال، والميزان حقهما. ولا تطفوهما. وهو أبلغ في الأمر بوفائهما"<sup>(٢)</sup>.

ويتوالى النهي في الآيات في قوله تعالى:

﴿ ٥٥٥ ﴾ [هود: ٨٥]. حيث اشتملت الآية على أسلوبين نهي أولهما: ﴿ ٥٥٥ ﴾ وغرضه التّحذير، وثانيهما: ﴿ ٥٥٥ ﴾ وغرضه كذلك التّحذير.

وقد تكرر النهي في الآيتين السابقتين متواليّاً. وهذا ما اختصّ به شعيب عليه السلام في دعوته، وقد تدرّج شعيب عليه السلام في النهي، "فنهاهم عن ظاهرة متفشية فيهم؛ وهي التّطفيف، ثم نهاهم عن البخس ونقصان الناس حقوقهم، ثمّ نهاهم عن الفساد كلّ في الدنيا، وهذا هو أسلوب الدّعوة، وطريق الإقناع ومنهاج إصلاح النفوس المريضة؛ فإنّ الطيب الماهر يعالج النفوس المريضة، والأجسام السقيمة تدريجياً حتى تشفى"<sup>(٣)</sup>.

ويورد الرازي في هذه الآية قوله:

(١) نظم الدرر: ٥٦٠/٣ ، انظر الجامع لأحكام القرآن: ٨٣/٩.

(٢) معاني القرآن الكريم: ٢٨٧/٢.

(٣) المصدر السابق: ٢٨٨/٢.

"فإن قيل: وقع التكرير في هذه الآية من ثلاثة أوجه؛ لأنه قال أولاً: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ ثم قال: ﴿وَجْعَلْ لِي آيَةً﴾ وهذا عين الأول، ثم قال: ﴿وَجْعَلْ لِي آيَةً﴾ وهذا عين ما تقدم، والتكرار يفيد التأكيد، وشدة العناية والاهتمام"<sup>(١)</sup>.

ومن النهي كذلك ﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْبَيْتَ﴾ في قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْبَيْتَ﴾ [هود: ٨٩].

فإن معنى لا يجرمنكم: لا يحملنكم، والمراد: "النهي عن الشقاق، والخلاف الذي يكسب الهلاك، ويوقع فيه"<sup>(٢)</sup>.

ومن النهي ﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْبَيْتَ﴾ في قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْرَأُوا الْبَيْتَ﴾ [هود: ١٠٩].

والنهي في الآية الكريمة موجّه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى:

"لا تشك يا محمد في ضلال كفار قريش، وتكذيبهم لرسالتك، وسوء مصيرهم"<sup>(٣)</sup>.

ومن براعة التعبير حذف النون في تكن؛ "إيجازاً في الكلام للإسراع بالإيقاف على المراد والإبلاغ في نفي الكون على أعلى الوجوه"<sup>(٤)</sup>.

ومن أساليب النهي ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ في قوله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ [هود: ١١٢].

(١) تفسير الفخر الرازي: ٤٢/١٢.

(٢) معاني القرآن الكريم: ٢٩١/٢.

(٣) المصدر السابق: ٢٩٨/٢.

(٤) نظم الدرر: ٥٨٢/٣.





## ثالثاً - الاستفهام:

إنَّ الاستفهام مطلبٌ أساس في أمور كثيرة، وذلك لطلب حصول صورة الشيء في الذهن ويلتقي معظم العلماء في التعريف بالاستفهام؛ وهو "طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة مخصوصة"<sup>(١)</sup>.

والاستفهام كما تدلُّ صيغة الاستفعال هو: "طلب الفهم ولكن أساليب الاستعمال تجعل ذلك أقلَّ دلالات الصيغة خطراً وبخاصة في السياق القرآني؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهو منزّه عن طلب الفهم، ومن ثمَّ يكون للاستفهام في القرآن الكريم وظائفُ أخرى غير ذلك"<sup>(٢)</sup>.

"ويسمى النحاة طلب الفهم استفهاماً على بابه إذ يعدُّون طلب الفهم هو الباب أو المدخل إلى الاستفهام في أصل الاستعمال. وحين نقول الأصل، يدلُّ ذلك على طريقة النحاة في التأصيل والتفريع ولا يدلُّ على حرية الإبداع الأسلوبية الذي قد يرى الالتزام بالأصل قيوداً على تعريف المعاني"<sup>(٣)</sup>.

ويعدُّ الاستفهام من مقومات التركيب اللغوي، وأسس بنيانه شأنه شأن الأساليب الأخرى من أمر ونهي وتمني ونداء حيث انصهرت الأساليب جميعاً في بوتقة واحدة فشكلت بعداً جمالياً بديعاً، ومظهراً فنياً رائعاً.

وقد يكون الاستفهام بطريقةٍ مذكورة، أو بطريقةٍ غير مذكورة، "ويتمُّ أسلوب الاستفهام بطرقٍ منها ما هو بأداة مذكورة، ومنها ما هو بأداة غير مذكورة - وهذه في حقيقة الأمر تكون بنغمة صوتية وليس بأداة محذوفة - ومنها ما يتمُّ الاستفهام فيها بطريقةٍ غير مباشرة، حيث يفهم فيها الاستفهام من السياق"<sup>(٤)</sup>.

ويكاد يتفق جميع العلماء في أدوات الاستفهام. وأما الأدوات التي يؤدي بها الاستفهام فهي:

"الهمزة، وهل، وما، ومن، وأي، وكم، وكيف، وأين، وأنى، ومتى، وأيان"<sup>(٥)</sup>.

(١) علم المعاني: عبد العزيز عتيق، ص ٩٦.

(٢) البيان في روائع القرآن: تمام حسان، مكتبة الأسرة ٢٠٠٢م، ١٩٣/٢.

(٣) المصدر السابق: ١٩٣/٢.

(٤) أسلوبا النفي والاستفهام في العربية: خليل أحمد عمارة، منشورات جامعة اليرموك، ص ١٠.

(٥) المصدر السابق: ص ١٠.

أما أساليب الاستفهام في سورة هود عليه السلام فقد تعددت ، حيث ورد هذا الأسلوب في الآيات في ثلاثة وعشرين موضعاً (٢٣)، كما تتوّعت أغراضها حسب الموقف الذي ذكرت فيه ما بين أمرٍ وإنكار، أو تعجبٍ وتقرير، أو تهكُّمٍ وتنبيه، أو نفيٍ وتكذيب. والمتتبع للمواقف في سورة هود يدرك ذلك، ويتضح الأمر أمامه جلياً.

ومن أساليب الاستفهام في السُّورة ﴿قوله تعالى:﴾

﴿قوله تعالى:﴾

[هود: ١٤]. وغرض الاستفهام هنا الأمر، "وهو استفهام ومعناه أمر" (١). ويورد الشنقيطي في هذه الآية قوله: "صيغة الاستفهام معناها هنا الأمر، أي: فأسلموا بعد ظهور هذه الحجة القاطعة" (٢). ورأى بعضهم أنّ الاستفهام "للحثّ على الفعل، والترغيب فيه" (٣).

ويرى الصابوني أنّ قوله تعالى: ﴿قوله تعالى:﴾ لفظه استفهام، ومعناه أمر أي: فأسلموا بعد ظهور هذه الحجة القاطعة؛ إذ لم يبق لكم عذرٌ في ذلك" (٤).

أما قوله تعالى:

﴿قوله تعالى:﴾ [هود: ١٧]. فإن:

"﴿قوله تعالى:﴾ استفهام بمعنى التقرير و[النفي]، وكأنّه قال: لا أحد ممن افتري على الله كذباً" (٥).

أما في قوله تعالى:

﴿قوله تعالى:﴾

[هود: ٢٤]. فإنّ الاستفهام ﴿قوله تعالى:﴾ "إنكاري أي: لا يستويان مثلاً، فليس حال من يبصر نور الحق، ويستضيء بضياءه كحال من يخبط في ظلمات الضلالة، ولا يهتدي إلى سبيل السعادة" (٦).

(١) معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء - تحقيق محمد النجار وأحمد نجاتي - ط٣، عالم

الكتب، بيروت - لبنان، ٢٠٢/١.

(٢) الكشاف: ٢٦٦/٢.

(٣) معاني القرآن الكريم: ٢٥٣/٢.

(٤) صفة التفاسير: ١١/٢.

(٥) المحرر الوجيز: ١٥٩/٣.

(٦) صفة التفاسير: ١٢/٢.





والاستفهام في قوله: ﴿ ٧٨ ﴾ فيه "توبيخ لهم أي: أنتركوني لأجل قومي، ولا تتركوني إعظاماً لجنان الربّ تبارك وتعالى؟ فهل عشيرتي أعزّ عندكم من الله وأكرم؟"<sup>(١)</sup>.

ومثله قوله تعالى: ﴿ ٧٨ ﴾ [هود: ٧٨] والمعنى:

"أليس منكم رجل يهتدي إلى سبيل الحقّ، وفعل الجميل، والكفّ عن السوء، وفي ذلك توبيخ عظيم لهم حيث لم يكن منهم رشيد البتة"<sup>(٢)</sup>. وقيل: استفهام إنكاري توبيخي بمعنى: النفي، ونفي النفي إثبات والمراد: لا يوجد فيكم رجل عاقل يدعوكم إلى الخير<sup>(٣)</sup>. وإلى جانب التوبيخ يحمل هذا الاستفهام معنى التعجب.

أما قول الله سبحانه وتعالى على لسان سارة:

﴿ ٣٥ ﴾ [هود: ٣٥]؛ فإنّ الاستفهام ورد في قوله تعالى: ﴿ ٣٥ ﴾ وهو "استفهام معناه التعجب"<sup>(٤)</sup>، ويطلق عليه بعضهم استفهام التعجب، ويدلّ الاستفهام على تعجب سارة من بشارة الملائكة لإبراهيم بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب عليهما السلام. وقيل: ﴿ ٣٥ ﴾ "استفهام إنكار وتعجب"<sup>(٥)</sup>.

ومن شواهد التعجب بالاستفهام أيضاً: ﴿ ٣٥ ﴾ [هود: ٣٥]

[هود: ٣٥].

ومن الاستفهام بالاستفهام ﴿ ٣٥ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ ٣٥ ﴾ [هود: ٣٥].

﴿ ٣٥ ﴾ [هود: ٣٥].

والاستفهام هنا على سبيل الإنكار من جانب المشركين كما دلّت عليه همزة الاستفهام، وكأنّ صالحاً قد سقط من نظرهم حين دعاهم إلى عبادة الله وحده. وكان صاحب جاهٍ عندهم قبل هذا<sup>(٦)</sup>. والمعلوم أنّ من وسائل المحاجة والإقناع؛ الاستفهام الإنكاري لما يحويه من أدلّة عقلية، وحسيّة.

(١) صفة التفاسير: ٢٨/٢، ٢٩.

(٢) البحر المحيط: ٢٤٧/٥، نظم الدرر: ٥٥٩/٣، زاد المسير: ١٣٩/٤.

(٣) انظر صفة التفاسير: ٢٦/٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٧٢/٩، نظم الدرر: ٥٥٤/٣، البحر المحيط: ٢٤١/٥.

(٥) انظر البحر المحيط: ٢٤١/٥، زاد المسير: ١٣٢/٤، جامع البيان في تفسير القرآن: ٤٧/١٢.

(٦) الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية: ص ٢٧٣، انظر الجامع لأحكام القرآن: ٦١/٩.



ومثله قوله تعالى: ﴿ ۝۱۸۱ ۝ ﴾ [الشرح: ١].

وقوله ﴿ ۝۱۸۲ ۝ ﴾ [الضحى: ٦].

ومن الشعر قول جرير:

وأندي العالمين بطنون راح<sup>(١)</sup>.

ألستم خير من ركب المطايا

كما يتمثل هذا الاستفهام في قوله تعالى:

﴿ ۝۱۸۱ ۝ ﴾ [هود: ٨١].

والتقرير أحد نوعي الاستفهام الإنكاري؛ إذ إنَّ الاستفهام الإنكاريّ من نوعين: نفي وتقرير. فإذا خلت جملة الاستفهام الإنكاريّ من أداة النفي فمعناها هو النفي أو النهي، أما إذا دخلتها أداة النفي فالمعنى على التقرير؛ أي أنَّ الأمرين في الحالتين على عكس بنية الجملة<sup>(٢)</sup>.

ومثال الأول: وهو إذا خلت جملة الاستفهام الإنكاري من أداة النفي قوله تعالى:

﴿ ۝۱۸۲ ۝ ﴾ [البقرة: ٤٤].

والمعنى: لا تأمروا الناس بالبرِّ على هذا الوضع.

ومثال الثاني: وهو إذا دخلتها أداة النفي وهنا يكون المعنى على التقرير؛ قوله تعالى:

﴿ ۝۱۸۳ ۝ ﴾ [التوبة: ٧٠] أي: لقد جاءهم.

وقوله: ﴿ ۝۱۸۴ ۝ ﴾ [التوبة: ١٠٤] أي: إنَّهم يعلمون.

وبناءً على ما سبق يكون الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ ۝۱۸۵ ۝ ﴾

[هود: ٨١] للتقرير على معنى: بل هو قريب.

وقيل: ﴿ ۝۱۸۶ ۝ ﴾ "استفهام تقريرى لحمل المخاطب على الإقرار لما بعد

النفي، فالمعنى: الصبح قريب جداً، وقد أؤف موعد هلاكهم"<sup>(٣)</sup>.

ولكنَّ الظاهر في هذا الاستفهام أنَّه يحمل في طيَّاته الوعيد والتهديد أكثر مما يحمل من تقرير.

(١) البيت من الوافر في ديوانه: ص ١١٧.

(٢) البيان في روائع القرآن: ١٩٧/٢.

(٣) معاني القرآن الكريم: ٢٨٦/٢.

ومن أساليب الاستفهام في سورة هود ما يفيد التّكذيب. ويمثّل هذا الغرض ﴿يَقُولُ سُبْحٰنَ رَبِّيَ الْاَعْلٰى وَالاَسْفَلٰى﴾

في قوله تعالى: ﴿يَقُولُ سُبْحٰنَ رَبِّيَ الْاَعْلٰى وَالاَسْفَلٰى﴾ [هود: ٨].

وهنا يذهب قوم نوح في الاستعجال مذهباً يسألون فيه عن موانع نزول العذاب، وأسباب حبسه تكذيباً بالغاً واستهزاءً عظيماً.

و﴿يَقُولُ سُبْحٰنَ رَبِّيَ الْاَعْلٰى وَالاَسْفَلٰى﴾ المراد به "ما يمنعه من النزول استعجالاً له على وجه التّكذيب والاستهزاء"<sup>(١)</sup>.

أما القرطبي فيورد في قوله تعالى: ﴿يَقُولُ سُبْحٰنَ رَبِّيَ الْاَعْلٰى وَالاَسْفَلٰى﴾ قوله: "يعني العذاب، وقالوا هذا إما تكذيباً للعذاب لتأخره عنهم، أو استعجالاً واستهزاءً؛ أي ما الذي يحبسه عنا"<sup>(٢)</sup>. أو العذاب ما يحبسه عن الوقوع استعجالاً له تكذيباً واستهزاءً، وهذا تهديد لهم بأنّه آتيهم عن قريب فليعتدوا لذلك<sup>(٣)</sup>.

أما استفهام التّهمكّ فله حظٌّ في سورة هود، وهو بمعنى الاستهزاء، أو الزرّاية على الآخر بشيء ما، والغضب عليه، والوقوع فيه بقول السّوء، ويقال له أيضاً: "السخرية والاستهزاء؛ وهو إظهار عدم المبالاة بالمستهزأ، أو المتهمكّ به، ولو كان عظيماً"<sup>(٤)</sup>.

ومن هذا الاستفهام ﴿يَقُولُ سُبْحٰنَ رَبِّيَ الْاَعْلٰى وَالاَسْفَلٰى﴾ في قوله تعالى:

﴿يَقُولُ سُبْحٰنَ رَبِّيَ الْاَعْلٰى وَالاَسْفَلٰى﴾ [هود: ٨٧].

والاستفهام في قوله: ﴿يَقُولُ سُبْحٰنَ رَبِّيَ الْاَعْلٰى وَالاَسْفَلٰى﴾ يحمل في طيّاته الاستهزاء، والسخرية، والتّهمكّ إلى جانب التوبيخ.

ومثله في التنزيل الحكيم قوله تعالى:

﴿يَقُولُ سُبْحٰنَ رَبِّيَ الْاَعْلٰى وَالاَسْفَلٰى﴾ [الصفات: ٩١].

(١) الكشّاف: ٢٦٠/٢ ، انظر زاد المسير: ٨٠/٤ ، صفوة التفاسير: ١٠/٢ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٤/٩ ، نظم الدرر: ٥٠٦/٣ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم: الحافظ بن إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، ٣٩٨/١٢ ، انظر نظم الدرر: ٥٠٦/٣ .

(٤) علم المعاني: عبد العزيز عتيق، ص ١١٤ ، انظر صفوة التفاسير: ٢٨/٢ .

ومثله في الشعر قول زهير بن أبي سلمى:

وما أدري وسوف أخال أدري أقوم آل حصن أم نساء؟<sup>(١)</sup>.

واستفهام التهكم من باب إطلاق اسم الملزوم وإرادة اللزوم؛ لأنَّ الاستفهام عن الشيء يستلزم الجهل به، وبفائدته، والجهل به يستلزم التهكم به، ومنه قوله تعالى حكاية عن الكافرين في شعيب:

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُنُودًا مِّنَ السَّمَاءِ لَنُفِثَ بِهِمْ سَبْعَ مَرَّاتٍ﴾ [هود: ٨٧].

"فالقصد هنا هو الاستخفاف بشأن شعيب في صلاته التي يلزمها؛ لأنَّ شعيباً كان كثير الصلاة، وكان قومه إذا رأوه يصلي تضحكوا، فقصداً بسؤالهم لشعيب الهزاء، والسخرية والتهكم، لا حقيقة الاستفهام"<sup>(٢)</sup>.

ومن التهكم بالاستفهام قول المتنبي في الدمستق:

أفي كل يوم ذا الدمستق مقدم قفاه على الإقدام للوجه لائم؟<sup>(٣)</sup>.

وقول أبي فراس متهماً ببني زرارة عندما أخذ أحد حلفائهم منهم غصباً<sup>(٤)</sup>:

ما بالكم! يا أقل الله خيركم لا تغضبون لهذا الموثق العاني؟

جارٌ نزعناه قسراً في بيوتكم والخيل تعصب فرساناً بفرسان

أما الشاهد في قوله تعالى:

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُنُودًا مِّنَ السَّمَاءِ لَنُفِثَ بِهِمْ سَبْعَ مَرَّاتٍ﴾ [هود: ٨٧] أنَّ الاستفهام للتوبيخ

والسخرية، كما أنَّ في الآية ما يعرف بالمفارقة البنائية "Structural irony" التي تعتمد على معرفة مقصد المتكلم الساخر الذي هو من نصيب المستمع، ولكنّه مجهول عند المتكلم،

(١) البيت من الوافر في شعر زهير بن أبي سلمى - تحقيق فخر الدين قباوة - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، ص ١٣٦.

(٢) علم المعاني: عبد العزيز عتيق، ص ١١٤، انظر الجامع لأحكام القرآن: ٩٠/٩، البحر المحيط: ٢٥٢/٥، أسلوبا النفي والاستفهام في العربية: ص ١٦.

(٣) البيت من الطويل في شرح ديوان المتنبي: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٠٥/٤ - ٣.

(٤) البيتان من البسيط لأبي فراس في ديوانه، شرح وتعليق عباس إبراهيم - دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٤م، ص ١٨٨.

ووظيفتها تدعيم بنية الدلالة في النصّ وتأكيدھا، والتهكُّم الذي في هذه المفارقة يحمله المنطوق بصياغته وبنيتھ الخاصة، وقد ورد في الآية الكريمة تسفيه المتكِّم به في الحقيقة<sup>(١)</sup>.

إنَّ المفارقة البنائية ذات بعد مزدوج، أو بمعنى أدقَّ أداة لتوكيد ظهور المعنى بوجهين متفارقين، ومن هنا تصبح المفارقة البنائية "أداة لتوكيد ظهور المعنى بوجهين مختلفين، أي عرض مستوى من مستويات المعنى، هو الظاهر بغية الوصول إلى مستوى آخر، هو المعنى الباطن الذي ترى إليه الدلالة العميقة للمنطوق أو عدد من المنطوقات في الآية الكريمة، فالمفارقة ظاهرة في التضاد بين المنطوق الأخير ﴿ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ يَخْلَعُ كَمَا يَلْبَسُونَ ﴾ والمنطوقات السابقة عليها في الآية.

وإذا علمنا أنَّ تهكُّمهم بنبيهم شعيب عليه السلام من أجل أنَّه يأمرهم باستيفاء المكيال، والميزان بالقسط، وبألا يبخسوا الناس أشياءهم، وبألا يعثوا في الأرض مفسدين، وبأن يتركوا ما يعبد آباؤهم؛ ندرك أنَّ للدلالة مستوىً ثالثاً، يبدو في جعل تهكُّمهم بشعيب عليه السلام أداة للتهكُّم بهم في أنفسهم، وكشفاً عن جهالتهم، وعنادهم<sup>(٢)</sup>.

وهناك مفارقة أخرى تبرز السخرية بشكلٍ مثيرٍ في قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ يَخْلُقُ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٢﴾ أَنْزَلْنَاهُ فِى الْوَجْدِ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤﴾ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٦﴾ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨﴾ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩﴾ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠﴾ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١١﴾ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٤﴾ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [هود: ٥].

وهذه المفارقة هي مفارقة السلوك الحركي "Kinesis" وهي حركة جسمية عامة تبرز فيها عناصر خاصة مثيرة للغرابة والسخرية، ويستخدم اصطلاح السلوك الحركي "Kinesis" بمعنى المظاهر المختلفة للسلوك التبليغي غير اللفظي بين المشتركين في الخطاب، وهو جانب متمم في تحليل خطاب المواجهة. وفي الآية الكريمة تبدأ البنية التركيبية للمفارقة بـ (ألا) الاستهلاكية التي تنبّه إلى ما بعدها، فيجتمع الوعي على البعد الساخر في المفارقة، ثم مجيء الجملة مؤكّدة بأن وقوع الفعل على المضارعة استحضاراً لصورتهم الساخرة<sup>(٣)</sup>.

ومن الإنكار بالاستفهام الذي يحمل معنى النفي قوله تعالى:

(١) الفنون البلاغية في سورة هود: ماجد بن محمد الماجد، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية) المجلد الخامس - العدد الثاني ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ص ٥١.

(٢) المفارقة القرآنية: محمد العبد، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٤، ص ١٤٣ وما بعدها.

(٣) المصدر السابق: ص ١٩٨ وما بعدها.



﴿ brāz k 9 Kāš 4bāš+U b) k \$i B ' IāZf ` B Dq)fr ﴾ [هود: ٣٠]. و"﴿ IāZf ` B ﴾ استفهام إنكاريّ بمعنى النفي، أي: لا أحد يستطيع أن يحميني، وينجيني من عذاب الله، وقوله: ﴿ brāz k 9 Kāš ﴾ استفهام إنكاريّ توبيخيّ<sup>(١)</sup>.

ومثله الاستفهام: ﴿ bqēš Kāš ﴾ في قوله تعالى:

﴿ bqēš Kāš 4pī+Uš " %\$' ā šv) 5 tō k b) (#ō k inā cāō k w Dq)fr ﴾ [هود: ٥١].

والاستفهام أيضاً هنا "للإنكار والتفريع"<sup>(٢)</sup>.

ومن الاستفهام الذي يحمل في دلالاته معنى النفي كذلك فإنه يتمثل في قوله تعالى:

﴿ IāZf ` B ﴾ [هود: ٦٣]. وهنا "استفهام معناه النفي؛ أي لا ينصرني منه إن عصيته أحد"<sup>(٣)</sup>. وفي هذا المقام أظهر موضع الإضمار، وعبر بالاسم الأعظم لاقتضاء المقام التهويل فقال: ﴿ k \$i B ﴾ أي الملك الأعظم<sup>(٤)</sup>.

ومن المعاني التي يخرج إليها الاستفهام إلى معاني أخرى تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال؛ النفي، وذلك "عندما تجيء لفظة الاستفهام للنفي لا لطلب العلم بشيء كان مجهولاً"<sup>(٥)</sup>. ومنه في التنزيل الحكيم قوله تعالى:

﴿ UīZāR ` B Mqm \$Br (? \$@E k ōB " %ōō` lā lā ﴾ [الروم: ٢٩].

وقوله: ﴿ B|| ōM\$zv) C|| ōM\$āy\_ @p ﴾ [الرحمن: ٦٠].

ومن الشعر قول الفرزدق:

أين الذين تُسامي بهم دارماً      أم من إلى سلفي طُهيةً تجعلُ؟<sup>(٦)</sup>  
وقول أبي فراس في رثاء أمه<sup>(٧)</sup>:

(١) معاني القرآن الكريم: ٢٦١/٢ ، انظر صفوة التفاسير: ١٧/٢ .

(٢) صفوة التفاسير: ٢٠/٢ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٦٢/٩ .

(٤) نظم الدرر: ٥٤٩/٣ ، انظر البحر المحيط: ٢٣٩/٥ .

(٥) علم المعاني: عبد العزيز عتيق ص ١٠٤ .

(٦) البيت من الكامل للفرزدق في ديوانه: ٣١٩/٢ .

(٧) البيتان من الوافر لأبي فراس في ديوانه: ص ٩١ .

إِذَا ضَاقَتْ بِمَا فِيهَا الصُّدُورُ      إِلَىٰ مَنْ أَشْتَكِي؟ وَلِمَنْ أُنَاجِي  
بِأَيِّ دَعَاءٍ دَاعِيَةً أَوْقَىٰ      بِأَيِّ ضِيَاءٍ وَجْهٍ أُسْتَتِيرُ  
وقد يخرج الاستفهام كذلك عن معناه الحقيقي إلى معنى النَّهْيِ؛ أي إلى "طلب الكفِّ عن الفعل على وجه الاستعلاء"<sup>(١)</sup>.

ومنه ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ في قوله تعالى في سورة هود:

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [هود: ٧٣].

والمعنى هنا: لا تعجبين من أمر الله.

ويؤكد ذلك قوله تعالى:

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [التوبة: ١٣].

والمعنى: لا تخشوهم فالله أحق أن تخشوه.

ويورد القرطبي في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ قوله:

"لما قالت: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ وتعجبت، أنكرت الملائكة عليها تعجبها من أمر الله، أي من قضائه وقدره، أي لا عجب من أن يرزقكما الله الولد، وهو إسحق"<sup>(٢)</sup>.

إنَّ أسلوب الاستفهام في سورة هود عليه السلام ورد في ثلاثة وعشرين (٢٣) موضعاً.

ويمكن بيان تمثيل هذا الأسلوب في السُّورة من خلال الجدول الآتي:

الغرض	الاستفهام	رقم الآية	الآية
التخيير	نأفك	٧	﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾

(١) علم المعاني: عبد العزيز عتيق، ص ١١٧.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن: ٧٣/٩.



التقرير	§ 4	٨١	5-ft)l 86A9\$§ 486A9\$Dd%Èqb bJ
التهم والسخرية	§ 4	٨٧	\$R6V#a Bçaf \$B BçR bE š 66š ç4l k Ü çà»f (q8\$%
التنبيه والتقرير	0544k	٨٨	\$%el qzB Ó%»r ' fS `B pVÉ 44a 4Za bJ 0544k Éç»f IA\$%
الإنكار والتوبيخ	' Üellk	٩٢	Nä44r qBç»Bš k \$i B Nç 4te «Èk pÜellk Éç»f IA\$%

## رابعاً - التَّمني:

التَّمني ضرب من ضروب الإنشاء الطلبي والمقصود بالتَّمني: "طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله: إما لكونه مستحيلاً، والإنسان كثيراً ما يحبُّ المستحيل ويطلبه، وإما لكونه ممكناً غير مطموح في نيّله"<sup>(١)</sup>.

أما العلويُّ فقد أورد في التعريف الكلمات الموضوععة للتَّمني قائلاً:

"وهو تَوْعُّع أمرٍ محبوبٍ في المستقبل، والكلمة الموضوععة له حقيقةٌ هي (ليت) وحدها، وقد يقع التَّمني (بهل) و(بلو)، وليس من شرط التَّمني أن يكون ممكناً بل يكون في الممكن، وغير الممكن"<sup>(٢)</sup>.

ومثال (ليت) قوله تعالى: ﴿بَرَاءٌ لِّرَبِّكَ إِذْ قَالَ لِرَبِّكَ إِنِّي قَدْ كَفَرْتُ﴾ [القصص: ٧٩].

ومثال (هل) قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّمَاءَ الَّتِي يُسَوِّدُهَا السَّحَابُ﴾ [الأعراف: ٥٣].

ومثال (لو) قوله تعالى في سورة هود:

﴿لَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عِندَ رَبِّكَ فَتْحًا مِّنَ السَّمَاءِ لَأَفْلَحُوا﴾ [هود: ٨٠].

وتخالف (لو) حروف التَّمني الأخرى، والغرض البلاغي من استعمال (لو) في التَّمني هو: "الإشعار بعزة التَّمني؛ لأنَّ المتكلم يظهره في صورة الممنوع، إذ إنَّ (لو) تدلُّ بأصل وضعها على امتناع الجَّواب لامتناع الشرط"<sup>(٣)</sup>.

ويرى حسن طبل: "أنَّ التَّمني بها ليس أمراً واحداً لا يرجى حصوله كما في (ليت)، بل هو أمران يستحيل أحدهما لاستحالة الآخر"<sup>(٤)</sup>. لذا يرى البلاغيون أنَّ (لو) تزيد التَّمني بعداً.

و﴿قَدْ﴾ في الآية الكريمة ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهُ﴾ [الشُّعَرَاءُ: ٢٨] للتَّمني، والمعنى: "ليت لي عليكم قوَّةٌ وقدرة أدفعكم بها"<sup>(٥)</sup>.

والتَّمني البلاغيُّ يظهر في مجيء (لو) بدلاً من (ليت) التي هي أداة التَّمني الحقيقيِّ.

(١) علم المعاني: عبد العزيز عتيق، ص ١٢٢، انظر علم المعاني تأصيل وتقييم: ص ٩٠.

(٢) الطراز: ص ٥٣٤، ٥٣٥.

(٣) علم المعاني: عبد العزيز عتيق، ص ١٢٤.

(٤) علم المعاني تأصيل وتقييم: ص ٩٥.

(٥) معاني القرآن الكريم: ٢٨٥/٢.

والنبي لوط عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لَا يَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ كَافِيَةٌ لِرُدِّعِ قَوْمَهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ، وَخَزِيئِهِ فِي ضَيْفِهِ لِهَذَا تَمَنَّى أَنْ يُنْحَلَ تِلْكَ الْقُوَّةَ الَّتِي يَقْوَى بِهَا عَلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ؛ فَاسْتَعْمَلَ ﴿٥٥٩﴾ لِتَمَنِّي غَيْرِ الْمَحْقُوقِ، وَبَعِيدِ الْوَقُوعِ.

وبنظرة بسيطة ندرك أن أسلوب التمني هو أقل الأساليب الإنشائية وروداً في سورة هود عليه السلام، حيث إن التمني لم يرد في السورة إلا مرة واحدة، ووروده لا يقارن بالأساليب الإنشائية الأخرى – الأمر، والنهي، والنداء، والاستفهام – من حيث العدد، ورغم ذلك فإن كثيراً من العلماء تناول هذه الآية بالشرح والتحليل.

ويظهر تمثيل أسلوب التمني في سورة هود من خلال الجدول الآتي:

الغرض	الشاهد	رقم الآية	الآية
التمني	لو	٨٠	﴿لَا يَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ كَافِيَةٌ لِرُدِّعِ قَوْمَهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ، وَخَزِيئِهِ فِي ضَيْفِهِ لِهَذَا تَمَنَّى أَنْ يُنْحَلَ تِلْكَ الْقُوَّةَ الَّتِي يَقْوَى بِهَا عَلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ؛ فَاسْتَعْمَلَ ﴿٥٥٩﴾ لِتَمَنِّي غَيْرِ الْمَحْقُوقِ، وَبَعِيدِ الْوَقُوعِ﴾

## خامساً - النداء:

إنَّ الجملة البلاغية في أساليب النداء عند العرب أداة وهدف، وهي في دلالاتها وجمالياتها البلاغية رسالة كلامية، وعملاً فنياً في آنٍ واحدٍ.

والنداء ضرب من ضروب الإنشاء الطلبي، والمقصود بالنداء: "طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو لفظاً"<sup>(١)</sup>. أو "طلب الإقبال من المخاطب بحرف من حروف النداء"<sup>(٢)</sup>. أو "طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف ناب مناب (أنادي) المنقول من الخبر إلى الإنشاء"<sup>(٣)</sup>.

وضمن بعض العلماء أدوات النداء في التعريف، ومنهم السامرائي الذي يرى أنَّ النداء: "دعاء يتأتى بإحدى أدوات النداء، وهي ثماني أدوات: الهمزة وأي، مقصورتين وممدودتين، ويا وأيا، وهيا، ووا"<sup>(٤)</sup>.

إنَّ أسلوب النداء علامة بارزة من علامات العربية، وسمة ظاهرة من سماتها، وليس من شك أنَّ أسلوب النداء شيء من لوازم العربية الأصيلة"<sup>(٥)</sup>.

والتقارب بين أسلوبَي النداء، والدُّعاء يبدو واضحاً إلى أبعد الحدود، ويربط السامرائي بينهما قائلاً:

"إنَّ النداء ضرب من الطلب، والطلب يدخل في باب الإنشاء. وفي قولهم هذا إغفال لحقيقة، وذلك إنك حين تتأدي أحداً تعقب ذكره بشيء تطلبه، ومن أجل ذلك دخل النداء في أسلوب الدعاء. ألا ترى أنَّك لا تقول: يا الله أو: اللهمَّ إلا أعقت لفظة الجلالة بفعل أمر خرج إلى الالتماس والرجاء ونحو ذلك مما يترشَّح من أسلوب الدعاء"<sup>(٦)</sup>.

وإذا كان النداء "طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة ينوب كلُّ حرف منها مناب الفعل أدعو"<sup>(٧)</sup>؛ فإنَّ النداء كغيره من أساليب الإنشاء الأخرى يخرج عن معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى تستفاد من سياق الكلام، وقرائن الأحوال.

(١) علم المعاني تأصيل وتقييم: ص ٩٦.

(٢) من بلاغة القرآن: محمد علوان، ص ٦٩.

(٣) جواهر البلاغة: ص ٨٩.

(٤) من أساليب القرآن: إبراهيم السامرائي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، الطبعة الأولى

١٩٨٣م، ص ٤١.

(٥) من أساليب القرآن: ص ٤٣.

(٦) المصدر السابق: ص ٤٢.

(٧) علم المعاني: عبد العزيز عتيق، ص ١٢٥، انظر البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٢٤٠/١.



وقد يخرج عن معناه الأصلي من نداء القريب أو البعيد إلى معانٍ أخرى تستفاد من سياق الكلام، وقرائن الأحوال؛ كالإغراء، والتحسُّر والجزر<sup>(١)</sup>.

وقد يتجاوز هذه المعاني أيضاً إلى معانٍ أخرى كالاستغاثة، والتعجُّب، والندبة، والاختصاص.

وإذا تتبعنا أسلوب النداء في سورة هود؛ نجد أنّ هذا الأسلوب ورد في السورة في اثنين وثلاثين (٣٢) موضعاً، وقد تنوّع بين النداء المتبادل بين الأنبياء وأقوامهم. ونداء نوح لله سبحانه وتعالى من ناحية، ونداء ابنه من ناحية ثانية، ولعلّ النداء الذي يتكرَّر بصورة واضحة بين آيات سورة هود هو قوله تعالى:

﴿ إِذْ تَكَرَّرَ هَذَا النَّدَاءُ فِي الْآيَاتِ سِتْ عَشْرَةَ مَرَّةً (١٦) <sup>(٢)</sup>. ومثل هذا العدد يقارب نصف عدد أساليب النداء تقريباً، كما يمثّل هذا العدد ثلث وقوعها في التنزيل الحكيم، إذ ورد سبع وأربعون مرة (٤٧) <sup>(٣)</sup>، وقد غلب على هذا النداء التلطف بقومه في الخطاب؛ لأنهم أبناء عشيرته، أما التكرار للنداء فهو من قبيل تأكيد التلطف بهم في الخطاب، ويتضح ذلك في الآيات:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ اتَّقَاةِ لَهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [هود: ٢٨].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ اتَّقَاةِ لَهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [هود: ٢٩].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ اتَّقَاةِ لَهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [هود: ٣٠].

"وشرع يكرَّر هذه اللفظة كلَّ قليل؛ تذكيراً لهم أنه منهم لتعطفهم الأرحام، وتردِّهم القربان عن حسده أو اتِّهامه إلى قبول ما يلقي إليهم من الكلام"<sup>(٤)</sup>.

ويتوالى نداء الاستعطاف في الآيات:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ اتَّقَاةِ لَهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [هود: ٥٠].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ اتَّقَاةِ لَهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [هود: ٥١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ اتَّقَاةِ لَهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ [هود: ٥٢].

(١) علم المعاني: عبد العزيز عتيق، ص ١٢٧.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، ص ٧٧٠، ٧٧١.

(٣) المصدر السابق: ص ٧٧٠، ٧٧١.

(٤) نظم الدرر: ٥٢٣/٣.

والنداء في الآية الأولى: "لتنبيه قومه واسترعاء أسماعهم، وتنشيط أذهانهم للإصغاء إليه نظراً لأهمية ما سيلقى عليهم من الخبر العظيم"<sup>(١)</sup>. وقد كرّر النداء في الآيتين التاليتين؛ "لتأكيد استرعاء انتباههم لأهمية ما سيلقى عليهم من الخبر المهم"<sup>(٢)</sup>.

ومثل ذلك قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ لِلْبَيْتِ وَإِذْ يَحْمِلُكَ إِلَى الصَّخْرِ الْمَعْرُوفِ وَإِذْ يُلْقِيكَ فِي الصَّخْرِ وَإِذْ يَمْشِي عَلَى الصُّلْبِ وَكَانَ صِدْقًا وَإِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ لِمَا بَدَأَ بَدَأْتَنِ هَٰذَا بَدِيعٌ أَلَيْسَ لَدُنَّكَ الْبَاقِيَ أَيُّهَا رَبِّي الْكَافِرُونَ ﴾ [هود: ٦١] وقوله:

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ لِلْبَيْتِ وَإِذْ يَحْمِلُكَ إِلَى الصَّخْرِ الْمَعْرُوفِ وَإِذْ يُلْقِيكَ فِي الصَّخْرِ وَإِذْ يَمْشِي عَلَى الصُّلْبِ وَكَانَ صِدْقًا وَإِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ لِمَا بَدَأَ بَدَأْتَنِ هَٰذَا بَدِيعٌ أَلَيْسَ لَدُنَّكَ الْبَاقِيَ أَيُّهَا رَبِّي الْكَافِرُونَ ﴾ [هود: ٦٣].

وقوله: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ لِلْبَيْتِ وَإِذْ يَحْمِلُكَ إِلَى الصَّخْرِ الْمَعْرُوفِ وَإِذْ يُلْقِيكَ فِي الصَّخْرِ وَإِذْ يَمْشِي عَلَى الصُّلْبِ وَكَانَ صِدْقًا وَإِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ لِمَا بَدَأَ بَدَأْتَنِ هَٰذَا بَدِيعٌ أَلَيْسَ لَدُنَّكَ الْبَاقِيَ أَيُّهَا رَبِّي الْكَافِرُونَ ﴾ [هود: ٨٤].

وقوله: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ لِلْبَيْتِ وَإِذْ يَحْمِلُكَ إِلَى الصَّخْرِ الْمَعْرُوفِ وَإِذْ يُلْقِيكَ فِي الصَّخْرِ وَإِذْ يَمْشِي عَلَى الصُّلْبِ وَكَانَ صِدْقًا وَإِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ لِمَا بَدَأَ بَدَأْتَنِ هَٰذَا بَدِيعٌ أَلَيْسَ لَدُنَّكَ الْبَاقِيَ أَيُّهَا رَبِّي الْكَافِرُونَ ﴾ [هود: ٨٥].

فقد تبع النداء الأول نهي عن نقصان المكيال والميزان، وأما النداء الثاني فتبعه أمر بالإيفاء بعد أن نهى عن التطفيف تأكيداً، "والأمر بإيفاء المكيال والميزان تأكيداً للنهي عن نقصهما لزيادة الترغيب في العدل، والإيفاء في المكيال والميزان، والتطفيف من التطفيف"<sup>(٣)</sup>، وإنما كرّر النداء في الآيتين السابقتين؛ لزيادة الاهتمام بمضمون الجملة، مما يضيف على الأسلوب جمالاً فوق جماله. ويتواصل النداء بنفس الأسلوب في الآيات:

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ لِلْبَيْتِ وَإِذْ يَحْمِلُكَ إِلَى الصَّخْرِ الْمَعْرُوفِ وَإِذْ يُلْقِيكَ فِي الصَّخْرِ وَإِذْ يَمْشِي عَلَى الصُّلْبِ وَكَانَ صِدْقًا وَإِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ لِمَا بَدَأَ بَدَأْتَنِ هَٰذَا بَدِيعٌ أَلَيْسَ لَدُنَّكَ الْبَاقِيَ أَيُّهَا رَبِّي الْكَافِرُونَ ﴾ [هود: ٨٨].

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ لِلْبَيْتِ وَإِذْ يَحْمِلُكَ إِلَى الصَّخْرِ الْمَعْرُوفِ وَإِذْ يُلْقِيكَ فِي الصَّخْرِ وَإِذْ يَمْشِي عَلَى الصُّلْبِ وَكَانَ صِدْقًا وَإِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ لِمَا بَدَأَ بَدَأْتَنِ هَٰذَا بَدِيعٌ أَلَيْسَ لَدُنَّكَ الْبَاقِيَ أَيُّهَا رَبِّي الْكَافِرُونَ ﴾ [هود: ٨٩].

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ لِلْبَيْتِ وَإِذْ يَحْمِلُكَ إِلَى الصَّخْرِ الْمَعْرُوفِ وَإِذْ يُلْقِيكَ فِي الصَّخْرِ وَإِذْ يَمْشِي عَلَى الصُّلْبِ وَكَانَ صِدْقًا وَإِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ لِمَا بَدَأَ بَدَأْتَنِ هَٰذَا بَدِيعٌ أَلَيْسَ لَدُنَّكَ الْبَاقِيَ أَيُّهَا رَبِّي الْكَافِرُونَ ﴾ [هود: ٩٢].

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ لِلْبَيْتِ وَإِذْ يَحْمِلُكَ إِلَى الصَّخْرِ الْمَعْرُوفِ وَإِذْ يُلْقِيكَ فِي الصَّخْرِ وَإِذْ يَمْشِي عَلَى الصُّلْبِ وَكَانَ صِدْقًا وَإِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ لِمَا بَدَأَ بَدَأْتَنِ هَٰذَا بَدِيعٌ أَلَيْسَ لَدُنَّكَ الْبَاقِيَ أَيُّهَا رَبِّي الْكَافِرُونَ ﴾ [هود: ٩٣].

وكرر النداء في الآيات السابقة؛ لزيادة التنبيه على أهمية ما سيذكر بعد النداء من الخبر الهام"<sup>(٤)</sup>، كما يتضمن النداء كذلك: "استعطافه لهم بما بينهم من عواطف القرابة منبهاً لهم على حسن النظر فيما ساقه على سبيل الفرض والتقدير؛ ليكون أدعى إلى الوفاق والإنصاف"<sup>(٥)</sup>.

(١) معاني القرآن الكريم: ٥٤٤/٢.

(٢) المصدر السابق: ٥٤٥/٢.

(٣) المصدر السابق: ٢٨٨/٢.

(٤) المصدر السابق: ٢٩٢/٢.

(٥) نظم الدرر: ٥٦٧/٣.

ومن الأغراض التي يخرج إليها النداء إلى معانٍ تستفاد من سياق الكلام، وقرائن الأحوال؛ الإغراء. والمقصود بالإغراء:

"حثُّ المخاطب على الفعل الطيّب، والبعد عن الفعل السيئ"<sup>(١)</sup>.

ومنه قوله تعالى:

﴿ وَرَبِّكَ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَلِيمًا ﴾ [هود: ٤٢].

"وقد نادى نوح عليه السلام ولده الذي كان في معزل عنه مستخدماً أداة النداء التي للبعيد... وقد استعمل أداة النداء التي تستعمل للبعيد وفق مقتضى الأصل إذ كان بعيداً في معزل عن أبيه"<sup>(٢)</sup>.

ومثله في الشعر قول المتنبي مخاطباً سيف الدولة:

يا عدلَ النَّاسِ إلا في معاملتي      فيك الخصامُ وأنتَ الخصمُ والحكمُ<sup>(٣)</sup>.

ومن الأغراض التي يخرج إليها النداء؛ التعجُّب، وفي التعجُّب يستعمل النداء برفع الصوت تعبيراً عما في النفس من حالة التعجُّب المثيرة، أو حالة التأسُّف ومثال ذلك قولنا: يا لروعة الشهادة في سبيل الله!!

ويتمثل التعجُّب بالنداء في سورة هود في ﴿ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ آيَاتٌ أَنْ يَسُبُّوا إِيَّاهُ ﴾ في قوله تعالى:

﴿ وَرَبِّكَ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَلِيمًا ﴾ [هود: ٧٦].

"وقد جاء التعجُّب على لسان سارة في التعجُّب من البشارة بالحمل لعقيم في سنِّ اليأس حين بشرتها الملائكة بإسحق، ومن وراء إسحق يعقوب"<sup>(٤)</sup>.

قالت سارة هذه العبارة متعجِّبةً لما سمعت البشري والمعنى: "يا عجبني من هذا الخبر الغريب العجيب"<sup>(٥)</sup>.

ومن التعجُّب بالنداء في الشعر قول الفرزدق يتعجب من جرأة جرير وقومه عليه:

فِيَا عَجَبِي حَتَّى كَلَيْبٌ تَسْبِنِي      كَأَنَّ أَبَاهَا نَهَشَلٌ أَوْ مُجَاشِعٌ<sup>(٦)</sup>

(١) من بلاغة القرآن: محمد علوان، ص ٧٠.

(٢) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٢٤٤/١.

(٣) البيت من البسيط للمتنبى في ديوانه: ٣ - ٤ / ٤٥٣.

(٤) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٢٤٤/١.

(٥) معاني القرآن الكريم: ٢٨٢/٢، ٢٨٣.

(٦) البيت من الطويل للفرزدق في ديوانه: ٧٢/٢.

ومن الأغراض التي يخرج إليها النداء كذلك؛ التهكم والسخرية. والمقصود بالتهكم: "إظهار عدم المبالاة بالمستهزأ أو المتهكم به ولو كان عظيماً"<sup>(١)</sup>.

وهذا الأسلوب يستند إلى الفعاليات النفسية العالية عند المتكلم مفيداً ممّا لدى المخاطب من أوضاع مزريّة.

وفي سورة هود يتمثل التهكم بالنداء في عدّة مواضع منها قوله تعالى:

﴿... رَبِّهِمْ فِي سَمَاءٍ مِّن مَّوْجِدٍ مُّجْتَمِعٍ عَلَىٰ الْكَافِرِ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مُبَسِّئُ مَا يَشَاءُ لِيُغْرِقَ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءً أَدْرَأَهُمُ الْغَيَّاتِ أَوْ لَعْنَهُمْ أَلْحِقَهُمُ الْعَذَابَ وَاجْتَحِبْ﴾ [هود: ٦٢].

وقوله: ﴿... رَبِّهِمْ فِي سَمَاءٍ مِّن مَّوْجِدٍ مُّجْتَمِعٍ عَلَىٰ الْكَافِرِ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مُبَسِّئُ مَا يَشَاءُ لِيُغْرِقَ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءً أَدْرَأَهُمُ الْغَيَّاتِ أَوْ لَعْنَهُمْ أَلْحِقَهُمُ الْعَذَابَ وَاجْتَحِبْ﴾ [هود: ٨٧].

وقوله: ﴿... رَبِّهِمْ فِي سَمَاءٍ مِّن مَّوْجِدٍ مُّجْتَمِعٍ عَلَىٰ الْكَافِرِ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مُبَسِّئُ مَا يَشَاءُ لِيُغْرِقَ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءً أَدْرَأَهُمُ الْغَيَّاتِ أَوْ لَعْنَهُمْ أَلْحِقَهُمُ الْعَذَابَ وَاجْتَحِبْ﴾ [هود: ٩١].

فالنّداء في الآيات السابقة يفيد التهكم والسخرية، "وقد آثروا (يا) التي هي لنداء البعيد؛ تهكماً بالمنادى لإثارة انتباهه"<sup>(٢)</sup>، أضف إلى ذلك أنّ نداء الأنبياء بأسمائهم فيه مزيدٌ من الوقاحة، وعدم الاحترام.

وللاختصاص نصيب من النّداء في السورة الكريمة. والمقصود بنداء الاختصاص: "نكر اسم ظاهر بعد ضمير لبيانه، فالنداء في أصله تخصيص المنادى بطلب إقباله عليك، فجرّد عن طلب الإقبال، واستعمل في تخصيص مدلوله من بين أمثاله بما نسب إليه منها"<sup>(٣)</sup>. وقد يحمل الاختصاص معنى التفاخر مثل: أنا أكرم الضيف أيها الرجل، أو التواضع نحو: أنا الفقير المسكين أيها الرجل.

ويبدو نداء الاختصاص واضحاً في سورة هود في قوله تعالى:

﴿... رَبِّهِمْ فِي سَمَاءٍ مِّن مَّوْجِدٍ مُّجْتَمِعٍ عَلَىٰ الْكَافِرِ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مُبَسِّئُ مَا يَشَاءُ لِيُغْرِقَ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءً أَدْرَأَهُمُ الْغَيَّاتِ أَوْ لَعْنَهُمْ أَلْحِقَهُمُ الْعَذَابَ وَاجْتَحِبْ﴾ [هود: ٧٣].

وقد نصب ﴿... رَبِّهِمْ فِي سَمَاءٍ مِّن مَّوْجِدٍ مُّجْتَمِعٍ عَلَىٰ الْكَافِرِ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مُبَسِّئُ مَا يَشَاءُ لِيُغْرِقَ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءً أَدْرَأَهُمُ الْغَيَّاتِ أَوْ لَعْنَهُمْ أَلْحِقَهُمُ الْعَذَابَ وَاجْتَحِبْ﴾ على الاختصاص، وقيل: على النداء.

ويورد الزمخشري في هذه الآية قوله:

"وإنما أنكرت عليها الملائكة تعجبها؛ لأنها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات، فكان عليها أن تتوقّر ولا يزددها ما يزددها سائر الناشئات في غير بيوت

(١) علم المعاني: عبد العزيز عتيق، ص ١١٤.

(٢) معاني القرآن الكريم: ٢٧٨/٢، ٢٩١.

(٣) جواهر البلاغة: ص ٩٠.

النبوة ... وإلى ذلك إشارات الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم ﴿ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ (١).  
 ﴿ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم به ربُّ العزة، ويخصُّكم بالأنعام به يا أهل بيت النبوة، فليست بمكان عجب" (١).

"و ﴿ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ نصب على النداء، أو على الاختصاص؛ لأنَّ أهل البيت مدح لهم إذ المراد أهل بيت خليل الرحمن" (٢).

ويورد العكبريُّ في قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ قوله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾؛ تقديره: يا أهل البيت، أو يكون منصوباً على التعظيم والتخصيص؛ أي: أعني" (٣).

ومن خلال تتبعنا لأسلوب النداء في سورة هود نجد أنه ورد في اثنين وثلاثين موضعاً (٣٢)، منها ستة عشر موضعاً (١٦) من باب نداء القوم ﴿ يا أيها القوم ﴾.

ويمكن بيان تمثيل هذه المواضع في السورة الكريمة من خلال الجدول الآتي:

الشاهد	رقم الآية	الآية
يا قوم	٢٨	﴿ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾
يا قوم	٢٩	﴿ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾
يا قوم	٣٠	﴿ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾
يا نوح	٣٢	﴿ يا نوح اقلع جناحك من السفينة ﴾
يا بني	٤٢	﴿ يا بني اقلع جناحك من السفينة ﴾
يا أرض	٤٤	﴿ يا أرض اقلع جناحك من السفينة ﴾
يا سماء	٤٤	﴿ يا سماء اقلع جناحك من السفينة ﴾

(١) الكشاف: ٢٨١/٢ ، البحر المحيط : ٢٤٤/٥ .

(٢) الكشاف: ٢٨٢/٢ .

(٣) التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق، علي محمد البجاوي، دار الشام للتراث، بيروت - لبنان، ٢/ ٧٠٨ .







## المبحث الثاني

### التوكيد ودلالاته الأسلوبية في سورة هود

لم يكن أسلوب التوكيد في كلام العرب — على كثرته — لونا من ألوان الزينة، أو شكلاً من أشكال الحشو الذي يرهق النص، ويتقله بما لا فائدة منه ولا جدوى من ناحية، ويغرق القارئ أو السامع في السأم والملل من ناحية أخرى، وإنما هو ركن من أركان البناء اللغوي وأساس من أسس التصوير البياني الذي زخرت به النصوص العربية شعراً ونثراً، فالعرب لا تؤكد كلامها إلا إذا كان المخاطب في حاجة إلى ذلك، وتأتي بمؤكد واحد إن كان المخاطب متردداً في تصديق ما يقال، أو ظن ذلك منه، في حين تأتي بأكثر من مؤكّد — قد تشفع ذلك بالقسم — إن كان المخاطب منكراً ما يسمع كل الإنكار، أو ظن منه ذلك، وتزيد العرب من المؤكّدات، وترتفع بمستوى التأكيد كلما ازداد المخاطب إنكاراً، إذ ينبغي على صاحب الخبر أن يأخذ في اعتباره حال المخاطب.

والخبر ثلاثة أضرب<sup>(١)</sup>:

الأول: الابتدائي، وهو الخبر الذي يكون خالياً من المؤكّدات؛ لأنّ المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه الخبر فهو ليس بمتردد ولا منكراً له.

الثاني: الطلبّي، وهو الخبر الذي يتردد المخاطب فيه، ولا يعرف مدى صحته فيحسن عندئذ أن يؤكّد له الكلام بمؤكّد واحد لنزيل منه الشكّ، ونمحو التردد ويتمكن الخبر من نفسه.

الثالث: الإنكاري، وهو الخبر الذي ينكره المخاطب إنكاراً يحتاج إلى أن يؤكّد بأكثر من مؤكّد. وعلى ذلك فأضرب الخبر ثلاثة هي: الابتدائي والطلبّي والإنكاري، وكل ضرب له ما يناسبه من كلام، وما يقنضيه من مؤكّدات.

أما توزيع الأسلوب الخبري عند الأسلوبيين فإنّه يظهر المتلقي على خارطة توزيع الأسلوب الخبري طرفاً مهماً في ثلاثية المرسل اللسانية، والاجتماعية، من حيث خلوّ ذهنه من مادة النصّ المرسل، وافتقاره إلى عنصر الحكم .... ، وقد يكون المتلقي محيطاً ببعض عناصر النصّ، مما لا يسمح له إلا بهامش ضئيل من الملامسة الإدراكية<sup>(٢)</sup>.

(١) من بلاغة القرآن: محمد شعبان علوان، ص ٣٦ — ٣٨.

(٢) الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية: عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان — الأردن،

الطبعة الأولى ٢٠٠٢م، ص ٢٤٣.

"وقد لا يستقبل المتلقي النصّ؛ لأنه في دائرة ضيقة الحدود تجعل عملية الاختراق مشوبةً بنوع من العجز والقصور"<sup>(١)</sup>.

وإذا كانت البلاغة تعني مطابقة الكلام لمقتضى الحال أي: حال المتلقي، "فإنّ أنواع الأسلوب الخبريّ بناءً على هذا المفهوم أسّست على نوع الموقف الذي يعتمده المتلقي مع المنشئ"<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان البلاغيون قد قسّموا الأسلوب الخبريّ إلى ثلاثة أنواع وهي: الابتدائيّ، والطلبيّ، والإنكاريّ فإنّ هذه الألوان الثلاث تقوم على ركائزٍ أربعة<sup>(٣)</sup>:

١- ثنائية مقتضى الظاهر، وخلاف مقتضى الظاهر.

٢- الخلو من أدوات التوكيد.

٣- المؤكّد بأداة واحدة.

٤- المؤكّد بأكثر من أداة.

أما من حيث ثنائية مقتضى الظاهر، وخلاف مقتضى الظاهر؛ فإنّ الشواهد تتوزع على القنوات الآتية:

١- تنزيل المتلقي الخالي الذهن من الحكم منزلة المتردد الشاكّ.

٢- جعل المتلقي غير المنكر للحكم منكرًا.

٣- جعل المتلقي المنكر للحكم في منزلة غير المنكر.

٤- تنزيل المنكر منزلة المتردد.

٥- تنزيل المتردد منزلة المنكر.

و"هذه المدارات لابدّ لمتلقيها من علامات أحسّ بها المنشئ، فأراد أن يسلك معها سلوكاً خاصاً. وهذه الخصوصية هي علامة فارقة للخروج"<sup>(٤)</sup>.

وقد تكلم البلاغيون في الأسلوب الخبري عن مؤكّدات الحكم عند المنشئ، وقاموا بتوزيعها حسب درجاتها في التأكيد على تثبيت الحكم في ذات المتلقي.

(١) الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية: ص ٢٤٣.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٤٣.

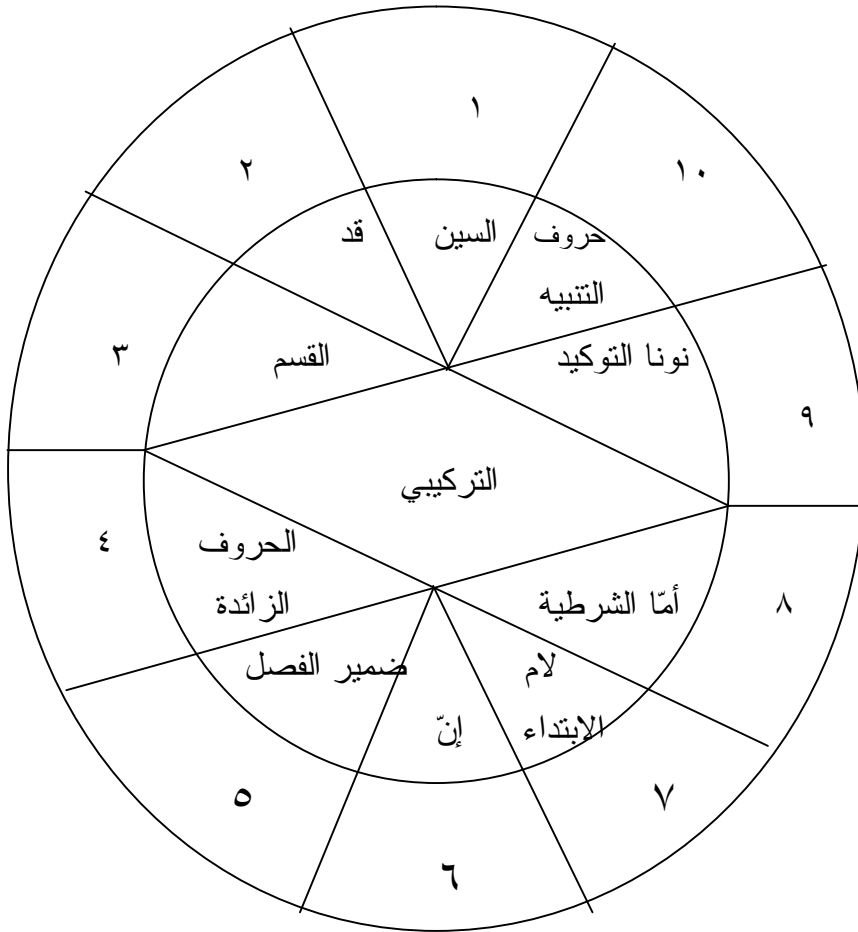
(٣) المصدر السابق: ص ٢٤٣، ٢٤٤.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٤٩.

وقد صنفت هذه الأدوات على النصوص، حسب قوتها وضعفها في التثبيت، والإزالة حيث تعامل المنشئ معها بمنتهى الحساسية وهو يؤلف النص، ويغذيه بالحكم؛ ليرسله إلى المتلقي.

فمن النصوص ما لا يحتاج إلى هذه الأدوات، ومنها ما يكتفي بواحدة، وبعضها الآخر يحتاج إلى أداتين، لكن ثنائية مقنضى الظاهر والخروج عنها تلعب دوراً مهماً في حركة هذه الأدوات، ودخولها عالم النص (كمّاً) و(كيفاً).

وفي الآتي محاولة لرصد هذه الأدوات التي يستعين بها الأسلوب الخبري في حدود الدائرة<sup>(١)</sup>:



(١) الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية: ص ٢٥٥.







آخر بالنون الثقيلة، وهنا بآءً المشددة، وفي موطن آخر بآءً المخففة، ويستبدل حرفاً بحرف. كل ذلك بحسب منظورٍ فنيٍّ كامل متكامل في كل القرآن<sup>(١)</sup>.

إنَّ أسلوب التوكيد في القرآن بهر المبدعين بحسنه، وأدهش البارعين برونقه، وخلص ألباب الفنانين بجماله، فهو لوحة فنية بارعة ذات بعدٍ جماليٍّ ساحر، فقد "جاء التوكيد كله في القرآن كله كأنه لوحة فنية واحدة فيها من عجائب الفن – وليس فيها إلا العجيب – ما يجعل أمهر الفنانين يقف مبهوراً دهشاً، مقرأً بعجز الخلق أجمعين عن استخلاص عجائبه، فضلاً عن الإتيان بمثله"<sup>(٢)</sup>.

إنَّ أسلوب التوكيد يظهر بكافة أنواعه بصورة جليَّة في القرآن الكريم، كما ويتضح كذلك في سورة هود، وبناءً على وجود هذه المؤكِّدات، أو عدم وجودها يمكن تقسيم الأسلوب الخبري إلى: ابتدائيٍّ، وطلبيٍّ، وإنكاريٍّ، ومن خلال هذه المؤكِّدات تظهر أمامنا صورة مشرقة من صور الإعجاز البلاغيِّ، والأسلوبيِّ في سورة هود.

إنَّ شكل التوكيد – حضوراً وغياباً – يمثل ركناً أساساً في البناء الأسلوبيِّ للحوار في سورة هود عليه السلام – إذ لعب دوراً مهماً في الكشف عن جماليات السُّورة، وإظهار مكوناتها الدفينة عن طريق اللغة الحوارية التي تمثل واسطة العقد الأهم بين عوالم الإنسان الداخلية، والعالم المحيط الذي يمثل بدوره عوالم الإنسان الخارجية.

إنَّ سورة هود عليه السلام – كخيرها – من سور القرآن امتلأت بأوجه الإعجاز الأسلوبيِّ، وفيها رسالة صادقة لكل من يتعلقون بأوجه الأسلوبية الغربية التي هي أو هن من بيت العنكبوت ﴿ نَقَّصْنَا لَهُمُ مَا بَدَّلْنَا فِي سُبْحَانَ الْعِزَّةِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ [العنكبوت: ٤١]، بينما يدعون الجماليات التي تأسر القلوب، ويتركون الإبداعات التي تأخذ الألباب، ويغضون الطرف عن الأسرار التي تبهر الأفئدة، والتي تتمثل في القرآن الكريم، لا أقول في كلِّ سورة من سور هود فقط، بل وفي كلِّ آية من آياته، وفي كلِّ كلمة من كلماته، أو حتى كلِّ حرف من حروفه، ويسمو هذا الإبداع ليظهر في كلِّ حركة من حركاته، وفي كلِّ سكونة من سكوناته.

وإذا تنقلنا بين بعض آيات من سورة هود؛ فإننا نتلمس الجمال مع كل تأكيد في السورة، ومن خلاله نجد قمة الإعجاز الأسلوبيِّ، وندرك قمة التحدي لكل من يتلمسون الأسلوبية في منأى عن القرآن الكريم.

(١) التعبير القرآني: ص ١٢٥.

(٢) المصدر السابق: ص ١٢٥.



"إنَّ إرادة التوكيد تقتضيها إرادة المتكلم في إثبات أمر من الأمور على نحو يبتعد عن مقام الشكِّ، والضعف..... (١).

والقرآن الكريم – كما ذكرت آنفاً – يستخدم أساليب توكيدٍ متعددة، ويصل الأسلوب القرآنيّ إلى التوكيد بوسائلٍ متعددةٍ منها: التوكيد اللفظيّ والمعنويّ، واستعمال حرف الجر الزائد، والتقديم، والقصر، والتعميم، والصيغ اللفظية الخاصة، وأدوات النسخ، وضمير الفصل، وأدوات الاستفتاح، وغير ذلك من الوسائل" (٢).

ويتضح في القرآن الكريم التأكيد بالاستفتاح، و"يجري الاستفتاح في القرآن الكريم بوسائلٍ متعددةٍ اعترف النحاة بواحدةٍ منها، ولم يلحظوا غيرها. أما التي سماها النحاة أداة استفتاح فهي: ﴿W﴾، وكثيراً ما يتضافر معها على إفادة التأكيد وسيلة أخرى من وسائله كماقترانها بيان" (٣).

ويظهر الاستفتاح في قوله تعالى:

﴿W﴾ [البقرة: ١٢].

وقوله: ﴿W﴾ [البقرة: ١٣].

وقوله: ﴿W﴾ [التوبة: ٤٩].

أما في سورة هود فيظهر ذلك في آياتٍ كثيرةٍ منها:

﴿W﴾ [هود: ٥].

﴿W﴾ [هود: ٥].

﴿W﴾ [هود: ٨].

وإذا كانت (ألا) الاستفتاحية وسيلةً من وسائل التوكيد، فالأولى أن يكون تكرارها أكثر من مرة تأكيداً للتأكيد، مما يضيف على الأسلوب جمالاً إلى جماله، وإبداعاً فوق إبداعه. ويكثر الاستفتاح في الدعاء كما في قوله تعالى:

(١) انظر من أساليب القرآن: ص ٦٤.

(٢) البيان في روائع القرآن: ١٢٩/٢.

(٣) المصدر السابق: ١٤٣/٢.

﴿ ١٨: هود ﴾ ﴿ ١٨: هود ﴾

﴿ ٦٠: هود ﴾ ﴿ ٦٠: هود ﴾

﴿ ٦٨: هود ﴾ ﴿ ٦٨: هود ﴾

﴿ ٩٥: هود ﴾ ﴿ ٩٥: هود ﴾

"وأما الاستفتاح بـ (أم) فدليله عدم صلاحها لمصاحبة الهمزة، إذ لا يراد بها تسوية، ولا تعيين، وإنما يراد بها مجرد التأكيد"<sup>(١)</sup>.

ومن نماذج ذلك في سورة هود قوله تعالى:

﴿ ٣٥: هود ﴾ ﴿ ٣٥: هود ﴾

ومثله في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ ٢١٤: البقرة ﴾ ﴿ ٢١٤: البقرة ﴾

وإذا انتقلنا إلى ضرب آخر من ضروب التأكيد؛ وهو التأكيد اللفظي فإنه يمكن القول: إنه سمة من سمات العربية، وعلامة من علامات البلاغة. والمقصود بالتأكيد اللفظي؛ "تكرار اللفظ الأول إما بمفرده، وإما بلفظه فيكون في الاسم، والفعل، والحرف"<sup>(٢)</sup>.

ومنهم من ينظر إلى أن التأكيد اللفظي هو: "تكرار اللفظ الأول بعينه اعتناءً به"<sup>(٣)</sup>.

ومنه على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿ ٢١: الفجر ﴾ ﴿ ٢١: الفجر ﴾

وقول الشاعر:<sup>(٤)</sup>

فأينَ إلى أينَ النَّجاةُ ببِغلتِي  
أتاكِ أذاكِ اللاحقون احبس احبس

ومن التأكيد اللفظي تكرار (في) في قوله تعالى:

﴿ ١٠٨: هود ﴾ ﴿ ١٠٨: هود ﴾

(١) البيان في روائع القرآن: ١٤٥/٢.

(٢) معترك الأقران في إعجاز القرآن: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - تحقيق علي

محمد البجاوي - دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٣، ٣٣٩/١.

(٣) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة العشرون ١٩٨٠م، ٣/ ٢١٤.

(٤) هذا البيت من الطويل يكثر استشهاد النحاة به، ولم ينسبه واحد منهم لقائل معين .

"فكرّر في"<sup>(١)</sup>. وهذا من باب تكرار الحرف الذي يعدُّ أحد ضروب التأكيد اللفظي.

ومن الإطناب بالزيادة تكرار ﴿w﴾ في قوله تعالى: ﴿qāṭir 'ī qāṭir﴾: ﴿w﴾

﴿w﴾ [هود: ٦٠].

والسرُّ في تكرار الأداة كون الخطب جلاً، وبالتالي فإنّه: "لما كان الأمر عظيماً، والخطب جليلاً، كرّر الأداة التي تقال عند الأمور الجليّة"<sup>(٢)</sup>.

ومن التكرار أيضاً ﴿Q﴾ في قوله تعالى:

﴿Q﴾ [هود: ٢٨].

﴿Q﴾ [هود: ٢٩].

﴿Q﴾ [هود: ٣٠].

﴿Q﴾ [هود: ٦٣].

﴿Q﴾ [هود: ٦٤].

﴿Q﴾ [هود: ٨٤].

﴿Q﴾ [هود: ٨٥].

﴿Q﴾ [هود: ٨٨].

﴿Q﴾ [هود: ٨٩].

وفي الآيات الكريمة السابقة "شرع يكرّر هذه اللفظة كلّ قليل تذكيراً له أنه منهم؛ لتعطفهم الأرحام، وتردّهم القرباب عن حسده، أو اتهامه إلى قبول ما يلقي إليهم من الكلام"<sup>(٣)</sup>.

ومثله تكرار الضمير ﴿N﴾ في قوله:

﴿N﴾ [هود: ٢٢].

(١) إعراب للقرآن المنسوب إلى الزجاج: — تحقيق ودراسة إبراهيم الإبياري — دار الكتاب اللبناني، بيروت —

لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٨٦م، ٤٣٠/٢.

(٢) نظم الدرر: ٥٤٦/٣.

(٣) المصدر السابق: ٥٢٣/٣.



"والضمير المنفصل تأكيد للضمير المستتر ليصحَّ العطف عليه"<sup>(١)</sup>، ومثل هذا قوله تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يَأْتِيَنَّكَ السَّاعَةُ بِضَرْبٍ مِنْ فَاتِكِ خَالِدَةً فِيهَا أَنْ يَأْتِيَنَّكَ السَّاعَةُ بِضَرْبٍ مِنْ فَاتِكِ خَالِدَةً فِيهَا أَنْ يَأْتِيَنَّكَ السَّاعَةُ بِضَرْبٍ مِنْ فَاتِكِ خَالِدَةً فِيهَا ﴾ [البقرة: ٣٥]، [الأعراف: ١٩].

وسورة هود عالمٌ حافلٌ بالتوكيد بالحروف؛ ومنها التأكيد بالباء في قوله تعالى:

﴿ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [هود: ٥٣]، فالباء صلة للتأكيد في قوله ﴿ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [هود: ٥٣].

ومثله ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [هود: ٢٩].

و ﴿ نَارُ اللَّهِ تَلْقَاهُ لَوْ أَنَّ الْعَالَمِينَ لَعَالَمِينَ ﴾ في قوله: ﴿ نَارُ اللَّهِ تَلْقَاهُ لَوْ أَنَّ الْعَالَمِينَ لَعَالَمِينَ ﴾ [هود: ٣٣].

و ﴿ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَتَّبِعُوا الْبَغْيَ الَّذِي يُبْغُونَ لِكُلِّ أَصْحَابٍ مِنْهُمْ حِصَّةً ﴾ في قوله: ﴿ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَتَّبِعُوا الْبَغْيَ الَّذِي يُبْغُونَ لِكُلِّ أَصْحَابٍ مِنْهُمْ حِصَّةً ﴾ [هود: ٨١].

و ﴿ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ في قوله: ﴿ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [هود: ٨٣].

و ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ وَالصَّلَاةَ إِحْسَانًا وَارْزُقُوا بِالْبَعْلِ مِمَّا كَسَبْتُمْ وَلَا ضَلَالًا ﴾ في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ وَالصَّلَاةَ إِحْسَانًا وَارْزُقُوا بِالْبَعْلِ مِمَّا كَسَبْتُمْ وَلَا ضَلَالًا ﴾ [هود: ٨٦].

و ﴿ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ في قوله: ﴿ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [هود: ٨٩].

و ﴿ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَتَّبِعُوا الْبَغْيَ الَّذِي يُبْغُونَ لِكُلِّ أَصْحَابٍ مِنْهُمْ حِصَّةً ﴾ في قوله: ﴿ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَتَّبِعُوا الْبَغْيَ الَّذِي يُبْغُونَ لِكُلِّ أَصْحَابٍ مِنْهُمْ حِصَّةً ﴾ [هود: ٩١].

و ﴿ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ في قوله: ﴿ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [هود: ٩٧].

و ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ وَالصَّلَاةَ إِحْسَانًا وَارْزُقُوا بِالْبَعْلِ مِمَّا كَسَبْتُمْ وَلَا ضَلَالًا ﴾ في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ وَالصَّلَاةَ إِحْسَانًا وَارْزُقُوا بِالْبَعْلِ مِمَّا كَسَبْتُمْ وَلَا ضَلَالًا ﴾ [هود: ١٢٣].

ونحن إذا تتبعنا الآيات الكريمة السابقة؛ نجد التأكيد بالباء الزائدة في الآيات التي يسيطر عليها النفي، ثم انظر هنا كيف ناسب التأكيد بالباء الزائدة في النفي، وذلك؛ "لأنَّ الباء لتوكيد النفي. والله أعلم"<sup>(٢)</sup>.

ومن الحروف التي تستخدم للتوكيد (من)، وتسمى صلة في القرآن تأدبياً رداً على من يسميها زائدة؛ لأن القرآن لا زيادة فيه ولا نقصان، ومنها قوله تعالى:

(١) معاني القرآن الكريم: ٢٧١/٢.

(٢) لمسات بيانية في نصوص التنزيل: فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان - الأردن

الطبعة الثالثة ٢٠٠٦م، ص ١٦٩.



والتوكيد في سورة هود عليه السلام لم يقتصر على تكرار الكلمة، بل جاوز ذلك إلى تكرار الجملة، ويتمثل ذلك في ﴿ وَاللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامِ يُخَيِّرُ الْبَارِئِينَ ﴾ في قوله تعالى:

﴿ وَاللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامِ يُخَيِّرُ الْبَارِئِينَ ﴾ [هود: ٥٨]، وإعادة هذه الجملة ضرب من ضروب التأكيد البديع.

وينقل صاحب البحر المحيط في تكرار جملة ﴿ وَاللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامِ يُخَيِّرُ الْبَارِئِينَ ﴾ قوله: "وتكررت التنجية على سبيل التوكيد والقلق من لو لاصقت منا فأعيدت التنجية وهي الأولى، أو تكون هذه التنجية هي من عذاب الآخرة، ولا عذاب أغلظ منه فأعيدت لأجل اختلاف متعلقها"<sup>(١)</sup>.

أما الزمخشري فيورد في نفس التكرار قوله: "فإن قلت: ما معنى تكرار التنجية؟ قلت: ذكر أولاً أنه حين أهلك عدوهم نجّاهم ثم قال: ﴿ وَاللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامِ يُخَيِّرُ الْبَارِئِينَ ﴾ على معنى: وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ، قال: وذلك أن الله عزّ وعلا بعث عليهم السموم، فكانت تدخل في أنوفهم، وتخرج من أديبارهم فتقطعهم عضواً عضواً. وقيل: أراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة، ولا عذاب أغلظ منه وأشد"<sup>(٢)</sup>.

ويورد الصابوني في تكرار التنجية قوله: "التكرار في لفظ الإنجاء لبيان أن الأمر شديد عظيم لا سهل يسير، ويسمى هذا الإطناب"<sup>(٣)</sup>.

أما قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامِ يُخَيِّرُ الْبَارِئِينَ ﴾ [هود: ٦٠].

ففيه تكرير حرف التنبيه ﴿ وَاللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامِ يُخَيِّرُ الْبَارِئِينَ ﴾ وإعادة لفظ ﴿ وَاللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامِ يُخَيِّرُ الْبَارِئِينَ ﴾ للمبالغة في تهويل حالهم"<sup>(٤)</sup>.

ومثل هذا تكرار ﴿ وَاللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامِ يُخَيِّرُ الْبَارِئِينَ ﴾ في قوله تعالى:

﴿ وَاللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامِ يُخَيِّرُ الْبَارِئِينَ ﴾ [هود: ٦٨].

ففي هذه الآية الكريمة كذلك تكرير حرف التنبيه ﴿ وَاللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامِ يُخَيِّرُ الْبَارِئِينَ ﴾ وإعادة لفظ ﴿ وَاللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامِ يُخَيِّرُ الْبَارِئِينَ ﴾ للمبالغة في تهويل حالهم .

(١) البحر المحيط: ٢٣٥/٥.

(٢) الكشاف: ٢٧٧/٢.

(٣) صفوة التفسير: ٢٤/٢.

(٤) المصدر السابق: ٢٤/٢.



ويبدو التوكيد رائعاً في قوله تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ الْحِكْمُ ﴾ [هود: ٧٢]، وتظهر روعته في الدقّة في اختيار الموضع، وتظهر هذه الدقّة لو ازاننا هذه الآية الكريمة بقوله تعالى في سورة (ق): ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ الْحِكْمُ ﴾ [ق: ٢]، وقوله في سورة (ص): ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ الْحِكْمُ ﴾ [ص: ٥].

"فأنت ترى أنه قال في سورة (ق): ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ الْحِكْمُ ﴾، وفي سورة هود: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ الْحِكْمُ ﴾ وفي سورة (ص): ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ الْحِكْمُ ﴾ وذلك أنه تدرّج في العجب بحسب قوته ففي آية (ق) ذكر أنهم عجبوا من أن يجيء منذر منهم فقالوا: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ الْحِكْمُ ﴾. وفي سورة هود كان العجب أكبر؛ لأنه من خلاف المعتاد أن تلد امرأة عجوز وعقيم، وبعلمها شيخ إذ كل ذلك يدعو إلى الغرابة والعجب فالعجوز لا تلد، فإذا كانت عقيماً كانت عن الولادة أبعد، إذ يستحيل على العقيم أن تلد. فإذا اجتمع إلى كل ذلك أن بعلمها شيخ كان أبعد وأبعد، ولذا أكّد العجب بإنّ واللام فقال: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ الْحِكْمُ ﴾ [هود: ٧٢]، بخلاف سورة (ق) فإنه لم يؤكّد العجب. أما في سورة (ص) فكان العجب عند المشركين أكبر وأكبر..... فجاء بإنّ واللام وعدل عن ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ الْحِكْمُ ﴾ إلى ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ الْحِكْمُ ﴾ وذلك أن (فُعَالاً) أبلغ من (فَعِيل) عند العرب"<sup>(١)</sup>.

ومن التأكيد بإنّ واللام قوله تعالى:

﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ الْحِكْمُ ﴾ [هود: ١٠٩].

"فالآية هنا أكّدت بإنّ واللام للاهتمام بالخبر والردّ على من ينكره أو ينزل منزلة المنكر لغفلته، و﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ الْحِكْمُ ﴾ حال مؤكّدة للنصيب الموفي على سبيل التهكم"<sup>(٢)</sup>.

ومن روائع التأكيد في سورة هود قوله تعالى:

﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ الْحِكْمُ ﴾ [هود: ١١١].

ويورد الرازي في الآية الكريمة قوله:

"سمعت بعض الأفاضل قال: إنه تعالى لما أخبر عن توفية الأجزية على المستحقين في هذه الآية ذكر فيها سبعة أنواع من التوكيدات: أولها: كلمة (إنّ) وهي للتأكيد، وثانيها: كلمة (كل) وهي

(١) التعبير القرآني: ص ٣٧، انظر الكشف: ٢٨١/٢.

(٢) معاني القرآن الكريم: ٢٩٨/٢.

أيضاً للتأكيد، وثالثها: اللام الداخلة على خبر (إنّ) وهي تفيد التأكيد أيضاً، ورابعها: حرف (ما) إذا جعلناه على قول الفرّاء موصولاً، وخامسها: القسم المضمّر، فإنّ تقدير الكلام وإنّ جميعهم والله ليوفينهم، وسادسها: اللام الثانية الداخلة على جواب القسم، وسابعها: النون المؤكدة في قوله: (ليوفينهم) ، فجميع هذه الألفاظ السبعة الدالة على التوكيد في هذه الكلمة الواحدة الربوبية والعبودية لا يتمُّ إلا بالبعث والقيامة، وأمر الحشر والنشر ثم أردفه بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وهو من أعظم المؤكّدات<sup>(١)</sup>.

ومن المؤكّدات ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ في قوله تعالى:

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [هود: ١١٩].

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ هي: "توكيد لكلا النوعين من الكفرة والعصاة"<sup>(٢)</sup>، وقد سبق كلمة أجمعين في نفس الآية استخدام نون التوكيد الثقيلة في قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

ولعلّ من أكثر المؤكّدات وفرة في سورة هود عليه السلام؛ (إنّ).

و"هذا الضرب كثير في التنزيل جداً"<sup>(٣)</sup>. وقد يرد في الآية مرة، وقد يتكرّر في الآية الواحدة أكثر من مرة.

ومن نماذج ذلك قوله تعالى:

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [هود: ٥]. وقوله تعالى:

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [هود: ٤٥].

ومثله في سورة يوسف على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى:

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [يوسف: ٥٣].

والأمر المؤكّد والذي لا يمكن أن ينكره أحد أنه من الصعوبة بمكان إحصاء كلمة (إنّ). وهذا ما أورده الجرجاني قائلاً: "وهي على الجملة من الكثرة بحيث لا يدركها الإحصاء"<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير الفخر الرازي: ٧٧/١٢.

(٢) معاني القرآن الكريم: ٣٠٣/٢ ، انظر الجامع لأحكام القرآن: ١٢٠/٩.

(٣) دلائل الإعجاز: ص ٣١٦.

(٤) المصدر السابق: ص ٣١٧.

أما من حيث مواقع مجيئها، فإنَّ أكثر مواقع مجيء إنَّ للتوكيد هو في الجواب عن سؤال، "وإنما تحتاج إليها إذا كان له ظن من الخلاف، وعقد قلب على نفي ما تثبت، أو إثبات ما تنفي. ولذلك تراها تزداد حسناً إذا كان الخبر بأمر يبعد مثله في الظن، ولشيء قد جرت عادة الناس بخلافه"<sup>(١)</sup>.

وقد تجتمع (إنَّ) مع (اللام). "وأما جعلها إذا جمع بينها وبين (اللام) نحو: (إنَّ عبد الله لقائم) للكلام مع المنكر فجيء؛ لأنَّه إذا كان الكلام مع المنكر، كانت الحاجة إلى التأكيد أشدَّ، وذلك أنك أحوج ما تكون إلى الزيادة في تثبيت خبرك إذا كان هناك من يدفعه، وينكر صحته"<sup>(٢)</sup>.

ولعلَّ من أبرز خصائص دخول (إنَّ) في الكلام: "أنَّك ترى الجملة إذا هي دخلت ترتبط بما قبلها وتأنف معه وتتحد به، حتى كأنَّ الكلامين قد أفرغاً وإفراغاً واحداً، وكأنَّ أحدهما قد سبك في الآخر"<sup>(٣)</sup>.

ومواضع (إنَّ) في التنزيل - كما قلت آنفاً - كثيرة جداً بحيث لا يدركها الإحصاء، والأمر نفسه في سورة هود عليه السلام، فإننا إذا تتبعنا ورود (إنَّ) في سورة هود نجد أنَّها وردت في خمسة وستين موضعاً (٦٥) تقريباً، حيث وردت في بعض الآيات مرة واحدة، وفي بعضها الآخر أكثر من مرة. وتظهر (إنَّ) في الآيات الكريمة الآتية:

٢، ٣، ٥، ٧، ٩، ١٠، ١٧، ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٩، ٣١، ٣٧، ٣٨، ٤١، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٦، ٦٨، ٧٠، ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٧٦، ٨٠، ٨١، ٨٤، ٨٧، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١٢١، ١٢٢.

أما الجمع بين (إنَّ) و(اللام) في سورة هود فقد ورد في ثلاثة عشر موضعاً (١٣) تقريباً في الآيات الكريمة الآتية: ﴿.....﴾ [هود: ٩].

﴿.....﴾ [هود: ١٠]. ﴿...﴾ [هود: ٣١].

﴿.....﴾ [هود: ٤١].

(١) دلائل الإعجاز: ص ٣٢٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٢٧.

(٣) المصدر السابق: ص ٣١٦.



# الفصل الثالث

## الظواهر البلاغية في سورة هود

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: الحذف ودلالاته الأسلوبية

المبحث الثاني: الالتفات ودلالاته الأسلوبية

المبحث الثالث: التقديم والتأخير ودلالاته الأسلوبية

المبحث الرابع: الأفعال ودلالاتها الأسلوبية

## المبحث الأول

### الحذف ودلالاته الأسلوبية

الحذف من الظواهر البلاغية الأساسية، وقد اهتمَّ به النقاد والبلاغيون اهتماماً كبيراً، وتوسَّعوا في الكشف عن فائدته، وأسبابه، وأدلَّته، كما استنردوا في الحديث عن شروطه، وأقسامه، وتنافسوا في طرح أمثلته.

أما مصطلح الحذف فيكاد يتفق معظم العلماء حول مفردات متشابهة للتعريف، ويربط كثيرٌ منهم الحذف بالإيجاز.

والإيجاز قسم من أقسام البلاغة العشرة التي ذكرها الرُّماني<sup>(١)</sup>. وهو على وجهين: حذف، وقصر، أما الحذف فهو: "إسقاط كلمة للاجترأ عنها بدلالة غيرها من الحال، أو فحوى الكلام. والقصر بنية الكلام على تقليل اللفظ، وتكثير المعنى من غير حذف"<sup>(٢)</sup>.

ويرى القزويني أن إيجاز الحذف إنما يكون: "بحذف، والمحذوف: إما جزء جملة، أو جملة، أو أكثر من جملة"<sup>(٣)</sup>.

إنَّ المخاطب سريع البديهة، حاضر الفكر، يكتفي بالإلماح لإدراك الأشياء، وإن حذف من الكلام شيء ما، وقد يرى المتكلم البليغ الذواق للأدب الرفيع أن يحذف من كلامه الذي يريد توصيل معناه لمن يتلقَى كلامه، وما يمكن أن يفهمه المتلقي بقرائن الحال، أو قرائن المقال، أو باللوازم الفكرية الجليَّة، أو باللوازم الفكرية الخفيَّة، بالإشارات التي تدرك بالذكاء اللَّماح، ومن المعلوم أنَّ الأذكياء يكتفيهم الإلماح؛ لأنَّهم يدركون المقاصد باللمح"<sup>(٤)</sup>.

وقد اهتمَّ علماء البلاغة، والباحثون في إعجاز القرآن بدراسة ظاهرة الحذف في القرآن الكريم، وتوصيل ذلك للمخاطبين الذين تختلف قدراتهم، وتتباين إمكاناتهم؛ وذلك لأننا نجد في كتاب الله الموجَّه للناس أجمعين ما يمكن أن يفهمه بسهولة كل المخاطبين، ونجد فيه ما يحتاج فهمه إلى ذكاء متوسط، أو فوق المتوسط، ونجد فيه ما يحتاج فهمه إلى ذكاء فائق، وفطنة رفيعة عالية؛ ليشرح هؤلاء ما فهموه من كتاب الله، ويقدموه لسائر الناس بما يفهمون من بيان"<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر النكت في إعجاز القرآن: ص ٧٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٧٦، البرهان في علوم القرآن: ١١٥/٣.

(٣) الإيضاح: ص ٢٩٠، ٢٩١.

(٤) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٣٢٩/١.

(٥) المصدر السابق: ٣٢٩/١.

ويستطرد الزركشي في ذكر فوائد الحذف: "فمنها الترخيم، والإعظام؛ لما فيه من الإبهام لذهاب الذهن في كل مذهب، وتشوقه إلى ما هو المراد، فيرجع قاصراً عن إدراكه فعند ذلك يعظم شأنه، ويعلو في النفس مكانه. ألا ترى أنّ المحذوف إذا ظهر في اللفظ زال ما كان يختلج في الوهم من المراد، وخلص للمذكور؟ ومنها: زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف، وكلّما كان الشعور بالمحذوف أعسر، كان الالتذاذ به أشدّ وأحسن. ومنها زيادة الأجر بسبب الاجتهاد في ذلك؛ بخلاف غير المحذوف"<sup>(١)</sup>.

إنّ الحذف يعطي الكلام بهجةً، وإبداعاً "ومن علامات الحذف البليغ الذي يرفع قيمة الكلام؛ أنّه إذا أظهر المحذوف زال ما في الكلام من بهجة وطلاوة وجمال فني وإبداع"<sup>(٢)</sup>.

وقد استطرد السيوطي في ذكر أسباب الحذف ومنها: الاختصار، والتخيم، والتخفيف، وصيانة اللسان، وقصد العموم، وقصد البيان بعد الإبهام، ومنها رعاية الفاصلة....<sup>(٣)</sup>

ومن أسباب الحذف أيضاً "كونه لا يصلح إلا له"<sup>(٤)</sup>. ومنه قوله تعالى:

﴿ وَبَشِّرِ الصَّالِينَ ﴿١٧٣﴾ الَّذِينَ إِذْ أَتَىٰهُمْ آيَاتُنَا وَمَنْعُوا بِهَا السَّبِيلَ أَكُنُوا لَهَا قِيعًا ﴿١٧٤﴾ لِيُجْزَىٰ الصَّالِينَ نِعْمَتُنَا وَلِيُكَبِّرُوا ﴿١٧٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٧٣].

وقوله: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّالِينَ ﴾ [البروج: ١٦].

وإذا كان للذكر بيانه، فإنّ الحذف له بيانه كذلك، فقد يتعمّد الأديب إسقاط بعض عناصر التركيب؛ لأنّ الحذف "وسيلة من الوسائل الفنية في التعبير، يلجأ إليها الأديب بوحى من ذوقه الرهيف، وحسّه اللغويّ للإيحاء بما لديه من معانٍ، وأغراض لا تتحقق إلا بهذا الأسلوب. كما أنّ في الحذف تنشيطاً لخيال المتلقي، ودعوى غير مباشرة له للحدس بهذا المحذوف، واكتشاف ما وراء حذفه من أسرار"<sup>(٥)</sup>.

ويتزيّن التعبير القرآنيّ ومنه سورة هود عليه السلام بظاهرة الحذف، ويكون الحذف حسبما يقتضيه السياق، وقد يحذف في التعبير القرآنيّ لفظ أو أكثر حسبما يقتضيه السياق، فقد

(١) البرهان في علوم القرآن: ١١٩/٣، ١٢٠.

(٢) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٣٣٠/١.

(٣) انظر الإتقان في علوم القرآن: ١٧٠/٣ - ١٧٣.

(٤) المصدر السابق: ١٧١/٣.

(٥) علم المعاني في الموروث البلاغيّ تأصيل وتقييم: ص ١٠٥.

يحذف حرفاً أو يذكره أو يجتزئ بالحركة للدلالة على المحذوف، كلُّ ذلك لغرض بلاغي تلحظ فيه غاية الفن والجمال"<sup>(١)</sup>.

إنَّ الحذف منسوب إلى تركيب اللغة وليس إلى مضمون القرآن، و"إذا قلنا: إنَّ في أسلوب القرآن حذفاً فلسنا ننسب الحذف إلى مضمون القرآن، وإنما ننسبه إلى تركيب اللغة، ذلك بأن اللغة تجعل للجملة العربية أنماطاً تركيبية معينة"<sup>(٢)</sup>.

إنَّ للجملة العربية أركاناً، ومكملات، وعناصر، فإذا لم تشتمل على أحد أركانها لوجود الدليل، فإن ذلك يعدُّ حذفاً. "فإذا لم تشتمل الجملة على أحد أركانها أو ما يقتضيه المعنى أو يقتضيه التركيب من مكملاتها وعناصرها الأخرى، ثمَّ اتَّضح المعنى بدون ذكر هذه العناصر لوجود الدليل على المحذوف عدداً ذلك حذفاً جيء به لطلب الخفة اختصاراً أو اقتصاراً، أو تجنباً للحشو، أو لسبب آخر غير ذلك. وكلُّ عنصر من عناصر الجملة صالح لأن يحذف، فأمكن تقديره في الكلام"<sup>(٣)</sup>.

وإذا قلَّبتنا صفحات سورة هود عليه السلام، وتنقلنا بين آياتها، وتنبَّعنا مفرداتها، فإننا نجد أمثلةً متعددةً للحذف تشعرنا بفخامة التعبير القرآني، وعلوه، ونلمح من خلالها غاية الفن والجمال، ونلمس فيها الروعة والبهاء .

ومن أقسام الحذف؛ الاقتطاع. ويسمى الاكتفاء، أو الضمير، أو التمثيل، والمقصود به: "أن يستدل بالفعل لشيئين، وهو في الحقيقة لأحدهما، فيضمّر للأخر فعل يناسبه"<sup>(٤)</sup>.

ومن أمثلة الاقتطاع قوله تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهُ ﴿١٣﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٤﴾ ﴾ [هود: ١٣]. والتقدير: إن كنتم صادقين ادعوا من استطعتم.

ومن أنواع الحذف؛ الحذف المقابلي. والمقصود به "أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من واحدٍ منهما مقابله؛ لدلالة الآخر عليه"<sup>(٥)</sup>. ومثاله قوله تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهُ ﴿١٣﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٤﴾ ﴾ [هود: ١٣].

(١) التعبير القرآني: ص ٧٥.

(٢) البيان في روائع القرآن: ١٠٩/٢.

(٣) المصدر السابق: ١٠٩/٢.

(٤) البرهان في علوم القرآن: ١٤٠/٣.

(٥) المصدر السابق: ١٤٤/٣.



والأصل: " وإن افتريته فعلي إجرامي وأنتم براءٌ منه، وأنا برئ مما ترجمون، فنسبة قوله تعالى: ﴿ ۞ ﴾ [٦٣٥] وهو الأول إلى قوله: (وعليكم إجرامكم) - وهو الثالث - كنسبة قوله: (وأنتم براء منه) - وهو الثاني - إلى قوله تعالى: ﴿ ۞ ﴾ وهو الرابع، واكتفى من كل متناسبين بأحدهما"<sup>(١)</sup>.

أما الإمام القرطبي فيرى أنّ قوله تعالى: ﴿ ۞ ﴾ فيه مجاز بالحذف، والمقصود: "عقاب إجرامي، وإن كنت محقاً فيما أقوله فعليكم عقاب تكذبي"<sup>(٢)</sup>.

ويسميه السيوطي (الاحتباك)، ويرى - حسب وجهة نظره - أنه: "من أطف الأنواع وأبدعها، وقلّ من تنبّه له أو نبّه عليه من أهل فنّ البلاغة.... ومأخذ هذه التسمية من الحبك؛ أن مواضع الحذف من الكلام شبّهت بالفُرَج بين الخيوط، فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر في نظمه، وحوكه، فوضع المحذوف مواضعه كان حابكاً له، مانعاً من خلل يطرّفه، فسدّ بتقديره ما يحصل به الخلل، مع ما أكسبه من الحسن والرونق"<sup>(٣)</sup>.

ويطلق البلاغيون على هذا النوع؛ الاكتفاء، أو الإضمار على شريطة التفسير، أو حذف أحد القسمين اللذين يقتضيهما الكلام إلى جانب تسميته بالحذف المقابل. "وقد آثرنا تسميته بالمقابل؛ لأنه شيء محذوف يتمّ الكلام ويكون له ارتباط بشيء آخر مذكور؛ ولأنّ بعض البلاغيين يدخل تحته ما يسميه اكتفاءً أو إضماراً ما ليس بمقابل"<sup>(٤)</sup>.

أما الآية الكريمة: ﴿ ۞ ﴾ [هود: ٣٥]، فهي على تقدير: "قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنتم بريئون مما أجرمت، وإن افتريتموه فعليكم إجرامكم وأنا برئ مما ترجمون، فقد حذف المقابل في موضعين أضفياً على الأسلوب القرآني سحراً، وبياناً، وإيجازاً، وإمتاعاً لم تكن جميعاً إذا ذكر"<sup>(٥)</sup>.

ومن الحذف؛ الاختزال؛ "وهو الافتعال من خزله، قطع وسطه، ثم نقل في الاصطلاح إلى حذف كلمة أو أكثر، وهي: إما اسم، أو فعل، أو حرف"<sup>(٦)</sup>.

(١) البرهان في علوم القرآن: ٣ / ١٤٥، انظر الإتيان في علوم القرآن: ١٨٣/٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٣٢/٩.

(٣) الإتيان في علوم القرآن: ١٨٣/٢.

(٤) الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز دراسة بلاغية: مختار عطية، دار المعرفة

الجامعية - الإسكندرية ١٩٩٧م، ص ٣٧٧، ٣٧٨.

(٥) المصدر السابق: ص ٣٧٩، ٣٨٠.

(٦) البرهان في علوم القرآن: ١٥٠/٣.

## حذف الأسماء:

### حذف الفاعل:

ومن الاختزال حذف الاسم، ومنه: حذف الفاعل. ويحذف الفاعل للتعظيم، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [هود: ٤٤]. و"مجيء إخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلالة والكبرياء وأن تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر، وتكوين مكوّن قاهر" (١).

أما قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [هود: ١٠٥]، فقد تعدّدت الآراء حول فاعل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، و"فاعل يأتي يعود على ذلك اليوم المتقدّم ذكره، لا ضمير المضاف إلى يأتي، واختار الزمخشري أن يكون فاعل يأتي هو الله عزّ وجلّ؛ لأنّ ضمير بإذنه يعود عليه وهو قول وجيه، لكنّ الأول أقرب إلى سياق الكلام" (٢).

ويرى الفخر الرازي أنّ المراد منه: "يوم يأتي الشيء المهيب الهائل المستعظم فحذف الله تعالى ذكره بتعيينه؛ ليكون أقوى في التخويف" (٣).

ومن المعلوم أنّ حذف الفاعل "إنّما يكون إذا دلّت عليه دلالة" (٤)، وإذا تتبعنا مواضع حذف الفاعل، فإننا نجد أنه يحذف في ثلاثة مواضع (٥) منها: إذا بُني الفعل للمفعول، وبناء الفعل للمفعول له أسباب منها؛ العلم بالفاعل كقوله تعالى:

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

ومنها: تعظيمه كقوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [هود: ٤٤].

والشاهد في الآية الكريمة أنّه لم يصرح بفاعل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ و ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: لمّ لم يصرح بالفاعل في الآية الكريمة؟ والجواب على ذلك:

(١) الكشاف: ٢٧١/٢، ٢٧٢.

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه: محي الدين الدرويش، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الرابعة ١٩٩٤م، ٤٨٣/١٢.

(٣) تفسير الفخر الرازي: ٦١/١٢.

(٤) الطراز: ص ٢٥١.

(٥) انظر البرهان في علوم القرآن: ١٦٢/٣، ١٦٣.

"أنه لم يصرح بفاعل ﴿أ، ل﴾ و﴿OÀ﴾ و﴿@S%﴾، كما لم يصرح في صدر الآية بفائل ﴿@S%﴾، وكذا لم يصرح بمن سوَّى السفينة؛ تنبيهاً على أن تلك الأمور العظام لا يتصور وقوعها إلا من قادر لا يكتته، وقهَّار لا يغالب، فلا يذهب الوهم إلى فاعل غيره، ولا ينشط الخيال إلى مدى أبعد من هذا المدى، وقيل في وجه العدول عن تصريح الفاعل إشارة إلى أن هذه الأمور أهون عند الله من أن ينسبها إلى قدرته صراحة<sup>(١)</sup>.

ويرى ابن عطية أن: "بناء الفعل للمفعول أبلغ في التعظيم، والجبروت"<sup>(٢)</sup>.

## حذف المبتدأ:

وهو من حذف الأسماء، وهناك من المواضيع ما يحسن فيها حذف المبتدأ، وهناك من المواضيع يحسن فيها حذف الخبر، ومنها ما يمكن فيه الأمران جميعاً [معاً]<sup>(٣)</sup>.

وقد تناول هذا الحذف كثير من العلماء منهم؛ عبد القاهر الجرجاني الذي تحدّث عن حذف المبتدأ، وما يكون من الحسن في حذفه، وعدم إظهاره، ويورد في هذا الحذف قوله: "وإذ قد عرفت من حال الحذف في المبتدأ فاعلم أن ذلك سبيله في كل شيء فما من اسم أو فعل تجده قد حذف، ثم أصيب به موضعه، وحذف في الحال ينبغي أن يحذف فيها، إلا وأنت تجد هناك حذفه أحسن من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى وأنس من النطق به"<sup>(٤)</sup>.

وإذا تتبّعنا هذا الحذف – أعني حذف المبتدأ – في التنزيل الحكيم، فإننا نجد أمثلة لا حصر لها، ولا يتسع المجال لذكرها.

أما في سورة هود فإننا نجد حذفاً للمبتدأ في الآية الأولى في قوله تعالى:

﴿ 4٠٩ ﴿MjA0e=gi﴾ [هود: ١]. و﴿=gi﴾ خبر مبتدأ

محذوف و﴿MjA0e﴾ صفة له<sup>(٥)</sup>، والتقدير: هذا كتاب.

ومن حذف المبتدأ كذلك؛ حذف مبتدأ الخبر ﴿(D#)﴾ في قوله تعالى:

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٤٣٦/١٢.

(٢) المحرر الوجيز: ١٧٥/٣.

(٣) انظر الطراز: ص ٢٥٨.

(٤) دلائل الإعجاز: ص ١٥٣.

(٥) الكشف: ٢٥٨/٢، التبيان في إعراب القرآن: ٦٨٨/٢.



## حذف الخبر:

وحذف الخبر — أيضاً — من حذف الأسماء، وقد ظهر هذا النوع في سورة هود.

ومن المواضع التي حذف فيها الخبر في سورة هود قوله تعالى:

﴿ 7S1ym @6 ÉI àhly bk yj 79 \$pLú (Dm™ IA\$% (\$V»™ (q2% 2 ïè (22) lib\*o SZÉa Dñhly (6)9r ﴾ [هود: ٦٩].

و"﴿ N»™ ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: أمري وأمركم سلام، أو مبتدأ محذوف الخبر أي: عليكم سلام" (١).

ومن حذف الخبر كذلك، حذف خبر (لولا) في قوله تعالى:

﴿ SZÉa MRk \$Br (y7 »hct9 y7 Èleú Vvq9r (\$Z<ÈE \$ZSú y7 1À9 \$Rr Aqà9 \$EB #ZVx m)9R \$B Û qà»f (q2% ﴾ [هود: ٩١]. ومن المعلوم أن لولا "يكون الخبر بعدها محذوفاً وجوباً" (٢).

ويقدّر النحاة الخبر المحذوف (موجود) أو (حاصل)، وقال أكثر النحاة: "يجب كون الخبر كوناً مطلقاً محذوفاً" (٣). كالوجود والحصول.

أما من حيث الإعراب فإنّ: " (لولا) حرف امتناع لوجود، ورهطك مبتدأ محذوف الخبر" (٤).

ومن المعلوم أنّ الخبر يجب حذفه في أربعة مواضع منها: "أن يكون خبراً لمبتدأ بعد (لولا)" (٥).

ومثله كذلك ﴿ pU# Vvq9r ﴾ في قوله تعالى:

﴿ 7 © ' Á9 Nk(r 4Nbz4 DÁ99 y7Ic ` B (v)9y™ pU# Vvq9r 4hSú y# Iqz \$i |= »FÁ 260y qB \$V-#h (6)9r ﴾ [هود: ١١٠].

(١) البحر المحيط: ٢٤١/٥ ، انظر إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج: ٢٠٨/١.

(٢) شرح ابن عقيل: ٥٥/٤.

(٣) مغني اللبيب عن كتب الأعراب: أبو عبد الله بن هشام الأنصاري — تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد — دار الشام للتراث، بيروت — لبنان، ١/ ٢٧٣.

(٤) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٤٧٥/١٢.

(٥) شرح ابن عقيل: ٥٥/٤ ، انظر شرح قطر الندى وبلّ الصدى: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري — تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد — المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت — لبنان، ١٩٩١م، ص ١٢٦.



"إلى مجيء أمةٍ ليس فيها من يؤمن فيستحقوا الهلاك، أو على انقراض أمةٍ فيها من يؤمن فلا يبقى بعد انقراضها من يؤمن"<sup>(١)</sup>.

ومنه كذلك قوله تعالى:

﴿ brāq 9 Xā 4xWB B\$Fp 0p 475U; 9 I·A 700 0|' E 4yāE \$2 Eū)flx/00@WB ﴾ [هود: ٢٤].

والتقدير في الآية الكريمة: "كمثل الأعمى، وكمثل السميع"<sup>(٢)</sup>.

ومن حذف المضاف؛ حذف مضاف ﴿ 6#0 ﴾ في قوله تعالى:

﴿ bqa) 00 \$EB 00 W 00r ' 6#0 4p0 1000 05 0 00000000 00000000 00000000 ﴾ [هود: ٣٦].

ويرى القرطبي أن قوله تعالى: ﴿ 6#0 4p0 ﴾ فيه مجاز بالحذف، والمقصود:

"عقاب إجرامي، وإن كنت محققاً فيما أقوله فعليكم عقاب تكذبي"<sup>(٣)</sup>.

وهذا ما أكده الفخر الرازي قائلاً:

"وهذا من باب حذف المضاف؛ لأنَّ المعنى فعلي عقاب إجرامي، وفي الآية محذوف آخر، وهو أنَّ المعنى: إن كنت افتريته فعلي عقاب جرمي، وإن كنت صادقاً وكذبتُموني فعليكم عقاب ذلك التكذيب، إلا أنه حذف هذه البقية؛ لدلالة الكلام عليه"<sup>(٤)</sup>.

ومنه كذلك قوله تعالى:

﴿ b 7 8 00 p 0 (Nā 3/17 79 S 00 \$B C 00 00 Xā (8#1 00 000 00R) (š fēl 0B S 00 100R) 0yq0f IAS\$ ﴾

﴿ 00000000 00000000 B bqa8 ﴾ [هود: ٤٦].

والمعنى: "أي ذو عملٍ، فحذف المضاف"<sup>(٥)</sup>.

ومنه أيضاً حذف مضاف ﴿ 0000B ﴾ في قوله تعالى:

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٣/٩.

(٢) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج: ٦٢/١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٣٢/٩.

(٤) تفسير الفخر الرازي: ٢٢٨/١١.

(٥) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج: ٧٠/١، انظر الجامع لأحكام القرآن: ٤٩/٩، تفسير أبي

السعود: ٣٧/٣.

﴿أَمْ لَمْ يَلْمِزْ يَهُودَ الَّذِينَ أَتَوْا بِذُنُوبِهِمْ وَبِئْسَ مَا لَكُمُ الْيُسُفُورُ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي اتَّخَذَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى سُبُلَ اللَّهِ﴾ [هود: ٨٤].

"أي: أهل مدين" (١). بدليل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي اتَّخَذَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى سُبُلَ اللَّهِ﴾

﴿[القصص: ٤٥].

"و(مدين) هم قوم شعيب وفي تسميتهم قولان: أحدهما أنهم بنو مدين بن إبراهيم ف قيل: مدين والمراد بنو مدين" (٢).

ومن حذف المضاف؛ حذف مضاف ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي اتَّخَذَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى سُبُلَ اللَّهِ﴾

[هود: ٦٠]، "والكفر هو الجحود وقيل: هو من باب حذف المضاف أي كفروا نعمة ربهم" (٣).  
فكلمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ حذف المضاف قبلها، والتقدير: (كفروا نعمة ربهم).

ومن هذا الحذف كذلك قوله تعالى في قصة شعيب:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي اتَّخَذَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى سُبُلَ اللَّهِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي اتَّخَذَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى سُبُلَ اللَّهِ﴾

[هود: ٨٨]. والمعنى في الآية الكريمة:

"فعل الإصلاح؛ لأن الاستطاعة من شرط الفعل دون الإرادة" (٤).

وفي نفس الآية الكريمة يرى آخرون أنّ هناك حذف آخر من باب حذف المضاف، وهو أن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي اتَّخَذَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى سُبُلَ اللَّهِ﴾ يجوز لأن يكون على تقدير حذف المضاف على قولك: إلا الإصلاح إصلاح ما استطعت" (٥).

ومنه قوله تعالى:

(١) البرهان في علوم القرآن: ١٦٧/٣ ، المحرر الوجيز: ١٩٨/٣ ، انظر تفسير الفخر الرازي: ١٢ / ٤١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٨٩/٩.

(٣) تفسير الفخر الرازي: ١٧/١٢.

(٤) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج: ٨٣/١.

(٥) الكشف: ٢٨٧/٢ ، البحر المحيط: ٢٥٤/٥.



﴿ وَبَدَّلَ اللَّهُ الْقَوْلَ لَكُمْ تَلْوِينًا وَمَا يُغْنِي عَنْكُمْ كُفْرًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُنصِرَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [هود: ٨٩]. وفي الآية حذف مضاف، تقديره "وما إهلاك قوم لوط"<sup>(١)</sup>.

ومنه كذلك حذف مضاف ﴿ فَأَنصَرُوا إِلَهُهُمَّ ﴾ في قوله تعالى:

﴿ وَأَنصَرُوا إِلَهُهُمَّ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [هود: ١٠٠].

والتقدير: ذلك من أنباء أهل القرى، وقد قيل:

"هو على حذف مضاف، أي: من أنباء أهل القرى، ويؤيدُه قوله: ﴿ وَبَدَّلَ اللَّهُ الْقَوْلَ لَكُمْ تَلْوِينًا ﴾ فعاد الضمير على ذلك المحذوف"<sup>(٢)</sup>.

أما قوله تعالى:

﴿ وَبَدَّلَ اللَّهُ الْقَوْلَ لَكُمْ تَلْوِينًا وَمَا يُغْنِي عَنْكُمْ كُفْرًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُنصِرَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [هود: ١٠١].

فيرى بعض العلماء أنّ في هذه الآية الكريمة إضمار، "أي ما زادتهم عبادة الأصنام، فحذف المضاف: أي كأنّ عبادتهم إيّاها قد خسرتهم ثواب الآخرة"<sup>(٣)</sup>.

ومن حذف المضاف — أيضاً — قوله تعالى:

﴿ وَأَنصَرُوا إِلَهُهُمَّ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [هود: ١٠٢]. والحذف في قوله تعالى: ﴿ وَأَنصَرُوا إِلَهُهُمَّ ﴾ والمعنى: "وأهلها ظالمون فحذف المضاف"<sup>(٤)</sup>.

## حذف المضاف إليه:

والقرآن الكريم يتزيّن بنماذجٍ متنوعةٍ من حذف المضاف إليه، "وذلك يجيء أكثرها من كلمات تلت: (قبل) و(بعد) و(كلّ). فأماً (قبل) و(بعد) إذا كان مضافين فإنّهما معربان؛ وإذا كانا مبنيين كان المضاف إليهما قد حذف منهما، ونوى فيهما، فاستحقا البناء؛ لأنّهما صارا غائبتين"<sup>(٥)</sup>.

(١) البحر المحيط: ٢٥٥/٥ ، انظر إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٤٧٥/١٢.

(٢) البحر المحيط: ٢٦٠/٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٩٩/٩.

(٤) المصدر السابق: ١٠٠/٩.

(٥) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج: ٦٥٣/٢.

ومن حذف المضاف إليه بعد ﴿ @2 ﴾ قوله تعالى:

﴿ أَقْبَلُ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي كَانُوا عَلَىٰهِ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْبَبْتُ إِلَّا آلَ لُقَيْطِ بْنِ مَرْيَمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُبْغِضًا لِلَّهِ ۗ ﴾ [هود: ٤٠]. وفي الآية الكريمة حذف المضاف إليه بعد ﴿ @2 ﴾ والتقدير: "من كل شيء زوجين" (١).

ومن حذف المضاف إليه مع المنادى المضاف قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ لِكُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلِّ مَأْكَلٍ وَكُلِّ مَسْكَنٍ ۚ وَسَخَّرْنَا لَكُمْ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْيَوْمِ أَسْوَاقًا كَثِيرًا ۚ لَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي بَنَيْتُمُوهَا زِينَةً لَّكُمْ ۚ لِيُؤْتُوا السُّفَهَاءَ لِمَا كَسَبُوا ۚ وَلَا تَكُونُوا سِلَاقًا مَّوَدَّعِينَ ۗ ﴾ [هود: ٤٥].  
و"هذه آية محذوفة المضاف إليه الذي هو ياء المتكلم المضاف إليها المنادى وهو: ﴿ يَا أَيُّهَا ﴾" (٢).  
والتقدير: فقال: ربي.

أما قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ لِكُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلِّ مَأْكَلٍ وَكُلِّ مَسْكَنٍ ۚ وَسَخَّرْنَا لَكُمْ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْيَوْمِ أَسْوَاقًا كَثِيرًا ۚ لَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي بَنَيْتُمُوهَا زِينَةً لَّكُمْ ۚ لِيُؤْتُوا السُّفَهَاءَ لِمَا كَسَبُوا ۚ وَلَا تَكُونُوا سِلَاقًا مَّوَدَّعِينَ ۗ ﴾ [هود: ٤٦]. فهو على حذف مضاف، والتقدير:  
"ليس من أهل دينك ولا ولايتك، وهذا يدل على أن حكم الاتفاق في الدين أقوى من حكم النسب" (٣).

ومن حذف المضاف إليه – أيضاً – قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ لِكُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلِّ مَأْكَلٍ وَكُلِّ مَسْكَنٍ ۚ وَسَخَّرْنَا لَكُمْ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْيَوْمِ أَسْوَاقًا كَثِيرًا ۚ لَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي بَنَيْتُمُوهَا زِينَةً لَّكُمْ ۚ لِيُؤْتُوا السُّفَهَاءَ لِمَا كَسَبُوا ۚ وَلَا تَكُونُوا سِلَاقًا مَّوَدَّعِينَ ۗ ﴾ [هود: ٧٨].  
وفي هذه الآية الكريمة حذف المضاف إليه بعد ﴿ @2 ﴾ والتقدير: "من قبل مجيئهم" (٤).  
أما قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ لِكُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلِّ مَأْكَلٍ وَكُلِّ مَسْكَنٍ ۚ وَسَخَّرْنَا لَكُمْ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْيَوْمِ أَسْوَاقًا كَثِيرًا ۚ لَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي بَنَيْتُمُوهَا زِينَةً لَّكُمْ ۚ لِيُؤْتُوا السُّفَهَاءَ لِمَا كَسَبُوا ۚ وَلَا تَكُونُوا سِلَاقًا مَّوَدَّعِينَ ۗ ﴾ [هود: ١٢٠]، فهو يدور في نفس الفلك.

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٣٨/٩ ، المحرر الوجيز: ١٧١/٣.

(٢) الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز: ص ٣٥١.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن: ٤٨/٩.

(٤) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج: ٦٥٣/٢ ، انظر الجامع لأحكام القرآن: ٧٨/٩.

و"﴿ xä ﴾ التنوين فيه عوض عن المضاف إليه كأنه قيل: وكل نبياً ﴿ ٧٥٨ E ٥R ﴾، ويجوز أن يكون المعنى: وكل اقتصاصٍ نقصٌ عليك، على معنى: وكل نوعٍ من أنواع الاقتصاص نقصٌ عليك: يعني كل الأساليب المختلفة" (١).

ومن المعلوم أن (كل) المنونة فيها من الإيجاز، والاختصار، ولكن المدقق في هذا الحذف، وبخاصة مع (كل) المنونة يلح إيجازاً من ناحية أخرى، وهي شمول كل ما تحدثت الآيات عنه بتعميم باد، دون تفصيل يملأ السامع" (٢).

ويرى العلماء أن حذف المضاف إليه يأتي على القلة والندرة بخلاف المضاف؛ والنفرة بين المضاف نفسه، والمضاف إليه في الحذف حيث كان حذف المضاف إليه على القلة، وحذف المضاف نفسه كثير الوقوع، وهو أن المضاف إليه يكتسي من المضاف تعريفاً، وتخصيصاً حذفه لا محالة يخل بالكلام لإذهاب فائدته، بخلاف المضاف نفسه؛ فإنه لا يخل حذفه من جهة أن المضاف إليه يذهب بفائدته، ويقوم مقامه" (٣).

### حذف الموصوف:

ومن أنواع الحذف كذلك؛ حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه. وهذا النوع من الحذف كثير في التنزيل، ومثاله في التنزيل قوله تعالى:

﴿ ٥٧٤ E ٥R ﴾ [الصافات: ٤٨]، "أي: حور قاصرات" (٤).

وفي سورة هود يتمثل حذف الموصوف في قوله تعالى:

﴿ ٤٠ E ٥R ﴾ [هود: ٤٠]. والمعنى هنا: وما آمن معه إلا نفرٌ قليل، وهذا قلة في العدد، ويكون حالاً، ولا يراد به القلة التي هي الوضع والتي هي خلاف الكثرة" (٥).

ومن المعلوم أن هذا النوع من الحذف كثير الدور في كتاب الله. أما حذف الصفة وإقامة الموصوف مقامها، فلا يكاد يقع في الكلام إلا نادراً، والعلّة في ذلك بيئتها صاحب كتاب الطراز قائلاً:

(١) الكشف: ٢٩٩/٢، البحر المحيط: ٢٧٤/٥، انظر تفسير أبي السعود: ٧٦/٣.

(٢) الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز: ص ٣٥٦.

(٣) الطراز: ص ٢٥٣.

(٤) البرهان في علوم القرآن: ١٧٦/٣.

(٥) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج: ٢٩٧/١.

"والتفرقة بين الصفة والموصوف حيث كان حذف الموصوف أكثر من صفته، وهو أن الصفة من حقها أن تأتي من أجل إيضاح الموصوف وبيانه، فلما كانت الصفة مختصة بالإيضاح والبيان، كثر لا شك قيامها مقام الموصوف، بخلاف الموصوف، فإنه يكثر إبهامه من غير ذكر الصفة، فلا جرم كان قيامه مقام الصفة قليلاً نادراً"<sup>(١)</sup>.

## حذف الصفة:

وهو أحد أنواع الحذف في الأسماء شأنه شأن الموصوف، ويرد هذا النوع لأغراض عديدة، وأكثر ما يرد للتفخيم والتعظيم في النكرات، وكأن التكرار حينئذ علم عليه"<sup>(٢)</sup>.  
ومن حذف الصفة في القرآن على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَوَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ بَصِيرَةٌ أَن يَخْرُجَ الْغَمَامُ كَمَا يَخْرُجُ الْبُحْرَانُ فَمَا لَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [قريش: ٤]. والتقدير: "من جوع شديد، وخوف عظيم"<sup>(٣)</sup>.

أما في سورة هود فيتمثل حذف الصفة في قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا كَانَتْ هُدًى لِّلْبَنَاتِ عَلَىٰ قُلُوبِهِنَّ لَأَن يَدْعُوا إِلَىٰ دَعْوَىٰ آبَائِهِمَ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ وَاللَّهُ يَكْفُرُ عَنْهُمْ لِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٤٦]. والتقدير: "أي: أهلك الناجين"<sup>(٤)</sup>، أو "المحكوم بنجاتهم لإيمانهم وكفره"<sup>(٥)</sup>.

ورغم تعدد الأقوال حول هذه الآية إلا أن أولى الأقوال بالصواب قول من قال: "تأويل ذلك أنه ليس من أهلك الذين وعدت أن أنجيهم؛ لأنه كان لديك مخالفاً، وبي كافر"<sup>(٦)</sup>.  
ويرى الصابوني أن قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا كَانَتْ هُدًى لِّلْبَنَاتِ عَلَىٰ قُلُوبِهِنَّ لَأَن يَدْعُوا إِلَىٰ دَعْوَىٰ آبَائِهِمَ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ وَاللَّهُ يَكْفُرُ عَنْهُمْ لِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٦٥] فيه حذف صفة ﴿لَأَن﴾. وتقدير الكلام: "وعد حق غير مكذوب فيه"<sup>(٧)</sup>.

(١) الطراز: ص ٢٥٤ .

(٢) البرهان في علوم القرآن: ١٧٨/٣ .

(٣) المصدر السابق: ١٧٨/٣ .

(٤) معاني القرآن الكريم: ٢٦٩/٢ .

(٥) نظم الدرر: ٥٣٥/٣ .

(٦) جامع البيان في تفسير القرآن: ١٢ / ٣٢ ، زاد المسير: ٤٧/٤ .

(٧) صفوة التفاسير: ٢٢/٢ .







وقد سبق الشوكاني إلى ذلك بقوله: "إنَّ المعنى: أخذ يجادلنا"<sup>(١)</sup>.

## حذف القول:

ويتزين القرآن الكريم بنماذج كثيرة تمثل حذف القول، وهذا ما أورده الزركشي قائلاً:  
"وقد كثر في القرآن العظيم حتى إنه في الإضمار بمنزلة الإظهار"<sup>(٢)</sup>.

وسورة هود عليه السلام تتجمل بهذا النوع، و"السورة عامرة بمواضع الحذف، ولا سيَّما حذف لفظ القول، لا في قصصها فحسب وإنما في فاتحتها أيضاً التي جاءت مناظرة في أكثر ألفاظها لفاتحة أولى قصصها وهي قصة نوح، ثم سارت بقية قصصها على نهج واحد"<sup>(٣)</sup>.

ومن حذف القول في سورة هود قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَنُونَ أَيَّاماً نَسُوا نَجَّىٰ﴾ [هود: ٣].

والتقدير: "أي قتل لهم: إني أخاف"<sup>(٤)</sup>.

ومثله كذلك قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَدْيَ الْفِتْرِ﴾ [هود: ٢٥].

ودليل القول المحذوف كسر همزة (إنَّ) في ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَدْيَ الْفِتْرِ﴾ "بالكسر على إرادة القول أي: فقال، أو قائلاً"<sup>(٥)</sup>.

ومنه كذلك على رأي بعض العلماء قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَدْيَ الْفِتْرِ﴾ [هود: ٦٩].

وفي نصب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَدْيَ الْفِتْرِ﴾ رأي وهو أن:

(١) فتح القدير: ٦٣٩/١٢ ، انظر التبيان في إعراب القرآن: ٧٠٨/٢.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٢٣٣/٣.

(٣) بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم: كاظم الطواهرى، دار الصابوني، الطبعة الأولى ١٩٩١م، ص ٢٤٥.

(٤) إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج: ٣٨/١.

(٥) تفسير أبي السعود: ٢٢/٣.



"يكون منصوباً بالقول، أي يذكرون قولاً ﴿﴾ فيكون من باب: قلت حقاً وصدقاً"<sup>(١)</sup>.

وقد تحذف جملة تامة من السّياق، والمقصود بالجملة التامة: "الجملة التي تكون معنى لا يتم الكلام بدونه"<sup>(٢)</sup>. ومن هذا القبيل الجملة الواقعة بعد (إذ) المتصلة بلفظتي (حين) و(يوم).

ومن حذف الجملة التامة قوله تعالى:

﴿﴾

﴿﴾ [هود: ٦٦]، فالجملة المحذوفة بعد (إذ) تقديرها:

"يوم إذ عذبهم ربهم إنَّ ربك هو القوي العزيز"<sup>(٣)</sup>.

والحذف هنا أولى من الذكر لما فيه من بلاغة، فالجمل المحذوفة بعد (إذ) "يستدعيها السياق ويحتاج إليها، ويكون في حذفها زيادة بلاغة، وحسن إيجاز لا يجتمعان مع ذكرها"<sup>(٤)</sup>.

وفي الآية الكريمة السابقة جاءت (إذ) منونة تتوین عوض عن جملة محذوفة، وقد أفادت مع حذفها "لفت نظر القارئ إلى ما يحدث أو ما سوف يحدث بالإضافة إلى ما تحتوي عليه هذه الآية من إيجاز، واختصار لا ينكران"<sup>(٥)</sup>.

## حذف الأجوبة:

ويتمثل حذف الأجوبة في مواطن كثيرة، ويكثر في جواب (لو) في التنزيل الحكيم، وحذف الأجوبة "من محاسن الإيجاز، ومواقعه البديعة"<sup>(٦)</sup>. ويجوز النحويون حذف جواب الشرط إذا دلَّ عليه دليل . ومن مواطن حذف جواب (لو) في سورة هود قوله تعالى:

(١) البرهان في علوم القرآن: ٢٤٥/٣ ، جامع البيان في تفسير القرآن: ٤٢/١٢ ، الجامع لأحكام القرآن: ٦٥/٩.

انظر: التبيان في إعراب القرآن: ٧٠٥/٢.

(٢) الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز: ص ٣٨٩.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٩٦.

(٤) المصدر السابق: ص ٣٨٩.

(٥) المصدر السابق: ص ٣٩٦.

(٦) الطراز: ص ٢٥٦.

﴿ ٤٨٠ : هود ﴾ [هود: ٨٠].

والمعنى: "لو أن لي قوة لحت بينكم وبين المعصية"<sup>(١)</sup>، وقيل:

"جواب ﴿ ٤٨ ﴾ محذوف تقديره لعلت بكم وصنعت"<sup>(٢)</sup>. أو على تقدير: "لبطشت بكم"<sup>(٣)</sup>

ويرى الثعالبي أن خبر ﴿ ٤٨ ﴾ حذف اكتفاءً بما يدل عليه الكلام، وثقةً بفهم المخاطب والتقدير:

لو أن لي بكم قوة، "لكنك أكف أذاكم عني"<sup>(٤)</sup>.

والسر في حذف جواب (لو) في المواضع السابقة: "أنها لما ربطت إحدى الجملتين بالأخرى حتى صارا جملة واحدة، أوجب ذلك لها فضلاً، وطولاً؛ فخفف بالحذف؛ خصوصاً مع الدلالة على ذلك"<sup>(٥)</sup>.

ومن مواطن حذف جواب (لو) في التنزيل على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى:

﴿ ٤٨ ﴾ [الأنعام: ٢٧]، وقوله:

﴿ ٤٨ ﴾ [السجدة: ١٢].

ويتوالى حذف الأجوبة في سورة هود عليه السلام؛ ومن حذفها قوله تعالى:

﴿ ٤٨ ﴾ [هود: ١٠].

"وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم"<sup>(٦)</sup>.

ومن حذف الأجوبة كذلك قوله تعالى:

(١) البرهان في علوم القرآن: ٢٢١/٣.

(٢) البحر المحيط: ٢٤٦/٥ ، الكشاف: ٢٨٣/٢ ، تفسير الفخر الرازي: ٣٥/١٢ ، إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٤٦٦/١٢.

(٣) صفة التفاسير: ٢٦/٢.

(٤) فقه اللغة وأسرار العربية: الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل) — تحقيق مجدي فتحي السيد — المكتبة التوفيقية، القاهرة د.ت. ص ٢٤٠.

(٥) البرهان في علوم القرآن: ٢١٧/٣، ٢١٨.

(٦) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٣٩٦/١٢.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهُ﴾ [هود: ١٣]. وفي ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهُ﴾ في الآية الكريمة هو فعل الشرط، "وجواب الشرط محذوف

دلّ عليه ما قبله، أي: فأنتوا وادعوا"<sup>(١)</sup>.

ومنه قوله تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهُ﴾ [هود: ١٧]. والتقدير هنا:

"أفمن كان على بيّنة من ربّه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم في الآخرة إلا النار، إلا أنه حذف الجواب لظهوره"<sup>(٢)</sup>.

ويرى ابن عطية أنّ "في هذه الآية معادلة محذوفة يقتضيها ظاهر اللفظ تقديره: أفمن كان على بيّنة من ربه كمن كفر بالله وكذب أنبياءه"<sup>(٣)</sup>.

وقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهُ﴾ [هود: ٣٠]، "والجواب محذوف

دلّ عليه ما قبله، أي: فمن ينصروني"<sup>(٤)</sup>.

ومن حذف الجواب قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهُ﴾ [هود: ٣٢].

و"﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهُ﴾ شرط جوابه دلّ عليه ما قبله أي: فأنتا"<sup>(٥)</sup>.

ومنه أيضاً قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهُ﴾ [هود: ٣٣].

و"﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهُ﴾ شرط وفعله، والجواب محذوف"<sup>(٦)</sup>.

ومن حذف الجواب كذلك قوله تعالى:

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٣٩٩/١٢ ، انظر تفسير أبي السعود: ١٣/٣.

(٢) تفسير الفخر الرازي: ٢٠٨/١١.

(٣) المحرر الوجيز: ١٥٩/٣.

(٤) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٤١٤/٣ ، انظر صفوة التفسير: ١١/٢.

(٥) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٤١٨/٣.

(٦) المصدر السابق: ٤١٨/٣.

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُنكَرُونَ ﴾ [هود: ٥٧]. وفي الآية الكريمة "ليس الإبلاغ هو الجواب لتقدمه على توليهم؛ والتقدير: فإن تولوا فلا ملام علي؛ لأنني قد أبلغتكم، أو فلا عذر لكم عند ربكم لأنني قد أبلغتكم" (١).

والسؤال الذي يطرح هنا: لم قال هود ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُنكَرُونَ ﴾، ولم يقل فقد أبلغتكم رسالة ربكم؟ والجواب أن في ذلك:

"بيان تبرؤه مما يصنعون، وأنه ليس عليه إلا البلاغ لما أوحى به إليه وكُلف بتبليغه" (٢).

ويرى آخرون أن الذي سوغ الحذف هنا أنه؛ "لما كان إبلاغه للرسالة ينفي عنه اللوم لعدم إيمانهم، ساغ حذف جواب الشرط لأنه معلوم، ولأنه يوجز الآية، ولأنه يُعمل الفكر ويدعو العبد للتدبر، والتفكر" (٣).

والوجه في مقام الحذف هنا أنه يقام مقامه ما يدل عليه، والمعنى في الآية الكريمة. ومن حذف الجواب قوله تعالى:

﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا أَنتُم مِّنْ عِندِنَا مُعَدِّبُونَ ﴾ [هود: ٦٣]، "وإن الثانية شرطية، و﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ فعلها، وجوابها محذوف دل عليه جواب الأولى أي: فمن ينصروني" (٤).

ومنه أيضاً قوله: ﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا أَنتُم مِّنْ عِندِنَا مُعَدِّبُونَ ﴾ [هود: ٨٦]. و"إن شرطية، و﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ فعل الشرط، والجواب محذوف: أي فبقية الله خير" (٥). وقوله كذلك:

﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا أَنتُم مِّنْ عِندِنَا مُعَدِّبُونَ ﴾ [هود: ٨٨]. "وجواب الشرط محذوف يدل عليه المفعول الثاني المحذوف" (٦).

(١) الإيضاح: ص ٢٩٩، الإتيان في علوم القرآن: ١٩٢/٣، البرهان في علوم القرآن: ٢٤٦/٣.

(٢) الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز دراسة بلاغية: ص ٣٦٤.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٦٤.

(٤) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٤٥٢/٣، انظر المحرر الوجيز: ١٨٤/٣.

(٥) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٣ / ٤٧٣.

(٦) المصدر السابق: ٤٧٤/٣.

ويورد ابن عطية في هذه الآية الكريمة قوله:

"الآية هذه مراجعة لطيفة واستنزال حسن واستدعاء رقيق ونحوها عن محاوراة شعيب عليه السلام، قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذاك خطيب الأنبياء. وجواب الشرط الذي في قوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ محذوف تقديره: أضل كما ضللتم و أترك تبليغ الرسالة، ونحو هذا مما يليق بأسلوب المحاجة؟"<sup>(١)</sup>

وحول حذف الجواب في هذه الآية يطرح الزمخشري سؤالاً، وإجابته قائلاً: "فإن قلت: أين جواب أرأيتم وما له لم يثبت كما أثبت في قصة نوح ولوط؟ قلت: جوابه محذوف، وإنما لم يثبت؛ لأن إثباته في القصتين دل على مكانه"<sup>(٢)</sup>.

والمعنى في هذه الآية الكريمة:

"خبروني إن كنت على حجة واضحة من الله فيما أدعوكم إليه فكان حياً منه حقاً ورزقني بأحكامه وأوامره فهل يسعني عصيانه، أو التقصير في بيانه لكم"<sup>(٣)</sup>.

ويرى تمام حسان أن المعنى:

"أرأيتم إن كنت على يقين من أمر ربي وكان ربي قد رزقني رزقاً حلالاً أكنت فاعلاً ما تفعلون ما نهيتكم عنه أو تاركاً دعوتكم إلى عبادة الله وترك التطفيف في الوزن والكيل"<sup>(٤)</sup>.

ومن حذف الجواب كذلك، حذف جواب ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ في قوله تعالى:

﴿...﴾ [هود: ١٠١].

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما سرُّ حذف الجواب هنا، وهل كان ذكره يفيد شيئاً؟

والجواب هنا:

"أنَّ الإنسان الذي يقرأ ويسمع الأمثلة في القرآن الكريم يدرك أن ما وصل إليه هؤلاء في هذا الموقف إنما هو جزاء عادل لما ارتكبوا من حماقات وآثام في دنياهم، فقد سخرُوا من أنبياء الله ورسله، ونظروا إليهم شزراً [النظر غضباً، أو النظر بمؤخر العين]، وكانوا يمقتونهم، ويناصبونهم العدا، ويقفون لدعوتهم بالمرصاد؛ ليصدُّوا عن سبيل الله فماذا كان يفيد ذكر

(١) المحرر الوجيز: ٢٠١/٣.

(٢) الكشاف: ٢٨٧/٢.

(٣) الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية: ص ٣١٦.

(٤) البيان في روائع القرآن: ٢٤/١.

الجواب؟.... إنه بحقّ كلام الله، المنزل على رسوله؛ ليخرج الناس من ظلمات الجهل، وضلالات الكفر إلى نور العلم والعرفان ، ويقين الحقّ والإيمان، فحذف الجواب بأيّ حال أو صفة أبلغ من ذكره، لوجود ما يدل عليه، والبلاغة الإيجاز"<sup>(١)</sup>.

وقد تناول كثير من العلماء بلاغة الحذف، وتوسّعوا في الحديث عنه، ومن هؤلاء الإمام عبد القاهر الجرجانيّ الذي أورد في القيمة الفنية للحذف قوله: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تُبين، وهذه جملة قد تتكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظر"<sup>(٢)</sup>.

ورغم أن كثيراً من العلماء استنردوا في الحديث عن الحذف، إلا أن عبد القاهر الجرجانيّ أورد لنا نهاية رائعة، ونتيجة بديعة لاستخدام الحذف قائلاً:

"فقد بان الآن واتضح لمن نظرَ نظرَ المثبّت الفصيح الراغب في اقتداح زناد العقل والازدياد في الفضل، ومن شأنه أن يعرف الأشياء على حقائقها، ويتغلغل إلى دقائقها، ويربأ بنفسه عن مرتبة المقلّد الذي يجري مع الظاهر، ولا يعدو الذي يقع في أول خاطر أنّ الذي قلت في شأن الحذف وفي تقخيم أمره، والتتويه بذكره، وأنّ مأخذه مأخذ يشبه السحر، ويظهر الفكر"<sup>(٣)</sup>.

(١) من فيض الرحمن في بلاغة النحو في القرآن: خضر عبد السلام حسن أو طالب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٩٣، ص ١١٩، ١٢٠.

(٢) دلائل الإعجاز: ص ١٤٦.

(٣) المصدر السابق: ص ١٧١.

## المبحث الثاني

### الالتفات ودلالاته الأسلوبية

أسلوب الالتفات هو أحد السُّبُل التعبيرية، أو الألوان البلاغية التي يشيع استخدامها في القرآن الكريم ، بل لعلّه أكثر هذه الألوان تردداً، وأوسعها انتشاراً في البيان الخالد، مما جعل حصرها أمراً فوق طاقة الباحثين، "والواقع أن حفول القرآن بصور الالتفات قد جعل تناولها على جهة الاستقصاء أمراً فوق طاقة هذا البحث"<sup>(١)</sup>.

ويرى بعض العلماء أنّ الالتفات يتبوأ مكانة سامية فهو مخصوص باللغة العربية دون غيرها، و"اعلم أنّ الالتفات من أجلّ علوم البلاغة، وهو أمير جنودها، والواسطة في قلائدها وعقودها، وسمي بذلك أخذاً له من التفات الإنسان يميناً وشمالاً، فتارة يقبل بوجهه وتارة كذا، وتارة كذا، فهكذا حال النوع من علم المعاني، فإنّه في الكلام ينتقل من صيغة إلى صيغة، ومن خطاب إلى غيبة، ومن غيبة إلى خطاب إلى غير ذلك من أنواع الالتفاتات، وقد يلقب بشجاعة العربية، والسبب في تلقيبه بذلك أنّ الشجاعة هي الإقدام، والرجل إذا كان شجاعاً فإنه يرد الموارد الصعبة، ويقتمح الوُزط العظيمة حيث لا يزيدها غيره، ولا يفتحمها سواه، ولاشكّ أنّ الالتفات مخصوص بهذه اللغة العربية دون غيرها"<sup>(٢)</sup>.

وقال عنه صاحب المثل السائر:

"وهذا النوع وما يليه خلاصة علم البيان التي حولها يُدندن، وإليها تستند البلاغة وعنها يُعنعن"<sup>(٣)</sup>.

ويرى آخرون أنّ أهم ما يميّز الالتفات الحركة والمفاجأة؛ فهو:

"فنّ بديع من فنون القول يشبّهه تحريك آلات التصوير السينمائي بنقلها من مشهد إلى مشهد آخر في المختلّفات والمتباعدات التي يراد عرض صور منها، ومفاجأة المشاهد بلقطات منها متباعدات، لكنها تدخل في الإطار الكلّي الذي يراد عرض طائفة من مشاهدته تدلُّ على ما يقصد الإعلام به"<sup>(٤)</sup>.

(١) أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية: حسن طبل ، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٨م، ص ٥٥.

(٢) الطراز: ص ٢٦٥.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير — تحقيق محمد الحوفي ، بدوي طبانة — دار

نهضة مصر للطبع والنشر — القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٥٩م، ١٦٧/٢.

(٤) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٤٨٠/١.

ويتطرق ابن رشيّق إلى هذا الاختلاف قائلاً:

"وهو الاعتراض عند قوم، وسماه آخرون الاستدراك، وسبيله أن يكون الشاعر أخذاً في معنى ثم يعرض له غيره، فيعدل عن الأول إلى الثاني فيأتي به، ثم يعود إلى الأول من غير أن يخلّ في شيء مما يشدّ الأول"<sup>(١)</sup>.

ورغم تعدد تعريفات الالتفات إلا أنها ارتبطت بالانتقال بين التكلّم، والخطاب، والغيبة ومنها: "الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها"<sup>(٢)</sup>.

ويرى آخرون أن المقصود بالالتفات: "نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر؛ تطريةً واستدراكاً للسامع، وتجديداً لنشاطه، وصيانة لخطره من الملل، والضجر بدوام الأسلوب الواحد على سمعه"<sup>(٣)</sup>.

أما أبو هلال العسكري فيرى أنّ الالتفات على ضربين: "فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى فإذا ظننت أنه يريد أن يجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدّم ذكره به ... والضرب الآخر أن يكون الشاعر أخذاً في معنى وكأنه يعترضه شكٌّ أو ظنٌّ أن راداً يردُّ قوله أو سائلاً يسأله عن سببه فيعود راجعاً إلى ما قدّمه .. فإمّا أن يؤكّده، أو يذكر سببه، أو يزيل الشكَّ عنه"<sup>(٤)</sup>.

وحقيقة الالتفات كما يرى ابن الأثير: "مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا، وتارة كذا، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة، لأنه ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة كانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماضٍ إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماضٍ أو غير ذلك"<sup>(٥)</sup>.

وبعيداً عن التقسيمات والتفريعات في التعريف أورد صاحب الطراز أنّ الالتفات في مصطلح علماء البلاغة هو:

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو الحسن بن رشيّق القيرواني، دار الجبل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٩٧٢م، ٤٥/٢.

(٢) الإيضاح: ص ١٥٧، انظر معترك الأقران: ٣٧٧/١.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ٣ / ١٦١.

(٤) الصناعتين: ص ٤٣٨، ٤٣٩.

(٥) المثل السائر: ١٦٧/٢.



"العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول"<sup>(١)</sup>.

أما الثعالبي فيرى أنّ الالتفات هو: "أن تذكر الشيء وتتمّ معنى الكلام به، ثم تعود لذكره كأنك تلتفت إليه"<sup>(٢)</sup>، ومثّل له بقول جرير:

أندكرُ يومَ تصقّل عارضِئِها      بعُودِ بشامةٍ سقيَ البشامِ<sup>(٣)</sup>.

ويتوسع بعض الدارسين في ظاهرة الالتفات، فلا يحصر هذه الظاهرة في الانتقال بين الضمائر، بل يتوسع في ذلك ويحصر صور الالتفات في أربعة أضرب أساسية هي<sup>(٤)</sup>:

الضرب الأول – التحول القائم بين ضمائر المتكلم والمخاطب والغائب.

الضرب الثاني – التحول القائم بين الأفعال: الماضي والمضارع والأمر.

الضرب الثالث – التحول القائم بين التذكير والتأنيث.

الضرب الرابع – التحول القائم بين الأعداد: المفرد والثنى والجمع.

والالتفات من أكثر فنون البلاغة ظهوراً في القرآن و كغيره من الأساليب يتكرّر كثيراً فهو "من الأساليب البلاغية ذات اللطائف النفيسة، وقد تكرّر في القرآن استخدامه جداً، وله فيه أمثلة كثيرة"<sup>(٥)</sup>.

## صور الالتفات:

### ١ - الالتفات من التكلم إلى الخطاب:

"ووجهه حتّ السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه، وأنّه أعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة"<sup>(٦)</sup>.

### ٢ - الالتفات من التكلم إلى الغيبة:

(١) الطراز: ص ٢٦٥ ، انظر الإتقان في علوم القرآن: ٢٥٣/٣.

(٢) فقه اللغة وأسرار العربية: ص ٢٩٨.

(٣) البيت من البحر الوافر لجرير في ديوانه، إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٦١٣.

(٤) الخطاب الشعري عند محمود درويش دراسة أسلوبية: محمد صلاح زكي أبو حميدة، مطبعة مقداد، غزة – فلسطين، الطبعة الأولى ٢٠٠٠، ص ٢٤٩.

(٥) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٤٨٠/٢.

(٦) البرهان في علوم القرآن: ٣٦٣/٣.

"وجهه أن يفهم السامع أن هذا نمط الكلام وقصده من السامع؛ حضر أو غاب"<sup>(١)</sup>.  
ومنه قوله تعالى:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَوَلَمْ يَأْتِكُمْ آيَاتِي الْمُرْسَلَاتِ لِيُنذِرَكُمْ لَعْنَةَ رَبِّكُمُ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَارٍ وَيُرْسِلَكُمْ فِي آخِرِ أَيَّامِكُمْ نَارًا تَلْفِتُكُمْ عَنِ الطَّيِّبَاتِ وَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ﴾ [هود: ٦٦].

وقوله تعالى:

﴿يَا قَوْمِ إِنِّي كُنْتُ نَذِيرًا لَكُمْ لِكَيْ تَتَّقُوا أَلْتَفِتُكُمْ عَنِ الطَّيِّبَاتِ﴾ [هود: ٨٣].

٣ - الالتفات من الخطاب إلى التكلم: ومنه قوله تعالى:

﴿يَا قَوْمِ إِنِّي كُنْتُ نَذِيرًا لَكُمْ لِكَيْ تَتَّقُوا أَلْتَفِتُكُمْ عَنِ الطَّيِّبَاتِ﴾ [هود: ٩٠].

ويرى السيوطي أن هذا النوع لم يقع في القرآن<sup>(٢)</sup>، واعترض على من مثّل له بقوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي كُنْتُ نَذِيرًا لَكُمْ لِكَيْ تَتَّقُوا أَلْتَفِتُكُمْ عَنِ الطَّيِّبَاتِ﴾ [طه: ٧٢، ٧٣] قائلاً: "وهذا المثال لا يصح؛ لأن شرط الالتفات أن يكون المراد به واحداً"<sup>(٣)</sup>.

٤ - الالتفات من الغيبة إلى الخطاب: ومنه قوله تعالى:

﴿يَا قَوْمِ إِنِّي كُنْتُ نَذِيرًا لَكُمْ لِكَيْ تَتَّقُوا أَلْتَفِتُكُمْ عَنِ الطَّيِّبَاتِ﴾ [هود: ٢٥].

فقد قال في الآية ﴿يَا قَوْمِ﴾ ولم يقل: إنّه؛ "لأنه رجع من الغيبة إلى خطاب نوح لقومه"<sup>(٤)</sup>.  
ومنه قوله تعالى:

﴿يَا قَوْمِ إِنِّي كُنْتُ نَذِيرًا لَكُمْ لِكَيْ تَتَّقُوا أَلْتَفِتُكُمْ عَنِ الطَّيِّبَاتِ﴾ [هود: ٥٧].

قال ابن عطية: "ويحتمل أن يكون ﴿يَا قَوْمِ﴾ فعلاً ماضياً ويجيء في الكلام رجوع من غيبة إلى خطاب، أي فقل: قد أبلغكم"<sup>(٥)</sup>.

(١) البرهان في علوم القرآن: ٣/٣٦٥ ، الإتيان في علوم القرآن: ٣/٢٥٤.

(٢) الإتيان في علوم القرآن: ٣/٢٥٤.

(٣) المصدر السابق: ٣/٢٥٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ٩/٢٥٠.

(٥) المحرر الوجيز: ٣/١٨٢.

وقد أورد صاحب المفتاح في الالتفات من الغيبة إلى الخطاب قوله:  
 "وهذا النوع قد يختصُّ مواقعه بلطائف معانٍ قلماً تتضح إلا لأفراد بلغائهم، أو للحدّاق  
 المهرة في هذا الفن، والعلماء النحارير، ومتى اختص موقعه بشيء من ذلك، كساه فضل بهاء  
 ورونق، وأورث السامع زيادة هزّة ونشاط، ووجد عنده من القبول أرفع منزلةً ومحل إن كان  
 ممن يسمع ويعقل"<sup>(١)</sup>.

## خروج الكلام عن مقتضى الظاهر

ومما يقرب من الالتفات خروج الكلام عن مقتضى الظاهر؛ ومنها:

### أولاً: الانتقال من خطاب الواحد إلى خطاب الجمع:

ومن صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر؛ الانتقال من خطاب الواحد إلى خطاب الجمع  
 ومنه قوله تعالى:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [هود: ١٣]، بدليل قوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. "فهو خطاب له صلى الله عليه وسلم وحده إذ  
 لا نبيَّ معه ولا بعده"<sup>(٢)</sup>.

ولم يبتعد القرطبي عن هذا كثيراً إذ يرى أن الله تعالى قال: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾،  
 و"لم يقل لك فليل: هو على تحويل المخاطبة من الأفراد إلى الجمع تعظيماً و تفخيماً، وقد  
 يخاطب الرئيس بما يخاطب به الجماعة"<sup>(٣)</sup>.

وهذا رأي ابن قتيبة كذلك الذي يقول: "وأكثر من يخاطب بهذا الملوك؛ لأنّ مذاهبيهم أن يقولوا:  
 نحن فعلنا . يقوله الواحد منهم يعني نفسه فخطبوا بمثل ألفاظهم"<sup>(٤)</sup>.

أما الفخر الرازي فيورد في الآيتين الكريمتين:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [هود: ١٣]، بدليل قوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. "فهو خطاب له صلى الله عليه وسلم وحده إذ  
 لا نبيَّ معه ولا بعده"<sup>(٢)</sup>.

(١) مفتاح العلوم: السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر) - ضبط وتعليق، نعيم زرزور -، دار الكتب

العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٧م، ص ٢٠٠، ٢٠١.

(٢) الإتيان في علوم القرآن: ١٠١/٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٦/٩، انظر جامع البيان في تفسير القرآن: ٨/١٢.

(٤) تأويل مشكل القرآن: ص ٢٩٤.

﴿ [هود: ١٣- ١٤]. قوله: "الآية المتقدمة اشتملت على خطابين: أحدهما: خطاب الرسول وهو قوله: ﴿ ك \$ ĒrB ` B OēUGO\$C̄B (qāS̄) ﴾، أما كون مجيء الخطاب الأول بلفظ المفرد، والخطاب الثاني بلفظ الجمع هو أنّ الخطاب الأول كان مع الرسول عليه الصلاة والسلام وحده بقوله: ﴿ ٩١B ĪB p̄l (qāU @̄) ﴾، والخطاب الثاني كان مع جماعة الكفار بقوله: ﴿ K \$ ĒrB ` B OēUGO\$C̄B (qāS̄) ﴾ وقوله: ﴿ Nā9 (q̄E f̄p̄, Ō) ﴾ خطاب مع الجماعة"<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: التعبير عن الجمع بلفظ المفرد:

ومن صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر؛ التعبير عن الجمع بلفظ المفرد ومنه قوله تعالى:

﴿ (p̄j̄E ' ī B rāB W̄r (k̄p̄S @̄ā OāZB S̄) ﴾ [هود: ٧٨]. و كلمة ﴿ j̄E ' ﴾ هنا "واحد يريد به جميع"<sup>(٢)</sup>. ومثله قوله تعالى في سورة الحجر:

﴿ ĒqB ŌK̄ K̄i ' ĀE āwāp̄ b) IAS% ﴾ [الحجر: ٦٨].

### ثالثاً: التعبير عن المثنى بلفظ الجمع:

ومن صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر؛ التعبير عن المثنى بلفظ الجمع. ومنه قوله تعالى:

﴿ Nā9 ēgō̄ Eē ' ĪSZV āwāp̄ ēp̄) IAS% ﴾ [هود: ٧٨].

تقول أكثر الروايات إنه كان له بنتان وهما: (زنتا) و(زعورا)، وعلى هذا التقدير: "ذكر الاثنين بلفظ الجمع"<sup>(٣)</sup>، وخالف كثيرون هذا الرأي، وحجتهم أنه إنما قال بناتي؛ لأنّ "كل نبيّ أبّ لأمته في الشفقة، والتربية"<sup>(٤)</sup>.

### رابعاً: الانتقال القائم من المستقبل إلى الأمر:

ومن الانتقال القائم بين الأفعال؛ الانتقال القائم من المستقبل إلى الأمر، وذلك "تعظيماً لحال من أجرى عليه المستقبل، وبالضدّ من ذلك في حقّ من أجرى عليه الأمر"<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير الفخر الرازي: ٢٠٤/١١.

(٢) تأويل مشكل القرآن: ص ٢٨٧.

(٣) تفسير الفخر الرازي: ٣٤/١٢.

(٤) صفوة التفاسير: ٢٦/٢.

(٥) البرهان في علوم القرآن: ٣٦٨/ ٣.

ومن هذا الالتفات ﴿عَلَيْكُمْ﴾، و﴿يُؤْمِرُكُمْ﴾ في قوله تعالى:

﴿قَالَ إِنَّمَا قَالَ: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ و﴿يُؤْمِرُكُمْ﴾ ولم يقل: " (وأشهدكم) ليكون موازناً له؛ ولا شك أن

معنى إشهد الله على البراءة صحيح في معنى يثبت التوحيد، بخلاف إشهدهم" (١).

ويرى بعض الدارسين أن الآية تضمنت "عدولاً عن صيغة المضارع ﴿عَلَيْكُمْ﴾ إلى صيغة الأمر ﴿يُؤْمِرُكُمْ﴾؛ لإبراز البون الشاسع بين الإشهادين، والدلالة على أن الثاني منهما ليس إشهداً حقيقياً، وأنه عليه السلام إنما أمرهم به على سبيل السخرية بهم، والتحدّي لإرادتهم" (٢).

والسؤال الذي يطرح: هلا قيل إني أشهد الله وأشهدكم؟ والإجابة: "لأن إشهد الله على البراءة من الشرك إشهد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشدة معاقده. وأما إشهدهم فما هو إلا تهاون بدينهم، ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب، فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما، وجئ به على لفظ الأمر بالشهادة، وإنما عدل إلى صيغة الأمر عن صيغة الخبر للتمييز بين خطابه لله تعالى، وخطابه لهم بأن يعبر عن خطاب الله تعالى بصيغة الخبر التي هي أجل وأوقر للمخاطب من صيغة الأمر" (٣).

أما صاحب الطراز فرأى أنه: "لو أراد المساواة بين الفعلين، لقال: أشهد الله وأشهدكم، وقد يكون رجوعاً عن الفعل الماضي إلى فعل الأمر" (٤).

وتوسّع الألويسي في طرح التلوين في الآيتين الكريمتين قائلاً:

"والمقصود من الاستهانة والاستهزاء كما يقول الرجل لخصمه إذا لم يبال به: أشهد على أنني قائل لك كذا، وكأنه غاير بين الشهادتين، لذلك، وعطف الإنشاء على الإخبار جائز عند بعض، ومن لم يجوزه قدر قولاً أي وأقول: ﴿يُؤْمِرُكُمْ﴾، ويحتمل أن يكون إشهد الله تعالى إنشاءً

(١) البرهان في علوم القرآن: ٣/٣٦٨، انظر الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، علم البيان: ص ١١١، البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل: ص ٧٣.

(٢) المثل السائر: ٢/١٧٩، ١٨٠، الإتيان في علوم القرآن: ٣/٢٥٩.

(٣) الكشف: ٢/٢٧٦ والبحر المحيط: ٥/٢٣٣، ٢٣٤، إعراب القرآن الكريم وبيانه: ١٢/٤٤٧.

(٤) الطراز: ص ٢٦٧.



فإنَّ الله سبحانه وتعالى عبَّرَ بالفعل الماضي ﴿ ١٨٣ ﴾ مع أنَّ ذلك لم يقع بعد، وإنَّما سيكون وقوعه في المستقبل، أما سرُّ هذا التعبير فإنَّ الضابط فيها أنَّه تعالى أخبر عن أحوال القيامة بلفظ الماضي مبالغةً في التأكيد والتقرير<sup>(١)</sup>.

ومنه قوله تعالى:

﴿ ١٨٣ ﴾ [هود: ١٥].

قال الزَّجَّاج:

"﴿ ١٨٣ ﴾ في موضع جزم بالشرط، وجوابه ﴿ ١٨٣ ﴾ أي من يكن يريد، والأول في اللفظ ماضٍ، والثاني مستقبل"<sup>(٢)</sup>.

ومثله في الشعر قول زهير بن أبي سلمى:

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه  
ولو رام أسباب السماء بسلم<sup>(٣)</sup>.

والمراد: من يهب ينلها.

ومنه قوله تعالى:

﴿ ١٨٣ ﴾ [هود: ١٠٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿ ١٨٣ ﴾ [هود: ٩٨].

ويطرح الزمخشري سؤالاً ويجيب عنه قائلاً:

"فإن قلت: هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جاء بلفظ الماضي؟ قلت: لأنَّ الماضي يدلُّ على أمر موجود مقطوع به، فكأنه قيل: يقدمهم فيوردهم النار لا محالة"<sup>(٤)</sup>. ومن الظاهر أنه عبر عن المستقبل بلفظ الماضي؛ "لوضوح الأمر، وارتفاع الإشكال"<sup>(٥)</sup>.

أما الفخر الرازي فأورد في هذه الآية الكريمة ما يقرب من قول الزمخشري قائلاً:

(١) تفسير الفخر الرازي: ١٩٧/١١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٧/٩.

(٣) البيت من الطويل في شعر زهير بن أبي سلمى، ص ٢٧.

(٤) الكشاف: ٢٩١/٢.

(٥) من بلاغة القرآن: ص ٩٤.





ورأى العكبري أنّ جواب (لمّا) فيه وجهان: أحدهما "أنّه يجادلنا، وهو مستقبل بمعنى الماضي؛ أي جادلنا"<sup>(١)</sup>.

بينما رأى آخرون أنّ: "حمل النص على أنّ ﴿سَبَّحُوا بُرُوجَهُمْ﴾ هو جواب (لما) أوضح وأسهل؛ لأنّ العدول عن ظاهر النص قد يكون متكافئاً إذا كان الكلام مستغنياً عنه فإيراد فعل المجادلة ههنا بصيغة المضارع معناه المضي غير أنّ استعمال صيغة المضارع قد أفاد تكرار المجادلة من إبراهيم – عليه السلام – مرة بعد أخرى وهو أولى من تقدير محذوف"<sup>(٢)</sup>. وبقي لنا هنا الإشارة إلى أنّ: "فائدة سوق الماضي في موضع المستقبل؛ الإشارة إلى أنّه في الثبوت كالماضي الذي وقع. وفائدة سوق المستقبل في معنى الماضي الإعلام بأنّ الأمر مستمر"<sup>(٣)</sup>.

### سادساً: التعبير باسم المفعول عن الفعل المستقبل:

ومن صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر؛ التعبير باسم المفعول عن الفعل المستقبل. ويسميه السيوطي التعبير عن المستقبل باسم الفاعل أو المفعول، "وإنما فعل ذلك لتضمنه معنى الفعل الماضي"<sup>(٤)</sup>. ومنه قوله تعالى:

﴿سَبَّحُوا بُرُوجَهُمْ﴾

[هود: ١٠٣].

"فإنه إنما أثر اسم المفعول الذي هو ﴿سَبَّحُوا﴾ على الفعل المستقبل الذي هو (يجمع)؛ لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم، وأنه الموصوف بهذه الصفة"<sup>(٥)</sup>. ويسميه السيوطي: "التعبير عن المستقبل باسم الفاعل أو المفعول؛ لأنه حقيقة في الحال لا في الاستقبال"<sup>(٦)</sup>، ويمثل له في القرآن بقوله تعالى:

﴿الذاريات: ٦﴾، وقوله:

﴿سَبَّحُوا بُرُوجَهُمْ﴾

[هود: ١٠٣].

(١) التبيان في إعراب القرآن: ٧٠٨/٢.

(٢) تلوين الخطاب في القرآن الكريم: ص ١٧١.

(٣) المحرر الوجيز: ١٧٩/١، انظر تفسير أبي السعود: ٥٢/٣.

(٤) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان: ص ١١٣.

(٥) المثل السائر: ١٨٦/٢.

(٦) الإتقان في علوم القرآن: ١١٩/٢.









## المبحث الثالث

### التقديم والتأخير ودلالاته الأسلوبية

تتنوع الفنون، وتتعدّد الأساليب في اللغة العربية، فالعربية تتمثّل بحرا في أحشائه الدُرّ كامن، فأنى تعمقت فيها وجدت ما يطرب سمعك، ورأيت ما يشبع ذوقك، فهنا الفنون البديعة، وهناك الأساليب الرائعة التي يعسر حصرها، ومن هذه الأساليب أسلوب التقديم والتأخير.

والتقديم والتأخير هو أحد أساليب البلاغة، وأحد الدلائل على براعة الإنسان العربيّ، فقد أتى به العرب "دلالةً على تمكّنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق"<sup>(١)</sup>.

وقد برع كثير من العلماء في بيان مكانة التقديم والتأخير، وإظهار محاسنه، فهذا صاحب دلائل الإعجاز يورد كلاماً بديعاً في هذا الباب قائلاً:

"هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتّر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، إن قدّم فيه شيء، وحول اللفظ من مكان إلى مكان"<sup>(٢)</sup>.

وقد أكّد آخرون على دور هذا الأسلوب في الكشف عن دقائق الأمور، فالتقديم والتأخير "من الأساليب البلاغية التي لها أثرٌ واضح في الكشف عن دقائق المعاني، وتجليّة المستور منها وراء الألفاظ، الأمر الذي يظهر بحسن مراعاته لما يقتضيه الحال، مقدرة المتكلم على استغلال الكلم في التعبير عن غرضه بأوجز عبارة، وأحسنها، وأشدّها وقعاً في النفوس وأبلغها"<sup>(٣)</sup>.

وقد يكون التقديم على نيّة التأخير، وقد يكون لا على نيّة التأخير، واعلم أنّ تقديم الشيء على وجهين: "تقديم يقال إنه على نية التأخير، وذلك في كلّ شيء أقررت مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، وفي جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدّمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدّمته على الفاعل. وتقديم لا على نيّة التأخير، ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم

(١) البرهان في علوم القرآن: ٢٧٣/٣.

(٢) دلائل الإعجاز: ص ١٠٦.

(٣) لغة القرآن الكريم: ص ٣٣١.

وتجعل له باباً غير بابيه، وإعراباً غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبراً له، فنقدّم هذا تارة على ذلك، وأخرى ذلك على هذا<sup>(١)</sup>.

أما التقديم والتأخير فلا يمكن أن يؤدي غرضه إذا استخدم عشوائياً، وإنما يحتاج إلى من يتمكن من معرفة دقائقه، ويستطيع سبر أغواره.

"ولا يتمكن من السَّبْق في هذا المضمار إلا صاحب علمٍ غزيرٍ، وإلمامٍ واسعٍ بمفردات اللغة، وأسرار تركيبها، حتى يستطيع أن يبيّن بالإشارة، ما تعجز عن توضيحه العبارة، وهذا شيء صعب المنال إلا من سهّل الله عليه طريقه، وفتح له مغاليقه، لذلك لا تكاد تحس بأثره واضحاً في غير القرآن الكريم"<sup>(٢)</sup>.

وقد أشار السامرائي إلى هذا الأمر قائلاً:

"إنَّ فنَّ التقديم والتأخير فنٌّ رفيع يعرفه أهل البصر بالتعبير، والذين أوتوا حظاً من معرفة مواقع الكلام وليس ادعاءً يُدعى، أو كلمة تقال"<sup>(٣)</sup>.

وترتبط بلاغة التقديم والتأخير بأثرهما الفنيّ في المعنى، بمعنى:

"أنَّ أسلوب التقديم والتأخير لا تكون له قيمته الفنية إلا إذا وظّفه الشاعر أو الأديب في تجسيد أغراض فنية خاصة لا تتأدى بغير ذلك الأسلوب، ومن ثمّ كان الحكم بجودة ذلك الأسلوب يقترن – لدى البلاغيين – ببيان غرضه الفنيّ، أو وظيفته التعبيرية الخاصة"<sup>(٤)</sup>.

وإذا انتقلنا إلى التقديم والتأخير في القرآن نجد أنّ القرآن الكريم قد بلغ الدرجات العلا في التقديم والتأخير، كما هو الحال في سائر الأساليب، وهذا ينطبق على سورة هود عليه السلام، "وقد بلغ القرآن الكريم في هذا الفن – كما في غيره – الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقّه في التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب، ولم يكتف القرآن الكريم في وضع اللفظة بمراعاة السياق الذي وردت فيه، بل راعى جميع المواضع التي وردت فيها اللفظة، ونظر إليها نظرة واحدة شاملة في القرآن الكريم كلّها، فترى التعبير متّسقاً متناسقاً مع غيره من التعبيرات كأنه لوحة فنية واحدة مكتملة متكاملة"<sup>(٥)</sup>.

(١) دلائل الإعجاز: ص ١٠٦، ١٠٧.

(٢) لغة القرآن الكريم: ص ٣٣١.

(٣) التعبير القرآني: ص ٥٣.

(٤) علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم: ص ١٢٣، ١٢٤.

(٥) التعبير القرآني: ص ٥٣.

إنَّ التقديم والتأخير في القرآن الكريم يحمل في طيّاته مزيداً من الخفايا والأسرار، والذي أريد أن أنبّه إليه أنّ القرآن قد حوى أسراراً جمة في التقديم والتأخير، وما ذكره العلماء منها شيء يسير بالنسبة لحقيقتها، وقد يكون في الموضوع الواحد أكثر من حكمة أو فائدة<sup>(١)</sup>.

إنَّ هذا التعبير يدلُّ دلالة واضحة على فخامة التعبير القرآنيّ وعلوه، كما يشير إشارة جلية على أنّ كل لفظ فيه وضع وضعاً فنيّاً مقصوداً، فالقرآن الكريم "دقيق في وضع الألفاظ ورففها بجانب بعض دقّة عجيبة، فقد تكون له خطوط عامة في التقديم والتأخير، كلّ ذلك مراعى فيه سياق الكلام، والاتساق العام في التعبير على أكمل وجه، وأبهى صورة"<sup>(٢)</sup>.

وكغيرها من سور القرآن لا تخلو سورة هود عليه السلام من التقديم والتأخير، فإذا ما قلّبنا صفحاتها، وتقلّنا بين آياتها وجدنا نماذج متنوعةً للتقديم والتأخير، رأينا من خلالها روعة النظم القرآني الذي يستحيل أن يكون في طوق البشر.

وأول نماذج التقديم والتأخير في سورة هود عليه السلام، تقديم (الاستغفار) على (التوبة) في قوله تعالى:

﴿...﴾ [هود: ٣].

"وقدّم الإرشاد إلى الاستغفار على التوبة؛ لكونه وسيلة إليها، وقيل: إنّ التوبة من متمّات الاستغفار"<sup>(٣)</sup>. "فالتوبة مطلوبة لكونها من متمّات الاستغفار، وما كان آخرّاً في الحصول كان أولاً في الطلب فهذا قدّم الاستغفار على التوبة"<sup>(٤)</sup>.

أما الفخر الرازي فيرى في فائدة هذا الترتيب أنّ المراد:

"استغفروا من سالف الذنوب ثم توبوا إليه في المستقبل... فقدّم الاستغفار؛ ليدل على أنّ المرء يجب أن لا يطلب الشيء إلا من مولاه فإنّه هو الذي يقدر عليه، ثم بعد الاستغفار ذكر التوبة؛ لأنّها عمل يأتي به الإنسان ويتوسّل به إلى دفع المكروه"<sup>(٥)</sup>. وهذا التقديم والتأخير يتكرّر بكثرة في التعبير القرآني.

ومن التقديم أيضاً تقديم ﴿فَعَر﴾ على ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا﴾ في قوله تعالى:

(١) لغة القرآن الكريم: ص ٣٣٣.

(٢) التعبير القرآني: ص ٥٣.

(٣) فتح القدير: ٦٠١/١١.

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن: ٥/١٢، تفسير الفخر الرازي: ١١/١٨٨.

(٥) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب: ١١/١٨٩.



﴿ ٢٠٤٩ ٤٠٤٩ ٤٠٤٩ ﴾ [هود/٢].

وقدّم النذير على البشير؛ "لأنّ التحذير من النار هو الأهم"<sup>(١)</sup>.

ومنّه تقديم أمر الأرض على السماء في قوله تعالى:

﴿ ٢٠٤٩ ٤٠٤٩ ٤٠٤٩ ﴾ [هود: ٤٤].

وتقديم أمر الأرض على السماء؛ لابتداء الطوفان منها"<sup>(٢)</sup>.

وتعتبر هذه الآية الكريمة نموذجاً رائعاً للترتيب، ومثالاً بارعاً للتقديم والتأخير.

"وأما من حيث النظر إلى ترتيب الجمل فذاك أنه قد قدّم النداء على الأمر. فقيل: ﴿ ٢٠٤٩ ٤٠٤٩ ٤٠٤٩ ﴾ و﴿ ٢٠٤٩ ٤٠٤٩ ٤٠٤٩ ﴾، دون أن يقال: (ابلي يا أرض) و(أقلي يا سماء)، جرياً على مقتضى اللازم فيما كان مأموراً حقيقة، من تقديم التنبية، ليتمكن الأمر الوارد عقبيه في نفس المنادى، قصداً بذلك لمعنى الترشيح، ثم قدّم أمر الأرض على أمر السماء لابتداء الطوفان منها، ونزولها في القصة منزلة الأصل، والأصل بالتقديم أولى، ثم أتبعها قوله: ﴿ ٢٠٤٩ ٤٠٤٩ ٤٠٤٩ ﴾، لاتصاله بقصة الماء وأخذه بحجزتها، ألا ترى أصل الكلام: قيل يا أرض ابلي ماءك فبلعت ماءها، ويا سماء أقلي عن إرسال الماء فأقلعت عن إرساله، وغيض الماء النازل من السماء فغاض، ثم أتبعه ما هو المقصود من القصة وهو قوله: ﴿ ٢٠٤٩ ٤٠٤٩ ٤٠٤٩ ﴾، أي أنجز الموعود من إهلاك الكفرة وإنجاء نوح ومن معه في السفينة، ثم أتبعه حديث السفينة وهو قول: ﴿ ٢٠٤٩ ٤٠٤٩ ٤٠٤٩ ﴾، ثم ختمت القصة بما ختمت"<sup>(٣)</sup>.

ومن التقديم ﴿ ٢٠٤٩ ٤٠٤٩ ٤٠٤٩ ﴾ على ﴿ ٢٠٤٩ ٤٠٤٩ ٤٠٤٩ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ ٢٠٤٩ ٤٠٤٩ ٤٠٤٩ ﴾

﴿ ٢٠٤٩ ٤٠٤٩ ٤٠٤٩ ﴾ [هود: ٤٤]، والتقديم في الآية الكريمة "لقصد الاختصاص"<sup>(٤)</sup>.

وهذا "هو رأي الأكثر من علماء البيان؛ وذلك لأنّ المفعول إذا تقدّم لزم الاختصاص"<sup>(٥)</sup>.

(١) المحرر الوجيز: ١٤٩/٣.

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٤٣٧/١٢.

(٣) مفتاح العلوم: ص ٤٢٠، ٤٢١.

(٤) التعبير القرآني: ص ٥١.

(٥) الطراز: ص ٢٣٤، انظر إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٤٩٧/١٢.

ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿ ۞ ۞ ۞ ﴾ [هود: ٨٨].

"فقدّم الجار والمجرور للدلالة على الاختصاص؛ وذلك لأنّ التوكُّل لا يكون إلا على الله وحده، والإنابة ليست إلا إليه وحده"<sup>(١)</sup>.

ويرى ابن الأثير أنّ هذا ومثله من تقديم الظروف لا يكون للاختصاص، وإنما قدّمت "لمراعاة الحسن في نظم الكلام"<sup>(٢)</sup>.

أما صاحب الطراز فأورد في الآية الكريمة ﴿ ۞ ۞ ۞ ﴾ قوله:

"فهذا وأمثاله إنما قدّم ليس من جهة الاختصاص، وإنما كان من أجل المطابقة اللفظية في تناسب الآي وتشاكلها"<sup>(٣)</sup>.

ومثله قوله تعالى:

﴿ ۞ ۞ ۞ ﴾ [هود: ١٢٣]. وتقديم ﴿ ۞ ۞ ۞ ﴾ على الفعل ﴿ ۞ ۞ ۞ ﴾

لقصد الاختصاص كذلك.

أما التقديم في قوله تعالى:

﴿ ۞ ۞ ۞ ﴾ [هود: ٩١] فإنّه يفيد التخصيص. ويورد السكاكي في هذه الآية قوله:

"ما يحكيه علت كلمته عن قوم شعيب: ﴿ ۞ ۞ ۞ ﴾ أي العزيز علينا يا شعيب رهطك

لا أنت لكونهم من أهل ديننا، ولذلك قال عليه السلام في جوابهم ﴿ ۞ ۞ ۞ ﴾

﴿ ۞ ۞ ۞ ﴾ أي: من نبي الله، ولو أنهم كانوا قالوا: أو ما عززت علينا، لم يصح هذا

الجواب، ولا طابق"<sup>(٤)</sup>.

ويرى الزمخشري أنّ الآية بمعنى:

"لا تعزّ علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل، ونرفعك عن الرجم، وإنما يعزّ علينا رهطك لأنهم

من أهل ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا، وقد دلّ إيلاء ضميره حروف النفي على أن

(١) التعبير القرآني: ص ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) المثل السائر: ٢١٨/٢ .

(٣) الطراز: ص ٢٣٦ .

(٤) مفتاح العلوم: ص ٢٣٢ .

الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كأنه قيل: وما أنت علينا بعزيز، بل رهطك هم الأعزّة علينا، ولذلك قال في جوابهم: ﴿كَلِمَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّأُولِي الْبَصَائِرِ﴾<sup>(١)</sup>.

ويعلّل الزمخشريّ ذلك تعليلاً بارعاً قائلاً: "إنّ تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله، فحين عزّ عليهم رهطه دونه كان رهطه أعزّ عليهم من الله"<sup>(٢)</sup>.  
ومن التقديم قوله تعالى:

﴿لَمَّا سَأَلْنَا الْعَرَبَ عَنِ الْقُرْآنِ عَلَّمُوا سُبْحَانَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالُوا لَا يَكُونُ لَكَ بِهِ أَسْمَاءٌ إِلَّا أَنْ يُدْعَىٰ بِهَا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَىٰهَا سَأَلُوا بِمِثْلِهَا مُطَّاعِينَ وَقُلْ لِيُحْكَمَ مِنْكُمْ الْقَضَاءُ وَالْحُكْمُ أَكْبَرُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [هود: ٨]، حيث قدّم الظرف إشارة إلى شدة إقبالهم على الهزاء به حتى كأنهم لا يهزأون بغيره فقال: ﴿لِيُحْكَمَ مِنْكُمْ الْقَضَاءُ وَالْحُكْمُ أَكْبَرُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾<sup>(٣)</sup>.

ويرى الزركشي أنّ من أنواع التقديم والتأخير؛ التنقل من الأعلى إلى الأدنى كقوله تعالى في سورة آل عمران:

﴿لَمَّا سَأَلْنَا الْعَرَبَ عَنِ الْقُرْآنِ عَلَّمُوا سُبْحَانَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالُوا لَا يَكُونُ لَكَ بِهِ أَسْمَاءٌ إِلَّا أَنْ يُدْعَىٰ بِهَا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَىٰهَا سَأَلُوا بِمِثْلِهَا مُطَّاعِينَ وَقُلْ لِيُحْكَمَ مِنْكُمْ الْقَضَاءُ وَالْحُكْمُ أَكْبَرُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [آل عمران: ١٨].

ومثله في سورة هود تقديم ﴿مَرَّةً﴾ على ﴿سَبْعِينَ﴾ في قوله تعالى:

﴿لَمَّا سَأَلْنَا الْعَرَبَ عَنِ الْقُرْآنِ عَلَّمُوا سُبْحَانَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالُوا لَا يَكُونُ لَكَ بِهِ أَسْمَاءٌ إِلَّا أَنْ يُدْعَىٰ بِهَا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَىٰهَا سَأَلُوا بِمِثْلِهَا مُطَّاعِينَ وَقُلْ لِيُحْكَمَ مِنْكُمْ الْقَضَاءُ وَالْحُكْمُ أَكْبَرُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [هود: ٤٩].

فقد قدّم الرسول صلى الله عليه وسلّم على قومه في الآية الكريمة؛ لكونه الأعلى منزلةً، والأشرف مكانةً.

ويرى الزركشيّ كذلك أنّ من مقتضيات التقديم والتأخير الشرف؛ ومنها: "شرف الإدراك كتقديم السمع على البصر، والسميع على البصير؛ لأن السمع أشرف"<sup>(٤)</sup>.

ومن هذا التقديم في سورة هود تقديم ﴿إِنِّي أَعْلَمُ الْغَوَّابَ﴾ على ﴿بَرَاءةً﴾ في قوله تعالى:

(١) الكشاف: ٢٨٩/٢ ، نظم الدرر: ٥٦٨/٣.

(٢) الكشاف: ٢٨٩/٢ ، الإيضاح: ص ١٤٧.

(٣) نظم الدرر: ٥٠٧/٣.

(٤) البرهان في علوم القرآن: ٢٩٦/٣.



﴿ ١٩٤ ﴾ [هود: ٩٤].

وإذا تتبعنا الآيات السابقة فإننا نجد تقديم ﴿ ١٩٤ ﴾، و ﴿ ١٩٥ ﴾، و ﴿ ١٩٦ ﴾ على قوله تعالى: ﴿ ١٩٧ ﴾؛ لما يقتضيه أمر الشرف بالفضيلة، كيف لا؛ وهم الأنبياء، الأشرف منزلةً، والأسمى مكانةً، والأعلى رتبةً. ومنه تقديم ﴿ ١٩٨ ﴾ على ﴿ ١٩٩ ﴾ في قوله تعالى:

﴿ ١٩٩ ﴾ [هود: ٧].

وقوله تعالى:

﴿ ٢٠٠ ﴾ [هود: ١٠٧].

وقوله تعالى:

﴿ ٢٠١ ﴾ [هود: ١٠٨].

وقوله: ﴿ ٢٠٢ ﴾ [هود: ١٢٣].

"وهو كثيرٌ، وكثيراً ما تقع ﴿ ٢٠٢ ﴾ بلفظ الجَمْع، و ﴿ ٢٠٣ ﴾ لم تقع إلا مفردة"<sup>(١)</sup>.

وقد يكون التقديم بحسب الرتبة، وجعلوا منه تقديم (المغفرة) على (الرحمة) نحو قوله تعالى:

﴿ ٢٠٤ ﴾ [هود: ٤١].

والتعبير القرآني يمتلئ بمثل هذا التقديم، وفيه أورد السامرائي قوله:

"وسبب تقديم الغفور على الرحيم؛ أن المغفرة سلامة، والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة... وإيضاح ذلك؛ أن جميع الخلائق من الإنس، والجن، والحيوان، وغيرهم

(١) البرهان في علوم القرآن: ٢٩٩/٣.

محتاجون إلى رحمته، فهي برحمته تحيا وتعيش، وبرحمته تتراحم، وأما المغفرة فتخصّ المكلفين فالرحمة أعم<sup>(١)</sup>.

ومن التقديم؛ تقديم (الجنّ) على (الإنس) في قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَرْوَاحَ الَّذِينَ آمَنُوا وَأَطِيعُوا أَرْوَاحَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَطِيعُوا أَرْوَاحَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ لِيُذَمَّرَ لَهُمْ ۗ إِنَّهُمْ أَصْلَ شَرِّ ۗ﴾ [هود: ١١٩]، والله سبحانه وتعالى قدّمهم؛ "لأنّهم أصل في الشر"<sup>(٢)</sup>.

وقد تحدّث القرآن الكريم في آيات كثيرة عن الإنس والجنّ، ولكنّ الذي يلفت الانتباه ما نجده في النظم القرآنيّ البديع من تقديم الجنّ تارة، وتقديم الإنس أخرى، وذلك حسب السياق. "ففي سياق التحديّ بالقرآن يقدّم الإنس على الجنّ؛ لأنّ الإنس هم المقصودون بالتحديّ أولاً وقبل كلّ شيء، أما في سياق التحديّ بالنفوذ من أقطار السموات والأرض، فلقد قدّم الجنّ؛ لأنّهم أقدر على الحركة من الإنس. أما قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ آيَاتٍ أَنْ تَتَذَكَّرُوا ۗ أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ قَلِيلًا مِمَّا تُشْكُرُونَ ۗ﴾ [الذاريات: ٥٦]. فلقد قدّم ﴿ عِبَادَ اللَّهِ ﴾ على ﴿ سَائِرِ الْبَشَرِ ﴾؛ لأنه قد روعي السبق الزمنيّ؛ فإنّ الجنّ مخلوقون قبل الإنس"<sup>(٣)</sup>.

ومن أنواع التقديم ما يكون للسبق بالزمان. ويتمثل هذا النوع في قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۗ﴾ [هود: ٧١]؛ فإنّ ﴿ عِبَادَ اللَّهِ ﴾ عليه السلام هو ابن ﴿ سَائِرِ الْبَشَرِ ﴾، عليه السلام. والحديث الذي تناقله معظم العلماء يؤيّد ذلك، وهو قوله صلى الله عليه وسلم:

"الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام"<sup>(٤)</sup>.

أورد القرطبي ما يؤيّد ذلك قائلاً:

"لمّا ولد لإبراهيم إسماعيل من هاجر تمنّت سارة أن يكون لها ابن، وأيست لكبر سنّها، فبشّرت بولدٍ يكون نبياً ويولد نبياً، فكان هذا بشارة لها بأن ترى ولد ولدها"<sup>(٥)</sup>.

(١) التعبير القرآني: ص ٥٧.

(٢) نظم الدرر: ٥٩٠/٣.

(٣) إجاز القرآن الكريم: فضل حسن عباس، ص ٢٢٣.

(٤) صحيح البخاري: ١٤٨/٢، كتاب أحاديث الأنبياء، باب (١٨)، رقم الحديث (٣٣٨٢).

(٥) الجامع لإحكام القرآن: ٧٣/٩، انظر إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج: ٦٧٧/٢.

ومن التقديم للسبق بالزمان أيضاً؛ ترتيب أقوام الأنبياء في قوله تعالى:

﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَحُودٌ﴾ [هود: ٨٩]، فَذَكَرُ الْأَقْوَامَ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ رُتَّبَ حَسَبَ السَّبْقِ الزَّمَنِيِّ بَدْءاً بِقَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَلِيهِ قَوْمُ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ قَوْمُ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَخِيرًا قَوْمَ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيُسَمِّيهِ صَاحِبُ الطَّرَازِ: "التَّقَدُّمُ بِالزَّمَانِ"<sup>(١)</sup>.

ومن التقديم؛ تقديم ﴿عَلَى﴾ على ﴿عَلَى﴾ في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَفِي مَا وَعَدْنَاكَ بَأُولَئِكَ لَئِيْلَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ١٠٥].

يرى صاحب فتح القدير أنَّ عِلَّةَ تَقْدِيمِ الشَّقِيِّ عَلَى السَّعِيدِ؛ "لأنَّ المَقَامَ مَقَامَ تَحْذِيرٍ"<sup>(٢)</sup>.

ويرى الزركشي أنَّ تَقْدِيمِ الشَّقِيِّ عَلَى السَّعِيدِ مِنْ بَابِ: "الغلبة والكثرة"<sup>(٣)</sup>.

أما ابن قيم الجوزية فأورد في الآية الكريمة قوله:

"فإنَّه إنَّما قَدَّمَ الشَّقِيَّ؛ لأنَّ المَرَادَ بِهَذَا وَمَا قَبْلَهُ التَّخْوِيفَ"<sup>(٤)</sup>.

ومن نماذج التقديم والتأخير؛ تقديم أهل النار على أهل الجنة في قوله تعالى:

﴿وَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُّسْتَضَرِّمِينَ﴾ [هود: ١٠٦] وقوله:

﴿وَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُّسْتَضَرِّمِينَ﴾ [هود: ١٠٨]

ويورد ابن الأثير في هذا التقديم قوله:

"قَدَّمَ أَهْلَ النَّارِ فِي الذِّكْرِ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَهَذَا مُخَالَفٌ لِلْأَصْلِ الَّذِي أَصْلَتَهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ! فَالْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ: أَنَّ هَذَا الَّذِي أُشْرِتَ إِلَيْهِ فِي سُورَةِ هُودٍ وَمَا أَشْبَهَهُ لَهُ أَسْرَارٌ تَحْتَاجُ إِلَى فَضْلِ تَأَمُّلٍ، وَإِمْعَانِ نَظَرٍ حَتَّى تَفْهَمَ. أَمَّا هَذَا الْمَوْضِعُ فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ الْكَلَامُ مَسْوُوقًا فِي ذِكْرِ التَّخْوِيفِ وَالتَّحْذِيرِ وَجَاءَ عَلَى عَقْبِ قِصَصِ الْأَوْلِيَاءِ، وَمَا فَعَلَ اللَّهُ بِهِمْ مِنَ التَّعْذِيبِ وَالتَّذْمِيرِ، كَانَ

(١) الطراز: ص ٢٣١.

(٢) فتح القدير: ٦٥٥/١٢.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ٣٠٢/٣.

(٤) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان: ص ٩٥، البرهان في علوم القرآن: ٣١٦/٣.

الأليق أن يوصل الكلام بما يناسبه في المعنى، وهو ذكر أهل النار، فمن أجل ذلك قدّموا في الذكر على أهل الجنة" (١).

وفي قوله تعالى:

﴿ وَبَشِّرِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ إِذَا أُذِنُوا لِلْعَمَلِ إِذِنُوا وَهُمْ إِذَا نُذِرُوا ذُكِرُوا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ مِنَ الْجَنَّةِ فِي هَبْطٍ مُسْوًى ﴾ [هود: ١٠٥]، يرى صاحب فتح القدير أنّ تقديم الشقي على السعيد؛ لأنّ المقام مقام تحذير" (٢).

ويرى الزركشي أنّ تقديم الشقي على السعيد من باب "الغلبة والكثرة" (٣).

أما ابن قيم الجوزية فأورد في الآية الكريمة قوله:

"فإنّه إنّما قدّم الشقي؛ لأنّ المراد بهذا وما قبله التخويف" (٤).

وتناول كثير من العلماء تقديم ﴿ مَبْسُودٍ ﴾ على ﴿ سَرُوبٍ ﴾ في قوله تعالى:

﴿ وَبَشِّرِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ إِذَا أُذِنُوا لِلْعَمَلِ إِذِنُوا وَهُمْ إِذَا نُذِرُوا ذُكِرُوا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ مِنَ الْجَنَّةِ فِي هَبْطٍ مُسْوًى ﴾ [هود: ٧١].

قيل: "أصله: فبشرناها بإسحاق فضحكت، وقيل: ضحكت أي حاضت بعد الكبر عند البشري، فعادت إلى عادات النساء من الحيض، والحمل، والولادة" (٥).

وهذا ما ذكره السيوطي في قوله تعالى: ﴿ سَرُوبٍ ﴾ أي، "فبشرناها

ضحكت" (٦).

يرى الرازي أنّ هذه الآية الكريمة على التقديم والتأخير، والتقدير:

"وامراته قائمة فبشرناها بإسحاق، فضحكت سروراً بسبب تلك البشارة، فقدّم الضحك ومعناه التأخير" (٧).

(١) المثل السائر: ٢/٢٢٥.

(٢) فتح القدير: ١٢/٦٥٥.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ٣/٣٠٢.

(٤) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان: ص ٩٥، البرهان في علوم القرآن: ٣/٣١٦.

(٥) البرهان في علوم القرآن: ٣/٣٢٤.

(٦) الإتيان في علوم القرآن: ٣/٣٥ وتأويل مشكل القرآن: ص ٢٢٨.

(٧) تفسير الفخر الرازي: ١٢/٢٧. انظر، الجامع لأحكام القرآن: ٩/٧٠.





تقعون بسببه في العذاب الشديد من الله تعالى، كما وقع فيه أقوام الأنبياء المتقدمين، ثم إنَّه لما صحَّ مذهب نفسه بهذه الدلائل عاد إلى تقرير ما ذكره أولاً وهو التوحيد والمنع من البخس بقوله: ﴿ إِنَّا نَقَّضْنَاكَ ﴾. ثم بيَّن لهم أن سبق الكفر، والمعصية منهم لا ينبغي أن يمنعهم من الإيمان والطاعة؛ لأنه تعالى رحيم ودود يقبل الإيمان والتوبة من الكافر والفاسق؛ لأن رحمته لعباده وحبه لهم يوجب ذلك، وهذا التقرير في غاية الكمال<sup>(١)</sup>.

---

(١) تفسير الفخر الرازي: ٤٩/١٢.



﴿قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيُحْيَىٰ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْأَنْبِيَاءَ إِذْ قَالَ لَهُمْ اتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۗ﴾﴾ [الكهف: ٥٠].

وقوله تعالى:

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا نوحًا ذِكْرًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنِّي عَجُزٌ أَتَىٰ الْعِشْرَانِ أَثْقَالًا ۖ فَادْعُوا آلَكُمْ ۖ فادْعُوا آلَكُمْ ۖ فادْعُوا آلَكُمْ ۖ فادْعُوا آلَكُمْ ۖ﴾﴾ [طه: ١١٦].

وقوله تعالى:

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا عِيسَىٰ الْبُرْهَانَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنِّي عَجُزٌ أَتَىٰ الْعِشْرَانِ أَثْقَالًا ۖ فَادْعُوا آلَكُمْ ۖ فادْعُوا آلَكُمْ ۖ فادْعُوا آلَكُمْ ۖ فادْعُوا آلَكُمْ ۖ﴾﴾ [ص: ٧١].

وقوله تعالى: ﴿قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا هودًا الْبُرْهَانَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنِّي عَجُزٌ أَتَىٰ الْعِشْرَانِ أَثْقَالًا ۖ فَادْعُوا آلَكُمْ ۖ فادْعُوا آلَكُمْ ۖ فادْعُوا آلَكُمْ ۖ فادْعُوا آلَكُمْ ۖ﴾﴾ [ص: ٧٣].

وقوله تعالى:

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لوطًا الْبُرْهَانَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنِّي عَجُزٌ أَتَىٰ الْعِشْرَانِ أَثْقَالًا ۖ فَادْعُوا آلَكُمْ ۖ فادْعُوا آلَكُمْ ۖ فادْعُوا آلَكُمْ ۖ فادْعُوا آلَكُمْ ۖ﴾﴾ [ص: ٧٥].

ولعلَّ هذا الأمر يتجلَّى بوضوح خاصة في قصص الأولين من الأنبياء والرسل، وغيرهم التي قصَّها الله سبحانه وتعالى علي نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ونقل فيها الحوار الذي دار بين الأمم السابقة وأنبيائهم.

وإذا تمَّنَّنا ذلك في سورة هود عليه السلام؛ فإننا نجد القصص وقد نقلت إلينا مرتبة "ويتبع القصص في هذا خط سير التاريخ، فيبدأ بنوح، ثم هود، ثم صالح، ويلمُّ بإبراهيم في الطريق إلى لوط، ثم شعيب، ثم إشارة إلى موسى .. ويشير إلى الخط التاريخي؛ لأنه يذكر التالين بمصير السالفين على التوالي"<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن نتلمَّس ذلك في كثير من المشاهد في السورة، بيد أني أكتفي بمشهد واحد يرسم لنا استعمال الزمن، وكأننا نلمح لوحةً فنيَّةً ماثلةً أمامنا، وذلك في قوله تعالى:

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لوطًا الْبُرْهَانَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنِّي عَجُزٌ أَتَىٰ الْعِشْرَانِ أَثْقَالًا ۖ فَادْعُوا آلَكُمْ ۖ فادْعُوا آلَكُمْ ۖ فادْعُوا آلَكُمْ ۖ فادْعُوا آلَكُمْ ۖ﴾﴾ [هود: ٢٥].

"ولم يقل قال: إني...؛ لأنَّ التعبير القرآني يحيي المشهد فكأنما هو واقعة حاضرة، لا حكاية ماضية، وكأنَّما يقول لهم الآن ونحن نسمع ونشهد. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنه يلخِّص وظيفة الرسالة كلَّها، ويترجمها إلى حقيقة واحدة"<sup>(٢)</sup>.

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة العاشرة ١٩٨١م، ١٢/١٨٧٠.

(٢) المصدر السابق: ١٢/١٨٧١.

وإذا قلبنا صفحات سورة هود عليه السلام، وتقلنا بين آياتها فإننا - بلا أدنى شك - سنلمح استخدام الصيغ الفعلية بأزمنة مختلفة، و"لا شك أن استخدام الصيغ الفعلية بأزمنة مختلفة ضرب من التضاد الذي يحدث عناصر منكسرة تؤثر في السياق على نحو واضح، على اعتبار أن دلالة الزمن الماضي مضادة لدلالة الحاضر، ومن الطبيعي أن تختلف المعاني باختلاف الأزمنة؛ وذلك لأن الحدث لا يتحول إلى الفعلية إلا إذا اقترن بزمن، ومعلوم أن استخدام الأفعال بصور متباينة من حيث الزمن يحدث تضاداً فيما بين الأفعال ذاتها، وبينها وبين الصيغ الاسمية في عموم النص، من جهة أن الفعل يناقض الاسم لكونه حدثاً مرتبطاً بزمن، في حين أن الاسم حدث مجرد عن الزمن"<sup>(١)</sup>.

ومن خلال قراءتنا لسورة هود؛ فإننا نجد التحول من الماضي إلى الحاضر، أو الماضي إلى المستقبل، وهو ما يطلق عليه الأسلوبيون ثنائية (الماضي، الحاضر)، أو ثنائية (الماضي، المستقبل).

إن التحول في الأفعال من صيغة إلى صيغة أخرى من شأنه أن يمنع الكلام من الجريان على وتيرة واحدة، لذا فإنه ينطوي على منبهات أسلوبية ذات تأثير واسع في السياق، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن التباين في استخدام الأفعال يشي بنوع من التضاد على مستوى الخطاب، إذ التعبير بالماضي مضاد للتعبير بالحاضر، وكذلك صيغ الأمر تختلف عن صيغ المضارع، والماضي من جهة زمن الحدث، ويقع تضاد آخر بين الصيغ الاسمية، والفعلية؛ لأن الاسم غير الفعل، ولهذا كان التنوع في استخدام الأفعال بصيغها الثلاثة (الماضي والمضارع والأمر) مؤشراً أسلوبياً مهماً.

وإذا عدنا إلى أقسام الزمن في الأفعال، نجد أن علماء النحو قد قسموه إلى ثلاثة أقسام: ماضٍ، ومستقبل، ومضارع، وجعلوا لكل فعل حداً زمنياً ثابتاً، وعرفوه بأنه ما دلَّ على اقتران حدث بزمان، وشرع كثير منهم في بيان "أن الفعل ينقسم إلى: ماضٍ، ومضارع، وأمر"<sup>(٢)</sup>.

## أولاً - الفعل الماضي

ورغم جهود العلماء في هذا المضمار على مرّ السنين، إلا أن الإعجاز في الأفعال في القرآن الكريم يعجز عن الإتيان بها كبار العلماء.

(١) الأسلوبية وثنائية الدوائر البلاغية: ص ١٨٠.

(٢) شرح ابن عقيل: ٢٤/١.





﴿لَمَّا جَاءَ نُوحٌ بِآيَاتِنَا لِقَوْمِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَغَمَّ عَلَيْهِمْ وَنَادَىٰ بَيْنَهُمْ أَنِ امْكُمُوهَا فَمِ كَيْفَ كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [هود: ٤٤].

وقد وقع الفعل، و"أحكم الله الأمر، وفرغ منه بإهلاك قوم نوح، وإنجاز ما وعد به نبيه نوحاً عليه السلام من نجاته، ومن معه من المؤمنين"<sup>(١)</sup>، أو بمعنى "فرغ وانبتّ وانبرم في إهلاك من هلك، ونجاة من نجا كما أراد الجليل"<sup>(٢)</sup>.  
ومنه قوله تعالى:

﴿لَمَّا جَاءَ نُوحٌ بِآيَاتِنَا لِقَوْمِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَغَمَّ عَلَيْهِمْ وَنَادَىٰ بَيْنَهُمْ أَنِ امْكُمُوهَا فَمِ كَيْفَ كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [هود: ٥٨].

و"﴿لَمَّا﴾ بمعنى المضارع ننجيهم يوم القيامة، وإنما عبّر بالماضي عن المضارع لتحقق وقوعه فكانه حاصل واقع. فعبر عنه بالماضي"<sup>(٣)</sup>.  
ومنه قوله تعالى:

﴿لَمَّا جَاءَ نُوحٌ بِآيَاتِنَا لِقَوْمِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَغَمَّ عَلَيْهِمْ وَنَادَىٰ بَيْنَهُمْ أَنِ امْكُمُوهَا فَمِ كَيْفَ كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [هود: ٦٥].

فالفعل ﴿عقروها﴾ قد وقع فعلاً، والمعنى: "لم يمتثلوا الأمر من صالح ولا النهي، بل خالفوا كل ذلك فوقع منهم العقر"<sup>(٤)</sup>.  
وقيل: "ضربها قدار في رجليها فأوقعها، فذبحوها، واقتسموا لحمها"<sup>(٥)</sup>.  
ومنه كذلك قوله تعالى:

﴿لَمَّا جَاءَ نُوحٌ بِآيَاتِنَا لِقَوْمِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَغَمَّ عَلَيْهِمْ وَنَادَىٰ بَيْنَهُمْ أَنِ امْكُمُوهَا فَمِ كَيْفَ كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [هود: ٦٧].

"قيل صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة، وصوت كل شيء في الأرض فتقطعت قلوبهم وماتوا"<sup>(٦)</sup>.  
وقوله تعالى:

(١) معاني القرآن الكريم: ٢٦٩/٢.

(٢) نظم الدرر: ٥٣٣/٣.

(٣) معاني القرآن الكريم: ٢٧٦/٢.

(٤) فتح القدير: ٦٣٥/١٢.

(٥) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٤٥١/١٢.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ٦٣/٩ ، انظر نظم الدرر: ٥٥١/٣.





إنَّ القارئ للآيات الكريمة السابقة يلمح اثني عشر (١٢) فعلاً ماضياً وقعت فعلاً من خلال ما أورده لنا القرآن من قصص الأنبياء، وعقاب معارضيتهم، كما أنَّ من ينعم النظر، ويدقق في الفهم "يتذوق حلاوة التعبير، ويدرك جمال التركيب، وروعة الأداء في الأساليب القرآنية التي جاء فيها الفعل ماضياً مثبتاً، والجواب ماضياً مثبتاً غير مقترن بالفاء"<sup>(١)</sup>.

وإذا ما وقفنا مع قرآننا المجيد نجد أنَّ بعض الأفعال قد جاءت بصيغة الماضي من الناحية الزمنية ولكنها لم تحدث. والقرآن الكريم يتزيّن بمثل هذه النماذج خاصة التي تنقل لنا صورة القيامة، ومشاهد البعث. ومنها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى:

﴿لَمَّا سَأَلْنَا الْمَرءَاتِ ذَاتِ الْحُلُوفِ إِذَا نُصِرْنَ إِلَىٰ ذَٰلِكُنَّ أَن سَطَّ عَلَىٰ سَائِجِرَ الْجَنَّةِ مِن دُونِكُنَّ لَا يَأْكُلُنَّ مِنْ حَيْثُ سَطَّ عَلَيْهِنَّ مِنَ الشَّجَرِ أَنَّهُنَّ كُنَّ فِيهَا قَبْلَ هَٰذِهِ يَوْمَ السَّخَرِ﴾ [الزلزلة: ١-٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَىٰ عَصَىٰ آلِ هَارُونَ أَنَّهَا تَلْقَىٰ عَصَىٰكَ﴾ [الانفطار: ١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَىٰ عَصَىٰ آلِ هَارُونَ أَنَّهَا تَلْقَىٰ عَصَىٰكَ﴾ [عبس: ٢٣].

والآيات الكريمة التي يصف بها القرآن الكريم يوم القيامة لا تحصى عدداً. ومن هذا النوع في سورة هود قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا رَأَىٰ عَصَىٰ آلِ هَارُونَ أَنَّهَا تَلْقَىٰ عَصَىٰكَ﴾ [هود: ٩٨].

وقد استخدم القرآن الفعل الماضي ﴿لَمَّا رَأَىٰ عَصَىٰ آلِ هَارُونَ أَنَّهَا تَلْقَىٰ عَصَىٰكَ﴾؛ "لأنَّ الماضي يدلُّ على أمر موجود مقطوع به"<sup>(٢)</sup>. والفعل كما يدل سياق الآية جاء بصيغة الماضي، ولكنه لم يحدث بعد، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَىٰ عَصَىٰ آلِ هَارُونَ أَنَّهَا تَلْقَىٰ عَصَىٰكَ﴾ والمعنى هنا: "يكونون له تبعاً كما كانوا في الدنيا"<sup>(٣)</sup>.

## ثانياً - الفعل المضارع

وهو أحد أقسام الفعل، والمضارع هو:

"كلمة تدلُّ على أمرين معاً: معنى، وزمن صالح للحال أو الاستقبال، وعلامته أن يصلح لأن يلي لم"<sup>(٤)</sup>.

(١) من فيض الرحمن في بلاغة النحو في القرآن: ص ١١٦.

(٢) الكشف: ٢٩١/٢.

(٣) نظم الدرر: ٥٧٣/٣.

(٤) أوضح المسالك على ألفية ابن مالك: ابن هشام الأنصاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان،

الطبعة الخامسة ١٩٦٦، ٢١/١، شرح ابن عقيل: ٢٥/١.

والفرق بين المضارع في الإسناد الوضعي، وفي التنزيل الحكيم، أنّ الفعل المضارع في الإسناد الوضعي ينتهي بانتهاء الزمن والقائل، أما المضارع القرآني فهو فعل أزلّي باقٍ ثابت إلى أن يرث الله سبحانه وتعالى الأرض ومن عليها.

والأمثلة للمضارع في التنزيل الحكيم لا تحصى عدداً. واكتفي بذكر نموذج واحد وهو الفعل ( يعلم ) في قوله تعالى:

﴿ يَرِثُ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ [الحجرات: ١٨].

"فالفعل (يعلم) هو فعل خالد أبد الدهر ليس مقيداً بزمن المضارع فحسب، بل هو مطلق من الناحية الزمنية، وهذا من الإعجاز القرآني من الناحية الزمنية"<sup>(١)</sup>.

إنَّ سرَّ الإعجاز التركيبي في قرآنا الخالد العظيم أنَّ الأفعال المضارعة لا ترتبط بزمن، وهذا لا يمنع من وجود كثير من الأفعال المضارعة تدلُّ على الزمن الحاضر، ولكنها لم تحدث حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ومثال ذلك قوله تعالى:

﴿ يَرِثُ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ [الحجرات: ١٨].

[النساء: ١٢٤].

وفي الآية الكريمة "وعدّ من الخالق العظيم للمؤمنين الذين يعملون الصالحات بأن يدخلوا الجنة .... ونلاحظ أنّ الفعل المضارع ﴿ يَرِثُ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾ لم يقع حتى الآن، وجاء بلفظ المضارع دليلاً على إعجاز الزمن في القرآن الكريم"<sup>(٢)</sup>.

وإذا أنعمنا النظر في القرآن الكريم، وتتبعنا الفعل المضارع في آياته، نلاحظ أن المضارع جاء على ثلاثة أقسام، وكلّ قسم فيه إعجاز خاص، وهذه الأقسام هي:

"قسم حدث ويستمر حدوثه حتى يرث الله هذه الأرض ومن عليها، وقسم ثانٍ لم يحدث، وسوف يحدث بإذن الله بعد هذه الحياة الفانية، وقسم ثالث معجز في إخباره عن الغيب وتركيبه الخالق"<sup>(٣)</sup>.

وتتزين سورة هود عليه السلام – كغيرها من سور القرآن – بالأفعال المضارعة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر الفعل ﴿ يَرِثُ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾ في قوله تعالى:

(١) الإعجاز النحوي في القرآن الكريم: ص ١٧٧.

(٢) المصدر السابق: ص ١٩٠.

(٣) المصدر السابق: ص ١٩٢.

﴿ 4bqā'ā \$Br c rĀĀ \$B nā'ef Oq/\$60 bqa'ōpō ūm Vw 4mzB (qā:- Fōk' Odir%B bqā'ā Nā) Wk ﴾  
 ﴿ IrBĀ 9\$N#k 7 OŠte %qR ﴾ [هود: ٥]، وقوله: ﴿ 4bqā'ā \$Br c rĀĀ \$B nā'ef Oq/\$60 bqa'ōpō ūm Vw 4mzB (qā:- Fōk' Odir%B bqā'ā Nā) Wk ﴾ [هود: ٦].

"فالعالم خالد من الناحية الزمنية، كذلك ما يبدي الإنسان وما يخفي"<sup>(١)</sup>.

ومن الظاهر أنّ هذا القسم حدث، ويستمر حدوثه حتى يرث الله هذه الأرض ومن عليها، فالله سبحانه وتعالى لا تفاوت في علمه بين إسرارهم، وإعلانهم، فهو لا تخفي عليه خافية؛ لأنه أحاط بكل شيء علماً، كما أنها "صورة مفصلة للعلم الإلهي في تعلقه بالمخلوقات، يرتجف لها كيان الإنسان حين يحاول تصوّر ما بخياله الإنساني فلا يطيق"<sup>(٢)</sup>.

ومثال ذلك ﴿ rĀĀ c ﴾ و﴿ bqā'ā ﴾ في قوله تعالى:

﴿ 4bqā'ā \$Br c rĀĀ \$B nā'ef Oq/\$60 bqa'ōpō ūm Vw 4mzB (qā:- Fōk' Odir%B bqā'ā Nā) Wk ﴾  
 ﴿ IrBĀ 9\$N#k 7 OŠte %qR ﴾ [هود: ٥].

فالفعلان ﴿ rĀĀ c ﴾ و﴿ bqā'ā ﴾ فعلان مضارعان يحدثان، ويستمر حدوثهما حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فالإسرار، والإعلان طبيعتان من طبائع النفس البشرية. ومن ذلك أيضاً ﴿ br%Āf ﴾ في قوله تعالى:

﴿ brā'k te ūtĀ f\$ Nār % qā \$kqā'ir k \$ē'ōm `ā br%Āf c i% ﴾ [هود: ١٩].

فالصدّ عن دين الله، وطريقه المستقيم، وطلب سبيل الله معوجة من قبل المعارضين لدين الله، المنكرين للبعث والحساب مستمرٌ ما دامت السموات والأرض.

ولا يبتعد عن ذلك الفعلان ﴿ .i'ō ﴾ و﴿ Oīdmē ﴾ في قوله تعالى:

﴿ ..... i B `ā k Oīdmē ' k .i'ō v'ir (Nā ¼hī ' k)S 8 \$B c k'k k k 7 Eqā p' E - i AS% ﴾

[هود: ٤٧]، فالفعلان ﴿ .i'ō ﴾ و﴿ Oīdmē ﴾ من الأفعال المضارعة التي لا ترتبط بزمن، فهي أفعال أبدية معجزة.

(١) الإعجاز النحوي في القرآن الكريم: ص ١٧٧.

(٢) في ظلال القرآن: ١٨٥٦/١٢.

ومن المعلوم أنّ رحمة الله سبحانه وتعالى تغشى المخلوقات في الدنيا والآخرة، وما الرّحمة التي تكتنفنا إلا جزء يسير، ويؤيّد ذلك قوله صلى الله عليه وسلّم:

"إنّ الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة. فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلّهم رحمة واحدة. فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يبيّس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكلّ الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار"<sup>(١)</sup>.

ومثل ذلك الفعل المضارع ﴿يَرْجُو﴾ في قوله تعالى:

﴿يَرْجُو الْغَيْبَ﴾ [هود: ٥٢].

وكذلك ﴿يَرْجُو﴾ في قوله تعالى:

﴿يَرْجُو الْغَيْبَ﴾ [هود: ١٠٠].

وقوله في سورة يوسف:

﴿يَرْجُو الْغَيْبَ﴾ [يوسف: ٣]، "الفعل ﴿يَرْجُو﴾ مضارع لكنه خالدٌ، معجزٌ، مستمرٌ حتى يوم القيامة"<sup>(٢)</sup>.

ونفس المعنى تحمله الآية الكريمة:

﴿يَرْجُو الْغَيْبَ﴾ [هود: ١٢٠].

"وأشار بالتعبير بالمضارع في قوله: ﴿يَرْجُو الْغَيْبَ﴾ إلى أنّها قصصناها عليك في هذا الحال للمقصد المتقدم سنقصها عليك لغير ذلك من الأغراض في فنون البلاغة، وتصاريف الحكم"<sup>(٣)</sup>.

ومن الأفعال المضارعة الخالدة ﴿يَرْجُو﴾ و﴿يَرْجُو﴾ في قوله تعالى:

(١) صحيح البخاري: ٢٤٠/٣، كتاب الرقاق، باب (١٩) باب الرجاء مع الخوف، رقم الحديث (٦٤٦٩).

(٢) الإعجاز النحوي في القرآن الكريم: ص ١٨٩.

(٣) نظم الدرر: ٥٧٥/٣.

﴿ نَلَقَهُمْ بِرِجَالِهِمْ لَمَّا نَادَىٰ مِنْ فِيْءِ السَّمَاءِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ كَفَرْتُمْ بَعْدَ مَا عَاهَدْتُمْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ ۗ﴾ [هود: ١٠٩].

فهذان الفعلان لا يرتبطان بزمن معيّن، فالعبادة متواصلة في الليل والنهار، والله سبحانه وتعالى هو المعبود دائماً في كلّ الأزمنة، وفي كافة الأمكنة.

ومن أقسام المضارع ما لم يحدث بعد، ولكنه سيحدث بإذن الله بعد هذه الحياة الفانية، ويمثّل هذا القسم الأفعال التي ترتبط بالقيامة، والبعث والحساب. ومنها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى في سورة النبأ:

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ۗ﴾ [النبأ: ١٨].

أما في سورة هود فيتمثّل المضارع الذي لم يحدث بعد في الآيات الكريمة الآتية:

﴿ وَنَحْنُ نَعْلَمُ مَا نَفْسُهُمْ يَكْفُرُونَ ۗ﴾ [هود: ١٨].

﴿ وَنَحْنُ نَعْلَمُ مَا نَفْسُهُمْ يَكْفُرُونَ ۗ﴾ [هود: ٢٦].

﴿ وَنَحْنُ نَعْلَمُ مَا نَفْسُهُمْ يَكْفُرُونَ ۗ﴾ [هود: ٣٩].

﴿ وَنَحْنُ نَعْلَمُ مَا نَفْسُهُمْ يَكْفُرُونَ ۗ﴾ [هود: ٨٤].

﴿ وَنَحْنُ نَعْلَمُ مَا نَفْسُهُمْ يَكْفُرُونَ ۗ﴾ [هود: ٨٤].

﴿ وَنَحْنُ نَعْلَمُ مَا نَفْسُهُمْ يَكْفُرُونَ ۗ﴾ [هود: ٩٨]. والمعنى في هذه

الآية الكريمة: "يتقدّم أمامهم إلى النار يوم القيامة، كما كان يتقدّمهم في الدنيا"<sup>(١)</sup>.

ومنه قوله تعالى:

﴿ وَنَحْنُ نَعْلَمُ مَا نَفْسُهُمْ يَكْفُرُونَ ۗ﴾ [هود: ١١٩].

والمعنى: "تمّ أمر الله، ونفذ قضاؤه بأن يملأ جهنم من الجنّ والإنس من الكفرة الفجرة جميعاً"<sup>(١)</sup>. ومن المعلوم أنّ هذا الأمر — وهو ملء جهنم — لم يحدث بعد، لكنه سيحدث بإذن الله بعد هذه الحياة الفانية.

(١) صفوة التفاسير: ٢٩/٢.

## ثالثاً - فعل الأمر

يكاد يتفق معظم النحاة أن فعل الأمر في اللغة العربية يفيد المستقبل أبداً، ولكن الحقيقة الظاهرة أن أفعال الأمر في الأساليب الوضعية تدلُّ على المستقبل ولكنه مستقبل محدود ينتهي بانتهاء الأمر والطلب، فالفاعل، والمفعول، والأمر، والمأمور، ينتهيان بانتهاء القول والقائل، والزمن على حدِّ سواء" (٢).

وإذا كان الأمر في الأساليب الوضعية يدلُّ على المستقبل المحدود، فإن الأمر يختلف كثيراً في التعبير القرآني. أما الأفعال القرآنية فهي "أفعال معجزة خالدة خلود المعجز؛ لأنه من خلقه عزَّ وجلَّ... وفعل الأمر في القرآن فعل خالد خلود الدهر، معجز إعجازاً زمنياً لا ينقطع مطلقاً، وهذا سرُّ إعجازه" (٣).

ومن صيغ الأمر في سورة هود الفعل ﴿أمر﴾. ومن المعلوم أن هذا الأمر من الأفعال التي استخدمت للحثِّ على طاعة الله، والإيمان بوحدانيته.

وقد ورد بهذه الصيغة في القرآن الكريم في اثنتين وثلاثين وثلاث مائة مرة (٣٣٢) (٤)، منها ثلاث مرات (٣) في سورة هود عليه السلام في الآيات الآتية:

﴿أمر﴾ [هود: ١٣].

﴿أمر﴾ [هود: ٣٥].

﴿أمر﴾ [هود: ١٢١].

"والقارئ لهذه الآيات الكريمة التي جاء فيها فعل الأمر ﴿أمر﴾ يلحظ أن كلَّ آية معجزة في ذاتها، وإن اتفقت في الصيغ الزمنية من حيث كونها أمراً، ولكن لكلَّ آية هدفٌ سام، ولكلَّ أمر موقف خاص" (٥).

ويورد سيد قطب في فعل الأمر ﴿أمر﴾ قوله:

(١) صفوة التفاسير: ٣٤/٢.

(٢) الإعجاز النحوي في القرآن الكريم: ص ١٣٠.

(٣) المصدر السابق: ص ١٣٣.

(٤) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ص ٧٥٥-٧٦٠.

(٥) الإعجاز النحوي في القرآن الكريم: ص ١٤١.





ومن أفعال الأمر الخالدة في سورة هود أيضاً الأمر ﴿هُدًى﴾. وقد تكرر الفعل في القرآن الكريم بهذه الصيغة نفسها إحدى وعشرين مرة (٢١)، ثلاث منها (٣) في سورة هود عليه السلام<sup>(١)</sup> في الآيات الآتية:

﴿سُرِّبُوا هَدًى﴾ ﴿٥٠:٥٠﴾

﴿وَأَمْرٌ إِلَّا نَزَّلْنَا بِهَا عَذَابًا﴾ ﴿٦١:٦١﴾

﴿وَأَمْرٌ إِلَّا نَزَّلْنَا بِهَا عَذَابًا﴾ ﴿٨٤:٨٤﴾

ومن الأمر بالعبادة أيضاً، ولكن بصيغة أخرى؛ وهي صيغة ﴿تَعْبُدُوا﴾ التي وردت مرتين (٢) في التنزيل، واحدة (١) في سورة هود وهو قوله تعالى:

﴿وَتَعْبُدُوا﴾ ﴿١٢٣:١٢٣﴾

﴿وَتَعْبُدُوا﴾ ﴿٦٥:٦٥﴾

والأمر بالصبر من النماذج التي تكررت في الذكر الحكيم، ومنها صيغة ﴿صَبِرُوا﴾ التي وردت في القرآن تسع عشرة مرة (١٩)، منها مرتين (٢) في سورة هود في الآيتين الآتيتين:

﴿صَبِرُوا﴾ ﴿٤٩:٤٩﴾

﴿صَبِرُوا﴾ ﴿١١٥:١١٥﴾

وإذا قلبنا صفحات سورة هود عليه السلام، وأنعمنا النظر في آياتها، وتتبعنا صيغ الأمر فيها؛ فإننا نرى أن صيغ الأمر وردت في سورة هود عليه السلام ثلاثاً وأربعين مرة (٤٣)، منها ما تكرر أربع مرات (٤)، ومنها ما ورد ثلاثاً (٣)، وثالثاً ورد مرتين (٢)، بيد أن أكثرها ورد مرة واحدة. ويمكن بيان ذلك على النحو الآتي:

(١) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ص ١٣١، ١٣٢.

ما ورد أربع مرات (٤): وهو الأمر بالعبادة ﴿arbaʿa﴾ ، ﴿nabaʿa﴾ ، كذلك الأمر بالتوبة ﴿tuba﴾ ، والأمر بالاستغفار، ﴿rafāʿa﴾ و ﴿naraʿa﴾.

ما ورد ثلاث مرات (٣): وهو الأمر بالقول ﴿qala﴾.

ما ورد مرتين (٢): وهو الأمر بالصبر ﴿sabra﴾ ، والأمر بالركوب ﴿qāʿa﴾ و ﴿qāʿa = ʿa﴾ ، وكذلك الأمر بالعمل ﴿ʿamala﴾.

ما ورد مرة واحدة (١): ومن البدهي أن يتبوأ المكانة الأولى من حيث العدد، إذ ورد في السورة اثنتين وعشرين مرة (٢٢)، مرتباً كما ورد في السورة على النحو الآتي:  
(فأتوا، ادعوا، اعلموا، فأتوا، اصنع، احمل، ابلعي، واقلعي، واهبط، واشهدوا، وكيدوني، وذروها، وتمتعوا، وأعرض، واتقوا، وأسر، وأوفوا، وارقبوا، واستقم، وأقم، وانتظروا، وتوكل).

ومن خلال تتبعنا للأفعال في سورة هود عليه السلام؛ نجد أن الأفعال بأقسامها الثلاث الماضي والمضارع والأمر وردت في الآيات في أربعمئة وثلاثين (٤٣٠) موضعاً تقريباً. ويمكن بيان عدد تلك الأفعال، ونسبة تمثيلها في السورة من خلال الجدول الآتي:

الفعل	الماضي	المضارع	الأمر	المجموع
العدد	٢٠١	١٨٦	٤٣	٤٣٠
النسبة	%٤٦,٨	%٤٣,٢	%١٠	%١٠٠

وبعد هذه الرحلة القصيرة الممتعة والشيقة في جنبات سورة هود عليه السلام، و بعد هذا التمتع بالترحال بين الأفعال فيها، نلاحظ أن الأفعال فيها تمثلت بجميع أنواعها ( الماضي والمضارع والأمر)، كما نلاحظ أن الزمن فيها ينقسم إلى قسمين رئيسيين تمثلاً أصدق تمثيل :

"الأول: أفعال خالدة أبدية معجزة باقية منها ما هو مستمر، ومنها ما سيحدث في اللحد، ومنها ما سيحدث يوم البعث معجزة أنى للإسناد الوضعي الوصول إليها، أو حتى الإتيان بمثلها.

وقسم ثانياً وهي أفعال عادية كما قسّمها النحاة العرب تحتوي على الأزمنة الثلاثة – الماضي والمضارع والأمر – وجاء إعجازها فيما أخبرت عن الغيبيات، ونزلت على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، تقصُّ عليه قصص الأمم السابقة والغيبيات، وترسخ القاعدة الإسلامية بما تحتويه من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، شاملة لرسم حياة فاضلة شريفة خطّها لنا الخالق العظيم. وقد أخرجت العالم كافة من الظلمات إلى النور، والهداية ناشرة تعاليم الإسلام الخالدة"<sup>(١)</sup>.

---

(١) الإعجاز النحوي في القرآن الكريم: ص ٢٠٩.

# الفصل الرابع

## التصوير الفني في سورة هود

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: التصوير الفني المعتمد على الحقيقة

المبحث الثاني: التصوير البياني المعتمد على الخيال

الاستعارة، المجاز المرسل، التشبيه، الكناية، التعريض

المبحث الثالث: فنون البديع في سورة هود عليه السلام

## المبحث الأول

### التصوير الفني المعتمد على الحقيقة

القرآن الكريم حديفةً غنّاء بالتصوير الحقيقي، ومنهلٌ فيّاضٌ للتصوير الخيالي، وعالمٌ متكاملٌ يجمع بين الحقيقة والخيال. فإذا ما قلبنا صفحات القرآن فإنه بإمكاننا أن نلمح الحوادث المحسوسة، والمشاهد المنظورة كأنها لوحة فنية متكاملة نتلمس فيها الجمال، ونتحسس فيها الإبداع، ونرى فيها الحسن والبهاء، ونسمع فيها عذب الغناء، ونتذوق فيها الروعة والصفاء.

فالقرآن عالمٌ من سحر البيان، فيه الاستعارة التي سحرت القارئ، والتشبيه الذي يخلب ألباب السامعين، والكناية التي تبهر أفئدة المبدعين، والمجاز الذي يدهش مخيلة المعارضين، وفيه الصورة التي تعجز أرباب الفصاحة المتميزين، وتخرس ألسنة دعاة الحداثة المتطاولين، وتبطل دعاوى ملوك النفاق المرجفين، لا مكان للعشوائية التي يقع فيها الشعراء، ولا متسع للأخطاء التي يرسمها العلماء، ولا مساحة للألوان المجردة، والخطوط الجامدة.

وإذا أردت أن ترى قمة الإبداع في التصوير فلك أن تتلمس أي صورة كلية؛ لترى فيها الألوان المعجزة، وتسمع خلالها الأصوات العذبة، وتتحسس صوبها الحركات الرائعة، وتقف على مواضع الجمال المتفرقة، فتتابعها العين، والأذن، والخيال.

إنّ القرآن الكريم يحمل سمات منفردة، وخصائص متميزة في التعبير عن جميع الأغراض، وهذا ما أورده قطب قائلًا: "إنّ لهذا الكتاب العظيم خصائص مشتركة، وطريقة موحدة في التعبير عن جميع الأغراض، سواء أكان الغرض تبشيراً أم تحذيراً، قصة وقعت أو حادثاً سيقع، منطقاً للإقناع، أو دعوة إلى الإيمان، وصفاً للحياة الدنيا أو للحياة الأخرى، تمثيلاً لمحسوس أو ملموس، إبرازاً لظاهر أو لمضمّر، بياناً لخاطر في الضمير، أو لمشهد منظور"<sup>(١)</sup>.

وإذا انتقلنا إلى التصوير الفني في القرآن الكريم؛ فإننا نجد أنّ التصوير الفني هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، "التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسوسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية؛ وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة. فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة؛ وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد؛ وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية"<sup>(٢)</sup>.

(١) التصوير الفني في القرآن: ص ٣٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٦.

إنَّ المتنتقل بين آيات القرآن بإمكانه أن يرى المشاهد أمامه ماثلة، يسمع خلالها الأصوات، ويتابع الحركات، والسكنات، ويتفاعل مع القصص، والروايات فينسى المستمع أنَّ هذا الكلام يتلى، ويتخيَّل أنه مشهد يعرض، وحادث يقع، وشخص يتحرك في أمكنة ظاهرة، وأزمنة بائنة.

"فأمَّا الحوادث والمشاهد، والقصص، والمناظر، فيردها شاخصة حاضرة؛ فيها الحياة، وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كلُّ عناصر التخيل. فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة، وحتى ينقلهم نقلاً إلى مسرح الحوادث الأول الذي وقعت فيه أو ستقع حيث تتوالى المناظر، وتتجدد الحركات، وينسى المستمع أنَّ هذا كلامٌ يتلى، ومثلٌ يضرب، ويتخيَّل أنه منظرٌ يعرض، وحادثٌ يقع. فهذه شخص تروح على المسرح وتغدو، وهذه سمات الانفعال بشتى الوجدانات، المنبعثة من الموقف، المتساوقة مع الحوادث، وهذه كلمات تتحرك بها الألسنة فتتمُّ عن الأحاسيس المضمرة. إنها الحياة هنا، وليست حكاية الحياة"<sup>(١)</sup>.

إنَّ التصوير لون، وشكل، ومعنى، وحركة، وقد تكون الحركة أصعب ما فيه؛ لأنَّ تمثيلها يتوقف على ملكة الناظر، ولا يتوقف على ما يراه بعينه، ويدركه بظاهر حسِّه، ووصف الحركة كما يقول البلاغيون:

"من بديع التصويرات وجليلها؛ لأنَّ التقاطها وهي جادة في حركتها واضطرابها دليل المقدره والوعي وقوة الملاحظة، ثم تصويرها وهي تتحرك أعنى المحافظة على هذه الحركة الحيَّة الباعثة للنفس والتي تنفي عنها ملل الجمود ملكة أخرى"<sup>(٢)</sup>.

إنَّ الحديث عن التصوير الفني في القرآن الكريم يطول، وتأثيره في العقل والقلب يستحيل أن ينكره ذو لبٍّ، أو يجده صاحب رشد. فالتصوير في القرآن الكريم له جمالياته الفنية التي تؤثر في اللبِّ، والقلب معاً. فهي تخاطب الذهن في أرقى عملياته الفكرية والإدراكية، وتخرق كوامن الوجدان فترققه؛ حتى يصبح صافياً حياً، وناصباً متألقاً. ومن ثمَّ يكون المنطق التأثيري آخذاً بالنفس البشرية، متمكناً لجوانبها، وأبعادها.

إنَّ التصوير في القرآن ملمحٌ متكامل الأبعاد، محكم الجوانب، نرى فيه جمال التصوير، ونلمح روعة النظم، ونسمع عذب الموسيقى، ونتمتع فيه بجمال قطعة فنية بارعة. " لقد درس التعبير القرآني دراساتٍ مستفيضة وأولي من النظر ما لم يَنَلْهُ نص آخر في الدنيا، فقد درس من

(١) التصوير الفني في القرآن: ص ٣٦.

(٢) التصوير البياني: محمد أبو موسى، ص ٥١، ٥٢، منشورات جامعة قار يونس، الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

حيث تصويره فكان أجمل تصوير، وأبرع لوحةً فنيةً، ودرس من حيث نظمه وموسيقاه فكان أروع عقدٍ منظومٍ، وأعظم قطعةٍ فنيةٍ موسيقيةٍ. وهل يشكُّ أحدٌ في فخامة نظمه، وحلاوة موسيقاه، وعذوبة جرسه، وحسن اختيار ألفاظه، وجمال وقع آياته؟!<sup>(١)</sup>.

إنَّ التصوير الفنيَّ في القرآن ذو أبعاد متكاملة يتضافر في تحقيقه أمور شتى منها: اللفظ والجملة، والفاصلة، و"التصوير ملمح أساسي في النص القرآني يتضافر في تحقيقه اللفظ برنينه الصوتي، والجملة بتراكيبها المتنوعة، وبنغماتها الداخلية، والفاصلة بإيقاعها المتلائم مع النسق اللفظي، والسياق العام، والمشهد الحي بتكريس التصوير فيه إلى التجسيد الحي حركةً وتأثيراً... بل إنه ليتزقق عذب الإيقاع من آيات الأحكام والتشريع... وهذه المنظومة لجماليات التصوير تتوالى في سياق دلالي، فتعطي للمعنى عمقاً، وللهدف الديني نفاذاً إلى أعماق النفس البشرية فتَهزّها هزّاً"<sup>(٢)</sup>.

إنَّ الشمولية سمة ظاهرة في الجمال التصويري في القرآن الكريم في جوانب كثيرة تتألف جميعاً؛ لتعطي لنا هذا الجانب الغالب في القرآن الكريم، فتلمح فيه جمال التعبير الذي يتحقق من خلال التناسق في الدلالة، والتألف في المعنى، والتناغم في النسق، وتتللمس التناغم الموسيقي الذي ينساب من الحروف المتألّفة، والكلمات المتوازنة.

وينقل لنا سيد قطب مشهداً حياً من سورة هود عليه السلام يوضح براعة التصوير الفني "وهذا المشهد من قصة الطوفان: ﴿أَسْبَغَ إِتْرَافًا وَرَاغًا بَلْ أَتَى عَلَى الْكَافِرِينَ نَارُ الْمَوْجِ سَوَاحِلَ الْمُحْجَرِ أَيْ جَمْرًا﴾ [هود: ٤٢] وفي هذه اللحظة الرهيبة، تنتبّه في نوح عاطفة الأبوة، فإنَّ هناك ابناً له لم يؤمن، وإنه ليعلم أنه مغرّق مع المغرّقين. ولكن هاهو ذا الموج يطغى، فيتغلب (الإنسان) في نفس نوح على (النبي)، ويروح في لهفة وضراعة ينادي ابنه جاهراً: ﴿يَا بُنَيَّ اسْكُرْ آلَكَ وَخَصِمَكَ ذَرْبًاكَ﴾ [هود: ٤٢]. ولكن البنوّة العاقبة لا تحفل هذه الضراعة، والفتوة العاتية لا ترى الخلاص إلا في فتوتها: ﴿يَا بُنَيَّ اسْكُرْ آلَكَ وَخَصِمَكَ ذَرْبًاكَ﴾ [هود: ٤٣]، ثم ها هي الأبوة الملهوفة ترسل النداء الأخير: ﴿يَا بُنَيَّ اسْكُرْ آلَكَ وَخَصِمَكَ ذَرْبًاكَ﴾ [هود: ٤٣]، وفي لحظة تتغير صفحة الموقف، فها هي ذي الموجة العاتية تبتلع كلَّ شيء ﴿يَا بُنَيَّ اسْكُرْ آلَكَ وَخَصِمَكَ ذَرْبًاكَ﴾ [هود: ٤٣]<sup>(٣)</sup>.

(١) التعبير القرآني: ص ١٩.

(٢) من جماليات التصوير في القرآن الكريم: ص ٧.

(٣) التصوير الفني في القرآن: ص ٥٨.





## المبحث الثاني

### التصوير البياني المعتمد على الخيال

وتظهر ألوان البيان بكافة أنواعها في سورة هود عليه السلام، وألوان البيان التي ترسمها السورة الكريمة هي:

#### أولاً - الاستعارة:

هي أحد أبواب علم البيان. وقد تعددت تعريفاتها في مواضع شتى في مؤلفات علم البلاغة.

والاستعارة في اللغة مشتقة من الفعل (عَوَرَ) يقال: "استعار ثوباً فأعاره إيّاه ومنها قولهم: (كبر مستعار). وقد قيل مستعار بمعنى متعاور، أو متداول"<sup>(١)</sup>.

والاستعارة في الاصطلاح لها تعريفات عديدة، وأكاد أجزم أن جميع علماء البلاغة تنافسوا في وضع تعريفات لها تبيّن مفهومها لدى كبار رجال البلاغة العربية في عصورها المختلفة، وهي وإن اختلفت عباراتها فإنّها تكاد تكون متّفقة مضموناً.

ويورد ابن رشيق رأيّه في منزلة الاستعارة قائلاً:

"الاستعارة أفضل المجاز، وأوّل أبواب البديع، وليس في حلى الشعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها، ونزلت موضعها"<sup>(٢)</sup>.

وأكتفي بذكر بعض التعريفات إذ ليس هناك متّسع لذكرها جميعاً فقد عرفّها القاضي الجرجاني بقوله:

"ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصلي، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، وملاكها بقرب التشبيه، ومناسبة المستعار للمستعار له، وامتزاج اللفظ بالمعنى، حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر"<sup>(٣)</sup>.

أما أبو هلال العسكري فيرى أنّ المقصود من الاستعارة:

"نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض"<sup>(٤)</sup>.

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٧٦١/٢.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢٦٨/١.

(٣) المصدر السابق: ١٧٢/١.

(٤) الصناعتين: ص ٢٥٩.

أما السكاكي فيرى أنّ الاستعارة هي:

"أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعيًا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به"<sup>(١)</sup>.

ويكاد يتفق معظم المتأخرين في تعريف الاستعارة، ومن هذه التعريفات:

"استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي للكلمة، والمعنى الذي نقلت إليه الكلمة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي"<sup>(٢)</sup>.

ومنها كذلك: "هي التشبيه المضمّر يفي النفس المحذوف منه المشبه به الذي استعير للمشبه ثمّ رمز إليه بشيء من لوازمه وأسندت إلى المشبه"<sup>(٣)</sup>.

وإذا كنا نتحدث عن الاستعارة، فإنّه لا يمكن أن نخفل هنا مكانة الاستعارة في صناعة الشعر والأدب إذ من الواضح أنّ "الاستعارة واحدة من أصول صناعة الأدب والشعر، بل ومن أبرّ الوسائل البيانية بالحس الخفي، والشعور الغامض، والفكرة المتحجبة من حيث إنّها العون الأكبر على إبراز كل ذلك، والعبارة عنه"<sup>(٤)</sup>.

وقد جدّ كثير من البلاغيين في تحديد الأصول التي إذا راعاها الأديب والشاعر حسنت استعاراته... والعكس، وإن كان أمر تقنين حسن الاستعارة أمراً صعباً.

"وواضح أنّ تقنين حسن الاستعارة أمرٌ من الصعب تحديده تحديداً مستوفياً؛ لأنّ المسائل الجمالية لا تعطي مقادتها عطاءً مطلقاً للقواعد والقوانين. والمهم أن تتعرف على هذه المحاولات، ومدى الإصابتة فيها"<sup>(٥)</sup>.

ويكاد يتفق البلاغيون في هذا المجال حول نقطة ثابتة في قبول الاستعارة وحسنها وهي: "أن يكون الشبه بين الطرفين؛ ليكون المستعار له صالحاً لأن يجعل من المستعار، ويصير فرداً من أفرادها، وأن يعبر بالثاني عن الأول"<sup>(٦)</sup>.

أما إذا كان الشبه بعيداً والعلاقة خفيفةً لالتبس المراد، وانطمس طريق الدلالة.

(١) مفتاح العلوم: ص ٣٦٩ ، انظر النكت في إعجاز القرآن: ص ٨٥.

(٢) من بلاغة القرآن: محمد علوان، ص ٢١٤ ، التصوير البياني: ص ٢١٥.

(٣) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠٠م، ص ٩٩.

(٤) التصوير البياني: ص ٤٠٢.

(٥) المصدر السابق: ص ٤٠٤.

(٦) المصدر السابق: ص ٤٠٤.

يقول ابن رشيق: "إنهم إنما يستحسنون الاستعارة القريبة، وعلى ذلك مضى جلة العلماء، وبه أنت النصوص عنهم، وإذا استعير للشيء ما يقرب منه ويليق به كان أولى مما ليس منه في شيء" (١).

أما الرماني فيورد في هذا قوله:

"وكلُّ استعارة حسنة فهي توجب بيان لا تتوب منابه الحقيقة، وذلك أنه لو كان تقوم مقامه الحقيقة، كانت أولى به، ولم تجز الاستعارة" (٢).

ولا يستطيع أحد أن ينكر إعجاز القرآن في تناول الاستعارة، كما لا يستطيع أحد أن ينكر وفرتها في الكتاب الكريم، والسنة النبوية. ومنها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى:

﴿ وَمَنْ يَعْزِبْ عُيُوبَهُ يَعْزِبْ مَا يَتْلُو مِنَ الْقُرْآنِ وَالْغُيُوبُ كَالْأَعْرَافِ ۗ ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

وقوله تعالى:

﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصِمُ بِالَّذِينَ هُمْ يُؤْتُونَ الْأَمْثَالَ وَاللَّهُ فَاحِشٌ غَلِيظٌ ﴾ [الملك: ٧، ٨].

وقوله: ﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصِمُ بِالَّذِينَ هُمْ يُؤْتُونَ الْأَمْثَالَ وَاللَّهُ فَاحِشٌ غَلِيظٌ ﴾ [الحاقة: ١١].

وكثير من هذا لو تقصّي لطل جداً.

ومن السنة النبوية قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "الدنيا حلوة خضرة" (٣).

وقوله: "دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، وهي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين" (٤).

ومن أقوال الصحابة قول أبي بكر الصديق — رضي الله عنه — لخالد بن الوليد:

"فر من الشرف يتبعك الشرف"

(١) العمدة: ٢٦٩/١.

(٢) النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ص ٨٦.

(٣) صحيح مسلم: باب التقوى، رقم الحديث (٢٧٤٢).

(٤) سنن الترمذي: الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي — تعليق محمد ناصر الدين الألباني —

كتاب [٤٥] الدعوات، باب [٥٧]، رقم الحديث (٣٤٩٥) مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ص ٧٩٤.

وإذا قلبنا صفحات سورة هود، وتقلنا بين آياتها؛ وجدنا ضرباً متنوعاً للاستعارة، ففيها الاستعارة التبعية، والاستعارة التمثيلية، وفيها الاستعارة المكنية، والاستعارة التهكمية، وفيها الاستعارة التصريحية.

وسورة هود عليه السلام — كغيرها من سور القرآن — عامرة بالاستعارات، ففيها الاستعارة المكنية؛ والمقصود بها:

"أن تذكر المشبه وتريد به المشبه به دالاً على ذلك بنصب قرينة تنصبها وهي أن تنسب إليه وتضيف شيئاً من لوازم المشبه به المساوية"<sup>(١)</sup>.

ويرى بعضهم أن الاستعارة المكنية هي:

"ما حذف منها المشبه به (المستعار منه) وبقيت صفة من صفاته أو لازمة من لوازمه"<sup>(٢)</sup>.

والاستعارة المكنية في القرآن تكاد لكثرتها لا تحصى عدداً ومنها قوله تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْإِسْرَاءَ ﴾ [مريم: ٤].

وقوله تعالى في الإسراء:

﴿ وَجَاءَ الْوَيْلَ مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الإسراء: ٢٤]

وقوله: ﴿ وَجَاءَ الْوَيْلَ مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [التكوير: ١٨].

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم:

"اللهم اغسل خطاياي بماء الثلج والبرد"<sup>(٣)</sup>.

وفي الشعر نماذج رائعة للاستعارة المكنية أكتفي بذكر قول الهذلي:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع<sup>(٤)</sup>.

وفي سورة هود تقع أعيننا على الاستعارة المكنية في ﴿ وَجَاءَ الْوَيْلَ مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾

في قوله تعالى:

﴿ وَجَاءَ الْوَيْلَ مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [هود: ٩].

(١) مفتاح العلوم: ص ٣٧٨.

(٢) من بلاغة القرآن: محمد علوان، ص ٢١٦، انظر علم البيان: عتيق، ص ١٧٥.

(٣) سنن الترمذي: كتاب [٣٥] صفة القيامة والرقائق والورع، باب [٥٦]، رقم الحديث (٢٥١٠)، ص ٥٦٥.

(٤) البيت من الكامل وهو لأبي ذؤيب الهذلي.

ففي الإذاقة "استعارة مكنية؛ لأنه في الأصل تناول الشيء بالفم، ثم استعير للذات تشبيهاً لها بما يذاق، ثم يزول بسرعة كما تزول الطعوم"<sup>(١)</sup>.

والمراد هنا بالإذاقة:

"ما يتذوقه الإنسان من الشراب والأكل المحبوب، والمراد ما يدركه الإنسان، ويعطى له من النعم على سبيل المجاز"<sup>(٢)</sup>.

ويرى ابن عطية أن ﴿ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ﴾ ههنا مستعارة؛ لأنَّ (الرحمة) ههنا تعم جميع ما ينتفع به من مطعم، وملبوس، وجاه، وغير ذلك"<sup>(٣)</sup>.

ومثله قوله تعالى:

﴿ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ﴾ [هود: ١٠].

ومن الاستعارة المكنية نداء الأرض، والسماء كما ينادى العاقل، وأمرهما في قوله تعالى:

﴿ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ﴾ [هود: ٤٤].

"وفي هذه الآية قال تعالى منادياً الأرض والسماء، وأمرأ لهما كما ينادى العاقل، ويؤمر بعمل عمله فينفذه امتثالاً لأمر الله، وخشية منه"<sup>(٤)</sup>.

والحوار في هذه الآية يدور بين الله عزَّ وجلَّ من ناحية، وبين الأرض، والسماء من ناحية أخرى، وقد أضيف الحوار على هذه الآية الحياة والحركة، وبعث في الجمادات الحياة على سبيل الاستعارة المكنية.

ويورد القزويني في الاستعارة قوله:

﴿ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ﴾ و ﴿ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ﴾ مخاطباً لهما على سبيل الاستعارة، ثم استعار لغور [قعر] الماء في الأرض البلع الذي هو إعمال الجاذبة في المطعوم بجامع الذهاب إلى مقرِّ خفي"<sup>(٥)</sup>.

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٣٢١/١٢.

(٢) معاني القرآن الكريم: ٢٥٠/٢.

(٣) المحرر الوجيز: ١٥٣/٣.

(٤) معاني القرآن الكريم: ٢٦٨/٢، انظر العمدة: ٢٧٥/١.

(٥) الإيضاح: ص ٤٧١.

ويواصل القزويني حديثه قائلاً:

"واستتبع ذلك تشبيه الماء بالغذاء على سبيل الاستعارة بالكناية؛ لتقوي الأرض بالماء في الإنبات للزرع والأشجار؛ وجعل قرينة الاستعارة لفظ ﴿ OĒ#OS ﴾ لكونه موضوعاً للاستعمال في الغذاء دون الماء. ثم أمر على سبيل الاستعارة للشبه المقدم ذكره"<sup>(١)</sup>.

وقد فصل الدرويش الاستعارة المكنية في الآية الكريمة قائلاً:

"الاستعارة المكنية كائنة في نداء الأرض والسماء، بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التحضيض، والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات، وهو قوله: ﴿ U O#f ﴾ و ﴿ OĒ#OS ﴾ ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز، والعقل في قوله: ﴿ B#B OĒ#OS ﴾ و ﴿ OĒ#OS ﴾ من الدلالة على الاقتداء العظيم. والبلع: عبارة عن تغدير الماء وشربه في بطنها، مستعار لهذا المعنى من بلع الحيوان، أي: ازدراده لطعامه وشرابه، والبلع: هو أثر القوة الجاذبة في المطعوم لكمال الشبه بينهما، وهو الذهاب إلى مقرّ خفي، ومع هذا فهي قرينة للاستعارة المكنية التي في الماء، أي: استعارة الماء للغذاء لجامع تقوي الأرض بالماء في الإنبات تقوي الأكل بالطعام"<sup>(٢)</sup>.

ولعلَّ صاحب المفتاح برع كذلك في توضيح الاستعارة في الآية الكريمة قائلاً:

"قال جلَّ وعلا: ﴿ @S#u ﴾ على سبيل المجاز عن الإرادة الواقع بسببها قول القائل، وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد وهو: ﴿ U O#f ﴾ و ﴿ OĒ#OS ﴾، ثم قال كما ترى: ﴿ U O#f ﴾ و ﴿ OĒ#OS ﴾، مخاطباً لهما على سبيل الاستعارة للشبه المذكور، ثم استعار لغور الماء في الأرض البلع الذي هو إعمال الجاذبة في المطعوم للشبه بينهما، وهو الذهاب إلى مقر خفي، ثم استعار الماء للغذاء استعارة بالكناية تشبيهاً له بالغذاء؛ لتقوي الأرض بالماء في الإنبات للزرع والأشجار تقوي الأكل بالطعام، وجعل قرينة الاستعارة لفظة: ﴿ OĒ#OS ﴾، لكونها موضوعاً للاستعمال في الغذاء دون الماء، ثم أمر على سبيل الاستعارة، وخاطب في الأمر؛ ترشحاً لاستعارة النداء"<sup>(٣)</sup>.

(١) الإيضاح: ص ٢٧١، ٢٧٢.

(٢) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٤٣٤/١٢.

(٣) مفتاح العلوم: ص ٤١٨.

وتشخيص الجمادات، وبتُّ الحياة والحركة فيها سمة من سمات التعبير القرآنيّ التي تبهر الألباب، والحقيقة هي: "أنَّ هذه الريشة المبدعة ما مسَّت جامداً إلا نبض بالحياة، ولا عرضت مألوفاً إلا بدا جديداً، وتلك قدرة قادرة، ومعجزة ساحرة كسائر معجزات الحياة!"<sup>(١)</sup>. فالأرض والسماء مشهَّد مألوف مكرور، ولكنه في تعبير القرآن حيٌّ لم تشهده من قبل عينان، فهما شاخصان أمامنا يحاورهما الله عزَّ وجلَّ كما يحاور الإنسان العاقل.

ومن باب تشخيص المعنويات على سبيل الاستعارة المكنية قوله تعالى:

﴿ هود: ٧٤ ﴾

فقد شبهَّ ﴿ ١٤٩ ﴾ بمن يأتي منه الذهاب، وشبه ﴿ ١٥٥ ﴾ " ﴿ بمن يأتي منها المجيء بجامع الحركة في كلِّ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (الذهاب والمجيء). فالرُوع لا يأتي على الحقيقة وكذلك البشرى لا تجيء، بل هما أمران معنويان لا يتصفان بالحركة حتى ينسب إليهما المجيء والذهاب، وإنما شبههما الله تعالى بمن يأتي منه الذهاب، والمجيء على سبيل الاستعارة المكنية.

ومن المعلوم أنَّ ﴿ ١٤٩ ﴾ و ﴿ ١٥٥ ﴾ " مشهَّد مألوف مكرور، ولكنه في تعبير القرآن حيٌّ لم تشهده من قبل عينان.

ويبدو جمال هذه الاستعارة بما فيها من تشخيص للمعنويات في صورة إنسان، وخلع الحياة على هذه المعنويات، وبتُّ الحركة فيهما، ومعلوم أنَّ التشخيص يتمثل في:

"خلع الحياة على المواد الجامدة، والظواهر الطبيعية، والانفعالات؛ وتهب لهذه الأشياء كلّها عواطف آدمية، وخلجات إنسانية، تشارك بها الأدميين، وتأخذ منهم وتعطي، وتبتدي لهم في شتّى الملابس، وتجعلهم يحسون الحياة في كلِّ شيء تقع عليه العين، أو يتلبس به الحس، فيأنسون بهذا الوجود، أو يرهبونه في توفز [تعجّل]، وحساسية، وإرهاق"<sup>(٢)</sup>.

ولا يبتعد عن هذا قوله تعالى:

﴿ هود: ٨٧ ﴾

﴿ هود: ٨٧ ﴾

والصلاة في الآية الكريمة أمرٌ على سبيل الاستعارة.

(١) التصوير الفني في القرآن: ص ٢٥١.

(٢) المصدر السابق: ص ٧٣.





لآخر، بواسطة انتزاع شبه التضاد، وإحاقه بشبه التناسب، بطريق التهكم، أو التلميح ثم ادعاء أحدهما من جنس الآخر، والإفراد بالذكر، ونصب القرينة<sup>(١)</sup>.

ويرى السيوطي أنها من ضرب الاستعارة العنادية، "ومن العنادية التهكمية والتلميحية، وهما ما استعمل في ضد أو نقيض ونحو ذلك، وحاصل الاستعارة التهكمية، أن تستعمل الألفاظ الدالة على المدح في نقائصها من الذم والإهانة تهكماً بالمخاطب، وإنزالاً لقدره، وخطأً منه. ويطلق عليه البلاغيون كذلك؛ تأكيد الذم بما يشبه المدح، ومن هذا قوله تعالى في سورة هود:

﴿ رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ الْيَمَنِ كَانَ نَقِيضِيهِمَا مِنَ السَّيِّئِ الْغَوِيِّ ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومثله قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ نَبَأُ الْمَسِيحِ بَنِي مَرْيَمَ وَحَمِيمٌ وَعَلَىٰ عِزِّ رَبِّ لَقَدْ أَتَىٰ الْمَكَّةَ لِقَابِ رَبِّهِ بِالرَّبِّ الْكَذِّبِ لِيُظَاهِرَ فِي ذُنُوبِهِمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْوَيْلَ لَهُمْ مِنَ الْمَسِيحِ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِهِ فَغِيَّبْنَا آلَهُمْ لَعْنَةُ الْكَاذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٢١] بدل قوله: أنذرهم؛ لأن البشارة إنما تستعمل في الأمور المحمودة، والمراد ههنا: العذاب والويل. ومن الاستعارة التهكمية في سورة هود قوله تعالى:

﴿ رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ الْيَمَنِ كَانَ نَقِيضِيهِمَا مِنَ السَّيِّئِ الْغَوِيِّ ﴾ [هود: ٨٧].

وفي الآية مبالغة في التهكم على وجه يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به. "وأرادوا بقولهم: ﴿ رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ الْيَمَنِ كَانَ نَقِيضِيهِمَا مِنَ السَّيِّئِ الْغَوِيِّ ﴾، فحكوا ليهكّموا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال له: لو أبصرك حاتم لسجد لك"<sup>(٣)</sup>.

وقيل: "عنوا بذلك نسبتهم إلى السفه، والغى على طريق التهكم"<sup>(٤)</sup>.

وهذا الحديث هو ما أورده السكاكي قائلاً:

"وقول شعيب: ﴿ رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ الْيَمَنِ كَانَ نَقِيضِيهِمَا مِنَ السَّيِّئِ الْغَوِيِّ ﴾، ومما نحن فيه قولهم للشمس: جونة لشدة ضوئها، والجون الأسود، وللغراب: أعور لحدّة بصره"<sup>(٥)</sup>. ولم يبتعد صاحب الطراز كثيراً فأورد في هذه الآية الكريمة قوله:

(١) مفتاح العلوم: ص ٣٧٥.

(٢) الإتيان في علوم القرآن: ١٤٠/٣، الطراز: ص ١١٨.

(٣) الكشف: ٢٨٧/٢.

(٤) نظم الدرر: ٢٨٧/٢.

(٥) مفتاح العلوم: ص ٣٧٥.

"فلم يخرجوه على جهة استحقاقه للمدح بهاتين الصفتين مع كونه أهلاً لهما، وإنما أخرجوه مخرج الاستهزاء والتهكم بحاله، تمرّداً واستكباراً، وغرضهم إنك لأنت السقيّه الجاهل" (١).

ويرى آخرون أنّ قوله تعالى: ﴿ رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ الْيَمَنِ كَانَ يَتَّبِعُ الْكَلْبَ وَكَانَ يَتَّبِعُهُ الْكَلْبُ وَكَانَ يَتَّبِعُهُ الْكَلْبُ ﴾ فيه "مبالغة في التهكم والسخرية والاستهزاء بشعيب، وأكدوا ذلك بعدة مؤكّدات وهي: إن، واللام، والضمير المنفصل، ووصفه بالحلم، والرشد ورجاحة العقل، وحسن التدبير. وهم يقصدون من وراء ذلك، بأنّه إنسان مجنون سفيه لا يفقه شيئاً في سياسة تنمية الأموال، والغرض من ذلك التهكم والسخرية" (٢).

ولا يبتعد القرطبي عن هذا المعنى في الآية الكريمة ﴿ رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ الْيَمَنِ كَانَ يَتَّبِعُ الْكَلْبَ وَكَانَ يَتَّبِعُهُ الْكَلْبُ وَكَانَ يَتَّبِعُهُ الْكَلْبُ ﴾ "يعنون عند نفسك بزعمك؛ ومثله في صفة أبي جهل: ﴿ رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ الْيَمَنِ كَانَ يَتَّبِعُ الْكَلْبَ وَكَانَ يَتَّبِعُهُ الْكَلْبُ وَكَانَ يَتَّبِعُهُ الْكَلْبُ ﴾ [الدخان: ٤٩]، أي عند نفسك بزعمك. وقيل: قالوه على وجه الاستهزاء والسخرية.... وقيل هو تعريض أرادوا به السب" (٣).

وهنا يجدر الملاحظة "أنّ العرب تصف الشيء بضدّ صفته للتطير والتفاؤل، كقولهم للديغ: سليم، تطيراً من السقم، وتفاؤلاً بالسلامة، وللعطشان: ناهل؛ أي سينهل، يعنون: يروى. وللفلاة: مفازة؛ أي منجاة، وهي مهلكة. وللمبالغة في الوصف، كقولهم للشمس: جونة؛ لشدة ضوئها، وللغراب: أعور؛ لحدّة بصره. وللاستهزاء كقولهم للحبشي: أبو البيضاء، وللأبيض: أبو الجون" (٤).

أما الثعالبي فيرى أنّ قوله تعالى: ﴿ رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ الْيَمَنِ كَانَ يَتَّبِعُ الْكَلْبَ وَكَانَ يَتَّبِعُهُ الْكَلْبُ وَكَانَ يَتَّبِعُهُ الْكَلْبُ ﴾ "مدحٌ يراد به الذمّ فيجري مجرى التهكم والهزل، والعرب تفعل ذلك فتقول للرجل تستجهله: يا عاقل، وللمرأة تستقبحها: يا قمر" (٥).

(١) الطراز: ص ٤٧٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المكتبة العصرية، بيروت - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، ٤١٥/٢، انظر معاني القرآن الكريم: ٢٨٩/٢.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن: ٦٢/١٢، الجامع لأحكام القرآن: ٩١/٩، زاد المسير في علم التفسير: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى د.ت، ١٥٠/٤.

(٤) تأويل مشكل القرآن: ص ٢١٢، انظر الجامع لأحكام القرآن: ٩١/٩، مفتاح العلوم: ص ٣٨١.

(٥) فقه اللغة وأسرار العربية: ص ٢٤١، تأويل مشكل القرآن: ص ٢١٢.

والبلاغيون يطلقون على مثل هذا أنه استعارة عنادية، ومعناها "المضادة، والمناقضة، والعلاقة فيها المناقضة بين الأصل، والفرع. وهي قسمان: تهكمية، وتلميحية. ومن أمثلتها أن يقال للبخيل: هذا أجود من حاتم ليضحك عليه"<sup>(١)</sup>.

ومن الاستعارة التهكمية أيضاً ﴿ ۞ ﴾ في قوله تعالى:

﴿ ۞ ﴾ [هود: ٩٨].

والمراد بقوله: ﴿ ۞ ﴾ في الآية الكريمة:

"يورد أتباعه نار جهنم ويوصلهم إليها، وعبر بالماضي لتحقق الوقوع على سبيل الاستعارة التهكمية؛ لأنَّ وارد الماء ينتفع به، ووارد النار يحترق بلهيبها.... والأسلوب يفيد الذمَّ والتحقير لكل من يتزعم الضلال، ويقود الناس إلى الشر كما فعل فرعون الظالم لنفسه ولغيره"<sup>(٢)</sup>.

وفي هذه الآية استعارة مكنية، حيث تصوّر الآية الكريمة ﴿ ۞ ﴾ بالمنهل الذي يرده الناس، وقد حذف المشبه به هنا، ودلَّ عليه دليل، وهو قوله: ﴿ ۞ ﴾.

ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ ۞ ﴾ [القصص: ٢٣].

ويورد البقاعي في الآية الكريمة قوله:

"إنَّ الورد يراد لتسكين العطش وتبريد الأكباد، وهذا يفيد ضدَّ ذلك"<sup>(٣)</sup>.

ومثل هذا قوله سبحانه وتعالى:

﴿ ۞ ﴾ [هود: ٩٩].

والمعنى: بئس العطاء المعطى، أو العون المعان به. وهو أسلوب ذمٍّ وتقبيح فإنَّ "المرفود: الموهوب المعان، فكأنَّه جعل اللعنة عطاءً، وإعانة لهم"<sup>(٤)</sup>.

واعتبر الصابوني أنَّ قوله تعالى: ﴿ ۞ ﴾ فيه "استعارة مكنية؛ لأنَّ الورد

في الأصل يقال للمرور على الماء للاستسقاء منه، فشبَّه النار بماءٍ يورد، وحذف ذكر المشبه

(١) معارج الصعود إلى تفسير سورة هود: محمد الأمين الشنقيطي، ص ٢١٢، دار المجتمع، جدة، الطبعة

الأولى ١٩٨٨ ، انظر تأويل مشكل القرآن: ص ٢١٢.

(٢) معاني القرآن الكريم: ٢٩٤/٢.

(٣) نظم الدرر: ٥٧٣/٣ ، الكشاف: ٢٩١/٢.

(٤) معارج الصعود إلى تفسير سورة هود: ص ٢٣٩ ، نظم الدرر: ٥٧٣/٣ ، البحر المحيط: ٢٥٨/٥.

به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو الورود، وشبهه فرعون في تقدّمه على قومه بمنزلة من يتقدم على الواردين إلى الماء ليكسر العطش<sup>(١)</sup>.

ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى:

﴿ وَاللّٰهُ يَخْتَارُ حَيْثُ يَشَاءُ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ ذَكِيٌّ ۗ ﴾ [هود: ٩٨] وذلك؛ لأنّ الورد إنّما يورد لتسكين العطش، وتبريد الأكباد. وفي النار إلهاب للعطش، وتقطيع للأكباد.

وإذا عدنا إلى قوله تعالى:

﴿ وَإِنَّمَا كُنَّا لَكُمْ فَاكِرًا ۗ ﴾ [هود: ٨٠]؛ فإننا نجد أنّ كلمة ﴿فَاكِرًا﴾ من باب الاستعارة التصريحية حيث استعير للقوم، والعشيرة لفظ الركن لعلاقة المشابهة بينهما، وقد جعلهم ركناً له؛ "لأنّ الإنسان يلجأ إلى قبيلته، ويستند إلى أعوانه كما يستند إلى ركن البناء الرصين"<sup>(٢)</sup>.

### الاستعارة التمثيلية:

وتظهر لنا الاستعارة التمثيلية في مواضع عدّة في السورة، والمقصود بها: "اللفظ المركّب المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، وقرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي"<sup>(٣)</sup>. وسبق إلى هذا التعريف الخطيب القزويني الذي يرى أنّ الاستعارة التمثيلية هي:

"اللفظ المركّب المستعمل فيما شبّه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه، أي: تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى، تم تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه؛ فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه"<sup>(٤)</sup>.

ومن الاستعارة التمثيلية في التنزيل الحكيم قوله تعالى:

﴿ فَجَاءَ مِنْ عِبَادِكُمْ كَذِبَةٌ ۖ فَمِنْهُمْ يَضِلُّ ۗ ﴾ [فاطر: ١٩].

فقد ضرب الأعمى، والبصير مثلاً للمسيء، والمحسن.

وفي الشعر قول المتنبي:

(١) صفوة التفاسير: ٣٠/٢.

(٢) المصدر السابق: ٣٠/٢.

(٣) البلاغة التطبيقية دراسة تحليلية لعلم البيان: محمد رمضان الجربي، منشورات جامعة ناصر، الخمس –

الجمهورية العظمى، الطبعة الأولى ١٩٩٧م، ٢٦٥.

(٤) الإيضاح: ص ٤٣٨.





"خلع الحياة على المواد الجامدة، والظواهر الطبيعية، والانفعالات"<sup>(١)</sup>.

ومن هذا القبيل في سورة هود قوله تعالى:

﴿ وَفِي هَذِهِ آيَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ آلِهَتِهِمْ كَأَنَّهم كَالْآسِفَانِ الْغَاطِقَةِ أَلْتَمِيلُونَ ﴾ [هود: ٤٤].

"وفي هذه الآية قال تعالى منادياً الأرض والسماء، وأمراً لهما كما ينادى العاقل، ويؤمر بعمله فينفذه؛ امتثالاً لأمر الله، وخشية منه"<sup>(٢)</sup>.

وهذا من قبيل الاستعارة المكنية التي صورت الأرض، والسماء إنساناً عاقلاً يوجه إليهما الأمر، والنهي من الله سبحانه وتعالى فتستجيبا طائعتين لأوامره طاعة عمياء.

ومن الاستعارة المكنية كذلك ﴿ وَفِي هَذِهِ آيَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ آلِهَتِهِمْ كَأَنَّهم كَالْآسِفَانِ الْغَاطِقَةِ أَلْتَمِيلُونَ ﴾ في قوله تعالى:

﴿ وَفِي هَذِهِ آيَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ آلِهَتِهِمْ كَأَنَّهم كَالْآسِفَانِ الْغَاطِقَةِ أَلْتَمِيلُونَ ﴾ [هود: ٨٧]. و﴿ وَفِي هَذِهِ آيَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ آلِهَتِهِمْ كَأَنَّهم كَالْآسِفَانِ الْغَاطِقَةِ أَلْتَمِيلُونَ ﴾ في الآية الكريمة سواء

أكانت بمعنى الصلوات المفروضة، أم الدعوات أمرٌ معنوي كُسيت ثوب الحياة، وأبست رداء الإنسان العاقل الذي يأمر، وازدانت بالإضافة إلى ذلك بحلّة تشخيص المعنويات.

## ثانياً - المجاز المرسل والمجاز العقلي

### ١- المجاز المرسل:

ومن ألوان البيان في البلاغة العربية المجاز المرسل؛ وهو "ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه، وما وضع له ملابسةً غير التشبيه"<sup>(٣)</sup>.

وعرفه آخرون بقولهم: "هو نوع من المجاز اللغوي، وعلاقته غير المشابهة، بمعنى أنّ له عدّة علاقات باعتبارات مختلفة، ولهذا سمّي مرسلًا؛ لأنه أرسل، وأطلق من العلاقة الواحدة"<sup>(٤)</sup>.

### علاقات المجاز

وللمجاز المرسل علاقات كثيرة لم يتفق علماء البلاغة على عددها، وقد حاول المتأخرون تحديد علاقة الملابسة هذه التي لم يحاول عبد القاهر الجرجاني أن يحددها في علاقات معينة. ولكن محاولاتهم في جعلتها لم تصل إلى حقيقة فيها

(١) التصوير الفني في القرآن: ص ٧٣.

(٢) معاني القرآن الكريم: ٢٦٨/٢ ، انظر العمدة: ٢٧٥/١.

(٣) الإيضاح: ص ٣٧٩.

(٤) البلاغة التطبيقية دراسة تحليلية لعلم البيان: ص ٢٠٧.

قدر من الصلابة يصح أن تقف عندها، وإنما كانت كلها ناقصةً، فالخطيب يذكر ثماني علاقات، وابن الأثير يذكر عن أبي حامد الغزالي أربع عشرة علاقة أو قسماً...، ويذكر السيوطي، والزركشي غير هذا وذاك، ويشير بهاء السبكي إلى أنها عند بعضهم تزيد على ثلاثين علاقة<sup>(١)</sup>.

ويتزين القرآن الكريم، والسنة النبوية بنماذج للمجاز المرسل، كما يمتلئ الأدب العربي بأمثلة للمجاز المرسل أكتفي بذكر بعضها، ومنها قوله تعالى:

﴿ نزلنا الحديد في الحديد ﴾ [البقرة: ١٩].

وقوله تعالى:

﴿ المجادلة: ٣ ﴾ [المجادلة: ٣].

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

"من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر"<sup>(٢)</sup>.

وقول الشاعر<sup>(٣)</sup>:

أعلمه الرماية كل يوم  
وكم علمته نظم القوافي  
فلما اشتد ساعده رمانى  
فلما قال قافية هجاني

ويتمثل المجاز المرسل في سورة هود عليه السلام في مواضع كثيرة منها:

﴿ في قوله تعالى: ﴿

﴿

﴿ [هود: ٥].

(١) التصوير البياني: ص ٤٣٢ ، انظر الإيضاح: ص ٣٣٩ - ٤٠٤.

(٢) صحيح البخاري: الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه الجعفي البخاري - ترقيم وتبويب محمد فؤاد عبد الباقي - كتاب صلاة التراويح، باب [١] ، رقم الحديث (٢٠٠٩)، مطابع دار البيان الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، ٤٣٧/١.

(٣) البيتان من البحر الوافر، وهما لمعن بن أوس المزني.







ويرى آخرون أن ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ مجاز مرسل، و"﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ هنا بمعنى: لا معصوم، على سبيل المجاز اللغوي الذي علاقته المفعولية"<sup>(١)</sup>. وهذا رأي ابن قتيبة أيضاً الذي أورد في المجاز قوله:

"أسند اسم الفاعل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ إلى ضمير المفعول، إذ المعنى: لا معصوم اليوم من أمر الله إلا من رحمه. ومن علاقات المجاز المرسل التعلق الاشتقاقي؛ وهو إقامة صيغة مقام أخرى، ومنه إطلاق الفاعل على المفعول في قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ لا معصوم من أمره"<sup>(٢)</sup>.

واعتبار الآية من نماذج المجاز العقلي الذي علاقته المفعولية - حسب وجهة نظري - هو الأكثر دقة، ويبتعد كثيراً عن المجاز المرسل كما ذكر صاحب تأويل مشكل القرآن<sup>(٣)</sup>.

ويؤيد وجهة النظر تلك قوله تعالى:

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [الطارق: ٦] أي: مدفوق.

وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [القارعة: ٧]، أي: مرضية.

وقول الحطيئة يهجو الزبيرقان بن بدر:

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا  
وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي<sup>(٤)</sup>.

أي: المطعوم المكسو<sup>(٥)</sup>. إذ يستحيل عقلاً أن يكون غنياً.

ومنه كذلك قول النابغة الذبياني:

فبِتُ كَأَنَّي سَاوَرْتَنِي ضَيْلِيلَةً  
مِنَ الرَّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السَّمَّ نَاقِع<sup>(٦)</sup>.

أي: منقوع.

(١) معاني القرآن الكريم: ٢٦٨/٢.

(٢) تأويل مشكل القرآن: ص ٢٩٦.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٩٦.

(٤) البيت من البسيط للحطيئة في ديوانه من رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني: شرح لأبي سعيد السكري، دار صادر، بيروت - لبنان ١٩٨١م، ص ١٠٨.

(٥) انظر جامع البيان في تفسير القرآن: ٢٨/١٢، الجامع لأحكام القرآن: ٤١/٩، البلاغة التطبيقية: ص ١٩٣.

(٦) البيت من الطويل وهو للنابغة الذبياني.



ويورد الزمخشري في هذه الآية رأيه قائلاً:

"أريد بالنداء إرادة النداء، ولو أريد النداء نفسه فجاء كما جاء في قوله:  
﴿سُرَّتْ لِكُلِّ نَفْسٍ مِّنْهُم مَّا رَفَعُوا صَوَاهِرَهُمْ بِاللَّيْلِ إِذْ يَأْتِي السُّبْحَ أَكْثَرُ﴾ [مريم: ٣] - قال: ربّ بغير فاء"<sup>(١)</sup>.

ومن المجاز المرسل ﴿قَالَ﴾ في قوله تعالى:

﴿سَبَّحْتَ بِحَمْدِ رَبِّكَ اللَّيْلَ نَادِيَ السُّبْحِ﴾ [هود: ٥٩]. فقوله:  
﴿قَالَ﴾ المراد به: "عصوا رسولهم هوداً وفيه تفضيع لحالهم، وبيان أنّ عصيانهم  
له عصيان لجميع الرسل السابقين، واللاحقين، وهو مجاز مرسل من باب إطلاق الكلّ ،  
وإرادة البعض"<sup>(٢)</sup>.

وبعبارة أيسر فإنّ العلاقة في المجاز المرسل في قوله: ﴿قَالَ﴾ علاقة كليّة حيث  
أطلقت الآية الكريمة الكلّ؛ وهو كلمة ﴿قَالَ﴾، وأرادت الجزء وهو (الرسول هود عليه  
السلام)؛ لأنّ هوداً عليه السلام هو من أرسل إلى (عاد)، وهو يمثل جزء من جماعة الأنبياء.  
والسرّ البلاغي في جمع الرسل مع أنه لم يرسل إليهم غير هود عليه السلام؛ تفضيلاً  
لحالهم، وإظهاراً لكمال كفرهم، وعنادهم ببيان أنّ عصيانهم له عليه الصلاة والسلام عصيان  
لجميع الرسل السابقين، واللاحقين"<sup>(٣)</sup>.

ومن المجاز المرسل كذلك ﴿قَالَ﴾ في قوله تعالى:

﴿قَالَ﴾ [هود: ٦٣].

يرى بعض الدارسين أنّ كلمة ﴿قَالَ﴾ مجاز مرسل علاقته المسببيّة، والرحمة هنا:  
النبوة، "وسميت رحمة؛ لأنها سبب الرحمة، والخير للمؤمنين بها"<sup>(٤)</sup>.

(١) الكشاف: ٢٧٢/٢.

(٢) صفوة التفسير: ٢٤/٢.

(٣) تفسير أبي السعود: ٤٥/٣.

(٤) معاني القرآن الكريم: ٢٧٩/٢، انظر الجامع لأحكام القرآن: ٢٨/٩، تفسير أبي السعود: ٤٦/٣.

وبعبارة أخرى فإنَّ العلاقة في الآية الكريمة مسببيَّة، حيث أطلقت الآية المسبَّب وهو كلمة: ﴿ plāy ﴾ وأرادت السبب وهو: (النبوءة) التي هي سبب الرحمة، ويؤكد ذلك قوله تعالى مخاطباً رسوله الكريم:

﴿ Wēṭā \$Br ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ومن المجاز المرسل ما علاقته آليَّة "وهو تسمية الشيء باسم آله" (١).

ومنه ﴿ b\$ji # ﴾ في قوله تعالى:

﴿ Nāḥā \$Br ﴾ [إبراهيم: ٤].

والمعنى بلغة قومها، "فذكر اللسان وهو الآلة وأراد اللغة التي تؤدي به" (٢).

ويمثّل هذا النوع ﴿ ASrā Ḥ ﴾ و ﴿ b#i·U ﴾ في قوله تعالى في سورة هود:

﴿ ASrā Ḥ ﴾ [هود: ٨٤].

و ﴿ b#i·U ﴾ مجاز مرسل علاقته الآليَّة، حيث أطلقت الآية الآلة وهما

كلمتي: ﴿ ASrā Ḥ ﴾ و ﴿ b#i·U ﴾، وأرادت ما يوزن بهما أي: المكيل والموزون.

وهذا ما أورده الشنقيطي في الآية الكريمة قائلاً:

"والمراد بهما هنا: (المكيل) و(الموزون) من إطلاق الآلة على ما يعمل بها، والتعبير عن الشيء بآلته أسلوب عربي كما يقال للكلام لسان، ومنه قوله تعالى:

﴿ b\$ji # ﴾ [الشعراء: ٨٤]، وفي الصحيح أنّ الرسول صلى الله عليه

وسلم حينما نهى عن الربّا في الكيل قال: "وكذلك الميزان"، وهو من المجاز المرسل عند علماء البلاغة" (٣).

ومن المجاز المرسل كلمة ﴿ b#i·U ﴾ " في قوله تعالى:

(١) الإيضاح: ص ٤٠٣.

(٢) من بلاغة القرآن: محمد علوان، ص ٢١٢.

(٣) معارج الصعود إلى تفسير سورة هود: ص ٢٠٥.



ومن ناحية أخرى فقد وصف اليوم بالكبير؛ "لكبر ما فيه من العذاب ممن قدر على إثباتكم" (١)

ومن نماذج المجاز العقلي ﴿ ٥٥٩ ٥٥٩ ﴾ في قوله تعالى:

﴿ ٥٥٩ ٥٥٩ ﴾ [هود: ٢٦].

والعلاقة في المجاز هنا زمانية، وقد أسند العذاب إلى اليوم وهو يوم القيامة؛ لأنَّ هذا اليوم هو زمان العذاب.

ومن ناحية أخرى فقد "وصف اليوم بالأليم، مبالغةً في شدة العذاب يوم القيامة على سبيل المجاز العقلي" (٢).

فإذا كان اليوم مؤلماً، فما الظنُّ بما فيه من العذاب.

ومن المجاز العقلي أيضاً إسناد العمى إلى البينة في قوله تعالى:

﴿ ٥٥٩ ٥٥٩ ﴾ [هود: ٢٨].

وبيان ذلك أنَّ "في إسناد العمى إلى البينة مجاز عقلي، تنزيلاً لها منزلة من يعقل، وحقيقته: أنَّ الحجَّةَ والبينة جعلت بصيرة ومبصرة؛ لأنَّ الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره، فعميت عليكم البينة، فلم تهديكم" (٣).

ومن المجاز العقلي ﴿ ٥٥٩ ٥٥٩ ﴾ في قوله تعالى:

﴿ ٥٥٩ ٥٥٩ ﴾ [هود: ٤٣].

﴿ ٥٥٩ ٥٥٩ ﴾ [هود: ٤٣].

وقوله تعالى:

﴿ ٥٥٩ ٥٥٩ ﴾ مجاز عقلي، "فقد أسند اسم الفاعل ﴿ ٥٥٩ ٥٥٩ ﴾ إلى

المفعول من ﴿ ٥٥٩ ٥٥٩ ﴾ بمعنى: لا معصوم ومحفوظ من الغرق إلا الذي رحمه الله ونجَّاه، على

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٥٠٠/٢ ، تفسير أبي السعود: ٥/٣.

(٢) معاني القرآن الكريم: ٢٥٩/٢ ، انظر الإتيان في علوم القرآن: ١١٣/٢ ، نظم الدرر: ٥٢١/٢ ، تفسير

أبي السعود: ٢٣/٣.

(٣) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٤١٢/١٢.



طريق المجاز العقليّ الذي علاقته المفعولية، وقرينته الاستحالة العقلية؛ لأنّ الإنسان معصوم لا عاصم، إذ العاصم، والحافظ من الغرق هو الله القوي القادر، وفيها خذلان الضالين، والتهمُّ من الكافرين المعاندين<sup>(١)</sup>.

ومن المجاز العقلي ﴿ 5 rā ʕB ʕīr %āir ﴾ في قوله تعالى:

﴿ 5 rā ʕB ʕīr %āir s ʕīr (ʕsfr pll#d Nāz l #s ' ī (qāyʕs ASs) ʕdrā) pū ﴾ [هود: ٦٥]، "فالمكذوب الخبير الذي يخبر به الكاذب، ويخالف الواقع. وإسناد غير المكذوب إلى الوعد مجاز عقلي"<sup>(٢)</sup>.

ومن المجاز العقلي كذلك ﴿ ʕSĀ ʕ Pqf ﴾ في قوله تعالى:

﴿ ʕSĀ ʕ Pqf #k »pl ASs#r %ʕcʕE Nlʕ s-ʕE r Nlʕ āOĀ \$Uqʕ \$zʕB'a Oūāly \$B9r ﴾ [هود: ٧٧].

والعلاقة في هذا المجاز زمانية، وأصل التركيب الحقيقي: يوم عصيب هولُه وعذابه، والقرينة الاستحالة العقلية أن يوصف الزمان بأنّه عصيب، وإنّما الذي يوصف بذلك هو الهول، والعذاب الشديد الواقع في ذلك اليوم.

والمعنى سيكون يوماً عصبياً شديداً شرُّه وهولُه الذي سيقع فيه.

وهذا الإسناد "مجاز عقلي". قال نوح هذه العبارة في نفسه لما يعلم من سوء أخلاق قومه<sup>(٣)</sup>.

والعصيب: الشديد الذي يعصب الناس بالشر ومنه قول الشاعر:

يَوْمٌ عَصِيبٌ يَعْصِبُ الْأَبْطَالَ عَصَبَ الْقَوِيِّ السَّلْمَ الطُّوَالَا<sup>(٤)</sup>.

ومن المجاز العقلي ﴿ ʕīc ʕqf ﴾ في قوله تعالى:

﴿ ʕīc ʕqf ʕāzʕ ʕīr (ʕqīr m#9) ʕB Nāz 9 sB ʕ (r ʕā\$ʕq) f ASs% 4\$ʕp ʕd% & UīʕB 4#r ﴾

[هود: ٨٤]. ﴿ ʕīc ʕqf > #k ʕ Nāz ʕte \$% & pūr ʕr2 Nāz 1a & pūr 4b#U ʕqf ﴾

فقد "أسند الإحاطة لليوم مع أنّ اليوم ليس بجسمٍ باعتبار أنّ العذاب يكون فيه، فهو إسناد للزمان"<sup>(٥)</sup>.

(١) البلاغة التطبيقية: ص ١٩٣ ، انظر من بلاغة القرآن: ص ٢٠٣.

(٢) معاني القرآن الكريم: ٢٨٠/٢.

(٣) المصدر السابق: ٢٨٤/٢ ، انظر نظم الدرر: ٥٥٨/٣.

(٤) انظر، زاد المسير في علم التفسير: ١٣٦/٤.

(٥) صفوة التفاسير: ٣٠/٢.

ومعنى ذلك أنّ العلاقة في المجاز العقليّ زمانية، وأصل التركيب الحقيقي: يومٌ محيطٌ هولاه وعذابه، والقرينة الاستحالة العقلية أن يوصف الزمان بأنّه محيط، وإنّما الذي يوصف بذلك هو الهول الشديد، والعذاب المحيط بهم في ذلك اليوم. لكن وصف اليوم بالمحيط فيه مبالغة كبيرة، وذلك لأنّه؛ "محيط بما فيه من عذاب وغيره، والعذاب محيط بالمعذب فذكر المحيط بالمحيط أهول، وهو الدائر بالشيء من كلّ جانب"<sup>(١)</sup>.

وهذا نفسه ما أورده أبو السعود في تفسيره قائلاً:

"ووصف اليوم بالإحاطة وهي حال العذاب على الإسناد المجازي... فإنّ اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث، فإذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه"<sup>(٢)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكْفُرُ أَكْفَارًا وَمَا تَكْتُمُ الصَّالِحِينَ كِتْمَانًا يُغْنِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

[هود: ٨٧]. ﴿وَمَا يَكْفُرُ أَكْفَارًا وَمَا تَكْتُمُ الصَّالِحِينَ كِتْمَانًا يُغْنِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

المعنى أشياطينك، ووساوسك تأمرك بسبب صلواتك. فالأمر هنا حسب وجهة نظرهم الشياطين، والوساوس، والصلاة سبب.

ومن المعلوم أنّ: "العلاقة السببية في المجاز العقليّ يسند الفعل فيها إلى السبب الذي أدّى إليه"<sup>(٣)</sup>. وهذا ما أورده صاحب البلاغة التطبيقية قائلاً:

"إسناد الأمر للصلاة لمجاز عقليّ، علاقته السببية، وغايته السخرية والاستهزاء بشعيب وصلاته وأكّدوا هذا التهكم بالجملة المستأنفة ﴿وَمَا تَكْتُمُ الصَّالِحِينَ كِتْمَانًا يُغْنِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ المؤكدة بأربع مؤكدات: إنّ، والجملة الاسمية، واللام، وجملة القصر، وبالغوا في التهكم بقولهم: "الحليم الرشيد" أي الأحمق السقيّه على سبيل الاستعارة التهكمية العنادية"<sup>(٤)</sup>.

ومن المجاز العقلي ﴿وَمَا تَكْتُمُ الصَّالِحِينَ كِتْمَانًا يُغْنِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ قوله تعالى:

﴿وَمَا تَكْتُمُ الصَّالِحِينَ كِتْمَانًا يُغْنِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [هود: ٩٧]. ﴿وَمَا تَكْتُمُ الصَّالِحِينَ كِتْمَانًا يُغْنِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

(١) نظم الدرر: ٥٦٤/٣.

(٢) تفسير أبي السعود: ٥٧/٣.

(٣) من بلاغة القرآن: محمد علوان، ص ٢٠١، انظر علم البيان: عتيق، ص ١٤٧.

(٤) البلاغة التطبيقية: ص ١٩٩.

والعلاقة في قوله: ﴿قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: سَبِيَّةٌ كَذَلِكَ، "ففي إسناد الرشد إلى ضمير الأمر مجاز عقليّ علاقته السببية؛ لأنّ فرعون هو السبب في الأمر غير الرشيد، والمراد نفي الرشد والصواب عن فرعون ودعوته الباطلة، فكيف بالعقلاء أن يصدّقوه فيها" (١).

والذي يؤكّد أن أمره غير رشيد، ولاحميد العاقبة قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّكَ لِمَ حَرَّمْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ الْمَاءَ الْحَلَالَ بِغَيْرِ حَرْمٍ عَلَيْهِ؟ وَالرَّشْدُ مُسْتَعْمَلٌ فِي كُلِّ مَا يَحْمَدُ وَيَرْضَىٰ كَمَا يَسْتَعْمَلُ الْغَيُّ فِي كُلِّ مَا يَذْمُ وَيَتَسَخَطُ" (٢).  
وقبل مغادرة هذه اللون البياني أنقل ما أورده الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز حول القيمة البلاغية للمجاز العقلي. يقول:

"وهذا الضرب من المجاز على حدّته كنزٌ من كنوز البلاغة، ومادة الشاعر المفلق، والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان، والاتساع في طرق البيان، وأن يجيء بالكلام مطبوعاً مصنوعاً، وأن يضعه بعيد المرام، قريباً من الأفهام" (٣).

### ثالثاً - التشبيه:

التشبيه أحد ألوان البيان في البلاغة العربية، وقد تناول معظم علماء البلاغة هذا اللون، واستطردوا في شرح تقسيمات التشبيه، وضروبه. وتعمّق كثير من العلماء في رصد القيم الجمالية للتشبيه، وبيان مواطن الحسن والقبح، وإظهار محاسن التشبيه ونقده، وذكر أمثلة من مליح التشبيه، وعقيمه. والحديث حول التشبيه يطول، ويستحيل أن تحتويه صفحات معدودة، أو تستوعبه وريقات محدودة.

وتعريفات التشبيه لا تكاد تحصى عدداً، وإن كانت رغم كثرتها تلتقي جميعها في نقطة واحدة، أو تكاد تلتقي، وهذه النقطة هي مشاركة المشبه للمشبه به في صفة أو أكثر، ومن هذه التعريفات:

"التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهةٍ واحدةٍ، أو جهاتٍ كثيرةٍ لا من جميع جهاته؛ لأنّه لو ناسبه كليّةً لكان إيّاه" (٤).

(١) معاني القرآن الكريم: ٢٩٤/٢ ، انظر تفسير أبي السعود: ٦٥/٣.

(٢) الكشف: ٢٩١/٢.

(٣) دلائل الإعجاز: ص ٢٩٥.

(٤) العمدة: ٢٨٦/٢ ، الإيضاح: ص ٣٢٨.

أما الهاشمي فلا يخرج عن سابقه فالتشبيه عنده هو: "الدلالة على أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بواسطة أداة من أدوات التشبيه"<sup>(١)</sup>.

أما القيمة الجمالية للتشبيه فلا يمكن أن يغفلها أحد، فالتشبيه باب من أبواب البلاغة أتى عليه النقاد قديماً وحديثاً وذلك؛ "لما له من أثر عظيم في بناء الصورة الأدبية، ورسم اللوحة الفنية الرائعة المؤثرة في العواطف، والمشاعر الإنسانية؛ لأن التشبيه من الفنون التصويرية يضيف بهاءً وجلالاً على الأسلوب، ويمنحه الطرافة، والجدة، والابتكار، ويخلع عليه القوة، والمتعة، والحركة، والنشاط"<sup>(٢)</sup>.

أما القزويني فقد أورد في القيمة الفنية للتشبيه هو قوله:

"فاعلم أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره، وفخامة أمره في فن البلاغة، وأن تعقيب المعاني به — لاسيما قسم التمثيل منه — يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحاً كانت، أو ذمماً، أو افتخاراً، أو غير ذلك"<sup>(٣)</sup>.

ويدور الهاشمي في نفس الدائرة حيث يرى أن: "للتشبيه موقفاً حسناً في البلاغة — وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدناؤه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعةً ووضوحاً، ويكسبها توكيداً وفضلاً، ويكسوها شرفاً ونبلاً. فهو فن واسع النطاق، فسيح الخطوة، ممتد الحواشي، متشعب الأطراف، متوعر المسلك، غامض المدرك، دقيق المجرى، غزير الجدوى"<sup>(٤)</sup>.

إن القرآن الكريم زاخرٌ بالتشبيهات، والقرآن الكريم يهدف من خلال استخدام التشبيه إلى التصوير، والتأثير معاً بحيث تمثل أماننا الصورة البيانية كأنها مرئية.

إن بلاغة التشبيه تكمن في تحقيق ما أريد به من التحقيق بين الشئيين، أو الوقوف على مدى التقريب بينهما، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا، إلى أي مدى وصلت بلاغة التشبيه في القرآن؟ وإلى أي حد أثرت الصورة البلاغية القرآنية من خلال هذا التشبيه؟ والإجابة عن هذين السؤالين أن "التشبيهات في القرآن لم تقف عند مجرد تسجيل وجوه الشبه المادية بين الأشياء؛ بل تجاوزتها إلى المماثلة النفسية، وتعمقتها حتى أضفت عليها حياة شاخصة، وحركة متجددة، فانقلب المعنى الذهني إلى هيئة أو حركة، وتجمت الحالة النفسية في لوحة أو مشهد.

(١) جواهر البلاغة: ص ٢١٩.

(٢) البلاغة التطبيقية: ص ١٢٦.

(٣) الإيضاح: ص ٣٢٨، ٣٢٩، البرهان في علوم القرآن: ٤٧٢/٣.

(٤) جواهر البلاغة: ص ٢١٩.

وليس هذا فحسب، بل يُبرز جمال التشبيه القرآنيّ ما فيه من إبداع في العرض، وجمال في التنسيق، وروعة في النظم والتأليف، وجرس في الألفاظ يدلُّ على صورة معانيها<sup>(١)</sup>.

وإلى جانب ذلك فإننا نلمح الدقّة والتحديد في اختيار الألفاظ الموحية والمؤثرة، كما نلمح قوّة العاطفة، وحرارتها، وتنوعها. وبعيداً عن المقارنة بين تشبيهات القرآن، والتشبيهات الأخرى، فإنّ التشبيهات القرآنية مطبوعة، وليست مصنوعة، مؤثرة في العواطف الإنسانية في كلّ الأمكنة، وفي جميع الأزمان.

**التشبيه التمثيلي:** ويظهر في سورة هود في قوله تعالى:

﴿brāq ʔ Xālik 4xWB B̄šf̄f̄p̄p̄ @p d 475U; 9# I·Ā·V̄0# 0|¹ F # 4p̄āF %2 Ēus)fiy0#0#WB﴾ [هود: ٢٤].

وقد تعدّدت آراء العلماء في هذا التشبيه، فمنهم من رأى أنه من التشبيه المفرد، ومنهم من رأى أنه من التشبيه المركب (التمثيلي)، ويمكن بيان ذلك على النحو الآتي:

يرى القرطبيّ والطبري أنّ التقدير في الآية الكريمة:

"مثل فريق الكافر كالأعمى والأصم، ومثل فريق المؤمن كالسميع والبصير"<sup>(٢)</sup>.

أما الزمخشريّ فأورد في الآية الكريمة قوله:

"شبهه فريق الكافرين بالأعمى والأصمّ، وفريق المؤمنين بالسميع والبصير، وهو من اللّف والطباق وفيه معنيان: أن يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب. وأن يشبه بالذي جمع بين العمى والصمّ أو الذي جمع بين البصر والسمع، على أن تكون الواو في ﴿F # 0|¹﴾، وفي ﴿9# I·Ā·V̄0# 0|¹﴾ لعطف الصفة على الصفة"<sup>(٣)</sup>.

ويتناول تمام حسان الآية الكريمة: ﴿I·Ā·V̄0# 0|¹ F # 4p̄āF %2 Ēus)fiy0#0#WB﴾

﴿brāq ʔ Xālik 4xWB B̄šf̄f̄p̄p̄ @p d 475U; 9#﴾ أسلوبياً قائلاً:

"على الرغم من أنّ في الآية أربعة ألفاظ عطف لاحقها على سابقها نرى الفارق العقليّ بين الاثنين (الممثلة في الفريقين ويستويان) وبين الأربعة (الممثلة في الألفاظ المتعاطفة) يحكم بأنّ العطف من قبيل عطف الصفات لا عطف الأفراد ويجعل المعنى: مثل الفريقين كالأعمى والأصمّ

(١) الصورة الأدبية في القرآن الكريم: صلاح الدين عبد التواب، الشركة المصرية العالمية للنشر — لونجمان —

القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، ص ٤٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٢٥/٩، جامع البيان: ١٦/١٢، زاد المسير: ٩٣/٤.

(٣) الكشف: ٢٦٤/٢.





والمراد هنا: "موج الطوفان، شبّه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها"<sup>(١)</sup>. وقيل:

"شبهه بالجبال في عظمه وارتفاعه ويقال: إنّ الماء ارتفع على أطول جبل في الأرض أربعين ذراعاً، ويروى خمسة عشر ذراعاً. وذكر بعض المفسرين أنّه ارتفع نحو السماء سبعين فرسخاً من الأرض"<sup>(٢)</sup>.

أما قوله: ﴿إِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْوَالِدِ فَآتِنَا مِنْهُ خَيْرًا مِنْ أُولَىٰ لَهُمْ﴾ فإنه "يدلُّ على أنّ الموج كان ظرفاً لهم، وهم مظروفون فيه. وكانت السفينة تسبح بهم في الماء كالسمكة"<sup>(٣)</sup>.

وإذا أنعمنا النظر في الآية الكريمة ندرك للوهلة الأولى أنّ التشبيه في قوله: ﴿إِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْوَالِدِ فَآتِنَا مِنْهُ خَيْرًا مِنْ أُولَىٰ لَهُمْ﴾ لم يقف عند مجرد إظهار المشابهة بين الموج والجبال في الضخامة والارتفاع، بل تجاوزتها إلى المماثلة النفسية، وتعمّقتها حتى أضفت عليها حياة شاخصة، وأواناً ناطقة، وأصواتاً مسموعة، وحركةً متجددةً، فانقلب المعنى الذهنيّ إلى هيئةٍ أوحركة، وتجسّمت الحالة النفسية في لوحةٍ أو مشهد. وليس هذا فحسب، بل يُبرز جمال التشبيه القرآنيّ ما فيه من إبداع في العرض يقف أمامه المصورون حائرين، وجمال في التنسيق يتوقف لكماله المبدعون عاجزين، وروعة في النظم، والتأليف يخترُّ أرباب البلاغة لسماعه ساجدين.

إنّ تشبيهات القرآن الكريم أيّاً كان وجهها صور بيانية، تتضح منها الحقائق الظاهرة، والمعاني العاطفة، كأنها أمور محسوسة مرئية، خاصة إذا كان المشبه به أمراً محسوساً، ومن المعلوم أنّه: "إذا كان التشبيه بأمر محسوس كانت الصورة البيانية كأنها مرئية واضحة، فمفردات الصورة تعطينا أبعاد المشهد في تكوين يحتوي عناصر المتعة والجمال"<sup>(٤)</sup>.

إنّ التشبيه في الآية الكريمة ﴿إِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْوَالِدِ فَآتِنَا مِنْهُ خَيْرًا مِنْ أُولَىٰ لَهُمْ﴾ لم يقف عند مجرد تسجيل وجه الشبه الماديّ بين الموج والجبال؛ بل تجاوز ذلك إلى المماثلة النفسية، أضف إلى ذلك جمال التنسيق، وروعة النظم، وهذا ما أورده صلاح عبد التواب قائلاً:

"إنّ التشبيهات في القرآن لم تقف عند مجرد تسجيل وجوه الشبه المادية بين الأشياء؛ بل تجاوزتها إلى المماثلة النفسية، وتعمّقتها حتى أضفت عليها حياة شاخصة، وحركة متجددة، فانقلب المعنى الذهنيّ إلى هيئةٍ أو حركة، وتجسّمت الحالة النفسية في لوحةٍ أو مشهدٍ. وليس هذا

(١) الكشف: ٢٧٠/٢، البحر المحيط: ٢٢٤/٥.

(٢) زاد المسير: ١٠٩/٤، البحر المحيط: ٢٢٥/٥، تفسير القرآن العظيم: ٤٠٦/٢.

(٣) البحر المحيط: ٢٢٤/٥.

(٤) من جماليات التصوير في القرآن الكريم: محمد قطب عبد العال، سلسلة كتاب دعوة للحق، العدد ١٤٧، قطاع الإعلام والثقافة برابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة ١٤١٥ هـ، ص ٨١.



فحسب، بل يُبرز جمال التشبيه القرآني ما فيه من إبداع في العرض، وجمال في التنسيق، وروعة في النظم والتأليف، وجرس في الألفاظ يدل على صورة معانيها<sup>(١)</sup>. وفي هذا التشبيه هناك سؤال يطرح نفسه دائماً وهو:

ما سرُّ خلود هذا التشبيه؟ وما العناصر والأسباب التي مكنت هذا التشبيه من البقاء والاستمرار؟ ولعلَّ الإجابة عن ذلك: "أنَّ القرآن استمدَّ عناصر تشبيهاته من الطبيعة سواء أكانت حيواناً، أم نباتاً، أم جماداً، ومادامت الطبيعة باقية بقيت الحياة، يلمسها الإنسان، ويشاهدها ويتفاعل معها، فالتشبيهات القرآنية خالدة؛ لأنها مستمدة من البيئة، ومؤثرة في العواطف الإنسانية تأثيراً قوياً ترغيباً أو ترهيباً"<sup>(٢)</sup>.

ومن الواضح أنَّ هذا التشبيه استمدَّ عناصره من الطبيعة الجامدة والباقية ما بقيت الحياة وهي: ﴿AS&E 033﴾.

### التشبيه الضمني:

والتشبيه الضمني هو الذي يفهم من فحوى الكلام، وسياق الحديث، ولم يصرح فيه بأركان التشبيه، ولم يأت على الطريقة المألوفة المتعارف عليها في أسلوب التشبيه، وإنما يكون دليلاً لإثبات أمر غريب يدعى حصوله، أو تعليلاً لحكم عجيب يدعى إمكانه. وينظر إلى التشبيه الضمني على أنه:

"تشبيه لا يوضع فيه المشبه، والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمحان في التركيب، ويفهمان من المعنى، وهذا النوع يؤتى به ليفيد أنَّ الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن"<sup>(٣)</sup>.

وفي سورة هود يتجلى التشبيه الضمني في قوله تعالى:

﴿4U #k p05809 03 p>D&C&09#k 0B k \$ErB `B Omb% \$Br Cj of \$'i 5i ilE ea (qRqf N9 y7f9rE 033﴾

[هود: ٢٠] ﴿br&C& (qR2 \$Br y d; 9\$toq&UGp0 (qR% \$B﴾

حيث شبههم في فرط تصاممهم عن استماع الحق ونبوهم أسمعهم عنه بمن لا يستطيع السمع.

(١) الصورة الأدبية في القرآن الكريم: ص ٤٥.

(٢) البلاغة التطبيقية: ص ١٣٨.

(٣) جواهر البلاغة: ص ٢٤٢.

ومثله في الشعر أمثلة كثيرة أكتفي بقول ابن المعتز<sup>(١)</sup>:

اصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الْحَسْوِ      دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ  
فَالنَّارُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا      إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ

وهذا التشبيه "أنفذ في النفوس والخواطر؛ لاكتفائه بالتمليح مما يزيد من قوة تأثيره"<sup>(٢)</sup>.  
وفي قوله:

﴿ brāq 8 X sī 4 xWB BSYFfP d @d 4Y5U; 9# I·A 70# 0| F # 4pāF \$2 Bū) /y0S@WB ﴾ [هود: ٢٤]

وفي هذا التشبيه "صورة حسية تتجسم فيها حالة الفريقين. والفريق الأول كالأعمى لا يرى وكالأصم لا يسمع – والذي يعطل حواسه وجوارحه عن الغاية الكبرى منها، وهي أن تكون أدوات موصلة للقلب والعقل؛ ليدرك ويتدبر فكأنما هو محروم من تلك الجوارح والحواس. والفريق الثاني كالبصير يرى، وكالسميع يسمع، فيهديه بصره، وسمعه"<sup>(٣)</sup>.

ولعلَّ قوله تعالى: ﴿ xWB BSYFfP d @d ﴾ سؤال بعد الصورة المجسمة لا يحتاج إلى إجابة؛ لأنها إجابة مقررة"<sup>(٤)</sup>.

## رابعاً – الكناية:

"الكناية طريقة من طرائق البلاغة، وهي من الصور البلاغية التي لا يصل إليها إلا من لطف طبعه، وصفت قريحته، ولها من أسباب البلاغة في ميدان التصوير الأدبي ما يجعلها دائمة الإشراق، واضحة المعالم، دقيقة التعبير والتصوير، فهي تأتي بالفكرة مصحوبةً بدليلها، والقضية وفي طيها برهانها"<sup>(٥)</sup>.

والكناية من أساليب البيان التي لا يقوى عليها إلا كلُّ بليغٍ متمرسٍ بفن القول، وهي اللون الرابع من ألوان البيان والكناية: "لفظٌ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذٍ"<sup>(٦)</sup>.  
وقد سبق السكاكي إلى تعريف الكناية قائلاً:

(١) البيتان من مجزوء الكامل، وهما لابن المعتز في ديوانه، شرح: يوسف شكري فرحات، دار الجيل،

بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٥م، ص ٥٧٩.

(٢) من بلاغة القرآن: محمد علوان، ص ١٧٧.

(٣) في ظلال القرآن: ١٢/١٨٦٨.

(٤) المصدر السابق: ١٢/١٨٦٨.

(٥) الصورة الأدبية في القرآن الكريم: ص ٦٧، ٦٨.

(٦) الإيضاح: ص ٤٥٦.

"هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه؛ لينتقل من المذكور إلى المتروك"<sup>(١)</sup>.

وقد قرن أبو هلال العسكري الكناية بالتعريض قائلاً:

"وهو أن يكنى عن الشيء ويعرض به ولا يصرح على حسب ما عملوا بالتورية عن الشيء"<sup>(٢)</sup>.

أما الإمام عبد القاهر الجرجاني فقد عبّر عن الكناية بصورة أخرى قائلاً:

"أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه، وردفه في الوجود فيوميء به إليه، ويجعله دليلاً عليه"<sup>(٣)</sup>.

إنّ المتتبع لتعريفات الكناية يجد أنّ معظم علماء البلاغة قد اتفقوا على نماذج محدّدة مثل: (هو طويل النجاد) و (كثير رماد القدر)<sup>(٤)</sup>.

وتنقسم الكناية باعتبار المكني إلى ثلاثة أقسام: كناية عن صفة، وكناية عن موصوف، وكناية عن نسبة، و"المطلوب بالكناية لا يخرج عن أقسام ثلاثة؛ أحدها: طلب نفس الموصوف، وثانيها: طلب نفس الصفة، وثالثها: تخصيص الصفة بالموصوف"<sup>(٥)</sup>.

ونحن نتحدث عن الكناية علينا ألا نغفل بلاغتها، وتكمن قيمة الكناية البلاغية، وسرّ جمالها في إمكان تناولها دون حرج أو لوم. فهي كما يرى الميداني:

"أسلوب ذكي من أساليب التعبير عن المراد بطريقة غير مباشرة، وهي من أجمل وأبداع فنون الأدب، ولا يستطيع تصيّد الجميل النادر منها، ووضعه في الموضع الملائم لمقتضى الحال إلا أدكياء البلغاء، وفطناؤهم، وممارسو التعبير عما يريدون التعبير عنه بطرق جميلة بديعة غير مباشرة"<sup>(٦)</sup>.

ويرسم الهاشمي لوحة بارعة في بلاغة الكناية قائلاً:

"الكناية من ألطف أساليب البلاغة وأدقّها، وهي أبلغ من الحقيقة والتصريح؛ لأنّ الانتقال فيها يكون من الملزوم إلى اللازم، فهو كالّدعوى بيّنة... كيف لا؛ وأنها تمكّن الإنسان من التعبير عن أمور كثيرة يتحاشى الإفصاح بذكرها، إما احتراماً للمخاطب، أو للإيهام على

(١) مفتاح العلوم: ص ٤٠٢.

(٢) الصناعتين: ص ٤٠٧.

(٣) دلائل الإعجاز: ص ٦٦.

(٤) انظر مفتاح العلوم: ص ٤٠٢.

(٥) المصدر السابق: ص ٤٠٣.

(٦) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ١٤١/٢.





أو "مبالغة في الحفظ، والرعاية على طريق التمثيل" (١).

ومن الكناية كلمة ﴿ B ٠ ﴾ في قوله تعالى:

﴿ 40ms ` B ٠ ﴾ ، و ﴿ B ٠ ﴾ هنا: "كناية عن اسم الله تعالى، المعنى: لا عاصم اليوم إلا الذي رحمنا" (٢).  
ومن الكناية أيضاً قوله تعالى:

﴿ uũh9\$Dq ﴾ [هود: ٤٤].

"فإنه لم يصرِّح بمن أغاض الماء، ولا بمن قضى الأمر، وسوَّى السفينة، ولا بمن قال: ﴿ #eç`Skr ﴾. كما لم يصرِّح بقائل: ﴿ OÉhã alyj | fr BãB OÉhãD ٠ ﴾ في صدر الآية سلوكاً في كل واحد من ذلك سبيل الكناية" (٣).

ومن الكناية المهذبة ﴿ fêk ðB O[çb) A ٠ ﴾ في قوله تعالى:

﴿ uũh9\$Dq | MRkr ; sB%ãr bjr ' fêk ðB O[çb) A ٠ | A\$) u /S Oqç 3 ðSRr ﴾ [هود: ٤٥].  
فلم يجرؤ العبد الصالح وهو في سفينته وسط الأمواج على الدعاء لابنه العاصي تصريحاً، بل كنى بـ ﴿ fêk ðB O[çb) A ٠ ﴾، والآية تحمل في طياتها قمة التذلل، والخضوع لله سبحانه وتعالى.

ومن الكناية عن المذنبين كلمة ﴿ uũh9\$Dq ﴾ في قوله تعالى:

﴿ b| y7ãk pñ (Nue 4in7 y79 S B Çup Xù (8h' (tã eha Vqr) (s fêk ðB S B Vqr) Sqzãf | A\$) ﴾ [هود: ٤٦].  
فكلمة ﴿ uũh9\$Dq ﴾ كناية عن الذنب، و"جعل الجهل كناية عن الذنب مشهوراً في القرآن" (٤). ومثله قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام:

﴿ uũh9\$Dq | B bqãk b| k \$ Eqãk | A\$) ﴾ [البقرة: ٦٧].

(١) نظم الدرر: ٥٢٩/٣.

(٢) المحرر الوجيز: ١٧٥/٣.

(٣) جواهر البلاغة: ص ٣١٩ ، مفتاح العلوم: ص ٤١٨، ٤١٩.

(٤) تفسير الفخر الرازي: ٥/١٢.

ومن الكناية أيضاً ﴿سَرَّابًا﴾ في قوله تعالى:

﴿سَرَّابًا﴾ [هود: ٥٨].  
و﴿سَرَّابًا﴾ كناية عن العذاب، وهذا ما اتَّفَق عليه معظم العلماء ومنهم صاحب البحر المحيط الذي أورد قوله: "والأمر واحد الأمور فيكون كناية عن العذاب، أو عن القضاء بهلاكهم"<sup>(١)</sup>.  
ومثلها تماماً ﴿وَدَّارًا﴾ في قوله تعالى:

﴿وَدَّارًا﴾ [هود: ٧٦].  
والأمر أيضاً كما في الآية السابقة "كناية عن العذاب الذي قضاه الله لهم"<sup>(٢)</sup>.  
ومن الصور الكنائية قوله تعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْحَمِيمِينَ﴾ [هود: ٧٩].  
وهي كناية عن إتيان الذكور، وهذه عادة سيئة التصقت بقوم لوط، وفي الكناية "إشارة خبيثة إلى العمل الخبيث"<sup>(٣)</sup>.

ومن الصور الكنائية كذلك ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ في قوله تعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٨٤].  
و"الكناية في الآية الكريمة عن الهلاك"<sup>(٤)</sup>.

والسؤال الذي يطرح هنا هو: ما سرُّ وصف اليوم في الآية بـ ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ والعدول

عن استخدام ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ كما في قوله تعالى في الزخرف:

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الزخرف: ٦٥]، أو  
﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٥].  
مثلاً؟ والجواب عن هذا السؤال هنا أن:

(١) البحر المحيط: ٢٣٥/٥ ، صفوة التفسير: ٢٤/٢.

(٢) صفوة التفسير: ٢٩/٢.

(٣) في ظلال القرآن: ١٩١٤/١٢ ، الكشاف: ٢٨٣/٢ ، فتح القدير: ٦٤٢/١٢.

(٤) معارج الصعود إلى تفسير سورة هود: ص ٢٠٧.







ربط بينهما في التعريف قائلاً في الكناية والتعريض: "وهو أن يكنى عن الشيء، ويعرض به، ولا يصرّح على حسب ما عملوا باللحن والتورية عن الشيء" (١).

أما صاحب الطراز فيرى أنّ التعريض: هو "المعنى الحاصل عند اللفظ لا به" (٢).

والتعريض باب من أبواب البلاغة، والأدب، والبيان، ينبئ عن ذكاء حاد، وعبقرية وقادة، وحسّ مرهف، ومقدرة فائقة بمواطن الإحساس والتأثير في المشاعر الإنسانية لإصابة الهدف والمرمى من طرف خفيّ مع شدّة الإصابة، وتحقيق الغاية المرجوة بمزيد من اللطف من ناحية، ورغبة في البعد عن التصريح من ناحية أخرى، و"العرب تستعمله في كلامها كثيراً، فتبلغ إرادتها بوجه هو أطف، وأحسن من الكشف، والتصريح، ويعييون الرجل إذا كان يكتشف في كلّ شيء" (٣).

ومن التعريض في خطبة النساء أن يقول الرجل للمرأة: "والله إنك لجميلة، ولعلّ الله أن يرزقك بعلاً صالحاً، وإن النساء لمن حاجتي، هذا وأشباهه من الكلام" (٤).

ويعمر القرآن الكريم بالتعريض خاصة في معرض الحديث عن الكفرة، والملحدين بهدف الاستهزاء، والازدراء، وهذا نفسه ما نلمحه في سورة هود، وفي القرآن الكريم كثير من التعريضات بأحوال الكفرة، والملحدين وردت على سبيل التهكم والسخرية، وإسقاط المنزلة وحطّ القدر، وموضعها دقيقة تستخرج بالفكر الصافي، والرسوم في قدم البلاغة" (٥).

ولعلّ من أمثلة التعريض التي تكرّرت في معظم المؤلفات القديمة، والحديثة على السواء؛ قوله تعالى:

﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَدَىٰ آدَمُ ابْنَهُ زَيْنًا سَوِيًّا قَالَ لِيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَمَّا قَامَ بِالْبُرْجِ يَرَاهُ إِخْتِصَامَ ظِلْفَيْتٍ يَخْتَبِئِ ﴿٦٢﴾ وَقَدْ أَضَلَّتْ سَبِيلَ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾

[الأنبياء: ٦٢، ٦٣]

وفي سورة هود أمثلة معدودة للتعريض، ومن التعريضات اللطيفة فيها قوله تعالى:

﴿ وَجَاءَ الْوَيْلَ لِأَصْحَابِ الْبُقْعَاتِ أَلْحِقْنَا الْبُقْعَاتِ بِالْحَمَلِ ﴿٢٧﴾ ﴾

[هود: ٢٧]

(١) الصناعتين: ص ٤٠٧.

(٢) الطراز: ص ١٨٠.

(٣) تأويل مشكل القرآن: ص ٢٧٢.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٧٣.

(٥) البلاغة التطبيقية: ص ٣١٣.

"فآلية تعريض بأنهم أحقُّ بالنبوة من نوح عليه السلام؛ لأنَّهم حسب اعتقادهم الفاسد لم يكن نوح متميزاً عليهم بصفات تؤهِّله لأنَّ يكون عليهم نبياً، وقالوا: لو أراد الله أن يجعل النبوة في أحد من البشر لكان أحقُّ الناس بها، وهذا التعريض يوحي بضعف عقول المعاندين، وتصلُّبهم في وجه الدعوة إلى الله، وشدة كراهيتهم لنبى الله نوح عليه السلام شأن المحاربين للحقِّ، ونور الإيمان في كلِّ زمان، وما أكثرهم!!"<sup>(١)</sup>.

أما العلوي فيورد في هذا التعريض كلاماً رائعاً قائلاً:

"فهذه الآية كلها موضعها في قصدهم واعتقادهم موضع التعريض بأنهم أحقُّ بالنبوة، وأنَّ نوحاً لم يكن متميزاً عليهم بحالة يجب لأجلها أن يكون عليها نبياً من بينهم فقالوا: لو أراد الله أن يجعل النبوة في أحد من البشر، لكانوا أحقُّ بها دونه"<sup>(٢)</sup>.

والآية الكريمة تنقل لنا حقيقة ثابتة وهي ديدن الكفار في التهكم، ومن المعلوم أنَّ التعريض في القرآن واردٌ كثيراً بأحوال الكفرة في التهكم والنقص، وإسقاط المنزلة، وخطُّ القدر"<sup>(٣)</sup>.

ومثل هذا التعريض قوله تعالى في قصة إبراهيم:

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ لِلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ إِنَّا جَعَلْنَاهُ عِزًّا وَحُسْنِ عَمَلٍ ﴾

[الأنبياء: ٦٢، ٦٣].

ومن التعريض ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ لِلْبَيْتِ ﴾ في قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ لِلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ إِنَّا جَعَلْنَاهُ عِزًّا وَحُسْنِ عَمَلٍ ﴾

[هود: ٤٤].

ففي الآية تنبيه لسالكي مسلكهم، والجانحين جنوحهم في تكذيب الرسل إلى أن ما حلَّ بهم من إغراق شمل العالم بأسره، لم يكن إلا لظلمهم، وإمعانهم في اللجاج، والتمادي في الإنكار"<sup>(٤)</sup>.

ولم يبتعد السكاكي عن ذلك قائلاً:

(١) البلاغة التطبيقية: ص ٣١٥ ، إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٤١٢/١٢ ، ٤١٣ .

(٢) الطراز: ص ١٨٢ .

(٣) المصدر السابق: ص ١٨٢ .

(٤) الكشف: ٢٧١/٢ ، انظر الفنون البلاغية في سورة هود: ص ٦٤ .



فذكر هنا إحدى العاقبتين أيضاً، واستغنى عن ذكر مقابلتها.

وإذا عقدنا مقارنة بين آية الأنعام، وآية هود، فإننا نلمح أنه في آية الأنعام "ذكر إحدى العاقبتين؛ لأنَّ المراد بهذه العاقبة الخير، واستغنى عن ذكر مقابلتها، أما في آية هود، فقد ذكر عاقبتهم، وهي ﴿قَالَ هُوَ الَّذِي يُنَادِيكُم فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قُلُوبِكُمْ شَقِيحَةٌ﴾ [هود: ٩٣] واستغنى بها عن عاقبته، وقد لا يذكر عاقبته، فتتصرف إلى المخاطب كقولك لمن تهدده: ستعلم من يهان، ومن يعاقب، وإنما تعني المخاطب في الكلامين"<sup>(١)</sup>.

ومن خلال تتبعنا للتعريظات القرآنية التي وردت في سورة هود عليه السلام؛ نجد أنها امتازت "بالدقة، وجمال النظم، وشدّة الإصابة، والسخرية من الكافرين، والتهكم بهم، ورميهم بالغباوة والجهالة، وفساد العقل، وسوء المصير"<sup>(٢)</sup>.

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٤٧٧/١٢.

(٢) البلاغة التطبيقية: ص ٣١٧.



وينقل لنا السيد أحمد الهاشمي كلاماً بديعاً في الآية الكريمة قائلاً<sup>(١)</sup>:

"مع كون الآية سبع عشرة لفظة، لابدَّ لي من ذكرها؛ تبركاً بها وإجمالاً لبعض المعاصرين الذين يتفوهون بما لا يليق ذكره بالنسبة لكلام رب العالمين.

١- ففيها المناسبة التامة بين ﴿ ۞ ۞ ﴾ و ﴿ ۞ ۞ ﴾.

٢- الاستعارة فيها.

٣- الطباق بين: الأرض و السماء.

٤- المجاز في قوله: ﴿ ۞ ۞ ﴾ فإن الحقيقة يا مطر.

٥- الإشارة في ﴿ ۞ ۞ ﴾ فإنه عبَّرَ به عن معانٍ كثيرة فإنَّ الماء لا يغيض حتى يقطع مطر السماء وتبلع الأرض ما يخرج منها من عيون الماء.

٦- الإرداف في قوله ﴿ ۞ ۞ ﴾ فإنه عبَّرَ عن استقرارها في المكان بلفظٍ قريبٍ من لفظ المعنى.

٧- التمثيل في قوله: ﴿ ۞ ۞ ﴾ فإنه عبَّرَ عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظ بعيد عن الموضوع.

٨- التعليل، فإنَّ غييض الماء علَّةُ الاستواء.

٩- التقسيم فإنه استوفى أقسام الماء حال نقصه.

١٠- الاحتراس في قوله: ﴿ ۞ ۞ ﴾ إذ الدعاء يشير بأنَّهم مستحقو الهلاك احتراساً من ضعيف يتوهم أنَّ الغرق لعمومه ربَّما يشمل غير المستحق.

١١- الانسجام فإنَّ الآية منسجمة كالماء الجاري في سلاسته.

١٢- حسن التنسيق فإنه تعالى قصَّ القصَّة، وعطف بعضها على بعض بحسن الترتيب.

١٣- ائتلاف اللفظ مع المعنى؛ لأنَّ كل لفظة لا يصلح لمعناها غيرها.

١٤- الإيجاز فإنه سبحانه وتعالى - أمر فيها ونهى، وأخبر ونادى، ونعت وسمَّى، وأهلك وأبقى، وأسعد وأشقى - وقصَّ من الأنباء ما لو شرح لجفَّت الأقلام.

١٥- التسهيم إذ أول الآية يدلُّ على آخرها.

(١) جواهر البلاغة: ص ٣١٨، ٣١٩.

١٦- التهذيب لأن مفرداتها موصوفة لصفات الحسن لأن كل لفظة سهلة مخارج الحروف.

١٧- حسن البيان لأن السامع لا يشكك عليه في فهم معانيها شيء.

١٨- الاعتراض وهو قوله: ﴿أَسْقَمُ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنِ وَالْأَبْصَارِ وَالْأَفْئِدَةِ﴾.

١٩- الكناية فإنه لم يصرح بمن أغاض الماء، ولا بمن قضى الأمر، وسوى السفينة، ولا بمن قال وقيل بعداً. كما لم يصرح بقائل: ﴿وَأَمَّا الْبُكَاءُ فَالْبُكَاءُ فِي صَدْرِ الْآيَةِ سَلُوكاً فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْكِنَايَةِ.

٢٠- التعريض فإنه تعالى عرض بسالكي مسالكهم في تكذيب الرسل ظلماً - وأن الطوفان وتلك الصورة الهائلة ما كانت إلا بظلمهم.

٢١- التمكين لأن الفاصلة قارة متمكنة في موضعها.

٢٢- الإبداع الذي نحن بصدد الاستشهاد له.

ثم يعقب الهاشمي قائلاً:

"وقد أفردت هذه الآية الشريفة بتأليف لما اشتملت عليه من البلاغة حتى عدَّ بعضهم فيها مائة وخمسين نوعاً، وقد أجمع المعاندون على أن طوق البشر عاجز عن الإتيان بمثلها"<sup>(١)</sup>.

وقد سبق الكثير من العلماء الحديث عن هذه الآية الكريمة، ومنهم السكاكي الذي أورد فيها كلاماً بديعاً قائلاً:

"وإذ قد وقفت عليّ البلاغة، وعثرت على الفصاحة المعنوية واللفظية، فأنا أذكر على سبيل الأنموذج آية أكتشف لك فيها عن وجوه البلاغة والفصاحة، ما عسى يسترها عنك، ثم أن ساعدك الذوق أدركت منها ما قد أدرك من تحدّوا بها وهي قوله، علت كلمته: ﴿وَأَمَّا الْبُكَاءُ فَالْبُكَاءُ فِي صَدْرِ الْآيَةِ سَلُوكاً فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْكِنَايَةِ﴾"<sup>(٢)</sup>.

وقد تناول السكاكي هذه الآية من أربع جهات: جهة علم البيان، وجهة علم المعاني، وجهة الفصاحة المعنوية، وجهة الفصاحة اللفظية<sup>(٣)</sup>.

وقد توقّف الإمام عبد القاهر في دلائل الإعجاز عند قوله تعالى:

(١) جواهر البلاغة: ص ٣١٩.

(٢) مفتاح العلوم: ص ٤١٧.

(٣) انظر المصدر السابق: ص ٤١٧ - ٤٢٢.



﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ آيَاتٍ﴾ ﴿٤٤﴾ [هود: ٤٤].

وأورد في الآية الكريمة قوله:

"وهل تشكُّ إذا فكرت في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ آيَاتٍ﴾ فتجلَّى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع، أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة، والفضيلة القاهرة، إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض، وإن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة؟ وهكذا إلى أن تستقر بها إلى آخرها، وأنَّ الفضل تتاج ما بينها، وحصل من مجموعها"<sup>(١)</sup>.

ويواصل الجرجاني الحديث عن إعجاز النظم في هذه الآية الكريمة قائلاً:

"إنَّ شككت فتأمل! هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت لأدَّت من الفصاحة ما تؤدِّيهِ وهي في مكانها من الآية؟ قل: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ﴾ واعتبرها وحدها، من غير أن تنظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها وكذلك فاعتبر سائر ما يليها. وكيف بالشكِّ في ذلك، ومعلوم أنَّ مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض، ثم أمرت، ثم في أن كان النداء بـ (يا) دون (أي) نحو: يَأْتِيهَا الْأَرْضُ، ثم إضافة الماء إلى الكاف دون أن يقال: ابلعي الماء، ثم أتبع نداء الأرض وأمرها بما هو شأنها، نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصُّها، ثم أن قيل: وغيض الماء، فجاء الفعل على صيغة (فعل) الدالة على أنه لم يغيض إلا بأمرٍ، وقدرة قادرٍ، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ آيَاتٍ﴾ ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور وهو ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ آيَاتٍ﴾ ثم إضمار السفينة قبل الذكر كما هو شرط الفخامة، والدلالة على عظم الشأن، ثم مقابلة ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ﴾ في الخاتمة بـ ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ﴾ في الفاتحة"<sup>(٢)</sup>.

ثم يلقي الجرجاني سؤالاً لا يحتمل إلا إجابةً واحدةً وهي: أنَّا لو قلَّبنا قواميس المعاني، ومعاجم الألفاظ فإنَّه لا يمكن أن نلمح هذا الجمال البارِع، والرونق الأخاذ خارج إطار القرآن الكريم. يقول:

<sup>(١)</sup> دلائل الإعجاز: ص ٤٥، ٤٦.

<sup>(٢)</sup> المصدر السابق: ص ٤٦.

"أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤها بالإعجاز روعة، وتحضرك عند تصورها هيبية تحيط بالنفس من أقطارها تعلقاً باللفظ من حيث هو صوت مسموع، وحروف تتوالى في النطق؟ أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب؟"<sup>(١)</sup>.

أما صاحب الطراز فقد تناول الآية الكريمة قائلاً:

"فانظر إلى مفردات أحرف هذه الآية، ما أسلسها، وأرقها، وأطفها، ثم في تأليفها ما أسهله على اللسان، ثم انظر إلى مفردات ألفاظه، ما أغربها وأجراها على الألسنة من غير صعوبة، ولا عُسرة، ثم انظر إلى تأليف مفرداتها، كيف طابقت الغرض المقصود منها، وسيقت على أتم سياق وأعجبه"<sup>(٢)</sup>.

ولم يغفل السيوطي هذه الآية فقد أورد فيها كلاماً حكيماً قائلاً:

"الآية أمر فيها ونهى، وأخبر ونادى، ونعت وسمى، وأهلك، وأبقى، وأسعد وأشقى، وقصّ من الأنباء ما لو شرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ، والبلاغة، والإيجاز، والبيان لجفت الأقلام"<sup>(٣)</sup>.

أما ابن أبي الإصبع فقد أورد فيها قوله:

"ما رأيت ولا رويت في الكلام المنثور، والشعر الموزون كآية من كتاب الله تعالى استخرجت منها أحداً وعشرين ضرباً من البديع، وعددها سبع عشرة لفظة، وهي قوله تعالى:

﴿لَمَّا سَأَلْنَا آلَ مَرْيَمَ مَا نَدْبَرُنَّ﴾

[هود: ٤٤]"<sup>(٤)</sup>.

والحديث حول هذه الآية يطول بحيث يستحيل حصر آراء العلماء حولها، كما لا يتسع المجال لتتبع أقوال المفسرين فيها.

وإذا عدنا إلى السورة الكريمة؛ فإننا نجد ما قد حفلت بفنون البديع، وتزيّنت آياتها بألوان متعددة من هذه الفنون؛ ومنها: الطباق، المقابلة، المشاكلة، الإحصاء، الاستطراد، اللف والنشر، والجمع مع التفريق والتقسيم، وتجاهل العارف، وانتلاف اللفظ مع المعنى، والإبداع، والإرداف، والجناس.... إلى جانب الفنون الأخرى التي تضمنتها السورة على النحو الآتي:

(١) دلائل الإعجاز في علم المعاني: ٤٦.

(٢) الطراز: ص ٥٠٦.

(٣) الإتقان في علوم القرآن: ١٦٥/٣.

(٤) بديع القرآن: ص ٣٤٠ ، الإتقان في علوم القرآن: ٢٨٨/٣ ، ٢٨٩.

## ١- الطَّباق:

ويسمى المطابقة والتضاد، والمقصود بالطباق: "الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة"<sup>(١)</sup>.

وقد أجمع الناس أن "المطابقة في الكلام هو الجمع بين الشيء وضده"<sup>(٢)</sup>.

وتتزين سورة هود عليه السلام بنماذجٍ متعددةٍ للطباق خاصة الموجب ومنها:

الطباق بين ﴿ مَلَأَهُ ﴾ و﴿ مَلَأْتَهُ ﴾ في قوله تعالى:

﴿ ٤٠٩ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ ﴾ [هود: ١].

"وفيه طباق حسن؛ لأنَّ المعنى أحكمها حكيم وفصلها: أي بيَّنها وشرحها خبير عالم بكيفيات الأمور"<sup>(٣)</sup>.

وفي قوله: ﴿ ٤٠٩ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ ﴾ [هود: ٢] "طباق بين ﴿ مَلَأَهُ ﴾ و﴿ مَلَأْتَهُ ﴾"<sup>(٤)</sup>، أي: "إني لكم نذير من العذاب إن خالفتموه، وبشير بالثواب إن أطعتموه"<sup>(٥)</sup>.

ويورد ابن عطية في ﴿ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ ﴾ قوله:

"وإذا أطلقت هاتان اللفظتان فالنذارة في المكروه، والبشارة في المحبوب"<sup>(٦)</sup>.

ومن المعلوم أنَّ المكروه والمحبوب أمران متضادان.

ومن الطباق "﴿ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ ﴾ و﴿ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ ﴾"<sup>(٧)</sup> في قوله:

﴿ ٤٠٩ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ ﴾ [هود: ٥].

﴿ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ ﴾ و﴿ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ ٤٠٩ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ ﴾

﴿ ٤٠٩ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ مَلَأْتَهُ ﴾ [هود: ٦].

(١) الإيضاح: ص ٤٧٧ ، انظر معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ص ٥٢٢.

(٢) الصناعتين: ص ٣٩٩ ، جواهر البلاغة: ص ٣٠٣.

(٣) الكشف: ٢٥٨/٢.

(٤) صفوة التفاسير: ١٢/٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم: ٣٩٦/١١.

(٦) المحرر الوجيز: ١٤٩/٣.

(٧) صفوة التفاسير: ١٢/٢.

واختلفت آراء العلماء في تفسير هاتين الكلمتين<sup>(١)</sup>، ورغم هذا الاختلاف فإنَّ معظم التفسيرات تصبُّ في اعتبار ﴿p\$FpB﴾ و ﴿sgB\$QfPb﴾ طباق.

ومن الطَّباق الذي تكرر كثيراً في القرآن الكريم ﴿N`qPp; 9\$﴾ و ﴿U cE \$﴾. وهذا التكرار كذلك ظهر جلياً في سورة هود في قوله تعالى:

﴿ %Qqer " 9\$N`qPp; 9\$U cE \$ ' i U cE \$ pGA' ﴾ [هود: ٧].

وقوله: ﴿ OÉH aPp; r B\$B OÉH B U cE \$ S\$Vr ﴾ [هود: ٤٤] "بين الأرض والسماء طباق"<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿ U cE \$ Y' qk; 9\$MB\$ \$B \$Zi k iEY ﴾ [هود: ١٠٧].

وقوله: ﴿ U cE \$ B'qPp; 9\$MB\$ \$B \$Zi U iEY pYq\$ ' Au r B\$B U i%Q\$B r ﴾ [هود: ١٠٨].

وقوله: ﴿ U cE \$ N`qPp; 9\$U cE \$ r ﴾ [هود: ١٢٣].

و"من الطَّباق ﴿a\$E﴾ و ﴿a\$P r﴾"<sup>(٣)</sup> في قوله تعالى:

﴿ i qā i Q'iy 9\$Qr 4OHa B\$K\$ 9\$=pE E9q\$u9 qG; B a\$E %eV a\$P r U iEY a\$E r ﴾ [هود: ١٠].

وسياق الآية في تمتع الإنسان بالنعماء بعد أن مسَّته الضراء دليل على ذهاب السيئات، والتمتع بالنعماء بما فيها من فرح وفخر.

ومنه ﴿g1qC﴾ و ﴿g8M eA﴾ في قوله تعالى:

﴿ i ms Qqab9 ' h b) 4g8M eA r g1qC k \$Eó i \$Zi qCZ O\$A\$ r ﴾ [هود: ٤١].

وكذلك ﴿=pE﴾ و ﴿manly u﴾ بينهما طباق"<sup>(٤)</sup> في قوله تعالى:

﴿ pqa Dq% ' i \$Z%oq\$ 3 iE O\$manly r a\$S\$U iD'Q oA =pE \$E m ﴾ [هود/٧٤].

ومن الطَّباق ﴿Of\$﴾ و ﴿%<A m﴾ في قوله تعالى:

﴿ O<A m r Of\$ \$B (š eA %<A r 3 p\$B\$B r oB y7V\$ ﴾ [هود: ١٠٠].

(١) انظر الجامع لإحكام القرآن: ١١/٩.

(٢) صفوة التفاسير: ١٨/٢.

(٣) المصدر السابق: ١٢/٢.

(٤) المصدر السابق: ٢٩/٢.

وقد وقع الطَّباق في الآية الكريمة بين كلمتي: ﴿ Of\$% ﴾ و ﴿ %<Äym ﴾<sup>(١)</sup>.

والمعنى: "بعضها باقٍ، وبعضها عافي الأثر كالزَّرْع القائم على ساقه، والذي حصد"<sup>(٢)</sup>.  
ومثله قول الشاعر:

والناس في قسم المنية بينهم كالزَّرْع بين قائمٍ وحصيد

وقد استطرد كثير من العلماء في تفسير كلمتي ﴿ Of\$% ﴾ و ﴿ %<Äym ﴾<sup>(٣)</sup>.

أمَّا قوله تعالى: ﴿ NQWOD#3 \$Br ﴾ [هود: ١٠١] فإنَّ "فيه طباق سلب"<sup>(٤)</sup>.

وهذا الطَّباق وقع في: ﴿ NQWOD#3 \$Br ﴾ و ﴿ NQWOD#3 \$Br ﴾. والمقصود بطباق السَّلْب: "ما اختلف فيه الضَّدان إيجاباً وسلباً بحيث يجمع بين فعلين من مصدرٍ واحد، أحدهما مثبت، والآخر منفي"<sup>(٥)</sup>.

ومن الطَّباق ﴿ 'Ä© ﴾ و ﴿ %<Äym ﴾ في قوله تعالى:

﴿ %<Äym ﴾ و ﴿ 'Ä© ﴾، [هود: ١٠٥]، و ﴿ %<Äym ﴾ و ﴿ 'Ä© ﴾ بينهما طباق وهو من المحسنات البديعية"<sup>(٦)</sup>.

ومن المعلوم أنَّ: "الشقيَّ الذي وجبت له النار لإساءته، والسعيد الذي وجبت له الجنَّة لإحسانه"<sup>(٧)</sup>.

أما القرطبي فيرى أنَّ "الشقيَّ الذي كتبت عليه الشقاوة، والسعيد الذي كتبت عليه السعادة"<sup>(٨)</sup>. قال ليبيد:

فَمِنْهُمْ سَعِيدٌ آخِذٌ بِنَصِيْبِهِ وَمِنْهُمْ شَقِيٌّ بِالْمَعِيْشَةِ قَانِعٌ

(١) الكشف: ٢٩١/٢.

(٢) المصدر السابق: ٢٩١/٢.

(٣) انظر البحر المحيط: ٢٦٠/٥، الجامع لإحكام القرآن: ٩٨/٩، ٩٩.

(٤) صفة التفاسير: ٣٥/٢.

(٥) جواهر البلاغة: ص ٣٠٣.

(٦) صفة التفاسير: ٣٥/٢.

(٧) الكشف: ٢٩٣/٢.

(٨) الجامع لإحكام القرآن: ١٠٢/٩، البحر المحيط: ٢٦٢/٥.

ولم يبتعد صاحب فتح القدير عن ذلك، بيد أنه أضاف "وتقديم الشقي على السعيد؛ لأنَّ المقام مقام تحذير"<sup>(١)</sup>.

أما قوله تعالى: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ سِتْرٌ لَّيْسَ لَهُ الْغُيُوبُ﴾ [هود: ١٠٦]؛ ففيه طباق بين ﴿لَا يَخْفَىٰ﴾ و﴿لَا يَخْفَىٰ﴾.

وقد كثرت آراء العلماء والمفسرين حول معنى هاتين الكلمتين، لكنَّ المدقق لهذه المعاني يرى أنَّهما متضادتان<sup>(٢)</sup>. ومنها قول الزمخشري: "الزفير: إخراج النفس، والشهيق: ردُّه"<sup>(٣)</sup>. وقال ابن فارس: "الشهيق ضدُّ الزفير؛ لأنَّ الشهيق ردُّ النفس، والزفير إخراج النفس"<sup>(٤)</sup>. واشتمل قوله تعالى:

﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ سِتْرٌ لَّيْسَ لَهُ الْغُيُوبُ﴾ [هود: ١١٤] على طباق بين ﴿لَا يَخْفَىٰ﴾ و﴿لَا يَخْفَىٰ﴾، و"طباق آخر بين ﴿لَا يَخْفَىٰ﴾ و﴿لَا يَخْفَىٰ﴾"<sup>(٥)</sup>.

و"﴿لَا يَخْفَىٰ﴾ و﴿لَا يَخْفَىٰ﴾ بينهما طباق"<sup>(٦)</sup> في قوله تعالى:

﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ سِتْرٌ لَّيْسَ لَهُ الْغُيُوبُ﴾ [هود: ٨٢].

إنَّ شأنَ الطَّباق في سورة هود عظيم فهو يمثِّل قَمَّةَ الإعجاز، ويكفيك متعةً أن تلاحظ البون الواسع بين الطباق في الآيات، والاستعمال الوضعي الذي كثيرا ما يتَّهم أصحابه بالتكلف الذي يفسد المعنى، "فالطَّباق في القرآن الكريم — ومثله كلُّ فنون البديع — يؤدي دوراً هاماً في مظاهر إعجازه، وهو سمة عظيمة من سمات أسلوبه قد سلم — مع كثرتة — من التكلف، بل هو آية الحسن، ومصدر العجب، بينما نرى كلَّ مسرف فيه يسير ثم يكبو، ويصيب ثم يخطئ، فأنت ترى الفرق من حيث نزاهة الألفاظ، وجزالتها في القرآن، ثم دقَّة التعبير، وشرف ذلك"<sup>(٧)</sup>.

(١) فتح القدير: ٦٥٥/١٢.

(٢) انظر الجامع لإحكام القرآن: ١٠٢/٩، ١٠٣، فتح القدير: ٦٥٥/١٢.

(٣) الكشف: ٢٩٣/٢.

(٤) زاد المسير: ١٥٩/٤.

(٥) صفة التفاسير: ٣٥/٢.

(٦) المصدر السابق: ٣٠/٢.

(٧) خصائص التعبير القرآني: ٤١٩/٢.

## ٢- المقابلة:

المقابلة أسلوبٌ شائعٌ في القرآن الكريم، فالقرآن يكثر في نظمه من استخدامها، ويجعلها وسيلةً للتأثير في النفوس، وأداةً فنيّةً للبيان، وظاهرة بارزة في البيان القرآني. والمقصود بالمقابلة:

"أن يؤتى بمعنيين متوافقين، أو معانٍ متوافقةٍ، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل"<sup>(١)</sup>.

ورأى آخرون أن المقصود بالمقابلة:

"إيراد الكلام ثم بمقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة"<sup>(٢)</sup>.

أما ابن رشيق فرأى أن المقابلة: "مواجهة اللفظ بما يستحقه في الحكم"<sup>(٣)</sup>.

ومن المقابلة قوله تعالى: ﴿بَرَاءةٌ لِّمَن كَانَ عَلَىٰ الذَّمِّ إِذِ الْكَافِرُونَ﴾ [هود: ٢٤].

فقد قابلت الآية بين الأعمى والأصم، وبين البصير السميع، وذلك أنه؛ لما ذكر انسداد العين أتبعه بانسداد السمع، وبضد ذلك لما ذكر انفتاح البصر أعقبه بانفتاح السمع، فما تضمنته الآية الكريمة هو الأنسب في المقابلة، الأتم في الإعجاز"<sup>(٤)</sup>.

وهذا الكلام هو نفسه الذي ذكره صاحب البحر المحيط قائلاً:

"ولم يجيء التركيب كالأعمى والبصير، والأصم والسميع فيكون مقابلة في لفظ الأعمى وضده، وفي لفظة الأصم وضده؛ لأنه تعالى لما ذكر انسداد العين أتبعه بانسداد السمع، ولما ذكر انفتاح البصر أتبعه بانفتاح السمع وذلك هو الأسلوب في المقابلة و الأتم في الإعجاز"<sup>(٥)</sup>.

ويرى بعض الدارسين أن قوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنُسبِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [هود: ٣٥] من التقابل

بالمحذوف، ويسميه الزركشي (الحذف المقابلي). والمقصود به:

(١) الإيضاح: ص ٤٨٥ ، جواهر البلاغة: ص ٣٠٤.

(٢) الصناعتين: ص ٣٧١.

(٣) العمدة: ١٥/٢.

(٤) البرهان في علوم القرآن: ٥٢٢/٤.

(٥) البحر المحيط: ٢١٣/٥.

"أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من واحد منهما مقابله؛ لدلالة الآخر عليه"<sup>(١)</sup>.  
 أمّا قوله تعالى فالأصل فيه: "فإن افتريته فعليّ إجرامي وأنتم برآء منه، وعليكم إجرامكم  
 وأنا بريء مما تجرمون، فنسبة قوله تعالى: ﴿ ۞ ﴾ (٦٠: ٦٠)، وهو الأول إلى قوله: وعليكم  
 إجرامكم — وهو الثالث — كنسبة قوله: وأنتم برآء منه — وهو الثاني — إلى قوله تعالى:  
 ﴿ ۞ ﴾ (٦٠: ٦٠)، وهو الرابع، واكتفى من كل متناسبين بأحدهما"<sup>(٢)</sup>.

ومن فنون البديع التي ذكرها أبو حيّان المقابلة في تناوله قوله تعالى:

﴿ ۞ ﴾ (٦٠: ٦٠) و"المقابلة في قوله: ﴿ ۞ ﴾ (٦٠: ٦٠)"<sup>(٣)</sup>

ومن المقابلة أيضاً؛ المقارنة بين حال الأشقياء في قوله تعالى:

﴿ ۞ ﴾ (١٠٦: ١٠٦)، وحال السعداء في قوله:

﴿ ۞ ﴾ (١٠٨: ١٠٨). ومثل هذه المقابلة يتكرّر كثيراً في التنزيل الحكيم.

ومنها قوله تعالى مقارناً بين حال المؤمنين الصادقين، والكافرين المكذّبين في الروم:

﴿ ۞ ﴾ (الروم: ١٥، ١٦).

### ٣- المشاكلة:

وهي أحد فنون البديع التي ظهرت في سورة هود عليه السلام، والمقصود بالمشاكلة

في مصطلح أهل البلاغة؛ "ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً، أو تقريراً"<sup>(٤)</sup>.

ومن المشاكلة في سورة هود عليه السلام قوله تعالى:

﴿ ۞ ﴾ (هود: ٣٨).

(١) البرهان في علوم القرآن: ١٤٤/٣.

(٢) المصدر السابق: ١٤٥/٣.

(٣) البحر المحيط: ٢٢٨/٥.

(٤) الإيضاح: ص ٤٩٣، الإتيان في علوم القرآن: ٢٨١/٣، جواهر البلاغة: ص ٣٠٩.



والمعنى في الآية الكريمة:

"سخر منكم سخرية مثل سخريتكم إذا وقع عليكم الغرق في الدنيا، والحرق في الآخرة"<sup>(١)</sup>.  
وقيل: "لأنَّ سخرية نوح عليه السلام مسببة عن سخرية قومه به، وهذا أسلوب اقتضاه الحال؛ لأنَّ فاعل السخرية قمين بأن يسخر منه، ويكون أوقع في نفس الساخر ليقلع عمَّا هو فيه"<sup>(٢)</sup>.

ويورد عبد العظيم المطعني في الآية: ﴿ نَزَبَ بِرِئَاسِهِ ﴾ قوله:

"سمي الجزاء كذلك اعتداءً وسخرية؛ ليكون أوقع في نفس المعتدي فيكفَّ عن الاعتداء، وفي نفس الساخر ليقلع عمَّا هو فيه"<sup>(٣)</sup>.

ومثل هذه المشاكلة في التنزيل الحكيم قوله تعالى:

﴿ إِنَّا نَسَخْنَا مَا كَانَ لَكَ آيَةً فِي الْقُرْآنِ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ أَنتَ الْعَاوِلِيُّ الْمُقْبِلُ ﴾ [البقرة: ١٩٤].

"إنَّ مقابلة الاعتداء بمثله لا يسمى في الأصل اعتداءً، ولكن سوَّغ هذا الإطلاق داعي المشاكلة"<sup>(٤)</sup>.

ومثلها في الشعر قول ابن الرقعمق<sup>(٥)</sup>:

قالوا: اقترح شيئاً نجد لك طبخه  
قلت: اطبخوا لي جبَّةً وقميصاً

"فطلب طبخ جبَّة وقميص على سبيل المشاكلة لطلبهم أن يطبخوا له شيئاً يأكله، ودلَّ بهذا على أنَّه بحاجة إلى ما يلبسه"<sup>(٦)</sup>.

#### ٤- الإِرْصَادُ:

ويسمى التسهيم، والمقصود بالإرصاد؛ "أن يجعل قبل العجز من الفقرة، أو البيت ما يدلُّ على العجز إذا عرف الروي"<sup>(٧)</sup>.

ومن نماذج الإِرْصَادِ في سورة هود ﴿ هود ﴾ و ﴿ هود ﴾ في قوله تعالى:

(١) الكشاف: ٢٦٨/٢.

(٢) انظر خصائص التعبير القرآني: ٤٢٥/٢.

(٣) خصائص التعبير القرآني: ٤٢٥/٢.

(٤) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٤٣٨/٢.

(٥) ابن الرقعمق هو أحمد بن محمد الأنطاكي، شاعر (ت ٣٩٩ هـ).

(٦) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٤٣٩/٢.

(٧) الإيضاح: ص ٤٩٢، جواهر البلاغة: ص ٣٠٥.

﴿أَبَاكَ إِذْ يَمُرُّ بِكَ الْبُكَارَىٰ﴾ ﴿١٨﴾

﴿أَبَاكَ إِذْ يَمُرُّ بِكَ الْبُكَارَىٰ﴾ ﴿١٨﴾ [هود: ١٨].

﴿أَبَاكَ إِذْ يَمُرُّ بِكَ الْبُكَارَىٰ﴾ ﴿١٨﴾ وفي قوله تعالى: ﴿أَبَاكَ إِذْ يَمُرُّ بِكَ الْبُكَارَىٰ﴾ ﴿١٨﴾

﴿أَبَاكَ إِذْ يَمُرُّ بِكَ الْبُكَارَىٰ﴾ ﴿١٨﴾ [هود: ٣٨].

ويبدو الإرصاد واضحاً كذلك في ﴿أَبَاكَ إِذْ يَمُرُّ بِكَ الْبُكَارَىٰ﴾ و﴿أَبَاكَ إِذْ يَمُرُّ بِكَ الْبُكَارَىٰ﴾ في قوله تعالى:

﴿أَبَاكَ إِذْ يَمُرُّ بِكَ الْبُكَارَىٰ﴾ ﴿١٨﴾ [هود: ٩٨].

ومن نماذج الإرصاد في التنزيل الحكيم ﴿أَبَاكَ إِذْ يَمُرُّ بِكَ الْبُكَارَىٰ﴾ و﴿أَبَاكَ إِذْ يَمُرُّ بِكَ الْبُكَارَىٰ﴾ في قوله تعالى:

﴿أَبَاكَ إِذْ يَمُرُّ بِكَ الْبُكَارَىٰ﴾ ﴿١٨﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وفي الشعر (سئمت) و (يسأم) في قول زهير ابن أبي سلمى:

سئمت تكاليف الحياة، ومن يعيش  
ثمانين حولاً - لا أباك - يسأم<sup>(١)</sup>.

## ٥- الاستطراد:

والاستطراد أحد الفنون التي يتعلق بها الفصحاء، ويعوّل عليها البلغاء، والمقصود

بالاستطراد؛

"الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني"<sup>(٢)</sup>.

ولم يبتعد العسكري عن ذلك فقد عرفه بقوله:

"هو أن يأخذ المتكلم في معنى فبينما يمر فيه يأخذ في معنى آخر، وقد جعل الأول سبباً له"<sup>(٣)</sup>.

أما الهاشمي فيرى أن الاستطراد هو:

"أن يخرج المتكلم من الغرض الذي هو فيه إلى آخرٍ لمناسبة بينهما ثم يرجع إلى إتمام الأول"<sup>(٤)</sup>.

ومن أمثلة الاستطراد في التنزيل الحكيم قوله تعالى:

(١) البيت من الطويل في شعر زهير بن أبي سلمى، ص ٢٥.

(٢) الإيضاح: ص ٤٩٥، العمدة: ٥٢/٢.

(٣) الصناعتين: ص ٤٤٨.

(٤) جواهر البلاغة: ص ٣٠٢.

﴿ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ هُودٍ: ﴿ ١٣ ﴾﴾

أما في سورة هود فإن الاستطراد يتمثل في ﴿ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ ٩٥ ﴾﴾

﴿ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ هُودٍ: ﴿ ٩٥ ﴾﴾

فقوله: ﴿ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ هُودٍ: ﴿ ٩٥ ﴾﴾ استطراد بعد ذكره (مدین)؛ "لأنه عارض عند ذكره حال مدین، وما كان منهم من التّكذيب للرّسل" (١).

قال أهل علم البيان:

"لم يرد في القرآن استطراد إلا في هذا الموضع. والاستطراد قالوا: هو أن تمدح شيئاً، أو تذمّه ثم تأتي في آخر الكلام بشيء هو غرضك في أوله" (٢).

وهذا ما قال به صاحب بدیع القرآن:

"وهو قليل الوقوع في الكتاب العزيز...، ولم أظفر منه بشيء في القرآن المجيد إلا في موضع واحد وهو قوله تعالى:

﴿ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ هُودٍ: ﴿ ٩٥ ﴾﴾ فمن ظفر فيه بشيء قام بإحاقه في بابه، ويفعل ذلك في جميع الأبواب" (٣).

ولا يمكن لأحد أن يغفل مكانة الاستطراد، فهو: "نوع من علم البلاغة دقيق المجرى، غزير الفوائد، يستعمله الفصحاء، ويعول عليه أكثر البلغاء" (٤).

## ٦- اللف والنشر:

اللف والنشر عالم من الإبداع تظهر فيه ملامح النظم العجيب، وسمات الاتساق البديع، والمقصود باللف والنشر:

"ذكر متعدد على جهة التفصيل، أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين؛ ثقة بأن السامع يردّه إليه" (٥).

(١) الطراز: ص ٤٠٤.

(٢) البحر المحيط: ٢٥٨/٥.

(٣) بدیع القرآن: ص ٤٩.

(٤) الطراز: ص ٤٠٤.

(٥) الإيضاح: ص ٥٠٣، جواهر البلاغة: ص ٣١٠.



"ولما كان أكثر الخلق هالكا مع أن المقام مقام تهديد وتهويل، بدأ تعالى بالأشقياء ترتيباً للنشر على ترتيب اللف فقال: ﴿لَا يَأْتِيَنَّكَ السَّعَاتُ بِذُنُوبِكُمْ كَمَا أَتَى الَّذِينَ أَنجَيْنَا مِنَ الْغَمِّ وَلَئِنْ أَنذَرْتَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ عِلْمٍ لَآتَيْنَهُم مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ السَّاعَةَ وَالشُّدَّةَ" (١).

## ٧- الجمع مع التفريق:

ويقصد بالجمع مع التفريق: "أن يدخل شيئان في معنى واحد، ويفرق بين جهتي الإدخال" (٢).

أما الهاشمي فيرى أن الجمع مع التفريق هو:

"أن يعتمد المتكلم إلى شيئين من نوع واحد فيوقع بينهما تبايناً، وتفريقاً بذكر ما يفيد معنى زائداً فيما هو بصدده من مدح، أو ذم، أو نسيب" (٣).

ومن نماذج هذا اللون البديعي الرائع قوله تعالى:

﴿لَا يَأْتِيَنَّكَ السَّعَاتُ بِذُنُوبِكُمْ كَمَا أَتَى الَّذِينَ أَنجَيْنَا مِنَ الْغَمِّ وَلَئِنْ أَنذَرْتَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ عِلْمٍ لَآتَيْنَهُم مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ السَّاعَةَ وَالشُّدَّةَ" (١)

﴿لَا يَأْتِيَنَّكَ السَّعَاتُ بِذُنُوبِكُمْ كَمَا أَتَى الَّذِينَ أَنجَيْنَا مِنَ الْغَمِّ وَلَئِنْ أَنذَرْتَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ عِلْمٍ لَآتَيْنَهُم مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ السَّاعَةَ وَالشُّدَّةَ" (١)

﴿لَا يَأْتِيَنَّكَ السَّعَاتُ بِذُنُوبِكُمْ كَمَا أَتَى الَّذِينَ أَنجَيْنَا مِنَ الْغَمِّ وَلَئِنْ أَنذَرْتَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ عِلْمٍ لَآتَيْنَهُم مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ السَّاعَةَ وَالشُّدَّةَ" (١)

[هود: ٢٩-٣١].

"وفي هذه الآيات فن رفيع من فنون البديع، وهو الجمع مع التقسيم وهو أن يجمع المتكلم بين شيئين أو أكثر، ثم تقسيم ما جمع، وفي هذه الآيات ردّ على ما أورده من شبه، حيث قالوا:

﴿لَا يَأْتِيَنَّكَ السَّعَاتُ بِذُنُوبِكُمْ كَمَا أَتَى الَّذِينَ أَنجَيْنَا مِنَ الْغَمِّ وَلَئِنْ أَنذَرْتَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ عِلْمٍ لَآتَيْنَهُم مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ السَّاعَةَ وَالشُّدَّةَ" (١)

﴿لَا يَأْتِيَنَّكَ السَّعَاتُ بِذُنُوبِكُمْ كَمَا أَتَى الَّذِينَ أَنجَيْنَا مِنَ الْغَمِّ وَلَئِنْ أَنذَرْتَهُمْ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ عِلْمٍ لَآتَيْنَهُم مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ السَّاعَةَ وَالشُّدَّةَ" (١)

[هود: ٢٧]، فردّ عليهم رداً يمكن إرجاعه إلى ما أورده من شبه، فكأنه يقول: إن كان نفيكم الفضل عني متعلقاً بفضل المال والجاه، فأنا لم أدعه، ولم أقل لكم: إن خزائن الله عندي حتى تنازعوني في ذلك، وتتكروه" (٤).

## ٨- الجمع مع التفريق والتقسيم:

(١) نظم الدرر: ٥٧٩/٣ ، انظر صفوة التفسير: ٣٥/٢.

(٢) الإيضاح: ص ٥٠٧.

(٣) جواهر البلاغة: ص ٣١١.

(٤) إعراب القرآن الكريم وبيانه: ٤١٥/١٢.

أما الجمع مع التفریق والتقسيم: "الجمع مع التفریق أن يدخل شيئين في معنى واحد ويفرق بين جهتي الإدخال، ومع التقسيم، جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه، ثم جمعه"<sup>(١)</sup>.

ومن الجمع مع التفریق والتقسيم قوله تعالى:

﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ أَيُّكُمْ صَدَقَ بِمَا نَادَىٰ بِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ لِقَاءَ رَبِّكُمْ ۗ فَمَنْ كَانَ مِنكُمْ مِّنْ قَوْمٍ عَاهَدُوا بِالْحَنَافِ وَالْأَسْبَاطِ فَعَاهَدُوا فَمَا يَحْكُمُ بِهِمْ رَبُّكَ إِذْ هُمْ يُعْذَرُونَ ۗ إِنَّكَ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [هود: ١٠٥ - ١٠٨]. وتعدُّ هذه الآيات الكريمة أنموذجاً رائعاً للجمع مع التفریق والتقسيم. أما الجمع في قوله:

﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ أَيُّكُمْ صَدَقَ بِمَا نَادَىٰ بِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ لِقَاءَ رَبِّكُمْ ۗ فَمَنْ كَانَ مِنكُمْ مِّنْ قَوْمٍ عَاهَدُوا بِالْحَنَافِ وَالْأَسْبَاطِ فَعَاهَدُوا فَمَا يَحْكُمُ بِهِمْ رَبُّكَ إِذْ هُمْ يُعْذَرُونَ ۗ إِنَّكَ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

فإنَّ قوله: ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ أَيُّكُمْ صَدَقَ بِمَا نَادَىٰ بِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ لِقَاءَ رَبِّكُمْ ۗ فَمَنْ كَانَ مِنكُمْ مِّنْ قَوْمٍ عَاهَدُوا بِالْحَنَافِ وَالْأَسْبَاطِ فَعَاهَدُوا فَمَا يَحْكُمُ بِهِمْ رَبُّكَ إِذْ هُمْ يُعْذَرُونَ ۗ إِنَّكَ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ متعدي معنى؛ لأنَّ النكرة في سياق النفي تعمُّ. وأما التفریق في قوله:

﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ أَيُّكُمْ صَدَقَ بِمَا نَادَىٰ بِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ لِقَاءَ رَبِّكُمْ ۗ فَمَنْ كَانَ مِنكُمْ مِّنْ قَوْمٍ عَاهَدُوا بِالْحَنَافِ وَالْأَسْبَاطِ فَعَاهَدُوا فَمَا يَحْكُمُ بِهِمْ رَبُّكَ إِذْ هُمْ يُعْذَرُونَ ۗ إِنَّكَ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ إلى آخر الآية"<sup>(٢)</sup>.

وتناول صاحب كتاب البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها هذه الآية الكريمة قائلاً:

"في هذا البيان جمع كلِّ نفسٍ بأنَّها لا تتكلم يوم القيامة إلا بإذن الله، أما قوله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ أَيُّكُمْ صَدَقَ بِمَا نَادَىٰ بِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ لِقَاءَ رَبِّكُمْ ۗ فَمَنْ كَانَ مِنكُمْ مِّنْ قَوْمٍ عَاهَدُوا بِالْحَنَافِ وَالْأَسْبَاطِ فَعَاهَدُوا فَمَا يَحْكُمُ بِهِمْ رَبُّكَ إِذْ هُمْ يُعْذَرُونَ ۗ إِنَّكَ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ في هذا البيان تفریق في الحكم، ففريق شقي وفريق سعيد. ويتابع سبحانه وتعالى فيقول: ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ أَيُّكُمْ صَدَقَ بِمَا نَادَىٰ بِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ لِقَاءَ رَبِّكُمْ ۗ فَمَنْ كَانَ مِنكُمْ مِّنْ قَوْمٍ عَاهَدُوا بِالْحَنَافِ وَالْأَسْبَاطِ فَعَاهَدُوا فَمَا يَحْكُمُ بِهِمْ رَبُّكَ إِذْ هُمْ يُعْذَرُونَ ۗ إِنَّكَ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾. وفي هذا بيان حال القسم الأول، وهم أهل الشقاوة. ويتابع النصُّ فيقول تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ أَيُّكُمْ صَدَقَ بِمَا نَادَىٰ بِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ لِقَاءَ رَبِّكُمْ ۗ فَمَنْ كَانَ مِنكُمْ مِّنْ قَوْمٍ عَاهَدُوا بِالْحَنَافِ وَالْأَسْبَاطِ فَعَاهَدُوا فَمَا يَحْكُمُ بِهِمْ رَبُّكَ إِذْ هُمْ يُعْذَرُونَ ۗ إِنَّكَ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾. وفي هذا بيان وشرح حال القسم الثاني، وهم أهل السعادة. فظهر بهذا التحليل في النصِّ الجمع مع التفریق والتقسيم"<sup>(٣)</sup>.

(١) الإيضاح: ص ٥٠٧، الإيتقان في علوم القرآن: ٢٧٥/٣، معترك الأقران: ٤٠٤/١.

(٢) الإيضاح: ص ٥٠٩، مفتاح العلوم: ص ٤٢٧، معترك الأقران: ٤٠٤/١.

(٣) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٤٢٤/٢، ٤٢٥.

إن الآيات السابقة تقدّم لنا نموذجاً رائعاً لتحليلٍ منطقيٍّ بديعٍ في عالم النظم المعجز، حيث يبدأ بذكر كلمة ﴿ ۞ ﴾ مجملة، ثم يتفرّع عن هذه الكلمة فريقان مختلفان هما: ﴿ ۞ ﴾ و ﴿ ۞ ﴾ [التفريق]، وهذا يشبع جزءاً من رغبة السامع التي سرعان ما تكتمل وذلك عندما تفرّق الآية بين هذين الفريقين في اتجاهين متعاكسين هما: ﴿ ۞ ﴾ [هود: ١٠٦]، و ﴿ ۞ ﴾ [هود: ١٠٨]. وبعد هذا لا يبقى للسامع مجالاً للاستزادة.

## ٩- التّقسيم:

رأى القزويني أنّ التّقسيم يطلق على أمرين: "أحدهما: أن يذكر أحوال الشيء مضافاً إلى كلّ حال ما يليق بها، والثاني: استيفاء أقسام الشيء بالذكر" (١). ولم يتعد صاحب المفتاح عن ذلك فقد عرفه بقوله:

"هو أن تذكر شيئاً ذا جزأين أو أكثر ثمّ تضيف إلى كلّ واحدٍ من أجزائه ما هو له عندك" (٢). ويرى الهاشمي أنّ التّقسيم هو:

"أن يذكر متعدّد، ثم يضاف إلى كلّ من أفرادها ما له على جهة التّعيين" (٣). ومن أشرف المنثور في التّقسيم قول رسول الله صلى الله عليه وسلّم:

"وهل لك يابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدّقت فأمضيت" فلم يبق عليه الصلاة والسلام قسماً رابعاً لو طلب يوجد (٤).

وبتمثل التّقسيم في سورة هود في قوله تعالى:

﴿ ۞ ﴾ [هود: ١٠٦ - ١٠٨].

(١) الإيضاح: ص ٥٠٩، ٥١٠، العمدة: ٢١/٢.

(٢) مفتاح العلوم: ص ٤٢٥.

(٣) جواهر البلاغة: ص ٣١١.

(٤) انظر العمدة: ٢١/٢.

وقد وقع التقسيم في أمرين هما: الأول قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا نَادَى السُّعُودُ بِصَوْتِهَا يُدْعَىٰ ۖ فَيُجَابَ بِحَمْدِ اللَّهِ ۗ وَإِذَا تُدْعَىٰ ظُهُورُ الْأُمَمِ لَدِي عَرْشِهِ تُدْعَىٰ ۗ ذَٰلِكَ دَعْوَانَا لِلْإِنسَانِ أَنْ يَقُولَ ۖ رَبِّ ارْحَمْهُ ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ۗ ﴾ [هود: ١٠٦]، والثاني قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا نَادَى السُّعُودُ بِصَوْتِهَا يُدْعَىٰ ۖ فَيُجَابَ بِحَمْدِ اللَّهِ ۗ وَإِذَا تُدْعَىٰ ظُهُورُ الْأُمَمِ لَدِي عَرْشِهِ تُدْعَىٰ ۗ ذَٰلِكَ دَعْوَانَا لِلْإِنسَانِ أَنْ يَقُولَ ۖ رَبِّ ارْحَمْهُ ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ۗ ﴾ [هود: ١٠٨].

ولم تترك الآية الكريمة مجالاً للاستزادة؛ إذ حصرت جميع جوانب المعنى في دقة بالغة، وإيجازٍ بديع، فالناس يوم القيامة فريقان لا ثالث لهما.

فأَيَّ إبداع في حصر الآيات لجوانب المعنى، وأيِّ إعجاز في ترتيبها في ذهن السامع، فقد استوفت الآيات الكريمة جميع أقسام المعنى بحيث لم تترك لمستزيد زيادة، ولا لمضيف أي إضافة.

## ١٠- تجاهل العارف:

وهو أحد فنون البديع، المقصود بتجاهل العارف؛

"سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلاً منه؛ ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذم، أو ليبدل على شدة الوله في الحب، أو لقصد التعجب، أو التوبيخ، أو التقرير"<sup>(١)</sup>.

وتجاهل العارف – كما سماه السكاكي – "سوق المعلوم مساق غيره لنكتة"<sup>(٢)</sup>.

بينما يرى أبو هلال العسكري أنه "إخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ليزيد بذلك تأكيداً"<sup>(٣)</sup>.

ويرى العلوي أن وضعه في اصطلاح علماء البيان، فهو منقول إلى فن من فنون البديع وهو "أن تسأل عن شيء تعلمه موهما أنك لا تعرفه، وأنه مما خالجاك فيه الشك، والريبة. وشبهة عرضت بين المذكورين"<sup>(٤)</sup>.

أمّا تجاهل العارف في سورة هود فهو يتمثل في قوله تعالى:

(١) بديع القرآن: ص ٥٠.

(٢) الإيضاح: ص ٥٣٠، جواهر البلاغة: ص ٣٢٢، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٥١٨/٢.

(٣) الصناعتين: ص ٤٤٥.

(٤) الطراز: ص ٤٣٨.







ورأى آخرون أنه اختار ﴿ ٱلْمَسُّ ٱلْمَسَّ ٱلْمَسَّ ﴾؛ "لأنَّ المسَّ فيه معنى ملاصقة النار دون الانغماس فيها، فعذاب من يركن إلى الظالمين هو نوع عذاب الظالمين، لكنه دونه في الكيف والكم، إنه للراكنين مسٌّ، لكنَّه للظالمين انغماس وحريق"<sup>(١)</sup>.

ويورد السيوطي في الآية الكريمة قوله:

"لما كان الركون إلى الظالم، وهو الميل إليه، والاعتماد عليه دون مشاركته في الظلم. وجب أن يكون العقاب عليه دون العقاب على الظالم، فأتى بالمسِّ الذي هو دون الإحراق والاصطلام"<sup>(٢)</sup>.

ويتوسع عبد العظيم المطعني في سرِّ اختيار ﴿ ٱلْمَسُّ ٱلْمَسَّ ٱلْمَسَّ ﴾ قائلاً:

"لأنَّ الركون إلى الظالم دون فعل الظالم نفسه، ولذلك وجب أن يكون العقاب عليه دون عقاب الظالم، ولهذا قال سبحانه ﴿ ٱلْمَسُّ ٱلْمَسَّ ٱلْمَسَّ ﴾، فالركون إلى الظالم يناسبه مسُّ النار للراكن، فلم يقل: (فقد دخلوا النار) - مثلاً -؛ لأنَّ المتبادر إلى الفهم أنَّ مسَّ النار أول ملاقاة الجسم لها"<sup>(٣)</sup>.

وقد تناول ابن أبي الأصبع هذه الآية في باب التهذيب قائلاً:

"ومن أحسن ما وقع في هذا الباب قوله تعالى: ﴿ ٱلْمَسُّ ٱلْمَسَّ ٱلْمَسَّ ﴾ (١٧١: هود)؛ فإجل ذلك كان ذكر المساس ملائماً لذكر الركون دون غيره"<sup>(٤)</sup>.

إنَّ الله سبحانه وتعالى إنَّما "خصَّ المسَّ ليشير به إلى ما يقتضي الركون من العقاب، ويميِّز بين ما يستحق الظالم، وبين ما يستحق الراكن له من العقاب، وإن كان مسُّ النار قد يطلق ويراد به الإحراق، لكن هذا الإطلاق مجاز"<sup>(٥)</sup>.

ومن الائتلاف أيضاً قوله تعالى:

﴿ ٱلْمَسُّ ٱلْمَسَّ ٱلْمَسَّ ﴾ [هود: ٧١].

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٥٢٢/٢.

(٢) معترك الأقران: ٣٨٩/١.

(٣) بديع القرآن: ص ٧٨، خصائص التعبير القرآني: ٤٦٦/٢.

(٤) بديع القرآن: ص ١٦٢، ١٦٣.

(٥) المصدر السابق: ص ٧٨.



﴿ تَبَيَّنَ الْإِبْدَاعُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ قَوْلَهُ: [هود: ٤٦]. ﴾

ويورد الزمخشري في هذه الآية الكريمة قوله:

"فهلا قيل إنه عملٌ فاسدٌ؟ قلت لما نفاه عن أهله نفي عنهم صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ المنفي، واذن بذلك أنه إنما أنجى من أنجى من أهله لصلاحهم، لا لأنهم أهلك، وأقاربك"<sup>(١)</sup>.

## ١٢- الإبداع:

يكاد يلتقي معظم العلماء في تعريف الإبداع وربطه باشتغال اللفظة على بديع أو أكثر، ويرى صاحب بديع القرآن أن المقصود بالإبداع: "أن تكون كل لفظة من لفظ الكلام على انفرادها متضمنةً بديعاً أو بديعين بحسب قوة الكلام، وما يعطيه معناه"<sup>(٢)</sup>.

وهذا ما ذهب إليه الزركشي الذي أورد في تعريف الإبداع قوله: "أن يشتمل الكلام على عدة ضروب من البديع"<sup>(٣)</sup>.

ولم يبتعد الهاشمي عن هذا حيث يرى أن المقصود بالإبداع؛ "أن يكون الكلام مشتملاً على عدة أنواع من البديع"<sup>(٤)</sup>.

وإذا كان بعض الدارسين يستشهدون بقول الشاعر:

فَضَحَّتَ الْحَيَا وَالْبَحْرَ جُوداً فَقَدَ بَكَى آلَ  
حَيَاً مِنْ حَيَاءِ مَنْكَ وَالتَّطَمَّ الْبَحْرُ

لما فيه من ألوان البديع، فإنه لا مجال للمقارنة بين هذا، وما هو أعظم وهو قوله تعالى:

﴿ تَبَيَّنَ الْإِبْدَاعُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ قَوْلَهُ: [هود: ٤٤]. ﴾

﴿ تَبَيَّنَ الْإِبْدَاعُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ قَوْلَهُ: [هود: ٤٤]. ﴾

"وقد أفردت هذه الآية الشريفة بتأليف لما اشتملت عليه من البلاغة حتى عدَّ بعضهم فيها مائة وخمسين نوعاً، وقد أجمع المعاندون على أن طوق البشر عاجزٌ عن الإتيان بمثلها"<sup>(٥)</sup>.

(١) الكشف: ٢٧٣/٢.

(٢) بديع القرآن: ص ٣٤٠.

(٣) الإتيان في علوم القرآن: ٢٨٨/٣، معترك الأقران: ٤١٩/١.

(٤) جواهر لبلاغة: ص ٣١٨.

(٥) المصدر السابق: ص ٣١٩.

أما الزركشي فأورد في هذه الآية قوله: " كيف أمر ونهى، وأخبر ونادى، ونعت وسمّى، واهلك وأبقى، وأسعد وأشقى، وقصّ من الأنباء ما لو شرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ، والبلاغة والإيجاز والبيان لجفت الأقلام، وانحسرت الأيدي" (١).

وأما صاحب البحر المحيط فأورد آراء عدد كبير من العلماء حول هذه الآية الكريمة بعد قوله: "فما أعظم إعجازها من آية عدّة ألفاظها تسع عشرة لفظة فيها أحد وعشرون نوعاً من البديع" (٢).

أما ابن أبي الإصبع فقال:

"ما رأيت ولا رويت في الكلام المنثور والشعر الموزون كآية من كتاب الله تعالى استخرجت منها أحداً وعشرين ضرباً من البديع، وعددها سبع عشرة لفظة. وهي قوله تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَاكَ فِي هَذِهِ الْقُرْآنِ الْبَيِّنَاتِ وَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَكْبَرُ مِنْ الْأَلْبَابِ﴾ (٣).

وقد فصل صاحب بديع القرآن ألوان البديع في هذه الآية تفصيلاً رائعاً ثمّ ختم بقوله: فانظر: رحمك الله إلى عظمة هذا الكلام، وما انطوى عليه نظمه، وما تضمنه لفظه لتقديره قدره... (٤).

وقد سبق الحديث عن هذه الآية بالتفصيل في التمهيد من خلال (نظرات في سورة هود) (٥).

### ١٣ - الإرداف:

والإرداف أحد فنون البديع التي ضمتها سورة هود عليه السلام بين صفحاتها، والمقصود بالإرداف في اصطلاح البلاغيين؛

"أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له، ولا بدلالة الإشارة، بل بلفظ يرادفه" (٦).

ويرى العسكري أنّ الإرداف:

(١) البرهان في علوم القرآن: ٢٦٦/٣ ، انظر معترك الأقران: ٤١٩/١.

(٢) البحر المحيط: ٢٢٧/٥ ، ٢٢٨.

(٣) بديع القرآن: ص ٣٤٠ ، الإتقان في علوم القرآن: ٢٨٨/٣ ، ٢٨٩.

(٤) انظر المصدر السابق: ص ٣٤٠ - ٣٤٣.

(٥) انظر التمهيد ص ١٨ - ٢٤.

(٦) معترك الأقران: ٢٩٠/١ ، بديع القرآن: ص ٨٣ ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ص ٥٤.



تمكّن لا زيغ فيه، ولا ميل إلى جهة الأمام، أو إلى جهة الخلف، أو إلى اليمين، أو إلى الشمال. فالاستقرار المستوي لا تقيده عبارة أخرى كما تقيده عبارة ﴿ نَوْفُوْا ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد سبق السيوطي إلى ذلك، فقد أورد في قوله تعالى: ﴿ أَسْقُوْا مِنْ دُونِهَا ﴾ قائلاً: "حقيقة ذلك (جلست)، فعُدل عن اللفظ الخاص بالمعنى إلى مرادفه، لما في الاستواء من الإشعار بجلوس متمكّن لا زيغ فيه، ولا ميل. وهذا لا يحصل من لفظ الجلوس"<sup>(٢)</sup>.

إن استعمال التنزيل الحكيم للإرداف سمة من سمات النظم البديع، وآية من آيات التناسق العجيب، فالجملة مختارة بإحكام فائق، والكلمة منتقاة بدقة بالغة يعجز عن الإتيان بمثلها أرباب الفصاحة، وفرسان الكلمة.

## ٤١ - الجناس:

ويعدُّ الجناس أحد أنواع المحسنات اللفظية في علم البديع. وبعض العلماء يسميه التجانس، ومن العلماء من يطلق على هذا الفنّ؛ (التجنيس). والمقصود به: "أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتهما في تأليف حروفها"<sup>(٣)</sup>. وحقيقة الجناس عند ابن الأثير: "أن يكون اللفظ واحداً والمعنى مختلفاً"<sup>(٤)</sup>. وعلى هذا فالجناس هو: "أن يتفق اللفظان في النطق، ويختلفا في المعنى"<sup>(٥)</sup>.

## أنواع الجناس

### ١- جناس الاشتقاق

ومن الجناس الذي ورد في سورة هود عليه السلام ما يسمى (جناس الاشتقاق) وهو: "أن يجمع اللفظين الاشتقاق"<sup>(٦)</sup>.

ومن جناس الاشتقاق ﴿ لَآءِٓمًا ۝١٠٠ ﴾ و ﴿ لَآءِٓمًا ۝١٠١ ﴾ في قوله تعالى:

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٤٨٠/٢.

(٢) معترك الأقران: ٢٩٠/١ ، الإتيان في علوم القرآن: ١٤٦/٣.

(٣) الصناعتين: ص ٣٥٣.

(٤) المثل السائر: ٢٦٢/١.

(٥) جواهر البلاغة: ص ٣٥٢.

(٦) الإيضاح: ص ٥٤٢.





# الفصل الخامس

## التناسق الفني في سورة هود

وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول: التناسق بين سورة هود وما قبلها وما بعدها

المبحث الثاني: التناسق بين فاتحة السورة وخاتمتها

المبحث الثالث: الوحدة الموضوعية في سورة هود

المبحث الرابع: لغة الحوار في سورة هود

المبحث الخامس: التناسق في الإيقاع الموسيقي

## المبحث الأول

### التناسق بين سورة هـود ما قبلها، وما بعدها

إنَّ المتذوق للجمال إذا أَرَادَهُ فَإِنَّهُ يَسْتَمْتِعُ بِهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَإِنَّ الْمُتَحَسِّسَ لِلرُّوعَةِ إِذَا قَصَدَهَا فَإِنَّهُ يَجِدُهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَيْضاً، وَإِنَّ الْبَاحِثَ عَنِ الذُّوقِ الرَّفِيعِ فَإِنَّهُ يَتَحَسَّسُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَإِنَّ مَنْ فَتَّشَ عَنِ جَمَالِيَّاتِ اللَّوْنِ، وَإِبْدَاعَاتِهِ رَأَاهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَإِنَّ مَنْ ذَهَبَ بَعِيداً هُنَاكَ لِيُطْرِبَ سَمْعَهُ بِجَمَالِ الْمَوْسِيقَى، وَيَثْبُتَ فُؤَادَهُ بِعَذْبِ الْغِنَاءِ، وَجَدَ ضَالَّتَهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَحَسَّسَ الْكَمَالَ وَالتَّمَامَ فِي أَرْقَى دَرَجَاتِهِمَا، بَلَغَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، كَيْفَ لَا؛ وَهُوَ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿...﴾ [الزمر: ٢٣].

فَلِكَ أَنْ تَجِدَ كُلَّ مَا يَرُوقُ لَكَ، وَتَرَى كُلَّ مَا يُمْتَعُ نَاطِرِيكَ، وَتَسْمَعُ كُلَّ مَا يُطْرِبُ أُذُنِيكَ، وَتَتَذُوقُ كُلَّ مَا يَرْطَّبُ لِسَانِكَ، وَتَرْتَلُّ مَا يَثْبُتُ فُؤَادَكَ ..... لَكَ أَنْ تَحْيَا ذَلِكَ كُلَّهُ إِذَا قَلَّبْتَ صَفَحَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَدَقَّقْتَ النَّظَرَ فِي سُورِهِ، وَأَنْعَمْتَ التَّفَكِيرَ فِي آيَاتِهِ.

وَإِذَا كَانَ التَّصْوِيرُ هُوَ الْقَاعِدَةُ الْأَسَاسِيَّةُ فِي أَسْلُوبِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَإِذَا كَانَ التَّخْيِيلُ وَالتَّجْسِيمُ هُمَا الظَّاهِرَتَيْنِ الْبَارِزَتَيْنِ فِي هَذَا التَّصْوِيرِ، فَإِنَّهُ يَتَوَارَى خَلْفَهُمَا ذُرُوءَةُ الْجَمَالِ، وَقَمَّةُ الْإِعْجَازِ الَّذِي يَتِمُّ فِي التَّنَاسُقِ، ذَلِكَ التَّنَاسُقُ الَّذِي يَبْلُغُ الذَّرْوَةَ فِي تَصْوِيرِ الْقُرْآنِ. وَ"التَّنَاسُقُ أَلْوَانٌ، وَدَرَجَاتٌ، وَمِنْ هَذِهِ الْأَلْوَانِ مَا تَتَبَّهَ لَهُ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ فِي بَلَاغَةِ الْقُرْآنِ، وَمِنْهُ مَنْ لَمْ يَمْسَسْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ حَتَّى الْآنَ"<sup>(١)</sup>.

إِنَّ التَّنَاسُقَ الْفَنِّيَّ يَمْتَلُّ قَمَّةَ الْبَحْثِ الْبَلَاغِيِّ، إِلَّا أَنَّهُ بَقِيَ بَعِيداً عَنِ آفَاقِ بَحْثٍ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَظَلُّ التَّنَاسُقُ الْفَنِّيُّ فِي النِّصِّ الْقُرْآنِيِّ وَسَيْلَةً رَئِيسَةً فِي رَسْمِ مَلَامِحِ الْجَمَالِ، وَأَدَاةً طَيِّعَةً فِي إِرْسَاءِ قَوَاعِدِ الْإِبْدَاعِ.

"إِنَّ التَّنَاسُقَ فِي النِّصِّ الْقُرْآنِيِّ الْكَرِيمِ يَبْلُغُ الدَّرَجَةَ الْعُلْيَا فِي إِحْدَاثِ جَمَالِيَّاتِ التَّصْوِيرِ الْفَنِّيِّ"<sup>(٢)</sup>.

وَيُنْقَلُ لَنَا مُحَمَّدُ عَبْدِ اللَّهِ دِرَازٌ إِعْجَابَهُ بِالتَّنَاسُقِ الْفَنِّيِّ فِي التَّنْزِيلِ الْحَكِيمِ قَائِلاً:

(١) التَّصْوِيرُ الْفَنِّيُّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ص ٨٧.

(٢) مِنْ جَمَالِيَّاتِ التَّصْوِيرِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ص ٥١.

"ذلك هو تناسق أوضاعها، وائتلاف عناصرها، وأخذ بعضها بحُجَزٍ بعض، حتى إنها لتتنظم منها وحدة محكمة لا انفصام لها"<sup>(١)</sup>.

إنَّ الجمال لا يتأتى بمجرد السرد اللفظي. "وجمال التعبير لا يتأتى من توالي الألفاظ أو العبارات، فمجرد السرد اللفظي لا يدلُّ على جمالٍ في ذاته، أو روعةٍ في أدائه... وإنما يتحقَّق ذلك من خلال التناسق في الدلالة، والتآلف في المعنى، والتناغم في النسق"<sup>(٢)</sup>.

لقد أبدع سيّد قطب في رسم ملامح التناسق، وهذا التناسق من وجهة نظره ألوان ودرجات؛ منها<sup>(٣)</sup>:

١- التنسيق في تأليف العبارات، بتخيُّر الألفاظ، ثم نظمها في نسقٍ خاصٍ يبلغ في الفصاحة أرقى درجاتها.

٢- ومنها ذلك الإيقاع الموسيقيّ الناشئ من تخيُّر الألفاظ، ونظمها في نسقٍ خاصٍ.

٣- ومنها تلك النكت البلاغية التي تتبَّه لها الكثيرون، ومن التعقيبات المتفكِّة مع السِّياق.

٤- ومنها ذلك التسلسل المعنويّ بين الأغراض في سياق الآيات، والتناسق في الانتقال من غرضٍ إلى غرضٍ، وبعضهم يتمحَّل [يحتمل] لهذا التناسق تمحُّلاً لا ضرورة له، حتى ليصل إلى حدٍّ من التكلُّف، ليس القرآن في حاجةٍ إلى شيءٍ منه.

٥- ولعلَّ أعلى نوع من التناسق تتبَّهوا إليه هو هذا التناسق النفسيّ بين الخطوات المتدرجة في بعض النصوص، والخطوات النفسية التي تصاحبها.

وإذا أردنا أن ننقل نموذجاً للتناسق الفنيّ هذا فلننتاول قوله تعالى:

﴿لَمَّا سَأَلْنَا آلَ مَرْيَمَ مَا نَحْنُ بِعَالِمِينَ ﴿٢٨﴾ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿لَمَّا سَأَلْنَا آلَ مَرْيَمَ مَا نَحْنُ بِعَالِمِينَ ﴿٢٨﴾ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [هود: ٢٨]. فأنت إذا دققت النظر في كلمات الآية تحسُّ "أنَّ كلمة ﴿لَمَّا سَأَلْنَا آلَ مَرْيَمَ مَا نَحْنُ بِعَالِمِينَ﴾

تصوِّر جو الإكراه بإدماج كلِّ هذه الضمائر في النطق، وشدَّ بعضها إلى بعض، كما يدمج الكارهون مع ما يكرهون، ويشدّون إليه وهم منه نافرون! وهكذا يبدو لونٌ من التناسق أعلى من البلاغة الظاهرية، وأرفع من الفصاحة اللفظية، اللتين يحسبهما بعض الباحثين في القرآن - قديماً وحديثاً - أعظم مزايا القرآن!<sup>(٤)</sup>.

(١) النبأ العظيم: ص ١٤٢.

(٢) من جماليات التصوير في القرآن الكريم: ص ١٢.

(٣) انظر التصوير الفني في القرآن: ص ٨٧، ٨٨.

(٤) المصدر السابق: ص ٩٢.

لقد دُرِسَ التعبيرَ القرآنيَّ دراساتٍ مستفيضةً، وأوَّلِيَّ من النظر ما لم ينله نصُّ آخر في الدنيا، وأُعْطِيَ من الاهتمام ما لم يعطه أيُّ فنٍّ من فنون الأدب الأخرى، كما لم يغفل الدارسون التناسقَ الفنيَّ في الآياتِ والسُّورِ، "فقد درس من حيث تصويره، فكان أجمل تصويرٍ، وأبرع لوحةً فنيَّةً، ودرس من حيث نظمه، وموسيقاه فكان أروع عقدٍ منظومٍ، وأعذب قطعةً فنيَّةً موسيقيَّةً، وهل يشكُّ أحدٌ في فخامة نظمه، وحلاوة موسيقاه، وعذوبة جرسه، وحسن اختيار ألفاظه، وجمال وقع آياته؟! ودرس تناسب سورته سورةً سورةً، وتناسب آياته آيةً آيةً، وتناسب فواتح السور وخواتمها، فكان قطعةً واحدةً محكمة الربط، فخمة النسيج"<sup>(١)</sup>.

إنَّ القرآنَ الكريمَ معجزٌ في كلِّ شيءٍ، في أسلوبه وتعبيره، وفي تشريعه وفقهه، وفي تناسبه وتناسقه، وفي معالجته جوانب الحياة المختلفة على أكمل وجه، وأبهى صورةً.

ولا يتوقَّفُ إعجاز القرآن عند نقطة معينة، ولا يرتبط هذا الإعجاز بشخص بعينه، بل يراه الأديب معجزاً، ويراه اللغوي معجزاً، ويراه الفنان معجزاً، ويراه أرباب القانون والتشريع معجزاً، ويراه المربُّون معجزاً، ويراه علماء الاقتصاد معجزاً، ويراه علماء النفس، والمعنيون بالدراسات النفسية معجزاً، ويراه كلُّ راسخ في علمه معجزاً.

إنَّ المتدبِّر للقرآن الكريم، المتأمِّل للتناسق الفنيِّ بين سورته وآياته، يرتقي مرتقى سامياً، ويصعد جبلاً شامخاً، ويغوص في أعماق بحرٍ، في أحشائه غدا الدرُّ كامناً.

إنَّ التناسب سمةٌ جليَّة في التنزيل الحكيم، ونحن نرى التعبير متناسقاً مع غيره في كلِّ آيات القرآن الكريم، فقد "بلغ القرآن الكريم في هذا الفنِّ الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقُّه في التعبير، بحيث تستقرُّ في مكانها المناسب. ولم يكتفِ القرآن الكريم في وضع اللفظة بمراعاة السياق الذي وردت فيه، بل راعى جميع المواضع التي وردت فيها اللفظة، ونظر إليها نظرةً واحدةً شاملةً في القرآن الكريم كلِّه، فنرى التعبير متناسقاً متناسقاً مع غيره من التعبيرات، كأنه لوحة فنيَّة واحدة مكتملة متكاملة"<sup>(٢)</sup>.

إنَّ الباحثين في عالم التناسق الفنيِّ في القرآن الكريم عثروا على المزيد من الكنوز في ميدان الإعجاز، فقد "كشف لهم وهم يقبِّلون صفحات القرآن عن بحارٍ ليس لها ساحل، وغاصوا في لججٍ ليس لها قعر، وكلُّ عاد بلؤلؤة كريمة، أو عقدٍ نظيمٍ، وبقيت ثمة خزائن تفوق الحصر، لم يلجها الوالجون، وكنوز لا يطبقها الإحصاء، ولم تمتدَّ إليها الأيدي، تقنى الدنيا ولا تقنى، ويبلى كل جديد ولا تبلى، فيها من عجائب صنع الله ما لو اطلعت عليه لم تعرف كيف

(١) التعبير القرآني: ص ١٩.

(٢) المصدر السابق: ص ٥٣.



فيها في المحاوره مباشره ﴿ 4#Sqđ Nd% & S%e 4#r ﴾ [هود: ٥٠]، وتلاها بقصة ثمود ﴿ 1#qđ Nd% & Sqđ 4#r ﴾ [هود: ٦١].

والعلّة في هذا الترتيب أنّه: "لما انقضت قصّة عادٍ على ما أراد الله سبحانه وتعالى، أتبعها قصّة من كان عقبيهم في الزمن، ومثلهم في سكنى أرض العرب، وعبادة الأوثان، والمناسبة في الأمر المعذب به؛ لأنّ الأمر الموصل للصيحة إلى الأسماع هو الرّيح وفي خفاء أمرهم، مفصلاً على أهل ذلك الزمان"<sup>(١)</sup>.

وانتهت هذه القصة بمشهدٍ مروّعٍ تمثّل في قوله تعالى:

﴿ 1#qđ Nd% & Sqđ 4#r ﴾ [هود: ٦٧].

ولعلنا ندرك السرّ في ذكر قصة لوط عليه السلام بعدها، والسرّ في هذا الترتيب أنّه لما انقضت القصة على هذا الوجه الرائع، أتبعها قصة لوط عليه السلام؛ إذ كانت أشهر الوقائع بعدها، وهي أفظع منها وأروع"<sup>(٢)</sup>. ومن هنا كان القرآن الكريم خير سجلّ للوقائع التاريخيّة. أما قوله تعالى:

﴿ 1#qđ Nd% & Sqđ 4#r ﴾ [هود: ٨٢، ٨٣]؛ فإنّه يرسم لنا نهاية قوم لوط عليه السلام، كأنّها لوحة فنية بارعة متكاملة الخطوط، نشاهد فيها اللون، ونسمع فيها الصوت الذي تحدّثه الانهيارات، ونتحمّس فيها الحركة الدائبة في الارتفاع والانخفاض، وفي العلوّ والسقوط، ونعيش فيها الحدث لحظةً بلحظة. حتى نصل بعد ذلك إلى النهاية المروّعة، وكأنّنا أمام مشهدٍ حيّ.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما السرّ في ذكر قصة مدين بعد قصة لوط؟ والجواب عن ذلك أنّه: "لما انتهت القصة معلّمة بما قام به لوط عليه السلام من أمر الله غير وانٍ لرغبةٍ، ولا رهبةٍ وبما في إنزال الملائكة من الخطر، أتبعنا أقرب القصص الشهيرة إليها في الزمن فقال تعالى: ﴿ 1#qđ Nd% & Sqđ 4#r ﴾ [هود: ٨٤]"<sup>(٣)</sup>.

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٥٤٧/٣.

(٢) المصدر السابق: ٥٥٢/٣.

(٣) المصدر السابق: ٥٦٣/٣.

إنَّ التناسب الفنيَّ الرائع يبدو واضحاً كذلك في ذكر قصة موسى عليه السلام بعد قصة شعيب عليه السلام ﴿قَدْ سَأَلْنَاكَ إِذْ كُنَّا فِي الْكَلْبِ أَنْ تَمْنُنَ عَلَيْنَا فَمَا نَجِدُكَ إِلَّا مُتَوَلِّئًا﴾ [هود: ٩٦]، والعلة في ذلك صلة النسب بينهما، والتي يبيِّنها قوله تعالى على لسان شعيب في سورة القصص:

﴿وَلَمَّا كَانَتْ لَيْلٌ نَسِيَ شُعَيْبٌ الْوَيْلَةَ الَّتِي كَانَتْ أَهْلًا بِهَا فَأَنبَأَ فَتَلَّىٰهَا وَرَدُّهَا عَلَىٰ رِجْلَيْهَا فَاخْتَلَفَ الْأَثَرُ﴾ [قصص: ٢٧].  
وهذا ما أورده السيوطي قائلًا:

"لَمَّا كَانَ شُعَيْبٌ خَتَنَ مُوسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ، كَانَ ذَكَرَ قِصَّتَهُ هُنَا مُتَوَقِّعًا مَعَ مَا حَرَّكَ إِلَىٰ تَوَقُّعِهَا مِنْ ذِكْرِ كِتَابِهِ أَوَّلَ السُّورَةِ، وَمَعَ مَا فِي عَصَا مُوسَىٰ مِنْ مَنَاسِبَةٍ نَاقَةٍ مِنْ خَتْمِ التَّشْبِيهِ بِحَالِهِمْ، فَذَكَرَهَا بَعْدَهَا مَفْتَحًا لَهَا بِحَرْفِ التَّوَقُّعِ فَقَالَ مُؤَكِّدًا تَنْبِيهًا عَلَىٰ أَنَّ فِرْعَوْنَ فَعَلَ فِعْلَ قَرِيشٍ فِي الْإِدْبَارِ عَنِ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ، وَلَمْ يَتْرِكْ مُوسَىٰ شَيْئًا مِمَّا أُوْحِيَ إِلَيْهِ مِنْ إِذْكَارِهِ"<sup>(١)</sup>.  
واكتملت ملامح اللوحة الفنيَّة، وتكاملت خطوطها بقوله تعالى:

﴿وَلَمَّا كَانَتْ لَيْلٌ نَسِيَ شُعَيْبٌ الْوَيْلَةَ الَّتِي كَانَتْ أَهْلًا بِهَا فَأَنبَأَ فَتَلَّىٰهَا وَرَدُّهَا عَلَىٰ رِجْلَيْهَا فَاخْتَلَفَ الْأَثَرُ﴾ [هود: ١٢٠].

"وهذه الآية تبيِّن أنَّ المراد بذلك العام خاص لحصول المقصود به، وهو التسلية نظرًا إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا كَانَتْ لَيْلٌ نَسِيَ شُعَيْبٌ الْوَيْلَةَ الَّتِي كَانَتْ أَهْلًا بِهَا فَأَنبَأَ فَتَلَّىٰهَا وَرَدُّهَا عَلَىٰ رِجْلَيْهَا فَاخْتَلَفَ الْأَثَرُ﴾ [هود: ١٢]؛ لأنَّ المشاركة في الأمور الصعبة تهوِّن على الإنسان ما يُلْقَىٰ مِنَ الْأَذَىٰ، وَالْإِعْلَامُ بِعُقُوبَاتِ الْمَكْذِبِينَ فِيهَا تَأْنِيسٌ لِلْمَكْرُوبِ"<sup>(٢)</sup>.

لقد اشتملت هذه القصص على مجموعة من الوسائل التعبيرية، سواء أكانت سمعيَّة أم بصريَّة، وكلُّ هذه الوسائل التعبيرية من سمعيَّة، وبصريَّة ساعدت على إخراج السُّورة في صورة عرضٍ مركَّبٍ بجميع ما تحمله الكلمة من معنى؛ حيث تعدَّدت فيه المراحل الزمنية، والأماكن، والأشخاص، والقصص، بالإضافة إلى أنها بدأت بالمرحلة الأخيرة ثم رجعت بالعرض إلى أقدم الأزمان، ثم كررت من جديد فُدمًا مع ترتيب القصص، وتعاقبها تاريخياً"<sup>(٣)</sup>.

ويبيدي محمد عبد الله دراز إعجاباً منقطع النظير بهذا التناسق الفنيَّ الرائع في هذه القصص وغيرها قائلًا: "أيُّ تدبيرٍ محكمٍ، وأيُّ تقديرٍ مبرمٍ، وأيُّ علمٍ محيطٍ لا يَضِلُّ، ولا

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٥٧٣/٣.

(٢) المصدر السابق: ٥٧٣/٣.

(٣) بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم: ص ٢٥٩.



ينسى، ولا يتردد، ولا يَتَمَكَّثُ؛ كان قد أعدَّ لهذه المواد المبعثرة نظامها، وهداها في إبان تشيئها إلى ما قَدَّرَه لها، حتى صيغَ منها ذلك العقد النَّظِيم، وسرى فيها هذا المزاج العجيب؟<sup>(١)</sup>.

وإذا أُنعمنا النظر في سورة هود، وتقلَّنا بين آياتها؛ فإننا ندرك أنَّ هذه السُّورة تتنقَّل بين عدَّة موضوعات، وتحتوي على ثلاثة قطاعات متميزة<sup>(٢)</sup>:

القطاع الأول – يتضمَّن حقائق العقيدة في مقدِّمة السُّورة، ويشغل حيزاً محدوداً.

القطاع الثاني – يتضمَّن حركة هذه الحقيقة في التاريخ، ويشغل معظم سياق السورة.

القطاع الثالث – يتضمن التعقيب على هذه الحركة في حيز كذلك محدود.

"وواضح أنَّ قطاعات السُّورة بجملتها تتعاون، وتتناسق في تقرير الحقائق الاعتقادية التي يستهدفها سياق السُّورة كُلُّه؛ وأنَّ كلَّ قطاعٍ منها يقرِّر هذه الحقائق وفق طبيعته، وطريقة تناوله لهذه الحقائق"<sup>(٣)</sup>.

ولا يبتعد محمد عبد الله دراز عن ذلك، بل أثبت حقيقة وجود التناسق الفني في السُّور ذات المعاني المتعددة – ومنها سورة هود عليه السلام – يقول:

"واعمد إلى أيِّ سورة من تلك السُّور التي تتناول أكثر من معنى واحد، وما أكثرها في القرآن، فهي جمهرته – وتنقَّل بفكرتك معها مرحلةً مرحلة، ثم ارجع البصر كرّتين، كيف بُدئت؟ وكيف خُتمت؟ وكيف تقابلت أوضاعها وتعادلت؟ وكيف تلاقت أركانها وتعانقت؟ وكيف ازدوجت مقدِّماتها بنتائجها، ووطأت أولها لأخراها؟.. وأنا لك زعيم بأنك لن تجد البتَّة في نظام معانيها أو مبانيها ما تعرف به أكانت هذه السورة قد نزلت في نجمٍ واحد، أم في نجومٍ شتى"<sup>(٤)</sup>.

وسورة هود عليه السلام بلا أدنى شكَّ هي إحدى السُّور التي تتناول عدَّة موضوعات، ولكن رغم ذلك؛ فإنَّ الموضوعات التي تتناولها السورة تتألف فيما بينها تآلفاً عجيباً، وتتسق اتساقاً بديعاً، فالسُّورة تحملك لتسافر بين عدَّة أمكنة كان يقطنها الأنبياء وأقوامهم، وفي عدَّة أزمنة من تاريخ البشرية والتي عاشها الأنبياء مع أقوامهم أيضاً، فكان

(١) النبأ العظيم: ص ١٥٧.

(٢) في ظلال القرآن: ١٨٤٤/١٢.

(٣) المصدر السابق: ١٨٤٤/١٢.

(٤) النبأ العظيم: ص ١٥٤.

السورة عبارة عن حلقات تفضي كل حلقة إلى أختها، وقد عبّر محمد عبد الله دراز عن هذا التماسق أصدق تعبير قائلًا:

"ولماذا نقول: إنَّ هذه المعاني تتَّسق في السورة كما تتَّسق الحُجرات في البنيان؟ لا، بل إنَّها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان، فبين كلِّ قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظمان عند المفصل، ومن فوقهما تمتدُّ شبكة من الوشائج تحيط بها عن كثب، وكما يشتبك العضوان بالشرابين والعروق والأعصاب؛ ومن وراء ذلك كلُّه يسري في جملة السورة اتجاه معين، تؤدي بمجموعها غرضاً خاصاً، كما يأخذ الجسم قواماً واحداً، ويتعاون في جملته على أداء غرضٍ واحدٍ مع اختلاف وظائفه العضوية"<sup>(١)</sup>.

---

(١) النبأ العظيم: ص ١٥٥.

## المبحث الثاني

### التناسق بين فاتحة السورة وخاتمتها

#### أولاً - براعة الاستهلال:

قال أهل البيان: "من البلاغة حسن الابتداء؛ وهو أن يُتأنق في أول الكلام؛ لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان محرراً أقبل السامع على الكلام ودعاه، وإلا أعرض عنه، ولو كان الباقي في نهاية الحسن، فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب اللفظ، وأجزله، وأرقه، وألسسه، وأحسنه نظماً وسبكاً، وأصحّه معنىً، وأوضحه وأخلاه من التعقيد، والتقديم، والتأخير الملبس، أو الذي لا يناسب، وقد أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه، وأبلغها وأكملها، كالتحميدات وحروف الهجاء، والنداء، وغير ذلك"<sup>(١)</sup>.

وقد افتتح الله جلّ جلاله سور القرآن بعشرة أنواع من الكلام، لا يخرج شيء من السور عنها، وقد لخص السيوطي ما ذكره ابن أبي الإصبع في كتابه: (الخواطر السوانح في أسرار الفواتح) وهي<sup>(٢)</sup>:

الثناء عليه تعالى، وحروف التهجي، والنداء، والجمل الخبرية، والقسم، والشرط، والأمر، والاستفهام، والدعاء، والتعليل.

ويتفاوت الناس في هذا الأمر، أما القرآن الكريم فلا تفاوت فيه ولا تمايز، "واعلم أنّ ما هذا حاله تتفاوت فيه الناس كثيراً، فإنه إذا كان حسناً كان مفتاحاً للبلاغة، وديباجة للبراعة، ولهذا فإنك تجد الافتتاحات في القرآن الكريم على أحسن ما يكون، وأبلغه لملاءمة المقصود بالسورة"<sup>(٣)</sup>.

ومن الابتداء الحسن نوعٌ أخصّ منه يسمى: براعة الاستهلال، ويحمل المصطلح عدّة تعريفات لعلّ جميعها ينهل من منهلٍ واحدٍ، ويصبُّ في مصبِّ واحدٍ أيضاً.

وبراعة الاستهلال يسمى حسن الابتداء أو براعة المطلع، والمقصود به؛ "أن يجعل أول الكلام رقيقاً سهلاً، واضح المعاني، مستقلاً عمّاً بعده، مناسباً للمقام"<sup>(٤)</sup>. ويربط السيوطي بين تعريف البلاغة، وبراعة الاستهلال من حيث مناسبتة لحال المتكلم قائلاً:

(١) الإتيان في علوم القرآن: ٣/٣١٨.

(٢) المصدر السابق: ٣/٣١٦، ٣١٧.

(٣) الطراز: ص ٥٦٨.

(٤) جواهر البلاغة: ص ٣٤٣.



﴿ ٧٧ ﴾ ﴿ يونس: ١٠٩ ﴾ هو عين قوله هنا ﴿ ٧٧ ﴾ ﴿ يونس: ١٠٩ ﴾

﴿ ٧٧ ﴾ ﴿ يونس: ١٠٩ ﴾ هو عين قوله هنا ﴿ ٧٧ ﴾ ﴿ يونس: ١٠٩ ﴾

وأختم في هذا أن بدايات السور عالم من الجمال والبهاء، وبحر من الإبداع والصفاء، وسر من أسرار الفصاحة في جملتها، ومفرداتها، ومركباتها، وأنت "إذا تدبّرتها جملتها، وتفصيلها، ومفرداتها، ومركباتها، ومعجماتها، ومعرباتها، ونظرت في أعداد حروفها، وما يوافق أعدادها من العدد الحسابي، وما نسب إليه من المعاني، رأيت من البلاغة والتفنن في أنواع الإشارة ما تقصر عنه العبارة"<sup>(٢)</sup>.

## ثانياً - حسن الانتهاء:

وهو من أوصاف البلاغة، والمقصود بحسن الانتهاء؛ "توخي المتكلم ختم كلامه بما يشعر بالنجاح والتّمام لغرضه، وهذا تجده في القرآن على أحسن وجه، وأعجبه"<sup>(٣)</sup>.  
ويقال له حسن الختام:

"وهو أن يجعل المتكلم آخر كلامه عذب اللفظ، حسن السّبك، صحيح المعنى، مشعراً بالتّمام"<sup>(٤)</sup>.

ويرى آخرون أن (براعة الختام) هي: "أن يختم المتكلم كلامه بختام حسن؛ إذ هو آخر ما يطرق الأسماع، أو يقع عليه نظر القارئ، فيحسن فيه أن يكون بمثابة أطيب لقمة في آخر الطعام، أو بمثابة آخر اللمسات الناعمات المؤثرات التي تعلق في النفوس، وتسكن عندها سكون ارتياح، وتظلّ لها ذكريات تحرك النفوس بالشوق إلى المزيد من أمثال ذلك الحديث"<sup>(٥)</sup>.

وكما أن القرآن يتحلّى بأبداع بدايات وأنقها، فإنّه كذلك يتحلّى بأبداع نهايات وأنقها كيف لا، وهو المتميز بمتانة أسلوبه، وسلامة بيانه، وحسن تركيبه، وتماسك بنيانه، وإعجاز نظمه؟!.

(١) تناسق الدرر في تناسب السور: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي - دراسة وتحقيق عبد القادر عطا - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، ص ٩٤ ، أسرار ترتيب القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي - دراسة وتحقيق عبد القادر عطا ومرزوق علي إبراهيم - دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة ٢٠٠١م، ص ٩٤.

(٢) بديع القرآن: ص ٦٤.

(٣) الطراز: ص ٥٦٨.

(٤) جواهر البلاغة: ص ٣٤٤.

(٥) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٥٦٣/٢.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما السرُّ في روعة الخواتم، وحسن النهايات في سور القرآن؟ والجواب عن هذا السؤال يورده صاحب بديع القرآن قائلاً:

"وجميع خواتم السُّور الفرقانية في غاية الحسن، ونهاية الكمال؛ لأنها بين أدعية، ووصايا، وفرائض، وتحميد، وتهليل، ومواظ، إلى غير ذلك من الخواتيم التي لا يبقى للنفوس بعدها تشوُّف إلى ما يقال"<sup>(١)</sup>. فالخواتم لم تترك لمستزيدٍ أيَّ زيادةٍ، ولا لمضيفٍ أيَّ إضافةٍ.

أما خاتمة سورة هود فهي قوله تعالى:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَجَعَلْنَاهُ تِلْكَآةً لِّعَلَّكَ تَفْهَمُ﴾ [هود: ١٢٣].

إنَّ هذه الآية حملت للرسول صلى الله عليه وسلم كلَّ معاني التسرية والتسليية.

وتتعدَّد صور الخواتم في السُّور الفرقانية كتعدُّد الفواتح، كما أنَّها تحمل في طياتها الحسن، وهذا ما أورده الزركشي قائلاً: "وخواتم السور هي مثل الفواتح في الحسن؛ لأنها آخر ما يقرع الأسماع؛ فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة، مع إيذان السامع بانتهاء الكلام حتى يرتفع معه تشوُّف النفس إلى ما يذكر بعد"<sup>(٢)</sup>.

وهذه الخاتمة حملت التهديد والوعيد للكافرين من ناحية، والتسليية للرسول من ناحية أخرى، وهذا ما تناقله معظم العلماء، ومنهم صاحب بديع القرآن الذي يقول:

"وفي الآية وعيد وتهديد للكفار الضالِّين المضلِّين، وتسليية للرسول محمد صلى الله عليه وسلم"<sup>(٣)</sup>.

وقارب السيوطي بين خاتمة سورة يونس، وخاتمة سورة هود؛ حيث يرى أنَّهما لتسلييته عليه الصلاة والسلام<sup>(٤)</sup>.

إنَّ التناسب بين مفتح السور وخواتيمها أمر معلوم ومشهور، فهناك كثير من السُّور يتجلى فيها هذا. والتناسب سمة واضحة في سور القرآن الكريم، ومنها على سبيل المثال لا الحصر سورة الأنعام، وسورة النساء، فقد بدأت سورة النساء بقوله تعالى:

(١) بديع القرآن: ص ٣٤٦.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٢٣٣/١ ، الإتيقان في علوم القرآن: ٣٢٠/٣.

(٣) بديع القرآن: ص ٣٤٧ ، معاني القرآن الكريم: ٣٠٥/٢.

(٤) انظر الإتيقان في علوم القرآن: ٣٢٠/٣.

﴿ وَاللَّهُ يَخْتُمُ السُّورَةَ بِالْآيَةِ الْكُرْسِيِّ ﴾ [النساء: ١، ٢].  
 ﴿ وَاللَّهُ يَخْتُمُ السُّورَةَ بِالْآيَةِ الْكُرْسِيِّ ﴾ [النساء: ١، ٢].

وختمت بقوله تعالى:

﴿ وَاللَّهُ يَخْتُمُ السُّورَةَ بِالْآيَةِ الْكُرْسِيِّ ﴾ [النساء: ١٧٦].  
 ﴿ وَاللَّهُ يَخْتُمُ السُّورَةَ بِالْآيَةِ الْكُرْسِيِّ ﴾ [النساء: ١٧٦].

ومن الواضح أنها "بدأت بخلق الإنسان وبثّ نريته في الأرض:

﴿ وَاللَّهُ يَخْتُمُ السُّورَةَ بِالْآيَةِ الْكُرْسِيِّ ﴾ [النساء: ١].  
 ﴿ وَاللَّهُ يَخْتُمُ السُّورَةَ بِالْآيَةِ الْكُرْسِيِّ ﴾ [النساء: ١٧٦].  
 وهي صورة فنيّة عظيمة لبدء الحياة ونهايتها.

كما ابتدأت ببناء الأموال للنشاء الجديد من اليتامى من أنصبتهم من المواريث و هم يستقبلون الحياة، واختتمت بتقسيم تركات من ودّع الحياة. وهذا من أعجب التناسب وأبدعه<sup>(١)</sup>.

وكذلك التناسب بين المفتوح والخاتمة واضح في "الأعراف" و (يونس) و (ص) و (ق).....<sup>(٢)</sup>.  
 والتناسب بين المفتوح والخاتمة - أيضاً - ظاهر في سورة هود عليه السلام، فقد ابتدأت بقوله تعالى:

﴿ وَاللَّهُ يَخْتُمُ السُّورَةَ بِالْآيَةِ الْكُرْسِيِّ ﴾ [هود: ٢]، وختمت بقوله:

﴿ وَاللَّهُ يَخْتُمُ السُّورَةَ بِالْآيَةِ الْكُرْسِيِّ ﴾ [هود: ١٢٣].

ومعنى ذلك أنّ السورة بدأت بالأمر بعبادة الله، وانتهت كذلك بالأمر بالعبادة، وهذا ما أورده السامرائيّ قائلاً:

(١) التعبير القرآني: ص ٢٥٣.

(٢) انظر المصدر السابق: ص ٢٥٢ - ٢٥٧.

"فانظر كيف ابتدأت السورة بالنهي عن عبادة غير الله، وخُتمت بالأمر بعبادته"<sup>(١)</sup>.

ويكاد يتفق معظم علماء التفسير في هذا القول، ويورد سيّد قطب قوله:  
"وهكذا تختتم السورة التي بدئت بالتوحيد في العبادة، والتوبة والإنابة والرجعة إلى الله في النهاية  
بمثل ما بدئت به من عبادة الله وحده، والتوجه إليه وحده، والرجعة إليه في نهاية المطاف، وذلك  
بعد طول التطواف في آفاق الكون، وأغوار النفس، وأطواء القرون..... وهكذا يلتقي جمال  
التسويق الفني في البدء والختام، والتناسق بين القصص، والسياق بكمال النظرة، والفكرة،  
والإتجاه في هذا القرآن"<sup>(٢)</sup>.

وهذا نفسه ما أورده الصابوني قائلاً:

"وهكذا تختتم السورة بالتوحيد كما بدئت به؛ ليتناسق البدء مع الختام"<sup>(٣)</sup>.

وأختم في هذا المقام فأقول:

إنّ التناسق الفني بين مفتح السورة، وخاتمتها دليل من دلائل الإعجاز، وسرٌّ من  
أسرار بلاغة القرآن التي يقف أمامها البشر عاجزين، ويتوقف عندها أرباب الفصاحة  
مبهورين، وما ذاك إلا دليل قاطع من آلاف الأدلة التي تثبت أنه: "لم تصغه أسلاتُ  
الأسنة، ولا أُنضج بنار الفكرة، وإنما هو كلام سماويّ، ومعجز إلهيّ، ما زالت رحال  
الخواطر الذكيّة معقولة بفنائمه؛ لتطّلع على رموزه، وما برحت الأنظار الصافية مأسورة  
في رقّ ملكه؛ لنقع على أعلى جوهر كنوزه"<sup>(٤)</sup>.

(١) التعبير القرآني: ص ٢٥٤.

(٢) في ظلال القرآن: ١٢ / ١٩٣٤.

(٣) صفوة التفاسير: ٨/٢.

(٤) الطراز: ص ٥٦٩.



## المبحث الثالث

### الوحدة الموضوعية في سورة هود:

إنَّ الوحدة الموضوعية من أهم الشروط التي يجب توافرها في العمل الأدبيّ، والفنون الأدبيّة؛ كالقصة، والمسرحية، وإذا كنّا نتناول الوحدة الموضوعية في سورة هود عليه السلام، فإننا لا نريد البتّة أن نقارن بين القرآن الكريم من جهة، والفنون الأدبية من جهة أخرى؛ لأنّ البون واسع بينهما، فشتان ما بين القرآن الكريم وغيره من الأجناس الأدبيّة مهما علت. وإنما نريد أن نوضح تلك الوحدة الموضوعية، ونبيّن التماسك العضويّ، ونؤكد الترابط الفنيّ الدقيق فيها.

والمراد بالوحدة الموضوعية هو:

"أن يكون العمل الفنيّ متماسكاً إلى أبعد درجات التماسك؛ بحيث إنّ كلّ جزئية تقضي إلى التي تليها، ولا يمكن حذف جزئية واحدة؛ لأنّ العمل الفنيّ يستغني عنها، أو إضافة جزئية أخرى يفنقر إليها، وينبغي أن نقرّر ابتداءً أنّ القرآن يجمع أحسن ما يكون الجمع بين الناحيتين: الفنيّة والدينيّة، وأنّ الناحية الفنيّة وسيلة دائماً للناحية الدينيّة، ويستحيل فصل الواحدة عن الأخرى"<sup>(١)</sup>.

ويشير السيوطي إلى النظرة الشاملة الكلّيّة للسورة أو الوحدة الموضوعية لها قائلاً:

"الأمر الكلّي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن، هو أنك تتنظر الغرض الذي سيقّت له السورة، وتتظر ما يحتاجه ذلك الغرض من المقدمات، وتتظر إلي مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتتظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام أو اللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلّي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا فعلته تبيّن لك وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية وفي كلّ سورة وسورة"<sup>(٢)</sup>.

وينقل لنا محمد عبد الله دراز إعجابه بالوحدة الموضوعية في السورة الواحدة، وإنفراد النظم القرآنيّ بهذا الإبداع قائلاً:

(١) الوحدة الموضوعية في سورة يوسف: حسن محمد باجودة، تهامة للطباعة والنشر والتوزيع، جدة -

المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ص ٣٥.

(٢) الإتقان في علوم القرآن: ٣٢٨/٣.

"فإن كنت قد أعجبتك من القرآن نظام تأليفه البياني في القطعة منه، حيث الموضوع واحد بطبيعته، فهلمَّ إلى النَّظر في السُّورة منه، حيث الموضوعات شتَّى، والظروف متفاوتة؛ لتري من هذا النظام ما هو أدخل في الإعجاب، والإعجاز"<sup>(١)</sup>.

ولعلَّ من ملامح الوحدة الموضوعية التي ترسمها سورة هود عليه السلام الحال الواحدة للرسل الكرام مع ربهم، وينقل لنا سيد قطب وحدة التعبير القرآني قائلاً:

"والذي يرجح هذا عندي هو وحدة التعبير القرآني في السُّورة — في تصوير ما بين الرسل الكرام وربهم، من بيِّنة يجدونها في أنفسهم، يستيقنون معها أنَّ الله هو الذي يوحي إليهم، ويجدون بها ربهم في قلوبهم وجوداً مستيقناً واضحاً، لا يخالجهم معه شكٌّ ولا ريبة.

فروح — عليه السلام — يقول لقومه:

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ لِلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ إِنَّمَا جَعَلْتُمَا شُرَكَاءَ لِيُذَكَّرَ أَهْلُ الْمَدْيَنَةِ ﴾ [هود: ٢٨].

وصالح عليه السلام يقول الكلمة ذاتها:

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ لِلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ إِنَّمَا جَعَلْتُمَا شُرَكَاءَ لِيُذَكَّرَ أَهْلُ الْمَدْيَنَةِ ﴾ [هود: ٦٣].

وشعيب عليه السلام يقولها كذلك:

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ لِلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ إِنَّمَا جَعَلْتُمَا شُرَكَاءَ لِيُذَكَّرَ أَهْلُ الْمَدْيَنَةِ ﴾ [هود: ٨٨].

[هود: ٨٨]. فهو تعبير موحدٌ عن حال واحدة للرسل الكرام مع ربهم، تصور حقيقة ما يجدونه في أنفسهم من رؤية قلبية مستيقنة لحقيقة الألوهية في نفوسهم، ولصدق اتصال ربهم بهم عن طريق الوحي أيضاً.... وهذا التوحيد في التعبير عن الحال الواحدة مقصودة قصداً في سياق السُّورة — لإثبات أنَّ شأن النبي — صلى الله عليه وسلم — مع ربه، ومع الوحي الذي تنزل عليه شأن سائر الرسل الكرام قبله؛ مما يبطل دعاوى المشركين المفتراة عليه — صلى الله عليه وسلم — وكذلك لنتيخته هو والقلة المؤمنة معه على الحق الذي معهم؛ فهو الحق الواحد الذي جاء به الرسل جميعاً، والذي أسلم عليه أتباع الرسل جميعاً"<sup>(٢)</sup>.

(١) النبأ العظيم: ص ١٤٤.

(٢) في ظلال القرآن: ١٨٤٦/١٢.



الأنبياء التي تبدو وكأنها قطعة فنية متكاملة، بحيث لا تفارق القطعة المشاهد إلا ويدرك فيها البداية، والحدث، والنهاية، كما يستمتع بالإبداع القرآني في تقديم الحدث، واستخدام الزمان، ورسم الشخصيات، وتفعيل المكان، إلى أن يصل إلى النهاية التي تُشبع شوق هذا السامع وتوقه.

وتبقى قمة الإثارة والمتعة حاضرة في عرض القصص في سورة هود عليه السلام، أضف إلى ذلك أن طريقة استخدام الأساليب كفل لها التكامل والترابط، وفي السورة يتأكد لنا "أن القرآن يستعمل من الأساليب في عرض القصة ما يؤدي إلى إخراجها في صورة عرضٍ مثيرٍ وشائقٍ، له من وسائل تعزيز الإدراك لدى المتلقي، وإرهاف حواسه، وتحريك مشاعره ما يؤدي إلى تكامل عناصر التأثير، ويكفل للقصة وللسورة من ورائها قمة الروعة التي يتقاصر عن إدراكها عتاة أرباب الأقلام من الخلق، وبهذا يتحقق الإعجاز بأكمل معانيه وأجلها"<sup>(١)</sup>.

ومن ملامح الوحدة التي قدّمتها سورة هود عليه السلام؛ الوسائل الموحدة للأنبياء في الدعوة شأنها شأن كثير من سور القرآن، ولعل أكثر السور قرباً من سورة هود هي سورة الأعراف التي يبدو بينها، وبين سورة هود تشابه غريب، وتقارب عجيب في طريقة عرض القصص، وكتاتهما تقوم على بيان "أن وسائل الأنبياء في الدعوة موحدة، وأن استقبال قومهم لهم متشابه - فضلاً عن أن الدين من عند إله واحد، وأنه قائم على أساس واحد - وتبعاً لهذا كانت ترد قصص كثير من الأنبياء مجتمعةً أيضاً، مكرورة فيها طريقة الدعوة"<sup>(٢)</sup>.

إن تتبّع القصص في السورتين يؤكد ذلك.

فقوله تعالى في سورة الأعراف:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ لَهُ عِلْمًا شَدِيدًا إِنَّ سَاحِلَ عَدْنٍ لَشَدِيدٌ﴾

[الأعراف: ٥٩] نجد في سورة هود في قوله:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ لَهُ عِلْمًا شَدِيدًا إِنَّ سَاحِلَ عَدْنٍ لَشَدِيدٌ﴾

[هود: ٢٥، ٢٦].

وقوله في سورة الأعراف:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ لَهُ عِلْمًا شَدِيدًا إِنَّ سَاحِلَ عَدْنٍ لَشَدِيدٌ﴾

مثله في سورة هود:

(١) بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم: ص ٢٦١.

(٢) التصوير الفني في القرآن: ص ١٤٩، ١٥٠.

﴿ ۙ ۚ ۛ ۜ ۝ ۞ ۟ ۠ ۡ ۢ ۣ ۤ ۥ ۦ ۧ ۨ ۩ ۪ ۫ ۬ ۭ ۮ ۯ ۰ ۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸ ۹ ۰ ۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸ ۹ ﴾ [هود: ٥٠].

وقوله في الأعراف:

﴿ ۙ ۚ ۛ ۜ ۝ ۞ ۟ ۠ ۡ ۢ ۣ ۤ ۥ ۦ ۧ ۨ ۩ ۪ ۫ ۬ ۭ ۮ ۯ ۰ ۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸ ۹ ۰ ۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸ ۹ ﴾ [الأعراف: ٧٣] مثله في سورة هود قوله:

﴿ ۙ ۚ ۛ ۜ ۝ ۞ ۟ ۠ ۡ ۢ ۣ ۤ ۥ ۦ ۧ ۨ ۩ ۪ ۫ ۬ ۭ ۮ ۯ ۰ ۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸ ۹ ۰ ۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸ ۹ ﴾ [هود: ٦١].  
وقوله في الأعراف:

﴿ ۙ ۚ ۛ ۜ ۝ ۞ ۟ ۠ ۡ ۢ ۣ ۤ ۥ ۦ ۧ ۨ ۩ ۪ ۫ ۬ ۭ ۮ ۯ ۰ ۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸ ۹ ۰ ۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸ ۹ ﴾ [الأعراف: ٨٥]  
كقوله في سورة هود:

﴿ ۙ ۚ ۛ ۜ ۝ ۞ ۟ ۠ ۡ ۢ ۣ ۤ ۥ ۦ ۧ ۨ ۩ ۪ ۫ ۬ ۭ ۮ ۯ ۰ ۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸ ۹ ۰ ۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸ ۹ ﴾ [هود: ٨٤].

إنَّ هذا التشابه الكبير بين السورتين في طرح القصص يعمر به القرآن الكريم، وهذا شاهد من شواهد كثيرة للوحدة الموضوعية التي ينفرد التعبير القرآني بها. وينقل لنا محمد عبد الله دراز إعجابه بالتناسق الفني في التنزيل الحكيم، والذي يفضي إلى وحدة موضوعية عجيبة قائلاً:

"هذا الذي حدثناك عنه من عظمة الثروة المعنويّة في أسلوب القرآن على وجازة لفظه، يضاف إليها أمر آخر هو زينة تلك الثروة وجمالها، ذلك هو تناسق أوضاعها، واتتلاف عناصرها، وأخذ بعضها بحُجْرٍ بعض، حتى إنها لتننظم منها وحدة محكمة لا انفصام لها"<sup>(١)</sup>.

وإذا كان القرآن الكريم يتميّز بجودة السبّك، وإحكام السرد؛ فإنَّ هذا الأمر يتجلّى واضحاً في سورة هود عليه السلام كذلك، فهي قد بلغت من ترابط أجزائها، وتماسك كلماتها، وجملها وآياتها مبلغاً لا يدانيه فيه أيّ كلامٍ آخر. وإذا أردت أن تدرك ذلك تأملْ هذه السورة كيف تترايط وتتناسق في حسن تخلُّص من معنى إلى معنى، ومن مقصدٍ إلى مقصدٍ.

لقد افتتحت السورة متوجّهةً بـ (اسم الله)، ثم انتقل الكلام فيها سريعاً في صدرها إلى الأمر بعبادة الله، والنهي عن عبادة غيره ﴿ ۙ ۚ ۛ ۜ ۝ ۞ ۟ ۠ ۡ ۢ ۣ ۤ ۥ ۦ ۧ ۨ ۩ ۪ ۫ ۬ ۭ ۮ ۯ ۰ ۱ ۲ ۳ ۴ ۵ ۶ ۷ ۸ ۹ ﴾ [هود: ٢]. ثم تتابعت في السورة قصص الأنبياء بالترتيب، و"عرض مواقف الرُّسل — صلوات

(١) النبا العظيم: ص ١٤٢.

الله وسلامه عليهم — وهم يتلقون الإعراض والتكذيب، والسخرية والاستهزاء، والتَّهديد، والإيذاء بالصَّبْرِ والنَّفَقَةِ واليقين بما معهم من الحقِّ، وفي نصر الله الذي لا شكَّ آتٍ؛ ثم تصديق العواقب في الدنيا — وفي الآخرة كذلك — لظنِّ الرسل الكرام بوليَّهم القادر العظيم، بالتدمير على المكذبين، وبالنجاة للمؤمنين<sup>(١)</sup>.

وهكذا انتهت السُّورة بمثل ما بدئت به من عبادة الله وحده، والتوجُّه إليه وحده، والإنابة والرجعة إليه في نهاية المطاف، ويبدو ذلك جلياً في قوله تعالى:

﴿لَا يَدْرِي أَعْيُنُكَ رَأَتْ مِنْ حَيْثُ يُدْعَىٰ لِحُكْمِ اللَّهِ ۚ كَذَّابٌ أَفْعَىٰ﴾ [هود: ١٢٣] تسلياً للرسول صلى الله عليه وسلم من ناحية، وتسريةً عنه من ناحيةٍ أخرى.

(١) في ظلال القرآن: ١٨٤١/١٢.

## المبحث الرابع

### لغة الحوار في سورة هود:

إنَّ الحوار أسلوب من أساليب البيان العربيّ، وإذا كان القرآن الكريم كلُّه هدفه الدَّعوةُ إلى الله بصفة عامة، بكلِّ ما يندرج تحت هذه الدَّعوة من جوانب الإصلاح في العقيدة أو السلوك أو ما يتعلَّق بهما؛ فإنَّ الحوار يحمل ذات الهدف، ولك أن تتعمَّ النَّظر في آيات القرآن لتدرك ذلك، كما أنَّ موضوع الحوار في القرآن الكريم من الموضوعات الهامة التي تدور أساساً على الإيمان بالله ورسله، وعلى وحدانيته وأحقَّيته بالعبادة دون غيره، والإيمان بالبعث والجزاء، وهذه العناصر الثلاثة من أهم قضايا القرآن الكريم، ولهذا كانت موضع جدلٍ وحوارٍ.

إنَّ "المحاورات في القرآن تدخل في هذا الإطار؛ من حيث إنها تتضمَّن موضوعاً، هو جزء من هذه الدَّعوة، أو بمعنى أقرب، كلِّ موضوعٍ لمحاورة، يتضمَّن جانباً من هذه الدَّعوة"<sup>(١)</sup>.

ومن الملاحظ للمستقرئ آيات القرآن الكريم أنَّ هناك في القرآن الكريم أسلوباً متميزاً؛ ألا وهو أسلوب الحوار، الذي نراه ماثلاً في كثير من آيات هذا الكتاب العزيز، وقد جاء القرآن ليعرض الحوار بشكلٍ متميِّز يسترعي الانتباه، ويشدُّ الأنظار، ويترك للعقول المجال الواسع لاستنباط العبر والعظات من تلك المحاورات العديدة التي حفل بها القرآن العظيم، والتي جاءت في سورٍ عدَّة في القرآن الكريم، وجاءت تلك المحاورات لتتحدث عن مواضيعٍ مختلفةٍ تهتمُّ الناس كافةً.

إنَّ الحوار في التنزيل الحكيم أسلوب ظاهر، ولعلَّ القرآن الكريم ذكره صراحةً في آياتٍ متعدِّدة، ومن هذه المواضع على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى في سورة الكهف:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خذوا حذرهم فإذا رأيتهم فاصطبروا ولا تكلموا بهم يظنون أنك سركم ولا تعلم أن الله سركم ولا تعلم أن الله سركم ولا تعلم أن الله سركم ولا تعلم أن الله سركم [الكهف: ٣٤].

وقوله في سورة المجادلة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجِدُ فِيهِمْ عَصْيًا وَلَا مُصَادَقَةً لَهُمْ وَمَا فِيهِمْ لَبِئْسَ مَا يَفْعَلُونَ [المجادلة: ١].

وقد جرت تلك المحاورات بين أطرافٍ متعدِّدة، ومع ذلك فإنَّ جميعها تقدِّم لنا دروساً كثيرةً، وعظاتٍ جمَّةً، وتشعرنا بأنَّ هذا الأسلوب لم يأت به الله — عزَّ وجلَّ — منزلاً ذلك الكتاب — عبثاً، بل لفائدة عظيمة جليَّة، فنجد محاوراتٍ عدَّة في القرآن الكريم، منها محاورات كان أحد طرفيها الله — عزَّ وجلَّ —، كما حاور ربُّ العزة الملائكة وإبليس، وجرت تلك

(١) أسلوب المحاورة في القرآن الكريم: عبد الحليم حفني، القاهرة ١٩٧٧م، ص ٤٠.

المحاورات في بعض الأحيان على السنة الرُّسُل مع أقوامهم، كما جرت المحاورات على السنة المؤمنين مع الطَّواغيت، بل وصل الأمر إلى حوار الكافر مع أعضاء جسده، وغير ذلك من تلك المحاورات التي تزيّن بها القرآن الكريم.

وإذا تتبّعنا الحوار في القرآن الكريم؛ فإننا نلمح تلك المحاورات في الحوار الذي دار بين الله سبحانه وتعالى، وإبليس في مواضع متعددة، منها الحوار الطويل الذي قدّمته لنا سورة الأعراف، بعد أن أمره بالسجود لآدم، ومع ذلك حاوره الله سبحانه وتعالى ليعلّم الناس أن الطريق إلى إظهار الحق وإحقاقه لا يكون بالقوّة، وإنما طريقه الحوار العقلانيّ البناء مهما كانت طبيعة الخلاف، ومن ثمّ فإنّ مسألة الحوار من المسائل المهمة في المنطق الإسلاميّ، كأسلوب متحرّك عمليّ في الوصول إلى الحقيقة، وفي حركة الصّراع في القضايا الفكرية والسياسية والاجتماعية؛ لأنّه الوسيلة المثلى التي يعبرّ فيها الإنسان عن فكره بطريقة خاصة سواء كان بالرفض أو بالإيجاب، أو قبوله لأفكار الآخرين. وتبدأ أولى خطوات الحوار عندما أمر الله سبحانه وتعالى إبليس في معيّة الملائكة بالسجود لآدم فأبى واستكبر.

قال تعالى:

﴿ وَإِذْ تَبَعْنَا الْحَوَارِ فِي الْفُرْقَانِ الْكَرِيمِ؛ فَإِنَّا نَلْمَحُ تِلْكَ الْمَحَاوِرَاتِ فِي الْوَحْوَارِ الَّذِي دَارَ

بَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَإِبْلِيسَ فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ، مِنْهَا الْوَحْوَارُ الطَّوِيلُ الَّذِي قَدَّمْتَهُ لَنَا سُورَةُ

الْأَعْرَافِ، بَعْدَ أَنْ أَمَرَهُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ، وَمَعَ ذَلِكَ حَاوَرَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِيُعَلِّمَ النَّاسَ أَنَّ

الطَّرِيقَ إِلَى إِظْهَارِ الْحَقِّ وَإِحْقَاقِهِ لَا يَكُونُ بِالْقُوَّةِ، وَإِنَّمَا طَرِيقُهُ الْوَحْوَارُ الْعَقْلَانِيَّ الْبِنَاءِ مَهْمَا

كَانَتْ طَبِيعَةُ الْخِلَافِ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ مَسْأَلَةَ الْوَحْوَارِ مِنَ الْمَسَائِلِ الْمُهَيْمَةِ فِي الْمَنْطِقِ

الْإِسْلَامِيِّ، كَأَسْلُوبٍ مُتَحَرِّكٍ عَمَلِيٍّ فِي الْوَصُولِ إِلَى الْحَقِيقَةِ، وَفِي حَرَكَةِ الصَّرَاحِ فِي الْقَضَايَا

الْفِكْرِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ؛ لِأَنَّهُ الْوَسِيلَةُ الْمَثَلَى الَّتِي يَعْبرُّ فِيهَا الْإِنْسَانُ عَن فِكْرِهِ بِطَرِيقَةٍ

خَاصَّةٍ سِوَا مَا كَانَ بِالرَّفْضِ أَوْ بِالْإِيجَابِ، أَوْ قَبُولِهِ لِأَفْكَارِ الْآخَرِينَ. وَتَبْدَأُ أَوْلَى خَطَوَاتِ الْوَحْوَارِ

عِنْدَمَا أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِبْلِيسَ فِي مَعِيَّةِ الْمَلَائِكَةِ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ فَأَبَى وَاسْتَكْبَرَ.

فَكَانَ الرَّدُّ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿ فَجَاءَ رُدُّ إِبْلِيسَ مُشْحُونًا بِالْتَهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ:

﴿ وَإِذْ تَبَعْنَا الْحَوَارِ فِي الْفُرْقَانِ الْكَرِيمِ؛ فَإِنَّا نَلْمَحُ تِلْكَ الْمَحَاوِرَاتِ فِي الْوَحْوَارِ الَّذِي دَارَ

بَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَإِبْلِيسَ فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ، مِنْهَا الْوَحْوَارُ الطَّوِيلُ الَّذِي قَدَّمْتَهُ لَنَا سُورَةُ

الْأَعْرَافِ، بَعْدَ أَنْ أَمَرَهُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ فَأَبَى وَاسْتَكْبَرَ.

فَكَانَ الرَّدُّ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:



كما نلمح هذا الحوار بين الله سبحانه وتعالى، وبعض أنبيائه. ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر؛ الحوار بين الله سبحانه وتعالى، وإبراهيم عليه السلام حينما سأل ربّه قائلاً: ﴿ ۞ رآه في آية ﴾ [البقرة: ۲۶۰]. فحاوره الله حواراً علمياً مقنعاً قائلاً بكل رحمة وعطف: ﴿ ۞ بسم الله ﴾ [البقرة: ۲۶۰]. فأجاب عليه السلام: ﴿ ۞ أهدنا لهذا الطريق ﴾ [البقرة: ۲۶۰]. فأمره الله سبحانه وتعالى أمراً منطقيّاً قائلاً:

﴿ ۞ لا اله الا الله ﴾ [البقرة: ۲۶۰].

ومثله الحوار بين الله سبحانه وتعالى، وموسى عليه السلام؛ ليملاً قلبه إيماناً و يقيناً، ويظهر هذا الحوار في قوله تعالى :

﴿ ۞ يا موسى انظر الى آية ﴾ [البقرة: ۲۶۰].

كما يتوسّع الحوار بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأقوامهم، ومن نماذجه على سبيل المثال لا الحصر؛ الحوار الذي دار بين موسى عليه السلام، وقومه في سورة البقرة، ويبدأ هذا الحوار في قوله لهم:

﴿ ۞ يا قوم انظروا آية ﴾ [البقرة: ۲۶۰]. فأجاب قومه بسؤالٍ يحمل الإنكار والتعجب ﴿ ۞ انظروا آية ﴾ [البقرة: ۲۶۰]. فأجاب موسى عليه السلام ﴿ ۞ انظروا آية ﴾ [البقرة: ۲۶۰]. فطلب منه قومه ﴿ ۞ انظروا آية ﴾ [البقرة: ۲۶۰]. فأجاب: ﴿ ۞ انظروا آية ﴾ [البقرة: ۲۶۰]. فواصل قومه جدالهم ﴿ ۞ انظروا آية ﴾ [البقرة: ۲۶۰]. فواصل موسى الحوار مسابرةً لهم ﴿ ۞ انظروا آية ﴾ [البقرة: ۲۶۰]. ولكن قومه واصلوا حوارهم الجدلي ﴿ ۞ انظروا آية ﴾ [البقرة: ۲۶۰]. فواصل حوارهم صابراً غير متذمّرٍ من جدالهم:

﴿ ۞ انظروا آية ﴾ [البقرة: ۲۶۰]. فواصل قومه على مضض، فقالوا:

﴿ ۞ انظروا آية ﴾ [البقرة: ۲۶۰-۲۷۱].

ولا غرابة في أننا نلمح الحوار بين الكافر، وبعض أعضاء جسده. ويبدو لنا هذا الحوار في قوله تعالى:

﴿فَأجابت جلودهم:﴾

﴿فصلت: ٢١﴾.

أما أسلوب القرآن الكريم في الحوار فقد تنوّع حسب المواقف، وهذا نفس الحال في سورة هود عليه السلام، ولقد "جدّد القرآن الدعوة بحدود الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدل بالتي هي أحسن، فأما جانب الحكمة في الدعوة الإسلامية فكان بالحوار الهادئ، وأما جانب الموعظة الحسنة فكان بالتذكير، وضرب الأمثال، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وأما جانب الجدل بالتي هي أحسن فكان بالحجاج، وإيراد الأدلّة الدامغة، ولقد اجتمع ذلك في القرآن الكريم"<sup>(١)</sup>.

وقد أدّت هذه الأساليب المعنى في أقلّ إشارة ممكنة، وقد "استعمل القرآن الكريم في محاوراته أساليب أدّت هذه المفاهيم على نحوٍ فريدٍ، حيث أبرز المعنى المطلوب أدائه من خلال المحاورّة، أو الخطاب مع أقلّ إشارة ممكنة في السرد، أو بدون إشارة على الإطلاق اكتفاءً بتوجيه الخطاب في حدّ ذاته"<sup>(٢)</sup>.

وتتعدد شواهد الحوار في القرآن الكريم، ومن هذه الشواهد<sup>(٣)</sup>:

التكذيب المباشر للدّعوى، قلب الدّعوى، التعليق على قول الخصم، الإنكار على الخصم، السخرية، الوعيد، الاعتذار، التّزويه، الدعاء.....

كما وتتعدّد سمات الحوار في التّنزيل الحكيم، ومن هذه السمات؛ التّنوع وعدم الاقتصار على نوعٍ معيّن، والاعتماد على العقل والمنطق؛ لإبراز الحجة، وإنصاف الخصم وحمائيته أثناء المحاورّة، وتحديد الغاية وتوضيحها، وتحديد الهجوم<sup>(٤)</sup>.

وإذا انتقلنا إلى سورة هود عليه السلام، وقلبنا صفحاتها، وتقلّنا بين آياتها؛ فإننا نجدها عامرةً بالحوار.

(١) البيان في روائع القرآن: ٢٧٥/٢.

(٢) بدائع الإضمّار القصصي في القرآن الكريم: ص ٣١٨.

(٣) انظر البيان في روائع القرآن: ٢٧٥/٢-٢٨٦.

(٤) انظر أسلوب المحاورّة في القرآن الكريم: ص ٢٦-٣٩.

ومن نماذج الحوار في السُّورة؛ حوارُه سبحانه وتعالى مع نوح عليه السلام، بعدما دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً فلم يؤمن معه إلا قليل، وكان أمر الطوفان على الكافرين، فلما رأى مصير ابنه مع الهالكين، حيث وقع سيدنا نوح عليه السلام بين صراعين، صراع النبوة بكامل جلالها، وعاطفة الأبوة بكل غريزتها، فرجع إلى ربه محاوراً بعد أن غلبته الغريزة الأبوية؛ لينقذ ولده من الغرق ﴿ وَنوحٍ إِذْ دَعَا رَبَّهُ أَنِ ابْنُ ابْنِي بِمَا عَصَى رَبِّي فَأُجِبْهُ لِيُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ مَعَ الْبَارِئِينَ ﴿٤٥﴾ [هود: ٤٥]. فحاوره الله سبحانه وتعالى مبيّناً الحقَّ والصواب، ومؤكِّداً أنَّ صلة القرابة إنما هي صلة الدين والإيمان، لا صلة النسب قائلاً:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٦﴾ [هود: ٤٦].

فأجابه نوح جواب العبد المطيع لأوامر ربه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٧﴾ [هود: ٤٧].

فأجابه الله مطمئناً له:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ [هود: ٤٨].

وهذا من الأمثلة الحوارية التي ضربها الله سبحانه وتعالى؛ ليعلم الناس، وخاصة ذوو الجاه والسلطان منهم؛ ألاّ يضيّقوا برأي مخالف، بل ينبغي عليهم أن تتسع صورهم وعقولهم لاستيعاب ما يوجّه إليهم من تساؤلات، وألاّ يعالجوا هذا الخلاف بمنطق الغضب من المخالفين، ولا بمنطق السُّلطة والقوة في حوارهم معهم؛ بل يجب أن يكفّلوا لكلّ ذي رأيٍ مخالفٍ حريته، ثم يعتمدوا على الحجّة والمنطق؛ حتى يتضح الحقُّ فيرجع المجانب عن رأيه، ويتوب إلى الله. وإذا أردت مثلاً حياً يظهر فيه الحوار فانظر إلى حوار نوح عليه السلام مع ابنه الذي يبدأ بقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٩﴾ [هود: ٤٩].

فحاوره ابنه حوار المتعطرس المنكبر معتمداً على أسباب واهية، وعلل واهنة مجيباً:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٥٠﴾ [هود: ٥٠].

فردَّ نوح عليه السلام ردَّ الأب الملهوف الذي أدرك مصير ولده، وأيقن عاقبة كفره:  
﴿ ٤٣: هود ﴾

لقد رسم هذا الحوار صورةً حيَّةً نابضةً بالحياة. فالقارئ للآيات يستحضر الصورة  
ماثلةً أمامه، كما يمثل هذا الحوار أيضاً ما يدور بين الآباء وأبنائهم من جدلٍ وحوارٍ في كلِّ  
زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أما سائر القصص في السورة فقد سارت على نهجٍ واحدٍ، اختصَّت به في تكثيف الحوار،  
لاسيماً الحوار الذي دار بين الأنبياء وأقوامهم، ومن نماذج ذلك؛ ما دار بين نوح عليه السلام  
وقومه من تحاور وجدال، ويبدأ الحوار بقوله تعالى على لسان نوح عليه السلام:

﴿ ٢٥: هود ﴾

فأجاب الذين كفروا من قومه جواباً يحمل مزيداً من السخرية والاستهزاء:

﴿ ٢٧-٢٥: هود ﴾

ويواصل نوح حوارَه لقومه مستعظفاً لهم، مبيِّناً السبيل القويم لهم؛ أملاً أن يهتدي قومه  
إلى الصراط القويم:

﴿ ٢٨-٣١: هود ﴾

غير أن قومه واصلوا الحوار الذي يحمل في طياته التذمُّر والتعجيز فائلين:

﴿ ٣٢: هود ﴾

ويتواصل الحوار مع قومه بلا جدوى، لكن الله سبحانه وتعالى يطمئننه قائلاً:

﴿ ٤٨: هود ﴾



وبعد هذا الحوار تجيء العاقبة:

﴿Sāte y7 ʿār ÇINE zā Sān A-#k ʿā öB lewšaur SZB pūontī ʿaqeB (qzB#ā ūi%ç #Sqel \$Všju \$Rēā āw) \$ē9r ﴾  
Pq̄r p̄zē9 \$kR%9\$ñÉ »d ' ī (qāʿar ÇIÈ %SZA A\$7\_ Èä rDk (pāʿ?# ʿarB'a (qA ʿar Nlīm MʿfSkʿ (rB)SL\_  
[هود: ٥٨ — ٦٠].

ومن نماذج الحوار أيضاً ما رسمته الآيات في قصة صالح، ويبدأ بقوله تعالى:

﴿CJ öf \$i B NaʿtRk qel (ʿq̄r m9) öB /z9 \$B ©\$(rBqā\$Éq) ʿf A\$% 4\$E ʿh1 Nē% & \$qB0 4#r ﴾  
[هود: ٦١].

فأجابه قومه منكرين: ﴿SRēB/#ā Bçēf \$B %öçR bk \$Z9gV\$ (k »d çö% #qā\_ēB \$ZSū MYā %% Bç/Ā ʿf ﴾  
[هود: ٦٢].

ويستمر في الحوار قائلاً:

﴿p̄lš (ʿq̄rĀ ʿā ʿ) k \$ZE B ' TĀZf `p̄lš p̄hoy qzB ŌIš#ār ' fS `B p̄V 4#ā ʿvZz2 b) Öf#ū & Éq) ʿf ﴾  
[هود: ٦٣].

ويواصل حوارهم معهم أمراً لهم بترك الناقة تاكل في أرض الله من ناحية، وناهياً بعدم مسّها بأيّ سوءٍ من ناحية أخرى قائلاً:

﴿ö #k ʿā öāk ç ūsī ʿp̄y ī \$dq̄ ʿp̄š ʿVr k \$CJ ö p̄l ç 2 ç \$drāk sī p̄/#ā Nç 9 k \$p̄SR ʿñÉ »d Öq) ʿf ﴾  
[هود: ٦٤]، ولكنّ ردّهم على حوارهم المتضمّن الأمر، والنهي كان عملياً، كما كان معاكساً أمره ونهيه ﴿p̄rā) ʿš﴾، ثم تجيء العاقبة بعد عقر الناقة، والتكذيب في قوله:

﴿qel š Aī b) 3> fBqf Ā ʿĀ öBr \$YB pūontī ʿaqeB (qzB#ā sū i%ç \$E ʿh1 \$Zēju \$Rēā āw\_ \$ēñš ﴾  
﴿p̄zē9 \$kR%9\$ñÉ »d ' ī (qB7ö i sī p̄s ʿā 9\$(qB#3 sū i%ç \$k ç ʿr ÇIÈ ʿf p̄š" ʿš) ʿš﴾  
[هود: ٦٦ — ٦٨].

وفي قصة شعيب يدور حوار طويل بين شعيب عليه السلام، والطواغيت من قومه، ويغلب على هذا الحوار التدرّج لحصول الغرض، والملاطفة في بلوغ المعنى المقصود. ويبدأ هذا الحوار بقوله تعالى:





أقوامهم باللين والرفق تارةً، وبالترهيب والشدة تارةً أخرى، وكان هدفهم من ذلك كله أن يستجيب أقوامهم لهم، وينجوا مما هم فيه من الشرك، والبعد عن الطريق المستقيم، كذلك ليوضح سبحانه ما واجه به المعاندون المشركون أنبياءهم، ورسلمهم بالكذب تارةً، وبالتهديد تارةً أخرى.

أما غاية الحوار القرآني في القصص في سورة هود فيهدف إلى أمور كثيرة، وغاية الحوار القرآني هو "ردُّ العقل إلى التفكير المنظم الهادئ، وبيان فساد موقف الخصم، وقد يأتي الحوار على لسان أحد الأنبياء السابقين، أو على لسان رجل صالح من غير الأنبياء، أو بتوجيه قرآني إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول قولاً معيناً بنص آية من القرآن، وأكثر ما يكون ذلك للرد على قول قاله الكافرون، أو على موقف غير منطقي من مواقفهم يتسم بالزيف والضلال"<sup>(١)</sup>.

وإذا تتبعنا الحوار الذي دار بين الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - وأقوامهم؛ فإننا نجد تشابهاً كبيراً في عرض آيات الحوار، فقد بدأت الآيات بالأمر بعبادة الله، والنهي عن عبادة غيره، ثم انتقلت بعد ذلك إلى "عرض مواقف الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - وهم يتلقون الإعراض والتكذيب، والسخرية والاستهزاء، والتهديد والإيذاء بالصبر والثقة واليقين بما معهم من الحق، وفي نصر الله الذي لا شك أت؛ ثم تصديق العواقب في الدنيا - وفي الآخرة كذلك - لظن الرسل الكرام بوليهم القادر العظيم، بالتدمير على المكذبين، وبالنجاة للمؤمنين"<sup>(٢)</sup>.

وإلى جانب ذلك فإننا "إذا ما توغلنا في أعماق تلك المشاهد تجلّت لنا الخبيصة الأخرى في عرض تلك المحاورات التي تخللتها، وهي التي تجلّت في عطف النداء على النداء في خطاب الأنبياء لقومهم، وحذف لفظ القول في كثير من المحاورات بهدف تكثيف الحوار، أي أن ما عرض ليس محاورة واحدة جرت في موقف واحد، وهذا ليس كما قد يتبادر إلى الأذهان أنه عكس ما نصفه من أن السورة حوّلت القصص إلى ما يشبه العرض، حيث إنَّ العرض للمشاهد من خلال الحوار المكثف يعدُّ من أرقى العروض؛ لما يمتاز به من قدرة على جمع المتفرقات في الزمان، والمكان، والموضوع، وتوصيلها إلى المتلقي في صورة متكاملة تؤدّي به إلى إدراك واعٍ لأبعاد الموضوع"<sup>(٣)</sup>.

(١) البيان في روائع القرآن: ٢٧٥/٢.

(٢) في ظلال القرآن: ١٨٤١/١٢.

(٣) بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم: ص ٢٥٦.



إنَّ مشاهد الحوار في سورة هود كانت بمثابة مشاهد مرئية تراها العين، ومقاطع مسموعة تعيها الأذن، ومعانٍ مدركة تجعلنا نعيش معها تلك اللحظات الحاسمة في قصص الأنبياء مع أقوامهم، بما فيها من عناصر التشويق، والإثارة للمشاعر المتعارضة؛ نقمة عليهم لسوء فعلهم الذي جلب هذا العذاب، ورتاءً لهم لغفلتهم عمًا حاق بهم من العذاب.

ولعلَّ هذا هو الذي يجعلنا نؤكد أنَّ الحوار في القصص القرآنيِّ يمثِّل الحياة والحركة، والحوار في القصص يحيي المشاهد، فهو يمثِّل "دعامةً وركناً؛ إذ تصبح القصة بدونها ميّنة لا حركة فيها، وفيه تنفّح شرارة الضوء على العمل القصصيِّ، فتشيع الحياة والحرارة. والحوار في القصص القرآنيِّ ضَرَبَ بسهمٍ وافرٍ - إذ تجد المشهد كأنَّه حاضرٌ يملأ الأسماع، والأبصار بكلِّ خلجة، أو خاطرةٍ وقعت فيه"<sup>(١)</sup>

---

(١) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم: محمد محمود حجازي، ص ٣١٦، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٠م.

## المبحث الخامس

### التناسق في الإيقاع الموسيقي:

التناسق الفني ألوان ودرجات، ومن هذه الدرجات؛ الإيقاع الموسيقي، وكغيره من سمات التعبير القرآني يفترق الإيقاع الموسيقي في التنزيل الحكيم عن غيره بلا أدنى شك، كيف لا؛ وهو القرآن الكريم الذي فضل بحسنه على كل حديث، وصدق الله تعالى إذ يقول:

﴿.....﴾ [الزمر: ٢٣]!؟

ومن مقومات الإيقاع الموسيقي؛ حسن اختيار الألفاظ، وجمال العبارات، وإحكام الصياغة، وروعة الصور والأخيلة، كما أنه "نتج عن ملاءمة اللفظ مع النسق الخاص الذي ورد فيه، كما أنه يتنوع بتنوع الفواصل، القصير منها والطويل، المتماثل منها والمختلف"<sup>(١)</sup>.

والإيقاع من درجات التناسق الفني، وهذا الإيقاع ينبعث من "تآلف الحروف في الكلمات، وتناسق الكلمات في الجمل، ومرده إلى الحس الداخلي، والإدراك الموسيقي الذي يفرق بين إيقاع موسيقي وإيقاع، ولو اتحدت الفواصل والأوزان"<sup>(٢)</sup>.

ويتنوع أسلوب الموسيقى وإيقاعها في التنزيل الحكيم بتنوع الأجواء التي تطلق فيها، والمناسبات التي ينطلق منها، فمن المؤكد أن الإيقاع الموسيقي ينسجم مع المشهد المعروض، وهذا ما يقرره سيد قطب بقوله:

"إن في القرآن إيقاعاً موسيقياً متعدد الأنواع، يتناسق مع الجو، ويؤدي وظيفة أساسية في البيان"<sup>(٣)</sup>.

وإذا أردت أن تعيش أمثلة لذلك فاستمع إلى آيات الدعاء مثلاً، فأنت بالتأكيد ستستمع إلى الإيقاع الموسيقي المفعم بالتذلل، العامر بالخشوع: ﴿.....﴾ [هود: ٤٥].

فهذا النداء يحمل في طبيئته الإيقاع الموسيقي الهادئ الرتيب الحركات، الوئيد الخطوات، الرقيق الأصداء، الشجي الإيقاع الذي يلائم تذلل نوح عليه السلام إلى ربه سبحانه وتعالى لإنقاذ ابنه من الغرق والهلاك.

(١) من جماليات التصوير في القرآن الكريم: ص ٥١، انظر التصوير الفني في القرآن: ص ٨٧.

(٢) التصوير الفني في القرآن: ص ١٠٤.

(٣) المصدر السابق: ص ١٠١، ١٠٢.





وسرُّ اختيار كلمة ﴿ 48 ﴾ ﴿ قلبك ﴾؛ لأنَّ: "استعمال لفظ الفؤاد هنا يناسب تماماً الحال التي مرَّ بها صاحب الدَّعوة محمد صلى الله عليه وسلم، وهو يرى الناس يكذبونه — إلا أفراداً معدودين — ويرى قومه يقاتلونه رغم أنَّه جاءهم بالحقِّ المبين، والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بشر تجري عليه أحوال البشر من خوفٍ وحزنٍ وقلقٍ على دعوته. وكلُّ ذلك يحركُ فؤاده، فتتزل الآيات لتحريك هذا الفؤاد"<sup>(١)</sup>.

ومن المؤكَّد أنَّ كلمة الفؤاد تحمل إيقاعاً موسيقياً متتابعاً؛ لأنَّ الفؤاد يتوقَّد، ويتفأد تبعاً لشدَّة الحوادث وتتابعها، بخلاف لفظ القلب الذي لا يؤدِّي نفس المعنى، والدليل على اختلاف معنى (الفؤاد) عن (القلب) استعمال اللفظين في قوله تعالى في سورة القصص:

﴿ ١٠ ﴾ [القصص: ١٠].

وسورة هود كغيرها من سور القرآن الكريم يميّزها إيقاعٌ موسيقيٌّ متفرَّد تحرَّر من كلِّ قيد يقيد المعنى، أو يحدُّ من النظام الصوتي، إنَّه: "إيقاع موسيقيٌّ متفرَّد، لا يماثله إيقاع أو يقترب منه، إنَّه إيقاع جماعيٌّ — إن صحَّ التعبير — يقوم فيه الحرف الصوتيُّ بدوره، والكلمة في نسقها بدورها، والجملة في سياق التَّركيب بدورها.. والفاصلة من خلال التردُّد الصوتيِّ، والتكرار الإيقاعيِّ بدورها.. إنَّه إيقاع منبعث من النصِّ في تكوينه الصوتيِّ، واللفظيِّ، يبرزه كلُّ مكونات النصِّ القرآني"<sup>(٢)</sup>.

إنَّ التَّصوير في القرآن ملحم متكامل الأبعاد، محكم الجوانب، نرى فيه جمال التَّصوير، ونلمح روعة النظم، ونسمع عذب الموسيقى، ونتمتَّع فيه بجمال قطعة فنيَّة بارعة، فقد "دُرس التعبير القرآني دراساتٍ مستفيضة، وأولي من النظر ما لم ينلَّه نص آخر في الدنيا، فقد درس من حيث تصويره؛ فكان أجمل تصوير، وأبرع لوحة فنيَّة، ودرس من حيث نظمه وموسيقاه؛ فكان أروع عقد منظوم، وأعظم قطعة فنيَّة موسيقيَّة. وهل يشكُّ أحدٌ في فخامة نظمه، وحلاوة موسيقاه، وعذوبة جرَّسه، وحسن اختيار ألفاظه، وجمال وقع آياته؟!"<sup>(٣)</sup>.

(١) من الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم دراسة في ظاهرة الترادف: السيد خضر، دار الوفاء، الطبعة الأولى

٢٠٠١م، ص ٦٣.

(٢) من جماليات التصوير في القرآن الكريم: ص ٥١.

(٣) التعبير القرآني: ص ١٩.

## نظم الفواصل:

ومن عجيب النَّظْمِ في التنزيل الحكيم؛ نظم الفواصل وذلك بما تحمل هذه الفواصل من إيقاعٍ موسيقيٍّ بديعٍ خلب ألباب السامعين، وأثر في نفوسهم تأثيراً إيجابياً، ولعلَّ قصة إسلام عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – خير دليل، ويذكر بهذه المناسبة أثر موسيقى القرآن في نفس عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حين أسلم، وأثرها في نفس بعض المشركين، وأنَّ من عارضه كمسيلمة لاحظ هذا الجانب الموسيقي، فقلَّده، وطوى عمًّا وراءه من التصرُّف في اللغة، وأساليبها، ومحاسنها، ودقائق التَّركيب فيها<sup>(١)</sup>.

وبعيداً عن التفصيل، وعرض آراء العلماء في الخلاف بين مصطلح الفاصلة والسَّجْع؛ فإننا نلاحظ حساسيةً كارهةً للسَّجْع نبتت جذورها في بيئة الإعجاز القرآنيِّ. وقد رفض كثير من العلماء إطلاق مصطلح السَّجْع على ما ورد في القرآن الكريم من تماثل الحروف الأخيرة من الآيات المتماثلة، فاستبدل هؤلاء مصطلح السَّجْع بمصطلح آخر هو مصطلح الفاصلة. والراجح أنَّ هذا المصطلح (الفاصلة) انبثق من رحم القراءات، ثم انتقل إلى الدرس البلاغيِّ، وعلم التفسير.

وقد انتصر القدماء، وكثير من المُحدِّثين، لمصطلح الفاصلة، ويؤكدون وروده في القرآن الكريم دون مصطلح السَّجْع، ولعلَّهم وجدوا ضالَّتهم في قوله تعالى:

﴿لَا تَجْعَلْ لِحُكْمِكَ عَدُوًّا وَلَا حَسَدًا﴾ [فصلت: ٣].

والمجال في الدراسة لا يتسع لطرح آراء العلماء في التَّفريق بين الفاصلة، والسَّجْع. وأكتفي – فقط – بنقل ما ذكره الرُّمانيِّ، والذي يدلُّ حديثه عن الفاصلة على اتِّساع الأفق الدلاليِّ لمفهوم الفاصلة؛ ليتضمن التقارب الصوتيِّ، بخلاف القافية في الشعر، أو السَّجْع في النثر. ويورد معللاً لذلك قوله: "وإنما حسن في الفواصل الحروف المتقاربة؛ لأنَّه يكتنف الكلام من البيان ما يدلُّ على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع، لما فيه من البلاغة، وحسن العبارة. وأما القوافي فلا تحتل ذلك؛ لأنَّها ليست في الطبقة العليا من البلاغة، وإنَّما حسن الكلام فيها إقامة الوزن، ومجانسة القوافي، فلو بطل أحد الشئيين خرج عن ذلك المنهاج، وبطل ذلك الحسن الذي في الأسماع، ونقصت رتبة في الأفهام"<sup>(٢)</sup>.

(١) فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر: نعيم الحمصي، مؤسسة الرسالة، بيروت –

لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٠م، ص ٣٣٢.

(٢) النكت في إعجاز القرآن: ص ٩٨، ٩٩.



﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ [هود: ٥].

نجد أنّ الآية الكريمة تبين أنه - سبحانه وتعالى - لا يخفى عليه شيء، وأنّ السرّ كالعلانية عنده. فهو عالم بما تنطوي عليه الضمائر، وما يعلن وما يسرّ. ولو اجتمعت الإنس، والجنّ لا يمكن أن تأتي بمثل هذه الفاصلة ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾. وقد جاءت هذه الفاصلة بعد تمام المعنى فأكسبها على جمالها جمالاً، وحدّد معالمها وميّزها عن غيرها، وفضلها على سواها، وأبرز ما تمتاز به من مضمون خاص. والملاحظ أنّ هناك انسجاماً وتآلفاً بين مضمون الآية، ومضمون الفاصلة. وهذا بالتأكيد يمثّل قمة الإعجاز.

ونحن إذا ما قلبنا معاجم اللغة، وتدبرنا فصيح الكلام، فإنّه يستحيل أن نجد فاصلة مثل: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ بعد قوله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ [هود: ٩].

وفي المقابل لا يمكن أن نتخيّل أيّ فاصلة غير ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ تصلح لهذه الآية الكريمة ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ [هود: ١٠].

فالآيتان تصوران طبيعة النفس البشريّة وما يكتنفها من يأس إذا مسّتها ضراء، وما يعترئها من فرح إذا أصابتها نعماء.

ومن بديع النظم في الفواصل استعمال اسم التفضيل ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ في قوله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ [هود: ٢٢]. بينما لم يستخدم اسم الفاعل ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ كما في قوله تعالى في سورة النحل:

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ [النحل: ١٠٩].

والسرّ البلاغيّ في استعمال اسم التفضيل ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ دون اسم الفاعل

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾: "آية هود فيمن صدّوا عن سبيل الله، وصدّوا غيرهم، وضوعف لهم



العذاب، وآية النحل فيمن صدَّ هو، ولم يصدَّ غيره، فكان الأوَّلون أخسر من الآخرين، فجاء لهم باسم التفضيل<sup>(١)</sup>.

وتوسَّع ابن كثير في بيان السرِّ في استخدام اسم التفضيل ﴿ع rīf z f \$﴾ قائلاً:

"يخبر الله عن مآلهم أنَّهم أخسر الناس صفقةً في الدار الآخرة؛ لأنَّهم استبدلوا الدَّرَكَات عن الدَّرَجَات، واعتاضوا عن نعيم الجنان بحميمٍ آن، وعن شرب الرَّحِيقِ المَخْتومِ بِسُمومٍ وحميمٍ وظلٍّ من يحموم، وعن الحور العين بطعامٍ من غسلين، وعن القصور العالية بالهاوية، وعن قرب الرحمن ورؤيته بغضب الدِّيَانِ وعقوبته، فلا جرم أنَّهم في الآخرة هم الأَخْسَرُونَ"<sup>(٢)</sup>.  
ومن المؤكَّد أنَّهم يستحقون هذا الوصف؛ لأنَّهم رضوا أن يكونوا كالأنعام، بل هم أضلَّ.

أما السامرائي فقد علَّل ذلك قائلاً:

"لما زاد في صفات الضلال أكدَّ فيهم صفة الكفر بزيادة ﴿le﴾، وزاد لهم في العذاب فقال: ﴿ع rīf z f \$﴾" <sup>(٣)</sup>.

ومن الفواصل التي تحتاج إلى عمق تدبُّرٍ وتعقُّلٍ قوله تعالى:

﴿braq ? X 4WB 5Y 6p d 4ZSU; 9# I·A·V 0|' E \$ 4pāE \$2 Eū) f/y 0\$@WB﴾

[هود: ٢٤]. فقد ختمت الآية بقوله: ﴿braq ? X 4WB﴾، والأمر هنا لا يحتاج إلى كثير تأمُّل؛ لأنَّ المثل الذي ساقته الآية الكريمة نموذجٌ حيٌّ للتذكُّر، خاصة أنَّها ضربت مثلاً لفريقيين مختلفين، يحتاج من يدرك الاختلاف بينهما إلى التذكُّر للتفريق بين أولئك وهؤلاء.

ومثل هذا تماماً الفاصلة ﴿braq ? X 4WB﴾ في قوله تعالى:

﴿bra2 \* ? X 4WB 4NKS(·J b) k \$z B ' 1A·Zf ` B Dq) f r﴾ [هود: ٣٠].

ومن بديع النظم في الفواصل ﴿fms Qab9 ' n b)﴾ في قوله تعالى:

﴿fms Qab9 ' n b) 4\$g87M car \$g1 100 k \$E p I \$Zi (qz2 0\$A\$9r﴾ [هود: ٤١].

(١) التعبير القرآني: ص ٢٣٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٤٠١/١٢.

(٣) التعبير القرآني: ص ١٥٦.

والتعبير القرآني يمتلئ بمثل هذه الفواصل. وفي سرّ ختم الآية بالفاصلة ﴿ liḥs ﴾ بعد ﴿ qāb9 ﴾ أورد السامرائي قوله:

"وسبب تقديم الغفور على الرحيم، أنّ المغفرة سلامة، والرّحمة غنيمة. والسّلامة مطلوبة قبل الغنيمة ... وإيضاح ذلك أنّ جميع الخلائق من الإنس، والجنّ، والحيوان وغيرهم محتاجون إلى رحمته. فهي برحمته تحيا وتعيش، وبرحمته تتراحم. وأما المغفرة فتخصّ المكلفين، فالرّحمة أعم<sup>(١)</sup>.

ومن بديع الفواصل أيضاً ﴿ bqrē9 Xšš ﴾ في قوله تعالى:

﴿ bqrē9 Xšš 4pīlūš " %\$' #ā zv) s ḥō & ḥ) (#ō & ḥōā cōācōā w ḥō) ﴾ [هود: ٥١]. فإنّ السرّ في ختم الفاصلة بقوله: ﴿ bqrē9 Xšš ﴾؛ "لأنّه لمّا كان الخلاف الذي لا حظّ فيه جهة الدُّنيا لا يحتاج الإنسان في الدّلالة على أنّ صاحبه ملجأ إليه من جهة الله، وأنّه لا نجاة إلا به إلى غير العقل سبب عن قوله هذا الإنكار عليهم في قوله ﴿ bqrē9 Xšš ﴾"<sup>(٢)</sup>.  
وكانّه قيل:

إنّ كنت عاقلاً فاعلم أنّ الأجر والنّجاة والملجأ إلى الله القادر المختار، ومن يعتقد غير ذلك فإنّه مفتقّد رجاحة الفكر، جدير بأن يكون مقلوب العقل، فهذا ختمها بقوله: ﴿ bqrē9 Xšš ﴾. ومن المعلوم أنّ هذه الفاصلة لا تقع إلا في سياق إنكار فعل غير مناسب في العقل؛ نحو قوله تعالى: ﴿ bqrē9 Xšš 4=»CÅŠbqrē9 NERr Nā|| qRā bqrē9 Yr IRŠ } \$Y9\$brē9 ﴾ [البقرة: ٤٤]؛ لأنّ فاعل غير المناسب ليس بعقل"<sup>(٣)</sup>.

إنّ القرآن الكريم لا يعني بالفاصلة على حساب المعنى، ولا على حساب مقتضى الحال والسياق، بل يراعي المعنى، والسياق، والجّرّس، وجوّ الآية. ونلمح ذلك في وصف العذاب بـ ﴿ =fš ﴾ في قوله تعالى:

﴿ =fš @ #k ā cāk ē urā špYī \$dqḡ yḡ ḡr ﴾ [هود: ٦٥].

(١) التعبير القرآني: ص ٥٧.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٥٤٢/٣.

(٣) البرهان في علوم القرآن: ١٠٩/١.



والسؤال الذي يُطرح هنا هو: ما سرُّ وصف اليوم في الآية بـ ﴿يَوْمَ يُعَذِّبُ عَنِ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ والعَدُولُ عن استعمال ﴿يَوْمَ﴾ كما في قوله تعالى في سورة الزُّخْرَفِ:

﴿يَوْمَ يُعَذِّبُ عَنِ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الزُّخْرَفِ: ٦٥]، أو ﴿يَوْمَ﴾ كما في قوله تعالى في سورة يونس:

﴿يَوْمَ يُعَذِّبُ عَنِ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [يونس: ١٥] مثلاً؟ والجواب عن السؤال أن:

"وصف اليوم بالإحاطة أبلغ؛ لأنه محيط بما فيه من عذاب وغيره، والعذاب محيط بالمعذب، فَذَكَرُ الْمَحِيطِ بِالْمَحِيطِ أَهْوَلُ، وَهُوَ الدَّائِرُ بِالشَّيْءِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ"<sup>(١)</sup>.

ومن التَّنَاسُقِ البَدِيعِ فِي نِظْمِ الْفَوَاصِلِ: ﴿يَوْمَ يُعَذِّبُ عَنِ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ في قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يُعَذِّبُ عَنِ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [هود: ٨٧]. فالفاصلة في الآية الكريمة "متمكّنة في مكانها، مستقرّة في قرارها، مطمئنّة في موضعها، غير نائية ولا قلقة، متعلّقة معناها بمعنى الكلام كلّه تعلّقاً تامّاً، بحيث لو طرحت لاختلّ المعنى، واضطرب الفهم، وبحيث لو سكّت عنها كمّله السامع بطبعه"<sup>(٢)</sup>.

إنّ الناظر لكلمتي ﴿يَوْمَ﴾ و﴿يَوْمَ﴾ يدرك لأوّل وهلة أنّهما قيستا بميزانٍ إلهيٍّ دقيقٍ، وبيان ذلك "أنّه لما تقدّم في الآية ذكر العبادة، وتلاه ذكر التّصرف في الأموال، اقتضى ذلك ذكر الحلم والرّشد على الترتيب؛ لأنّ الحلم يناسب العبادات، والرّشد يناسب الأموال"<sup>(٣)</sup>.

وقد اقترب الزركشي كثيراً من هذا قائلاً:

"لأنّ الحلم الذي يصحّ به التّكليف، والرّشد حسن التّصرف في الأموال، فكان آخر الآية مناسباً لأولها مناسبة معنويّة"<sup>(٤)</sup>.

إنّ أيّ منصف، بل أي عاقل، لا يمكن أن ينكر روعة اختيار الفاصلة

﴿يَوْمَ يُعَذِّبُ عَنِ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾، أو يدّعي عدم اتصالها بما قبلها في قوله تعالى:

(١) نظم الدرر: ٥٦٤/٣ ، فتح القدير: ٦٤٧/١٢.

(٢) الإتيان في علوم القرآن: ٣٠٢/٣.

(٣) المصدر السابق: ٣٠٢/٣.

(٤) البرهان في علوم القرآن: ١٠٩/١.

﴿ ذرّاهم ﴾ [هود: ١٠٨].

وسرّ الدقّة في اختيار هذه الفاصلة ﴿ ذرّاهم ﴾ هو:

"أنهم لو انفكوا من النعيم حقيقة، أو معنى ولو لحظة لكان مقطوعاً أو منقوصاً؛ وفي الختم بذلك من الجزم بالدوام طمأنينة لأهل الجنة زيادة في نعيمهم عكس ما كان لأهل النار"<sup>(١)</sup>.

إنّ الناظر في الفاصلة القرآنية يدرك أنّ اختيار الفاصلة في الآية مرتبطٌ بسبب ما من ناحية، ويهدف لأمرٍ ما من ناحية أخرى. فانظر أيّ تنسيق، وأيّ دقّة في اختيار الفاصلة ﴿ ذرّاهم ﴾ في قوله تعالى:

﴿ ذرّاهم ﴾ [هود: ١١٧]. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما السرّ في اختيار ﴿ ذرّاهم ﴾ بالذات دون غيرها في الآية الكريمة؟ والجواب؛ حتى يناسب ختام الآية السيّاق الذي جاء فيه، وبيان ذلك:

"أنّ هذا الموضوع ذكر فيه ﴿ ذرّاهم ﴾ للبناء على ما تقدّم، وهو قوله سبحانه وتعالى:

﴿ ذرّاهم ﴾ [هود: ١١٦] فدلّ على أنّ القوم كانوا مفسدين حتى نهاهم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض. وكان نقيض الفساد في الأرض الصّلاح فقال: لم يكن الله ليهلكهم وهم مصلحون"<sup>(٢)</sup>.

إنّ المتنبّع للفواصل في نهاية الآيات في التنزيل الحكيم يلمح للوهلة الأولى جمالاً بارعاً ونظماً عجبياً. وهذا ما أورده تمام حسان قائلاً:

"ومع ذلك تأتي الفاصلة في نهاية الآية لتحقّق للنصّ جانباً جمالياً لا يخطئه الذوق السليم؛ لأننا مهما يكن من شيء نحسّ أنها تضيف على النصّ قيمة صوتية منتظمة، ينقسم سياق النصّ بها إلى وحدات أدائية، تعدّ معالم للوقف والابتداء، وتتضافر مع الإيقاع، فينشأ من تضافرهما أثر

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ٥٨١/٣ ، انظر الكشاف: ٢٩٤/٢.

(٢) التعبير القرآني: ص ٢٣٤.



وحده، بل اقتضاه الكلام من جهة أخرى، فهو قد راعى الانسجام الموسيقي، وما يقتضيه الكلام<sup>(١)</sup>.

ويسود التباين في الفواصل في سورة هود عليه السلام شأنها شأن سور كثيرة من القرآن؛ منها: آل عمران، إبراهيم، مريم، النور، لقمان، فاطر، الصافات، وص، والزمر، وفصلت، والذاريات، والواقعة، والحشر، والمعارج، والمدثر، والقيامة، والمرسلات، والنازعات، وعبس، والتكوير، والانفطار، والانشقاق، والطارق، والغاشية، والفجر، والبلد، والشرح، والعلق، وغير ذلك من السور<sup>(٢)</sup>.

وتنتقل الفواصل في السورة بين اثني عشر حرفاً، هي على الترتيب من حيث العدد: النون، الدال، الباء، الراء، الميم، الطاء، الظاء، والذال، اللام، والزاي، والصاد، والقاف. وهذه الحروف وردت في السورة البالغ عدد آياتها مائة وثلاثاً وعشرين آية (١٢٣).

ويمكن بيان الفواصل في سورة هود، وعدد ورودها في الآيات من خلال الجدول الآتي:

الحرف	النون	الدال	الباء	الراء	الميم	الطاء	الظاء	الذال	اللام	الزاي	الصاد	القاف	المجموع
العدد	٥٧	٢٣	١٢	١١	٥	٤	٣	٢	٢	٢	١	١	١٢٣
النسبة	٤٦,٣%	١٨,٦%	٩,٧%	٩%	٤,٠٦%	٣,٢%	٢,٤%	١,٦%	١,٦%	١,٦%	٠,٨%	٠,٨%	١٠٠%

وإلى جانب ذلك التباين في الفواصل؛ فإن سورة هود عليه السلام تعدُّ من السور التي تنتهي فواصل آياتها بنهايات منتظمة بقدر ما إلى جانب النهايتين (الياء والنون) و(الواو والنون). والمعلوم أنّ النون تتمتع بميزة موسيقية ظاهرة في الغنة.

وإذا عدنا إلى السورة نجد أنّ فواصل الآيات تجري حسب ترتيب الآيات في

السورة على النحو الآتي:

خبير، بشير، كبير، قدير، الصدور، مبين، مبين، يستهزؤون، كفور، فخور، كبير، وكيل، صادقين، مسلمون، يبخسون، يعملون، يؤمنون، الظالمين، كافرون، يبصرون، يفترون، الأخرسون، خالدون، تذكرون، مبين، أليم، كاذبين، كارهون، تجهلون، تذكرون، الظالمين، الصادقين، معجزين، تُرجعون، تجرمون، يفعلون، مغرقون، تسخرون، مقيم، قليل، رحيم، الكافرين، المغرقين، الظالمين، الحاكمين، الجاهلين، الخاسرين، أليم، المتقين، مفترون، تعقلون،

(١) التعبير القرآني: ص ٢١٨.

(٢) انظر البيان في روائع القرآن: ١٩٥/١.

مجرمين، مؤمنين، تشركون، تُنظرون، مستقيم، حفيظ، غليظ، عنيد، هود، مجيب، مريب، تخسير، قريب، مكذوب، العزيز، جاثمين، ثمود، حنيذ، لوط، يعقوب، عجيب، مجيد، لوط، منيب، مردود، عصيب، رشيد، نريد، شديد، قريب، منضود، بعيد، محيط، مفسدين، حفيظ، الرشيد، أنيب، بعيد، ودود، عزيز، محيط، رقيب، جاثمين، ثمود، مبین، رشيد، المورود، المرفود، حصيد، تنبيب، شديد، مشهود، معدود، سعيد، شهيقي، يريد، مجوذ، منقوص، مريب، خبير، بصير، تُتصرون، الذاكرين، المحسنين، مجرمين، مصلحون، مختلفين، أجمعين، المؤمنين، عاملون، منتظرون، تعملون.

وهكذا جاءت نهايات الآيات التي اشتملت فواصلها على (الياء) على النحو الآتي:

الفاصلة	ين	يد	يب	ير	يم	يظ	يز	يط	يل	يذ	يق	المجموع
العدد	٢٨	١٣	١٠	٨	٥	٣	٢	٢	٢	١	١	٧٥

أما نهايات الآيات التي اشتملت فواصلها على (الواو) فقد جاءت على النحو الآتي:

الفاصلة	ون	ود	ور	وب	وط	وذ	وص	المجموع
العدد	٢٩	١٠	٣	٢	٢	١	١	٤٨

وهنا تجدر الملاحظة أنّ جميع الفواصل — بلا استثناء — اشتملت على الحرف الضيق (الواو أو الياء)، وقد جاءت الياء في خمسٍ وسبعين (٧٥) فاصلةً، بينما جاءت الواو في ثمانٍ وأربعين (٤٨) فاصلةً.

والجدول الآتي يوضح نسبة تمثيل الياء والواو في الفواصل:

النسبة المئوية	العدد	البيان
١٠٠%	١٢٣	آيات السُّورة
٦٠,٩٧%	٧٥	الآيات المشتملة على الياء
٣٩,٠٣%	٤٨	الآيات المشتملة على الواو



وإذا انتقلنا إلى البُنى ذات الفواصل المتشابهة، والبُنى المرسلّة التي اختلفت فواصلها في سورة هود عليه السلام؛ نجد أنّ عدد الآيات التي تشابهت فيها الفواصل في السورة خمس وثمانون آية (٨٥)، بينما تمثّل الآيات الخالية من تماثل الفواصل ثماني وثلاثين آية (٣٨)، منها ستّ عشرة آية (١٦) نهاياتها متقاربة في مخارجها وصفاتها. بينما تمثّل الآيات الخالية من تماثل الفواصل، والمتباعدة في مخارجها وصفاتها اثنتين وعشرين آية (٢٢).

ويمكن بيان عدد الآيات المتماثلة في الفواصل، وغير المتماثلة، ونسبة تمثيلها في السورة من خلال الجدول الآتي:

النسبة المئوية للآيات ذات الفواصل المتشابهة	الآيات الخالية من التماثل في الفواصل ٣٨ آية		الآيات ذات الفواصل المتماثلة
٦٩,١%	نهايات متباعدة في مخارجها وصفاتها ٢٢ آية	نهايات متقاربة في مخارجها وصفاتها ١٦ آية	٨٥ آية
	١٧,٨٩%	١٣,٠٠٣%	

حقاً لقد استرعى الإيقاع الموسيقي للقرآن الكريم انتباه العرب، وأثر في سماعهم ونفوسهم، وأجاش داخلهم، ورأوا فيه الحلاوة والطلاوة، ونغم اللفظ وجرسه، مع جمال المعنى وإحكامه، فالقرآن الكريم له نظامه الصوتي الفريد.

ونريد بنظام القرآن الصوتي: "اتساق القرآن وائتلافه في حركاته وسكناته، ومدّاته وغنّاته، واتصالاته، وسكناته اتساقاً عجيباً، وائتلافاً رائعاً، يسترعي الأسماع، ويستهوئ النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أيُّ كلامٍ آخر من منظوم ومنثور... وذلك أنّ من شأن الجمال اللغوي والنظام الصوتي، أن يسترعي الأسماع، ويثير الانتباه، ويحرّك داعية الإقبال في كلّ إنسان إلى هذا القرآن الكريم"<sup>(١)</sup>.

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الشام للتراث، بيروت - لبنان، الطبعة

الثالثة د.ت، ٣٠٩/٢، ٣١٣.

وبعد هذه الرحلة الممتعة في جنبات سورة هود، والتنقل بين آياتها تتكشف لنا آفاق التناسق التي يتمُّ بها الإبداع، ويتحقَّق الإعجاز، فقد بدت سورة هود أمامنا وكأنَّها لوحة فنيَّة بارعة متناسقة الخطوط متنسقة الألوان، أو سبيكة واحدة تأخذ بالأبصار، وتلعب بالعقول والأفكار، وتبهر الأفئدة والألباب، ومن وراء ذلك كلُّه تتكشف للناظر في القرآن آفاق وآفاق من التناسق والاتساق: فمن نظمٍ فصيحٍ، إلى سردٍ عذبٍ، إلى معنىٍ مترابطٍ، إلى نسقٍ متسلسلٍ، إلى لفظٍ معبرٍ، إلى تعبيرٍ مصوِّرٍ، إلى تصويرٍ مشخصٍ، إلى تخيلٍ مجسمٍ، إلى موسيقى منغمةٍ، إلى اتساقٍ في الأجزاء، إلى تناسقٍ في الإطار، إلى توافقٍ في الموسيقى، إلى افتتانٍ في الأجزاء... وبهذا كلُّه يتمُّ الإبداع، ويتحقَّق الإعجاز<sup>(١)</sup>.

ولكن تبقى هنا وقفة لكلِّ من أراد أن يبلغ كلَّ هذا الإعجاز، ويقف على جمال القرآن وبديع نظمه أن ينعم النَّظر في كلِّ آية من آيات القرآن الكريم، بل في كلِّ كلمة من كلماته، وهذا ما أورده محمد عبد الله دراز رحمه الله قائلاً:

"إنَّ السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآنيِّ تقضى بأن يكون هذا النحو من الدرس هو الخطوة الأولى فيه، فلا يتقدَّم الناظر إلى البحث في الصلَّات الموضوعيَّة بين جزءٍ منه، وهي تلك الصلَّات المبنوثة في مثاني الآيات ومطالعها ومقاصدها - إلا بعد أن يحكم النَّظر في السُّورة كلِّها بإحصاء أجزائها، وضبط مقاصدها، على وجه يكون معاوناً له على السير في تلك التفاصيل عن بيبة"<sup>(٢)</sup>.

(١) التصوير الفني في القرآن: ص ١٤٢.

(٢) النبأ العظيم: ص ١٥٨.



تبلغ مضامين الرسالة في الدّعوة إلى التّوحيد، ووصف الكتّاب بالإحكام والتّفصيل، وسرد القصص القرآنيّ عبرةً وعظةً لأولي الألباب.

٦. إنّ سورة هود عليه السلام تتّسم بما اتّسم به القرآن العظيم من بلاغة حار فيها فصحاء العرب فسلموا به، ولم يقدموا على معارضته.

٧. إنّ سورة هود عليه السلام ببديع نظمها، وعجيب تناسقها، وروعة اتّساقها، وسحر بيانها، وعظمة بديعها تكشف عن الإبداع الإلهيّ المعجز، والدقّة البالغة في تركيب النصّ القرآنيّ، وانسجام ألفاظه، وتآلف عباراته.

٨. إنّ سورة هود عليه السلام أنموذجٌ حيّ صالح لكلّ زمانٍ ومكانٍ، ولا زلنا نعيش كثير من القصص، وعاقبة الكافرين المعاندين التي تماثل تلك القصص التي وردت في سورة هود حتى يومنا هذا، كالزلازل والبراكين والظوفان وغيرها من وسائل إهلاك الكافرين، وما يتعرض له العالم كلّ يوم من كوارثٍ طبيعيّةٍ خيرة شاهدٍ ودليل.

٩. إنّ سورة هود عليه السلام احتشدت فيها من الأساليب البلاغيّة، والظواهر اللغويّة، والألوان البيانيّة، والفنون البديعيّة ما يمكن أن تمثّل بمفردها معجماً للمصطلحات البلاغيّة.

١٠. إنّ الفنون البلاغيّة بثّتى أنواعها وجه من وجوه الإعجاز القرآنيّ الذي تحدّى به الله سبحانه وتعالى العرب، وهي سمة جليّة يمتاز بها النظم القرآنيّ، وسرّ من أسرار بيانه في سورة هود عليه السلام.

١١. يتفوّق القرآن الكريم ومثله سورة هود عليه السلام على الفنون الأدبيّة الوضعيّة تفوّقاً ظاهراً في استعمال الفنون البلاغيّة من ناحية، وفي أسلوب تناوله للقصص من ناحية أخرى، وفي تأييده لكلّ ما يعرض بالأدلة والبراهين من جهةٍ ثالثة.

١٢. إنّ النّظم في سورة هود عليه السلام مباين لأيّ نظم، وإنّ أساليبها مخالفة للأساليب الوضعيّة. ففيها عجب النظم، وبديع التّأليف، وانسجام الألفاظ، وتآلف العبارات، وقوّة السّبك، وإحكام النّسج، وحسن الإيقاع، وسحر الفواصل.

## ثانياً: التوصيات:

١. الاهتمام بدراسة التراث البلاغيّ الذي يمثل كنزاً من كنوز العربية، وإعادة صياغة مؤلفاته بما ييسر التعامل معها، خاصة في ظلّ التطورات والتغيرات التي نعيشها من ناحية، وبما يحقق الفائدة من ناحية أخرى.

٢. توجيه عناية الطلبة والباحثين إلى دراسة البلاغة العربية والتخصّص فيها لما في ذلك من إحياء للتراث وحفظ للغة، خاصة وأنّ هذا العلم من أشرف العلوم وأجلّها، لارتباطها بكتاب الله سبحانه وتعالى، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولما في ذلك من إرضاء لله سبحانه وتعالى وحفظ لدينه.

٣. تكثيف الجهود لدحض الإشاعات المغرضة التي تهدف إلى النيل من اللغة عامة، والبلاغة خاصة، توطئة للنيل من تراثنا العربيّ والإسلامي، لاسيّما القرآن الكريم والسنة النبويّة الشريفة.

٤. الاهتمام بالدراسات البلاغيّة الملتزمة، وذلك لما تضيفه هذه الدراسات للغة من سعة، وما تمنحه للبلاغة من حفظ وتمكّن.

٥. إعطاء القرآن الكريم عناية أكبر ومساحة أوسع في الدراسات البلاغية، وإلى جانب القرآن الكريم؛ الحديث الشريف، والأدب العربيّ.

٦. توجيه الدراسات نحو بلاغة القرآن، فإنّه جامع لكثير من الأساليب البلاغيّة، والألوان البيانيّة، والفنون البيعيّة التي يستحيل أن يحدّها حدّ، أو يحصيها أيّ عدّ.

٧. وضع معجم للمصطلحات البلاغيّة في القرآن الكريم على غرار معاجم المصطلحات البلاغيّة الحديثة؛ لتكون مرجعاً لطلاب العلم، ومعيناً للدارسين والباحثين.

# الفهارس الفنية

وفيه

أولاً: فهرس آيات القرآن الكريم

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

ثالثاً: فهرس القوافي

رابعاً: قائمة المصادر والمراجع

خامساً: فهرس الموضوعات

## أولاً: فهرس آيات القرآن الكريم

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
١٣٨	١٢	brāāēp žv ` Ā»9r brBĀ.ōBē\$āid NGR) Wk	البقرة
١٣٨	١٣	bqBāēf žv ` Ā»9r ābgy, 9\$āid NGR) Wk	البقرة
٢٤٠	١٩	..... NĪX#E#ā pĪ lāpēb)1 & bqēēst	البقرة
٦٤	٢٣	... oū qY) (qēū SRĪōōā 4#ā SZØR \$ēB 5-ā 'Ī NĪZā b)ŕ	البقرة
١٣٥	٢٦	..\$g%qū \$pūš pĪE qāV \$B WVB > Iōp bē YĀōēōf Yv ©\$b)j	البقرة
٢٠٣	٣٣- ٣١	bqēēō?.....\$g-ā nšyōē \$Pē#ā N-er	البقرة
١٤٢، ١٣٥	٣٥	..... y7 ā-ŕŕ MRē ōāō\$	البقرة
١١٣	٤٤	=»GĀē\$Bqēē NGR) Nā) gRē bā) Yŕr Iēē } \$Y9\$brāōp	البقرة
٣٢١ ، ٢٦٢	٧١-٦٧	ē qēōf (rB\$ \$Br \$pqt2k ū .....jBq)ŕ ōp qā IA\$% ōŕ	البقرة
٢٨١	١٩٤	....ōB %ōōā\$B ēWU) ĩnāā (rBfā\$ Nāōē 3 %ōōā\$Cpūš	البقرة
٢١٦	١٩٩	..... 4©\$frāyōōē ā \$Y9\$Ū \$ūē β qm ōB (qā)ūk ōē	البقرة
١٣٩	٢١٤	.....pYf ēē(qēē ōē bē ōēpĀm Rē	البقرة
٣٢١	٢٦٠	.....4#qūē\$Cēy# ōē ' RĪē ē ū	البقرة
٢٥٥	٢٦١	ŌVfŕRē pōm ēvYx k \$ēēōjM 'Ī ōōŕpē bqā)Zā ūi%ēōWB	البقرة
٢٥٥	٢٦٥	.....k \$Ā \$Ē ēB nšōē\$Nōŕpē ē qā)Yā ūi%ēōWB	البقرة
١٠١	٢٨٣	...%qēē ūō#ā Yŕrūš \$gōōē f ` Br 4n%ōg ē 9\$(qBōōē Yŕr	البقرة
٧٠	٧	.....%Īŕf ū nšōēē pZē)ēnšōēēZB m)ēē? \$B	آل عمران
٢٣٣	٢١	ē\$ŕē A-#k pĪ ōēZĀ ūš.....	آل عمران
١٧٧	١٨	..... ēūēē(qēē ŕ pā)ŕpēē qēd žv) mŕ) W %ŕRē ? \$%ōgē	آل عمران
٩٦	١٠٣	.....(qēē)ŕ Yŕr \$Y-Ūy k \$ēēōē (qBĀ Gā\$	آل عمران
٣١١	٢ ، ١	\$Xqān b% %ŕŕ).....Nā/ā (qā)ēā \$Z9\$ŕ%ŕf	النساء
٤٧	٨٢	#ZŪZē \$Zŕfēē \$ūšūš (rB)ŕ q9 k \$Īēŕ %ōōē ōB b% qŕŕ	النساء

٢١١	١٢٤	..... @AReH @E E `B M)S hA 9Si B @pJef AE Br	النساء
٣١١	١٧٦	y7pd (t@d\$E) 4i#s3E\$ 'i Nk <f9a? \$E%y7RqEgCp0	النساء
١٧١	٢٧	> E SR WvR S+r SZk0of (qE\$) si I \$Z9\$' Ma (q9%a 0) # t? qPr	الأنعام
١٥٢	٧٣	..... E)S0E E 0E # N'p)P; 9Si Hf " %S)qEir	الأنعام
٢٦٨	١٣٥	..... (@B\$E ' h Nk GR%B 4H9 (q9)0\$E0) of 0E	الأنعام
٣٢١	١١	(rR%h 0\$)3f)P)E) SZkE 9E N3)R69' 9E Nk )Q)PZ 0)9r	الأعراف
٣٢١، ٢٠٣	١٢	..... y7e0Dk 0) %0h 0)PzvE y7pZB \$B IAS%	الأعراف
٣٢١	١٣	..... \$hZi t6BF? bE y79 hq3f \$P)S \$h)B h'Ve\$S IAS%	الأعراف
٣٢١	١٤	bqE%0)0q 4H) pEaRk IAS%	الأعراف
٣٢١	١٥	Uit%ZB0E\$ B y7R) IAS%	الأعراف
٣٢١	١٦	U)E)P 0E\$y7U)A N0) b)0E0V ' Yk)q0E \$P)S IAS%	الأعراف
٣٢١	١٧	N)P)h 0)ir N)j)z 0)ir N)k)A E)h `B 0)G)P)Y 9E	الأعراف
٣٢١	١٨	bV 0V N)B y7p)9 `p)E (#Yq)0B \$Bra0B \$h)B 0)Ez \$IAS%	الأعراف
١٤٢، ١٣٥	١٩	..... y7a)Pr MRk 0)0)0\$	الأعراف
٢٠٣	٢٥	bq)E t)B \$h)B b)qE0) \$g<ir b)q)E \$hZi IAS%	الأعراف
١٤١	٤٥	br)k) 0)A E)S N)ir ..... k \$E0)M `E br)0)A) U)I)0\$	الأعراف
١٢١	٥٣	\$Z9 (q)9)0)S) h)P)9) `B \$Z)0)g)S	الأعراف
٣١٧	٥٩	..... 0)\$(rR)0)0)0) of IAS) si 3)h)0) 4H) %r)qE SZ)M 0) 0)9	الأعراف
٣١٧	٦٥	..... 0)\$(rR)0)0)0) of IAS% 3)S)qE N)E)k & S)E 4H)R	الأعراف
٣١٧	٧٣	..... 0)\$(rR)0)0)0) of IAS% 3)S)E)h) N)E)k & S)q)0 4H)R	الأعراف
٣١٧	٨٥	..... 0)\$(rR)0)0)0) of IAS% 3)S)E)P) N)E)k & S) I)0B 4H)R	الأعراف
٣٢٢	١٤٣	..... s)P)I)k E) t) IAS% 1)0)S) 1)0)P)E) r SZ)S) S)U)9 0)P) q)B h)Y) \$E)9r	الأعراف
٢٢٧	١٥٤	E) 0)0)0)0)P) q)B `E M)S)Y)M \$E)9r	الأعراف
٩٦	١	..... N)k Y)4 N)E) (q)S)0) 0)ir.....	الأطفال



٩٦	٤٦	..... ٤٣١   =plô9r (qê+ôcû (qâr»z9 v9r	الأنفال
٦٩	٥٨	..... ٤٣١   =plô9r (qê+ôcû (qâr»z9 v9r	الأنفال
١١٨	١٣	..... ٤٣١   =plô9r (qê+ôcû (qâr»z9 v9r	التوبة
١٣٨	٤٩	..... ٤٣١   =plô9r (qê+ôcû (qâr»z9 v9r	التوبة
١١٣	٧٠	..... ٤٣١   =plô9r (qê+ôcû (qâr»z9 v9r	التوبة
١١٣	١٠٤	..... ٤٣١   =plô9r (qê+ôcû (qâr»z9 v9r	التوبة
٢٦٣	١٥	..... ٤٣١   =plô9r (qê+ôcû (qâr»z9 v9r	يونس
٣٠٨	١٠٨	..... ٤٣١   =plô9r (qê+ôcû (qâr»z9 v9r	يونس
٣٠٢	١٠٩	..... ٤٣١   =plô9r (qê+ôcû (qâr»z9 v9r	يونس
٢١٣	٣	..... ٤٣١   =plô9r (qê+ôcû (qâr»z9 v9r	يوسف
٢٠٦	٤	..... ٤٣١   =plô9r (qê+ôcû (qâr»z9 v9r	يوسف
١٣٥	٨	..... ٤٣١   =plô9r (qê+ôcû (qâr»z9 v9r	يوسف
١٥٧	١٨	..... ٤٣١   =plô9r (qê+ôcû (qâr»z9 v9r	يوسف
١٣٦	٣٢	..... ٤٣١   =plô9r (qê+ôcû (qâr»z9 v9r	يوسف
١٣٦	٤٦	..... ٤٣١   =plô9r (qê+ôcû (qâr»z9 v9r	يوسف
١٤٦	٥٣	..... ٤٣١   =plô9r (qê+ôcû (qâr»z9 v9r	يوسف
١٣٥	٦٩	..... ٤٣١   =plô9r (qê+ôcû (qâr»z9 v9r	يوسف
٢٤٧	٨٢	..... ٤٣١   =plô9r (qê+ôcû (qâr»z9 v9r	يوسف
١٥٧	٨٣	..... ٤٣١   =plô9r (qê+ôcû (qâr»z9 v9r	يوسف
٢٤٦	٤	..... ٤٣١   =plô9r (qê+ôcû (qâr»z9 v9r	إبراهيم
٩٦	٣٠	..... ٤٣١   =plô9r (qê+ôcû (qâr»z9 v9r	إبراهيم
٣٣٧	١٠٩	..... ٤٣١   =plô9r (qê+ôcû (qâr»z9 v9r	النحل
٢٢٨	٢٤	..... ٤٣١   =plô9r (qê+ôcû (qâr»z9 v9r	الإسراء
٦٣، ٤٣ ١٤٨، ٦٥	٨٨	..... ٤٣١   =plô9r (qê+ôcû (qâr»z9 v9r	الإسراء

٧٠	١١	#S%oā sū uīĀ # q30# ' ī NġR#E#ā #āā S'vāiKōs	الكهف
٣٢٠	٣٤	.... ūāā Bā qāaf\$āā qādr ¼ānīĀ)A ū IAS\$)s ū ūO ¼āq s % r	الكهف
٢٠٤	٥٠	..... S Sĥō W) (yBf   s P\$K (rBōō\$psī)āpūē SZEē ūr	الكهف
٢٠٦	٧٩	..... ūōvō# ' ī bqāpēf ūūā) pŭ ūMR%ōs pū<ŷ; 9\$SB&	الكهف
٢٤٥	٣	SSġyz ā#%ōR ¼āqā 2 ūSR ū	مريم
٢٢٨, ٨١	٤	Sūā ā ūS\$ēpGō#	مريم
٢١٧	٦٥	Āūō # qōōō\$ \$pūā+ \$Br ū ūē # N'āpū; 9\$> S	مريم
٩٠	١٩	ū qB)ŷ \$gūā IAS%	طه
٩٠	٢٠	ūēp# p\$ŷm } ū #ēĀs \$gōs ūs	طه
٣٤٣	٧٠	ū qāīr brāp ū ū? SZB#ā (qōs%	طه
١٧٩	٧٢	..... ū % MR& \$B ū ūā	طه
١٧٩	٧٣	..... SZĥī? SZB#ā \$R)	طه
٢٠٤	١١٦	\$ Sĥō W) (yBf   s P\$K (rBōō\$psī) āpūē SZEē ūr	طه
٢٦٤	١٢٩	' Kŷ B ū ū ūr \$B#ŭ bōō9 y7īC ` B ūs)ūŷM pūā ŷvqāīr	طه
١٥٥	٣٧	..... Āk s ūēf#ā NāfīrēM āēf ā ūB B) RŷMā, ūā	الأنبياء
٢٦٦	٦٢	ūSū+ūŷ SZGōS&? #k »d Mēp s MRāā (qōs%	الأنبياء
٢٦٧	٦٣	..... s(qōs? b) Nāqāp s #k »d NāēĀ? ¼āp s ūŷ IAS%	الأنبياء
٢٤٦	١٠٧	s ūūpēŷ pūāy ŷv) s ŷēMā \$Br	الأنبياء
١١٢	٤١	..... ū ūē # N'āpū; 9\$' ī ` B ¼āq B ūŷ ūō\$B& ū? ū%	النور
٢٤٣	٤٨	brāpīr ū qā ū ū	الشعراء
٢٤٦	٨٤	ūīĀēŷ' ī Sūā' b\$ŷ; ū ' k@pō#	الشعراء
١١٢	٦٠	ā\$ŷ; 9\$ēE B N& 9 IARūr ū ūē # N'āpū; 9\$ā, ū ūōB&	النمل
١١٢	٦٣	.. ūŷfŷ@Āēā ` Br ūōvō# ūōsMāpūā # ' ī N& fŷōŷ ` B&	النمل
٣٣٤	١٠	¼ānī " ŷōōē ūŷs? b) (ŷŷ) s 4 ŷ qā ūēBŷsēŷŷō ūr	القصص



٣٢٢	٢١	.... oSB Arik N3) mdr 80k @ä ÜRk.t ü %(\$? \$SZ) ÜRk	فصلت
٤٢	٣٩	46/1/1r Ö'lTel\$äp0\$S\$zäe \$Z0Rk #Efs	فصلت
٧٧	١١	ÖT * %ññUx JS Ö9	الشورى
٢٦٣	٦٥	.....öqB#B ü i%@ @fñs (NñZ4 : B Ü #önE \$y# #GZ \$	الزخرف
٢٣٤ ،٩٤	٤٩	ätk 0\$äfp0\$MRk s RJ 0E	الدخان
١٩٦	٢٩	..cññqä I\$y30\$' ää äññ0i yqB Üi%0\$ 4k \$AqB'S 0MJC	الفتح
٢١١	١٨	ZÄV ? \$ 4CJ öE \$ N'wpi 9\$ =ñ Dñef 0\$Bj	الحجرات
١٤٥	٢	ë <ñ ä0k #k »pd	ق -
١٨٥	٦	Ö'w9 ÜiE!\$bJr	الذاريات
١٩٨	٥٦	ÈrñZëxñ zñ) JS RñMñ Eñ0\$ä/0mz \$Br	الذاريات
٢٠٧	١٤	I\$ç y0\$ 0»Äñ ' B z »ñ SñM\$S' mç	الرحمن
٢٠٧	١٥	9R ` B BÍ\$B ` B b\$F 0\$ñ mçr	الرحمن
٩٢	٣٣	..... (räzZ bñ ñEäÜG0\$B) \$ RñMñ 0ñ0ñi³ epñf	الرحمن
١١٧	٦٠	Bññ öñM\$zñ) Çññ öñM\$äñ'y_ 0pd	الرحمن
٤٣	٣٣	päqñE vñr päqñ0B zñ	الواقعة
٣٢٠	١	..... päC0ñr \$gÄñy ' i y7 0ñ0ñB 0B\$Aqñ ? \$j ÜjM 0ñ%	المجادلة
٢٤٠	٣	..... \$C\$yFf bñ 06% ` B p7ññ 0fñ 0ñ	المجادلة
١٨٦	٩	È0\$B0\$B0q y79'E (Ä0ñ0\$0qñ) 0Bäpñt P0q	التغابن
٢٢٧	٧	äqñs } Èr \$Z<ñy- \$0ñ (qäñce \$ñZü (qä0ñEñE)	الملك
٢٢٧	٨	... \$Mñr z ñ0ñyM Öqñ \$ñZü ü Ä0\$y-ä (Ä 0ñ0\$ B äpñ Bñ3?	الملك
١١٢	١٩	.....4 i Ö'Öñr Mñyñ! ñ0\$ññ I099\$' mç (Eñy 09ñr	الملك
٢٢٧	١١	pñI \$p0\$' i 0Bñññq äpñ0\$BÜ \$09 \$Rj	الحاقة
٣٠٢	١	..... %ñqñ \$Z0ñ 0ñ \$Rj	نوح
٢١٦	١٠	#Y\$ññ 0 % %ñRj ñ3ññ (räy0f0\$Bññññ	نوح



## ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الرقم	الحديث	الصفحة
١.	اقرأوا سورة هود يوم الجمعة	٢٣
٢.	أنا أفصح العرب بيد أني من قريش	٦٤
٣.	إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة	٢١٣
٤.	دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، وهي الحالقة	٢٢٧
٥.	الدنيا حلوة خضرة	٢٢٧
٦.	شبيبتني هود وأخواتها	١٨
٧.	شبيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، و ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾	١٨
٨.	الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق	١٩٨
٩.	اللهم اغسل خطاياي بماء الثلج والبرد	٢٢٨
١٠.	من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر	٢٤٠
١١.	وهل لك يا بن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت	٢٨٧

## ثالثاً: فهرس القوافي

مستسل	القافية	القوافل	البحر	الصفحة
. ١	نساء	زهير بن أبي سلمى	الوافر	١١٥
. ٢	كلابا	جرير	الوافر	٩٥
. ٤	بائثمد	حسان	الطويل	٩٦
. ٥	تصيذا	المتنبي	الطويل	٢٣٧
. ٦	حصيد	بلا نسبة	الكامل	٢٧٧
. ٧	الصدور	أبو فراس	الوافر	١١٨
. ٨	استتير	أبو فراس	الوافر	١١٨
. ٩	احبس	بلا نسبة	الطويل	١٣٩
. ١٠	قميصا	ابن الرقعمق	الكامل	٢٨١
. ١١	الكاسي	الحطيئة	البسيط	٢٤٣
. ١٢	تنفع	أبو ذؤيب الهذلي	الكامل	٢٢٨
. ١٣	قانع	لبيد	الطويل	٢٧٧
. ١٤	مجاشع	الفرزدق	الطويل	١٢٦
. ١٥	ناقع	النابغة الذبياني	الطويل	٢٤٣
. ١٦	منيف	ميسون بنت بحدل	الوافر	١٣٥
. ١٧	تجعل	الفرزدق	الكامل	١١٧
. ١٨	جليل	بلا نسبة	الطويل	١٠٢
. ١٩	الرجال	جرير	الوافر	٨١
. ٢٠	الزلالا	المتنبي	الهجج	٢٣٧
. ٢١	النزال	جرير	الوافر	٩٤
. ٢٢	الأمم	المتنبي	البسيط	٢٨٩
. ٢٣	البشام	جرير	الوافر	١٩٨
. ٢٤	الحكم	المتنبي	البسيط	١٢٦
. ٢٥	الحماما	إيلياً أبو ماضي	الرمل	٩٦
. ٢٦	الخصاما	إيلياً أبو ماضي	الرمل	٩٦

٩٦	الرّمّل	إيلياً أبو ماضي	الزّوآما	. ٢٧
٩٦	الرّمّل	إيلياً أبو ماضي	الكلاما	. ٢٨
١١٥	الطويل	المتنبى	لائم	. ٢٩
٢٨٢	الطويل	زهير بن أبي سلمى	يسأم	. ٣٠
٢٤٠	الوافر	معن بن أوس المزني	رمانى	. ٣١
١١٥	البسيط	أبو فراس	العانى	. ٣٢
١١٥	البسيط	أبو فراس	فرسان	. ٣٣
٢٤٠	الوافر	معن بن أوس المزني	هجاني	. ٣٤



## رابعاً: قائمة المصادر والمراجع

- ١- الإتيان في علوم القرآن، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - مكتبة دار التراث، القاهرة. د.ت.
- ٢- الأدب الكبير والأدب الصغير، عبد الله بن المقفع، دار الجيل، بيروت - لبنان. د.ت.
- ٣- أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري - تحقيق عبد الرحيم محمود - دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ١٩٧٩م.
- ٤- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني - تحقيق محمد رشيد رضا والشيخ أسامة صلاح الدين منيمنة - دار إحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٥- أسرار ترتيب القرآن، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا ومرزوق علي إبراهيم - دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة ٢٠٠١م.
- ٦- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، حسن طبل، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٨م.
- ٧- الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، سعد مصلوح، عالم الكتب، الطبعة الثالثة ١٩٩٢م.
- ٨- الأسلوب والأسلوبية بين العلمانية والأدب الملتزم بالإسلام، عدنان النحوي، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
- ٩- الأسلوب والأسلوبية، بيرو جيرو - ترجمة منذر عياشي - مركز الإنماء القومي، بيروت - لبنان د.ت.
- ١٠- أسلوبا النفي والاستفهام في العربية، خليل أحمد عميرة، منشورات جامعة اليرموك د.ت.
- ١١- الأسلوبية والأسلوب، عبد السلام المسدي، دار سعاد الصباح - الكويت، الطبعة الرابعة ١٩٩٣م.
- ١٢- الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.
- ١٣- الأسلوبية ونظرية النص، إبراهيم خليل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- ١٤- الأسلوبية: بيرو جيرو، ترجمة منذر عياشي، بتصرف، مركز الإنماء الحضاري، دمشق، الطبعة الثانية ١٩٩٤م.

- ١٥- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٩٧١م.
- ١٦- أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ١٩٩٥م.
- ١٧- إعجاز القرآن الكريم، فضل حسن عباس وآخرون، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان - الأردن ١٩٩١م.
- ١٨- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠٢م.
- ١٩- إعجاز القرآن، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي - تحقيق السيد أحمد صقر - دار المعارف، القاهرة د.ت.
- ٢٠- الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، محمود السيد حسن مصطفى، مؤسسة شباب الجامعة، الطبعة الأولى ١٩٨١م.
- ٢١- الإعجاز النحوي في القرآن الكريم، فتحي عبد الفتاح الدجني، مكتبة الفلاح - الكويت، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.
- ٢٢- الإعجاز في دراسات السابقين، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٩٧٤م.
- ٢٣- الإعجاز في نظم القرآن، محمد السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٧٨م.
- ٢٤- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، دار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - بيروت، الطبعة الثامنة ٢٠٠١م.
- ٢٥- إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج - تحقيق ودراسة إبراهيم الإبياري - دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٨٦م.
- ٢٦- أوضح المسالك على ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٩٦٦م.
- ٢٧- الإيجاز في كلام العرب ونصّ الإعجاز دراسة بلاغية، مختار عطية، دار المعرفة الجامعية د.ت.

- ٢٨- الإيضاح في علوم البلاغة، الإمام الخطيب القزويني، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٤٩ م .
- ٢٩- الباقلائي وكتابه إعجاز القرآن دراسة تحليلية نقدية، عبد الرؤوف مخلوف، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان ١٩٧٣ م.
- ٣٠- البحث البلاغي عند العرب، شفيع السيد، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية ١٩٩٦ م.
- ٣١- البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٧ م .
- ٣٢- بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، كاظم الظواهري، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٩١ م.
- ٣٣- بديع القرآن، ابن أبي الأصبع المصري أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد ظافر بن عبد الله بن محمد - تقديم وتحقيق حفني محمد شرف - نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٩٥٧ م.
- ٣٤- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، عبد الواحد بن الزملكاني - تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي - بغداد ١٩٧٤ م.
- ٣٥- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي - تقديم وتعليق مصطفى عبد القادر عطا - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٨ م.
- ٣٦- البرهان في وجوه البيان، الحسن بن وهب الكاتب - تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي - مطبعة العاني، بغداد ١٩٦٧ م.
- ٣٧- البلاغة التطبيقية دراسة تحليلية لعلم البيان، محمد رمضان الجربي، منشورات جامعة ناصر، الخمس - الجماهيرية العظمى، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م .
- ٣٨- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م.
- ٣٩- البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، محمد بركات حمدي أبو علي، دار البشير، عمان - الأردن، الطبعة الأولى ١٩٩٢ م.
- ٤٠- البلاغة تطوّر وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة ١٩٦٥ م.

- ٤١- البلاغة فنونها وأفنانها - علم المعاني، فضل حسن عباس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، الطبعة السابعة ٢٠٠٠م.
- ٤٢- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - الطبعة الأولى ١٩٩٤م.
- ٤٣- البيان في إعجاز القرآن، محمد محمد السباعي الديب، طبع محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة ١٩٦٠م.
- ٤٤- البيان في تناسب آيات وسور القرآن، عاطف المليجي، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
- ٤٥- البيان في روائع القرآن، تمام حسان، مكتبة الأسرة، مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٣م.
- ٤٦- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق عبد السلام هارون - دار الجيل، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة د.ت.
- ٤٧- بين البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، مكتبة الحرية الحديثة، القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٤م.
- ٤٨- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان د.ت .
- ٤٩- تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، أحمد مصطفى المراغي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٥٠م.
- ٥٠- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - تحقيق السيد أحمد صقر- مكتبة دار التراث للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٣ م.
- ٥١- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري - تحقيق علي محمد البجاوي، دار الشام للتراث، بيروت - لبنان د.ت.
- ٥٢- التركيب اللغوي للأدب، لطفي عبد البديع مكتبة النهضة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٠م.
- ٥٣- التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل البيان، محمد أبو موسى، منشورات جامعة قار يونس، الجماهيرية العظمى، الطبعة الأولى ١٩٧٨م.
- ٥٤- التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السادسة عشرة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٥٥- التعبير الفني في القرآن، بكرى شيخ أمين، دار العلم للملايين بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

- ٥٦- التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار عمار، عمان - الأردن، الطبعة الرابعة ٢٠٠٦م.
- ٥٧- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود العمادي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع د.ت.
- ٥٨- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، محمد الرازي فخر الدين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨١م.
- ٥٩- تفسير القرآن العظيم، الحافظ إسماعيل بن كثير القرشيّ الدمشقيّ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- ٦٠- التفكير البلاغيّ عند العرب، حمادي صمود، تونس ١٩٨١م.
- ٦١- تلوين الخطاب في القرآن الكريم دراسة في علم الأسلوب وتحليل النص، طه رضوان طه رضوان، دار الصحابة للتراث والطباعة والنشر والتوزيع، طنطا، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
- ٦٢- تناسق الدرر في تناسب السور، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
- ٦٣- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرمانيّ والخطابيّ وعبد القاهر الجرجانيّ - تحقيق وتعليق محمد خلف الله، محمد زغلول سلام - دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة د.ت.
- ٦٤- جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الجيل، بيروت - لبنان د.ت.
- ٦٥- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاريّ القرطبيّ - مراجعة وضبط وتعليق محمد إبراهيم الحفناويّ - دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.
- ٦٦- جدلية الخفاء والتجلي دراسات بنيوية في الشعر، كمال أبو ديب، دار العلم للملايين للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٨٤م.
- ٦٧- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
- ٦٨- خصائص التعبير القرآنيّ وسماته البلاغية، عبد العظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

- ٦٩- الخطاب الشعريّ عند محمود درويش دراسة أسلوبية، محمد صلاح زكي أبو حميدة، مطبعة المقداد، غزة - فلسطين، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
- ٧٠- الخطيئة والتكفير والخلّاص "الخطاب الشعريّ عند محمد حسيب القاضي - دراسة نصّانية"، مي عمر نايف، منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين، غزة - فلسطين، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.
- ٧١- دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، أحمد درويش، مكتبة الزهراء ، القاهرة د.ت.
- ٧٢- دلائل الإعجاز، عبد الفاهر الجرجانيّ - قراءة وتعليق محمود محمد شاكر - مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة د.ت.
- ٧٣- ديوان ابن المعتز، شرح يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.
- ٧٤- ديوان أبو فراس الحمدانيّ، شرح وتعليق عباس إبراهيم، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.
- ٧٥- ديوان الحطيئة من رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ وأبي عمرو الشيبانيّ، شرح أبي سعيد السكريّ، دار صادر بيروت - لبنان ١٩٨١م.
- ٧٦- ديوان الفرزدق، شرح إيلى الحاوي، دار الكتاب اللبنانيّ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٢م.
- ٧٧- ديوان المتنبّي، عبد الرحمن البرقوقيّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت - لبنان د.ت.
- ٧٨- ديوان إيلى أبو ماضي، تقديم حجر عاصي، دار الفكر العربيّ، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
- ٧٩- ديوان جرير، شرح إيلى أبو ماضي، دار الكتاب اللبنانيّ للطباعة والنشر والتوزيع د.ت.
- ٨٠- ديوان حسان بن ثابت - تحقيق سيد حنفي حنين - دار المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٣م.
- ٨١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألويسيّ البغداديّ، تصحيح، محمد حسين العرب، إشراف هيئة البحوث والدراسات في دار الفكر، بيروت - لبنان ١٩٩٧م.

- ٨٢- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى د.ت.
- ٨٣- سنن الترمذي: الإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي - تعليق محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى د.ت.
- ٨٤- سيرة ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة الثانية ١٩٥٥م.
- ٨٥- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - مكتبة دار التراث، القاهرة، الطبعة العشرون ١٩٨٠م.
- ٨٦- شرح قطر الندى وبل الصدى، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ١٤١١ هـ - ١٩٩١م.
- ٨٧- شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة الأعم الشنتمري - تحقيق فخر الدين قباوة - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.
- ٨٨- الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري - تحقيق أحمد عبد الرؤوف عطار - دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٩٨٧م.
- ٨٩- صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن بردزبه الجعفي البخاري - ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي - مطابع دار البيان الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.
- ٩٠- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
- ٩١- الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري - تحقيق مفيد قميحة - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨١م.
- ٩٢- الصورة الأدبية في القرآن الكريم، صلاح الدين عبد التواب، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.
- ٩٣- الطراز المتضمن لإسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني - مراجعة وضبط وتدقيق محمد عبد السلام شاهين - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

٩٤- عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده، أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى د.ت.

٩٥- علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم، حسن طبل، مكتبة الإيمان، المنصورة، الطبعة الثانية ٢٠٠٤ م .

٩٦- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٩٧٢ م.

٩٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، الطبعة الثالثة ١٩٩٧ م.

٩٨- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري - تحقيق وتعليق محمد إبراهيم إسلام - دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٧ م.

٩٩- فقه اللغة وأسرار العربية، الإمام أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي - تحقيق مجدي فتحي السيد - المكتبة التوفيقية، القاهرة د.ت.

١٠٠- فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر مع نقد وتعليق، نعيم الحمصي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٠ م.

١٠١- فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن، فتحي أحمد عامر، المجلس العلمي للشئون الإسلامية - القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٧٥ م.

١٠٢- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان: ابن قيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر - دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت - مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة ١٣٧٧ هـ .

١٠٣- في البلاغة العربية علم البديع، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ١٩٧٠ م.

١٠٤- في البلاغة العربية علم البيان، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ١٩٧٠ م.

١٠٥- في البلاغة العربية علم المعاني، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ١٩٧٠ م.

١٠٦- في الميزان الجديد، محمد مندور، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ١٩٧٧ م.



- ١٠٧- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، بيروت، الطبعة العاشرة ١٩٨١م.
- ١٠٨- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي - تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة - مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة السادسة ١٩٩٨م.
- ١٠٩- الكتاب، لسيبويه - تحقيق عبد السلام محمد هارون - الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٧٧م .
- ١١٠- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان د.ت.
- ١١١- كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٨٨م.
- ١١٢- كنوز القرآن وبيان الفرقان، عبد العزيز الشناوي، دار الإيمان، المنصورة، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
- ١١٣- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م .
- ١١٤- اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.
- ١١٥- لغة القرآن الكريم، عبد الجليل عبد الرحيم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان - الأردن، الطبعة الأولى ١٩٨١م.
- ١١٦- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير - تحقيق د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة - مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٩م.
- ١١٧- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى - تحقيق محمد فؤاد - مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٥٤م.
- ١١٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي - تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

- ١١٩- مختار الصحاح، الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة .
- ١٢٠- المخصص، ابن سيدة الأندلسي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان .
- ١٢١- مسند أبو يعلى الموصلي، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي ، دار المأمون للتراث دمشق - بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٠ م .
- ١٢٢- المصطلحات الأدبية، محمد عناني، الشركة المصرية العالمية للنشر القاهرة ١٩٩٦ .
- ١٢٣- مع القرآن في بلاغته وإعجازه، عبد القادر حسين، مطبعة الأمانة - القاهرة ١٩٧٥ م.
- ١٢٤- معارج الصعود إلى تفسير سورة هود، محمد الأمين الشنقيطي، دار المجتمع ، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ١٢٥- معاني القرآن الكريم، إبراهيم عبد الله رفيده و آخرون، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس - الجماهيرية العظمى، الطبعة الأولى ١٩٨٩ م.
- ١٢٦- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء - تحقيق، محمد النجار وأحمد نجاتي - عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٩٨٣ م.
- ١٢٧- معترك الأقران في إعجاز القرآن، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - تحقيق علي محمد البجاوي - دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٣ م.
- ١٢٨- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، أحمد مطلوب، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ٢٠٠٠ م.
- ١٢٩- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ١٣٠- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر وآخرون، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٢ م.
- ١٣١- مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - دار الشام للتراث بيروت - لبنان د.ت.

- ١٣٢- المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمذانيّ  
الأسد آباديّ - تحقيق محمود الخضيرى ومحمود محمد قاسم - المؤسسة المصرية العامة  
للتأليف والأبناء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة د.ت.
- ١٣٣- المفارقة القرآنية، محمد العبد، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.
- ١٣٤- مفتاح العلوم، الإمام أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكيّ - ضبط  
وتعليق نعيم زرزور- دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.
- ١٣٥- مقالات في الأسلوبية، منذر عياشي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، الطبعة  
الأولى ١٩٩٠م.
- ١٣٦- من أساليب القرآن، إبراهيم السامرائي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان - الأردن،  
الطبعة الأولى ١٩٨٣م .
- ١٣٧- من إشكاليات النقد العربي الجديد، شكري عزيز الماضي، المؤسسة العربية للدراسات  
والنشر، بيروت - لبنان ١٩٩٧م.
- ١٣٨- من الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم دراسة في ظاهرة الترادف اللفظي، السيد خضر، دار  
الوفاء، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.
- ١٣٩- من بلاغة القرآن، محمد شعبان علوان، نعمان شعبان علوان، الدار العربية  
للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٨م.
- ١٤٠- من بلاغة النظم العربي - المعاني، عبد العزيز عرفة، دار الطباعة  
المحمدية - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨١م.
- ١٤١- من جماليات التصوير في القرآن الكريم، محمد قطب عبد العال، الشركة السعودية  
للتوزيع، الرياض - السعودية ١٤١٥ هـ.
- ١٤٢- من فيض الرحمن في بلاغة النحو في القرآن، خضر عبد السلام حسن أبو طالب، دار  
غريب للطباعة والنشر والتوزيع.د.ت .
- ١٤٣- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الشام للتراث، الطبعة  
الثالثة د.ت.
- ١٤٤- النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت ١٩٥٧م.

- ١٤٥- النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، حسن إسماعيل عبد الرزاق، دار الطباعة المحمدية - القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.
- ١٤٦- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.
- ١٤٧- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: فخر الدين الرازي - تحقيق وتقديم إبراهيم السامرائي - دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان - الأردن ١٩٨٥م.
- ١٤٨- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد محمود حجازي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٠م.
- ١٤٩- الوحدة الموضوعية في سورة يوسف، حسن محمد باجودة، تهامة للطباعة والنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

## المجلات:

- ١- الأسلوبية الحديثة: محمد عياد، مجلة فصول، المجلد الأول، العدد الثاني، الجزء الأول ١٩٨١م.
- ٢- الفنون البلاغية في سورة هود: ماجد بن محمد الماجد، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية) المجلد الخامس - العدد الثاني ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٣- المرايا المقعرة - نحو نظرية نقدية عربية: عبد العزيز حمودة، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٧٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أغسطس ٢٠٠١م.

خامساً: فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	الإهداء
ب	شكر وتقدير
ت - ث	شكر و عرفان
١	المقدمة
٦	سورة هود
١٣-٢٤	التمهيد
١٤	أولاً: عزوف الدارسين عن البلاغة العربية
١٨	ثانياً: نظرات في سورة هود
٢٥-٨٣	الفصل الأول: النظم القرآني والأسلوبية
٢٦	المبحث الأول: النظم في القرآن الكريم
٥٤	أهمية النظم
٦٣	المبحث الثاني: جذور الأسلوبية في البلاغة العربية
٧٥	المبحث الثالث: النظر الأسلوبي في التراث العربي
٨٣	المبحث الرابع: الأسلوب والأسلوبية
٨٩-١٣٣	الفصل الثاني: الأساليب البلاغية في سورة هود عليه السلام
٩٠	المبحث الأول: الجملة الإنشائية ودلالاتها الأسلوبية
٩١	أولاً - الأمر
١٠١	ثانياً - النهي
١٠٨	ثالثاً - الاستفهام
١٢١	رابعاً - التمني
١٢٣	خامساً - النداء
١١٦	المبحث الثاني: التوكيد ودلالاته الأسلوبية

٢١٩ – ١٥٠	الفصل الثالث: الظواهر اللغوية الأسلوبية في سورة هود عليه السلام
١٥١	المبحث الأول: الحذف ودلالاته الأسلوبية
١٥٥	حذف الفاعل
١٥٦	حذف المبتدأ
١٥٨	حذف الخبر
١٥٩	حذف المضاف
١٦٢	حذف المضاف إليه
١٦٤	حذف الموصوف
١٦٥	حذف الصفوة
١٦٦	حذف المفعول
١٦٧	حذف الجملة
١٦٩	حذف القول
١٧٠	حذف الأجوبة
١٧٥	المبحث الثاني: الالتفات ودلالاته الأسلوبية
١٩٠	المبحث الثالث: التقديم والتأخير ودلالاته الأسلوبية
٢٠٣	المبحث الرابع: الأفعال ودلالاتها الأسلوبية
٢٠٥	أولاً – الفعل الماضي
٢١٠	ثانياً – الفعل المضارع
٢١٥	ثالثاً – الفعل الأمر
٢٢٠ – ٢٩٧	الفصل الرابع: التصوير الفني في سورة هود عليه السلام
٢٢١	المبحث الأول: التصوير الفني المعتمد على الحقيقة
٢٢٥	المبحث الثاني: التصوير البياني المعتمد الخيال
٢٢٥	أولاً – الاستعارة
٢٣٩	ثانياً – المجاز المرسل
٢٤٧	المجاز العقلي

٢٥١	ثالثاً- التشبيه
٢٥٨	رابعاً- الكناية
٢٦٥	خامساً- التعريض
٢٧٠	المبحث الثالث: فنون البديع في سورة هود
٢٧٥	١- الطباق
٢٧٩	٢- المقابلة
٢٨٠	٣- المشاكلة
٢٨١	٤- الإحصاء
٢٨٢	٥- الاستطراد
٢٨٣	٦- اللف والنشر
٢٨٥	٧- الجمع مع التفريق
٢٨٥	٨- الجمع مع التفريق والتقسيم
٢٨٧	٩- التقسيم
٢٨٨	١٠- تجاهل العارف
٢٨٩	١١- ائتلاف اللفظ مع المعنى
٢٩٣	١٢- الإبداع
٢٩٤	١٣- الإرداف
٢٩٦	١٤- الجناس
٢٩٨-٣٤٦	الفصل الخامس: التناسق الفني في سورة هود عليه السلام
٢٩٩	المبحث الأول: التناسق بين سورة هود ما قبلها وما بعدها
٣٠٧	المبحث الثاني: التناسق بين فاتحة السورة وخاتمتها
٣١٣	المبحث الثالث: الوحدة الموضوعية
٣١٩	المبحث الرابع: لغة الحوار
٣٣٠	المبحث الخامس: التناسق في الإيقاع الموسيقي
٣٣٤	نظم الفواصل

٣٤٧	الخاتمة
٣٤٧	أولاً: نتائج البحث
٣٤٩	ثانياً: التوصيات
٣٧٦-٣٥٠	الفهارس الفنية
٣٥١	أولاً: فهرس آيات القرآن الكريم
٣٥٨	ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
٣٥٩	ثالثاً: فهرس القوافي
٣٦١	رابعاً: المصادر والمراجع
٣٧٣	خامساً: فهرس الموضوعات